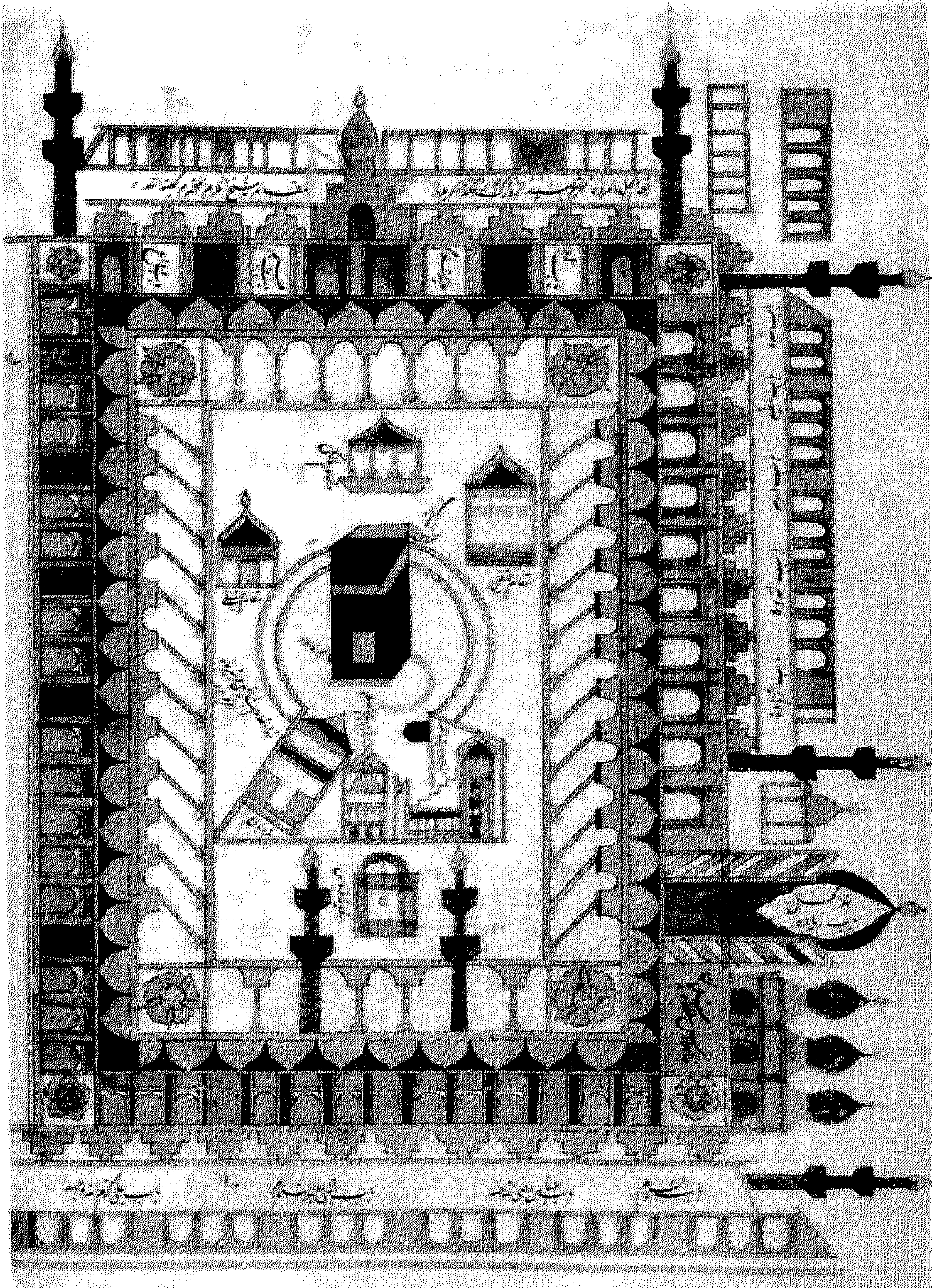
دار مصر المحروسة



النص المؤسس ومجتمعه

خليل عبد الكريم

السفر الثاني

النص المؤسس ومجتمعه

الكتاب : النص المؤسس ومجتمعه

المؤلف : خليل عبد الكريم

الناشر : دار مصر المحروسة

الطبعة الأولى : القاهرة ٢٠٠٢

المدير العام : خالد زغلول

المستشار الفني : عمر الفيومي

مدير النشر والتوزيع : يحيى إسماعيل

الغلاف : عمر الفيومي

رقم الإيداع بدار الكتب : ٢٠٠٢/٢٠٣٥

١٢ شارع قولة امتداد محمد محمود - عابدين - القاهرة

تليفون : ٣٩٦٠٥٠٠ فاكس : ٦٣٦٠٩٢٢

النص المؤسس ومجتمعه
السفر الثانى
خليل عبدالكريم

الباب الأول

آيـــات التــــربية

الفصل الأول
التربية الخلقية

١ - محـــاربة الشـــح:

عندمـا نزح تبـاع (سيـد ولد آدم) من مكة إلى يثرب فـإن غالبيتهم كما ذكرنا فى السفـر الأول تفتقـر إلى المال وليست لديهم صنعـة أو حرفة أو عمالة سوى التجارة التى لا قوام لها إلا رأس المال وبينهم عـدد ملحـوظ من الحلفـاء والعبـدان (الأرقـاء) والموالى ومن الذين ينتمون إلى قاع المجتمع.. وصفور اليدين من النشب (المال) ينسحب أيضـا على الأعـراب الآخرين، إذ إنهم بعـد دخولهم الإسلام فـمن المحتم عليهم - فى بدّى الأمر - النزوح إلى القرية ذات الحرتين حيث (لا إيمان لمن لا هجرة له). وبعد حين تغير الحكم (لا هجرة بعد فتح مكة)، وبينهما ظهر مبدأ (هجرة البادى) أى اعتبار قاطنى البوادى نازحين (مهاجرين). إن تبديل الأحكام فى مسألة النزوح (الهجرة) مرده إلى حوجة دولة قريش التى أقيمت فى بلدة بنى قيلة ل الرجال. ففى المبتدأ افتقرت إلى عسكر ينخرطون فى السرايا والغزوات وجماعات التصفيـة الجسدية. ومن ثم حتم لازم على من يعتنق الإسلام أن يهرع إلى قاعدة الدولة الوليد، ولما طفقت تتضلع من الأجناد وضاقت جنبات يثرب بهم نسخ قيد النزوح ك إشارة على الإيمان وغدا البادى المسلم مهاجرا مثله كالذى شد حاله إليها.

ثم بعد فتح الفتوح - (فتح مكة) - والانتصار على أئمة الكفر فى عقر دارهم وصيرورة (المنصور بالرعب مسيرة شهر)حاكم الجزيرة العربية حرم النزوح (الهجرة).

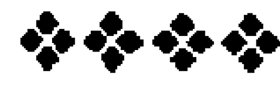
ثم نعود إلى سياقة ال تتقير:

أولئك العريان بداهة فقراء محاويج لا يملك الواحد منهم شروى نقير.

إذن عجّت يثرب ب أعداد من النازحين تفـوق طاقة سكانها الأصليين = الأوس والخزرج.

وهؤلاء النازحون تلزم إعاشتهم من كل الأرجاء:

المسكن ـ الطعام بّل والشراب (فلا لوجود ل أنهار هناك) والعمل والملبس إلخ.



والحق أن بنى قيلة لم يقصروا وأبدوا كرما وشهامة وبذلوا الكثير، بيد أن العبء فادح والحمل ثقيل والنفوس جبلت على الشح وفطرت على حب المال خاصة إذا أدركت أن العطاء سيطول أمده والبذل سوف يستمر والمنح لا تلوح له نهاية.

طفق الأوس والخزرج وإذا تحرينا الدقة الموسرون منم يغلون أيديهم حتى بعد صدور فريضة الزكاة التى شرعت خصيصا لذلك[1] أخذوا يلتفون حولها ف لجأوا إلى حيلة معروفة هى إخراج أردأ المال وأرذل الأشياء وأخس الأنواع.

إن هذا المسلك أزعج (الظفور) إذ سيفاقم العبء الملقى على عاتقه وهو رعاية المنازيح وتحديدا ذوى الخلة منهم والسهر على تدبير ولو الحد الأدنى مما يصلح شئونهم.

وكما طالع القارئ الفطن اللبيب ـ فى السفر الأول ـ فإن الذكر الحكيم لا يترك (سعد الخلائق) يعانى الآلام النفسية الباهظة ف تهل ك أنوار الفجر الرائعة الآية السابعة والستون بعد المائتين من سورة البقرة الزهراء، فهى من ناحية تأمر تبعه بضرورة إخراج الطيب- وهو وصف جامع لكل خير ـ من كسبهم وتحذرهم من تقديم الخبيث.

ومن رجا آخر فيها تقويم لمنقصة الشح وقضاء على رذيلة البخل

---

١ ـ فى السنة الثانية من النزوح (الهجرة)، واعتبرت ركنا من أركان الإسلام وفرض عين، أى آن تبع (الماجد) ظلوا خمسة عشر عاما لا يزكون بل ترك إخراج الصدقة ل شعورهم وأريحيتهم وسخاء نفوسهم، دون إلزام، وذلك طبيعى بل بديهى إذ لا لزوم لها (الزكاة) فى بكة.
ولعل إلقاء الضوء على هذه الحقيقة يؤكد صحة المبدآ أو القاعدة التى ننادى بها وهى إلزامية الحفر عن الجذر التاريخى لكل تكليف شرعى (دينى) لأنه يضىء حواف الفرض أو الركن ويساعد ـ فى حالة الضرورة ـ على تطبيقه على الوجه الأمثل ومعرفة القيمة المبتغاة منه ومن ثم ف لا ضرورة للتمسك بحرفياته. ا. هـ

وحرب على صفة الكزازة وطالما ردد عليهم: «المؤمن غرّ كريم»[١].



ولنوثق سبب هلّ هذه الآية المجيدة من مصنفات «أسباب النزول» ثم نردفها ب كتب التفسير (أسباب النزول):

(روى الحاكم والترمذى وابن ماجة وغيرهم عن البراء قال: نزلت هذه الآية «٦٧ البقرة» فينا معشر الأنصار: كنا أصحاب نخل وكان الرجل يأتى من نخله على قدر كثرته وقلته وكان الناس ممن لا يرغب فى الخير يأتى الرجل ب القنو فيه الصيص والحشف وب القنو قد انكسر فيعلقه ف أنزل الله «يا أيها الذين آمنوا - الآية)[٢]

(وعن جابر قال أمر النبى ﷺ بزكاة الفطر بصاع تمر ف جاء رجل بتمر ردىء فأنزل القرآن:

(يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم... «الآية ٢٦٧ البقرة)[٣]

(وعن البراء قال: نزلت هذه الآية فى الأنصار: كانت تخرج إذا كان جذاذ النخل من حيطانها أقناء من التمر والبسر، فيعلقونها على حبلين بين أسطوانتين فى مسجد رسول الله ﷺ ف يأكل منه فقراء المهاجرين، وكان الرجل يعمد ف يخرج قنو الحشف وهو يظن أنه جائز عنه فى كثرة ما يوضع فى الأقناء - ف نزل فيمن فعل ذلك:

«ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون» الآية ٢٦٧ البقرة.

يعنى القنو الذى فيه حشف ولو أهدى إليكم ما قبلتموه)[٤]



البراء بن عازب وجابر بن عبدالله اللذان نقلا هذه الأخبار من

١ - رواه أبو داود والترمذى والحاكم وهو حديث حسن.
٢ - (لباب النقول) ل السيوطى - ص٣٥
٣ - (أسباب النزول) ل الواحدى النيسابورى ص ٥٥/٥١.
٤ - (أسباب النزول) ل الواحدى ص ٥٦ - سابق.
(المقبول فى أسباب النزول) ل أبى عمر نادى الأزهرى - ١٤٥/١٤٦ سابق.

بنى قيلة ومن مشاهير الصحبة، وحملت دواوين السنة المحمدية المشرفة العديد من أحاديثها.

فى حق الأول يؤكد قاضى القضاة وشيخ الإسلام الحافظ بن حجر العسقلانى (أنه روى عن النبى ﷺ جملة من الأحاديث وعن أبيه وعن أبى بكر وعمر وغيرهما وروى عنه عدد من الصحابة)[١].

أما الآخر نعنى جابر بن عبدالله فهو «من المكثرين الحفاظ للسنن»[٢].

وترتيبا عليه فمن غير المعقول أن يلصقا بقومهما هذه المعايب وينسبا إليهم هذه النقائص ويلطّا بهم هذه المذام.

علاوة على أن مظنه الكذب فى حقهما منتفية ب الكلية فهما من خيار بنى قيلة بل من فضلاء الصحاب عامة.

إذن أغنياء بنى قيلة أو حتى المتوسطون منهم الذين تجب عليهم الزكاة عمدوا إلى التحلل من فرضيتها ب تقديم التافه وإعطاء الخسيس ومنح الرذّل، وفى ذات الوقت ضنّوا بالطيب وحجنوا النفيس وبخلوا ب الحسن.

بل إن كزارة اليدين طالت القادرين من المنازيح (المهاجرين) ف حذوا حذو المليئين من اليثاربة المسلمين ونافسوهم فى هذا المضمار:

عن ابن عباس قال: كان أصحاب رسول الله - ص - يشترون الطعام الرخيص ويتصدقون ف أنزل الله:

«يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم» الآية ٢٦٧ من سورة البقرة[٣].

فهذا هو حبر الأمة وترجمان القرآن ذكر «كان أصحاب رسول

---

١ - (الإصابة فى تمييز الصحابة) المجلد الأول - ص ٤١٦ - مصدر سابق.

٢ - (الاستيعاب فى معرفة الصحاب) ل أبى عمر يوسف بن عبدالبر - المجلد الأول ص ٢٢٠ - تحقيق على محمد البجاوى - الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م دار الجيل - بيروت.

٣ - (المقبول) لأبى عمر نادى الأزهرى - ص ١٤٧ مرجع سابق.
(لباب النقول) ل السيوطى - ص ٣٥ مصدر سابق.

الله ﷺ» وهذا اللقب: أصحاب أو صحبة أو صحاب يشمل الفرقتين: النازحين واليثارية. ولو أن الأمر اقتصر على الأخيرين لما أعجز عبدالله بن عباس أن يذكرهم منفردين.

وليس ال «حبر» هو الذى يلقى الكلام على عواهنه ولا يفرق بين الاثنين، ولا يدرك أن عبارة «أصحاب رسول الله ﷺ» تشمل الطائفتين، بل إن عددا من أكابر علماء أمة لا إله إلا الله ذهب إلى أن كلمة أصحاب وصحابة أو صحبة تشمل أيضا الجن الذى آمن ب «الأعظم» واجتمع به ومنهم من يرى أن عبدالله وابن أمته عيسى ابن الصديقة مريم منهم لأنه اجتمع به كما ورد فى قصة الإسراء والمعراج، وأنه آخر الصحابة موتا.

وهذا الحديث أخرجه ابن حاتم وابن مردويه والضياء فى المختار مما يعلى من قيمته ويؤكد ثمانته ويوثق نفاسته.

والحبر لم يذكر التمر وما إليه بل قال إنهم يشترون الطعام الرخيص. والأقرب إلى المنطق أن الذين يفعلونه هم المنازيح .. وهى صورة بالغة الفحاشة، شديدة القبح، وسيعة الشناعة!!

إذ كيف قبل النازح (المهاجر) الذى أغناه الله من فضله أن يفعل ذلك ب أخيه المسلم الذى هاجر معه وبعد أن رأى بعينيه صنيع عدد لا بأس به من الأثارية الأعراب، حتى إن بعضهم عرض على أخيه النازح (المهاجر) أن يطلق إحدى زوجاته ليبنى بها كيما يجنبه أهوال العزوبة، خاصة وهم يعرفون عن بعضهم البعض عرامة طقس ملامسة النسون وأهميته لديهم[1]..

هذه الصورة العميقة الدلالة التى رسمها ترجمان القرآن ابن عباس تؤكد ما أوضحناه فى كتابنا «شدو الربابة» أن أولئك الصحاب

---

١ ـ مسألة عرض عدد من بنى قيلة على إخوانهم من النزحة واحدة من زوجاتهم عليهم تحتاج إلى حفرية أنثربولوجية لمعرفة جذرها التاريخى لأن بعض القبائل فى الشعوب القديمة- وربما مازال مستمرا حتى اليوم ـ يفعله تحت بند تبادل الزوجات أو كنوع من المبالغة فى إكرام الضيف، وفى أحيان ثالثة اتقاء لشر الطارق الذى دأبوا على التوجس منه شرا .ا.هـ.

بشر من الناس، فيهم كل ما يعتور بنى آدم من ضعف ونقص وخور[١] وأن الصورة المبرقشة المزركشة التى ترسمها لهم أجواق[٢] الطبل والزمر صورة غير صحيحة بالمرة.



ب- (التفاسير):

نبدأ ب شيخ المفسرين أبى جعفر بن جرير المشهور بالطبرى: (عن البراء بن عازب قال: كانوا يجيئون فى الصدقة بأردأ تمرهم وأردأ طعامهم فنزلت: «يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم» ٢٦٧ البقرة[٣].

فى هذا الحديث ميز البراء بن عازب بين من يأتون ب أردأ التمر وهم بنو قبيلة قومه وبين من يطرحون أسوأ الطعام وقصد بهم النازحين من قبيلة سخينة (قريش) وغيرهم من أفناء القبائل.

وهذا الأثر الذى حمله إلينا مقدم تفاسير القرآن العظيم ب لا مدافع يعاضد ما جاء على لسان ابن عم (المصطفى) وحبر أمته، والذى سبق أن زبرناه (كتبناه)...

وفى خبر آخر نفحنا به الطبرى أيضا:

«عن الحسن: قال كان الرجل يتصدق برذالة ماله فنزلت «ولا تيمموا الخبيث....» الآية)[٤]

نجد أن كلمة (ماله) مطلقة فلم تخصص نوعه أهو تمر أم سواه.

أما القمى النيسابورى ف يورد كذلك خبرا عن الحبر عبدالله بن

---

١ - سوف نرى فيما يستجد أن عددا من كبارهم فر فى ميدان القتال وأطلق ساقيه للريح وترك (أول من تنشق عنه الأرض) يواجه العدو بشجاعة نادرة .ا. هـ.

٢ - الجوق: الجماعة من الناس والجمع أجواق «المعجم الوجيز»

٣ - (تفسير الطبرى - جامع البيان عن تأويل القرآن) ل أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى - الجزء الخامس ص ٥٦١ - تحقيق ومراجعة محمود وأحمد ولدى محمد محمد شاكر - الطبعة الثانية ١٩٧١م سلسلة تراث الإسلام - دار المعارف ب مصر -.

٤ - (تفسير الطبرى) الخامس - ص ٥٦٢ - مصدر سابق.

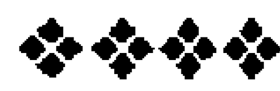
العباس يوثّق ما ذهبنا إليه أن الخبر المروى عنه سابقا، إنما قصد به النازحين على وجه الخصوص، لأنه فى الخبر كشف عن هوية المتصدق البخيل أو المزكى الشحيح وذلك ب إيضاح ما جاء به أى ما قدمه:

عن ابن عباس:

(جاء رجل ذات يوم بعذق حشف فوضعه فى الصدقة ل آهل الصُفّة على حبل بين أسطوانتين فى مسجد رسول الله - ص - فقال النبى - ص - بئسما صنع صاحب هذا، فنزلت الآية ٢٦٧ من سورة البقرة) وفى الهامش أورد المحققون: ذكره القرطبى فى تفسيره وقال رواه البراء وخرّجه الترمذى فى صحيحه وصححه)[1].

فَ صاحب هذا العذق الحشف من اليسير أن ننقه أنه أحد المنازيح.

وأن ما عقّب به (أول من يفيق من الصعقة) على هذا الشح الدنىء (بئسما صنع صاحب هذا) يدلنا على اتساع دائرة الألم النفسى الذى كابده من جراء مثل هذه الأفعال الذميمة.



أما «أهل الصُفّة» الذين ورد ذكرهم ب الأثر المرقوم ب عاليه فهم (من فقراء المسلمين من ليس له أهل ولا مكان يأوى إليه - أما الصُفّة فهى مكان فى آخر مسجد النبى - ص - فى شمالىّ المسجد)[2].

ودأب (الصادق) على رفدهم ب ما تصل إليه يداه الشريفتان وعلى تفقد أحوالهم وعلى حثّ الموسرين من تبعه على برهم وحرص على استضافة عدد منهم على غداء أو عشاء إذا ما واتته الفرصة،

---

١ - (غرائب القرآن ورغائب الفرقان) ل القمى النيسابورى - الجزء الثانى ص ٥٩٩ تحقيق حمزة النشرتى وآخرين - د. ت - وغير مذكور اسم الناشر.

٢ - (الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية) د. فاطمة محجوب - المجلد السادس - ٢١٦ - د. ت - دار الغد العربى ب مصر.

ونظرا لأن مستقرهم ومقامهم ب المسجد فإن العادة قد جرت على تعليق حبل أو أكثر ينضوى على التمور ل يطعم منهم أولئك المعوزون. ومن هنا فعندما يهيمن على المتصدق أو المزكى طبعه الدنىء فإن ما يأتى به ويعلقه بين الأسطوانات (العواميد) يغلب عليه الشيص والجعدور والحبق والحشف[1].

كما أن هذه الأفعال الحقيرة مضادة للخط الذى يرسمه وهو العناية الفائقة ب النازحين على وجه الخصوص لأنهم جنوده الأوفياء الذين ب دونهم لن يتيسر له إفشاء الديانة التى صدع بها والدولة التى يضع بصبر عجيب لبنة فوق لبنة فى بنائها فى قرية الأثارية.

وهذا مشهد من عشرات غيره من التى حركت بواعث الأسى الدفين فى صدره الكريم.

(أخرج الواحدى والحاكم عن جابر - رضى الله - قال:

أمر النبى ﷺ ب زكاة الفطر، بصاع من تمر، فجاء رجل بتمر ردىء، فقال النبى ﷺ ل عبدالله بن رواحة: لا تخرص من هذا التمر، فنزل القرآن:

«يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون»)[2].

واللوحة السابقة ليست هى الفاذة أو اليتيمة فى معرض اللؤم والخساسة والدناءة الذى أقامه بعض الصحاب وأغلبهم من الأثارية بل إن (أبا القاسم) يفاجأ كل يوم ب أنداد لها أبشع أياة (هيئة) وأقبح صورة وأشنع سحنة.

---

١ - هى أردأ التمور وأخسها وأحطها قيمة التى يعافها الإنسان ويقدمها علفا لبُهمه وهذه السلوكيات المنحطة تثير ثائرة (الصالح) فهو فى ذاته مضرب المثل فى الكرم والقدوة الحسنة فى السخاء والأسوة الرفيعة فى البذل.

٢ - (المقبول) - ل أبى عمر نادى الأزهرى - ص ١٤٢ - وأورد مصنفه أن الحاكم النيسابورى صححه فى المستدرك وأقره الذهبى ورواه الواحدى فى الأسباب وعزاه السيوطى فى ال (لباب) - وقال عنه (المصنف لا السيوطى) إسناده صحيح.

(أخرج الحاكم من طريق الزهري عن أبي أمامة سهل عن أبيه قال:

أمر رسول الله ﷺ بصدقة، فجاء رجل من هذا النخل بكبائس. قال سفيان: يعنى الشيص. فقال رسول الله ﷺ من جاء بهذا؟ وكان لا يجيء أحد بشيء إلا نُسب إلى الذى جلبه.

فنزلت: «ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون».

قال: ونهى رسول الله ﷺ عن الجعر، ولون الحبيق أن يؤخذا فى الصدقة.

قال الزهري: لونان من تمر الصدقة)[1].



فى دراسة سابقة ذكرنا أن اختيار موقع (الصفة) لم يجئ خبط عشواء وأن وجودهم فى المسجد الشريف وبجوار حجرات (الطيب) ليس مصادفة بل أمر مدروس وخطة رسمت بليل وأن (أهل الصفة) ليسوا كما تصفهم الكتب التراثية مجموعة من المحاويج والمساكين والمعوزين بل هم فى حقيقة الأمر بمثابة (الحرس الملكى) أو (الحرس الجمهورى) ل (سيد الخلق) فهم بمثابة الدرع الواقية التى تتلقى الطعنات لو فكر اليهود أو المنافقون أن يهاجموه فى جنح الظلام أو فى عماية الفجر (قبل بزوغه).

وهم فى ذات الوقت الكتيبة الأولى التى يمكن صَفّها على عجل عند سماع أول هيعة.

إن صورة (صاحب الدرجة الرفيعة) وتُبّاعه من المهاجرين التى يصورهم بها المحدثون من كتاب السيرة المحمدية المشرفة الشريفة - خاصة فى الفترة الأولى التى انتهت باندحار (ولا أقول هزيمة) أعدائهم فى وقعة (الخندق) - بأنهم نعموا بالأمان والطمأنينة

١ - المرجع السابق - ص. ١٤٣ وأضاف الأزهرى المصنف أو المصنف الأزهرى أن الحاكم أورده فى مستدركه وصححه وأقره الذهبى وأن الطبرانى رواه فى كبيره وابن أبى حاتم فى تفسيره.

والسلام، صورة مزورة؛ لأن لهم أعداء أشداء سواء فى داخل أثرب أم خارجها يطوون صدورهم على ضغينة شديدة وكراهية بالغة وحقد دفين:

منهم أولاد الأفاعى اليهود وعدد من بنى قيلة ممن لم يدخل الإسلام أو من اعتنقه عن غش وختلان وخديعة، وهناك صناديد بنى سخينة (قريش) والقبائل المحيطة.

وقد عرف عن (جد الحسنين) أنه (يحذر الناس ويحترس منهم.. ولكل حال عنده عتاد فهو العُدّة والشىء الحاضر المعد)[1].

ومادام الأمر كذلك فما زبرناه عن العلة الكامنة وراء اختيار شطر من المسجد ليغدو مقرا «ل كتيبة أو سرية أو مجموعة (جوق) أهل الصُفّة قريب الاحتمال ويتسق مع الظرف التاريخى الذى مر على (ذى النسب العالى) وصحبه آن ذاك، ومما يؤيده أن عددا منهم تولى مهام قتالية على درجة من الخطورة سواء فى العهد المحمدى أو زمن خلفائه منهم سعد بن أبى وقاص[2] وهو قائد مشهور، وزيد بن الخطاب أخو العدوى عمر ثانى الخلفاء حامل راية المسلمين يوم

---

١ - (محاضرة الأبرار ومسامرة الأخبار) ل الشيخ الأكبر محيى الدين بن عربى - ٥٦٠/ ٦٣٨ هـ. الجزء الأول ص ٦٤ تحقيق محمد مرسى الخولى الطبعة الأولى ١٩٧٢ - دار الكتاب الجديد - القاهرة.

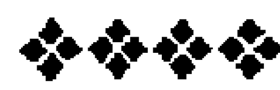
٢ - هذا السعد تحول من فقير يعيش على الشيص والجعدور والحشف إلى صاحب قصر فى العقيق وهو أحد أميز أحياء يثرب (مات سعد فى قصره بالعقيق).
(صفة الصفوة) ل ابن الجوزى ٥٠٨ - ٥٩٧ - ص ١٤٦ - تحقيق طه عبدالرءوف سعد- الطبعة الأولى ٢٠٠١م - دار الغد العربى - القاهرة.
وذلك بعد الغزو النهبوى الاستيطانى الاستنزافى الثقافى اللغوى الذى باشره أولئك العريان ضد دول الجوار الأرقى منهم حضارة.
وممن تحول من أهل الصفة إلى ثرى أمثل خبّاب بن الأرت بن جندلة، فقد بدأ حياته عبدا ل أم أنمار مقطعة البظور واشتغل قينا (حدادا) فى مكة ثم عضوا فى سرية أهل الصفة، يأكل التمر الحبيق، لكن بعد أن تدفقت عليه الغنائم والأموال من عرق وجهد الفلاحين (يسمونهم: العلوج) فى الشام والعراق ومصر وفارس، وشمال إفريقية غدا ابن الأرت يمتلك ثروة طائلة تعد بعشرات الألوف.
(عن وائل شقيق بن سلمة قال:
دخلنا على خباب بن الأرت فى مرضه فقال: إن فى هذا التابوت ثمانين ألف درهم....)
(صفوة الصفوة) المرجع السابق ص ١٧٠ - ف سبحان مغير الأحوال!!!.

اليمامة، وهى من أخطار المعارك التى دارت بين جيوش التيمى عتيق بن أبى قحافة أول خليفة وبين بنى حنيفة بقيادة مسيلمة، ومنهم سالم مولى أبى حذيفة وهو أيضا من حملة راية المسلمين فى ذات الواقعة، ونكتفى بهؤلاء الثلاثة لأننا لسنا بصدد عمل إحصائية عن من تحول إلى قائد أو عسكرى مرموق من جوق (أهل الصفة)

إذن أهل الصفة لهم وجهان:

- من فقراء النازحين (المهاجرين).

- سرية الحراسة والطوارئ ومفرخة القواد والأجناد المبرزين.



تكررت من الموسرين والمساتير وقائع غلّ اليد عن رفدهم ومدهم ب ما يصلح شأنهم ويقيم أودهم ويصلب عودهم، مما أدى (الرحمة المهداة ل الناس) وآذاه وأقلقه. وعهدنا ب الذكر الحكيم ألا يذره وحيدا يعانى الآلام النفسية، ومن رجا آخر من المستحيل ترك الأتباع الذين دخلوا حظيرة الإيمان على هذه الشاكلة الذميمة.

ف البخل نقيصة فى حق الرجل مثل الجبانة والكذب وجماعها أخلاق رديئة يتعين استئصالها من شأفتها من نفوسهم ف أقبلت الآية ٢٦٧ من البقرة، مضيئة، متلألئة.

وإذ إننا مازلنا نحايث كتب التفسير ف إننا نرقم الخبر الآتى:

(عن البراء قال: نزلت فينا، كنا أصحاب نخل وكان الرجل يأتى من نخله بقدر كثرته وقلته فيأتى ب القنو فيعلقه فى المسجد، وكان أهل الصُفّة ليس لهم طعام فكان أحدهم إذا جاع ضربه ب عصاه ف يسقط منه البسر والتمر فيأكل، وكان أناس ممن لا يرغبون فى الخير يأتى ب القنو فيه الحشف والشيص، ويأتى ب القنو قد انكسر ف يعلقه ف نزلت «ولا تيمموا .... إلى آخر الآية»[1].

١ - (تفسير القرآن العظيم) ل ابن كثير - الأول ص ٤٧٤ المجلد الأول - تحقيق عبدالعزيز غنيم وآخرين، د. ت. كتاب الشعب - ب مصر

والذى نقدره أنه بعد هلّ هذه الآية المجيدة كف الصحاب عن بخلهم وأقلعوا عن شحهم واستقالوا من كزازتهم فرفدوا إخوانهم المحاويج وأعطوا أصحابهم الفقراء ومنحوا جيرانهم المساكين، وبذا ارتفعت عنهم الصفة الذميمة والخلة القبيحة، والسمة الكريهة.

فاطمأن (اللبيب) على فقراء المنازيح عامة وأهل الصفة (كتيبة الحراسة والطوارئ) خاصة وبذا أثبت (الفرقان المبين) وقوفه السرمدى معه، كما أن عينيه لا تغفلان عن المجتمع: يداوى أمراضه ويعالج أدواءه ويصلح عيوبه ويقيل عثراته فهل يتاح له ذلك لو أنه ظهر دفعة واحدة كَ إسطير عبدة الطاغوت وإخوان الخنازير؟

٢ ـ أساليب متنوعة ل كف الصحب عن الجبانة

من البديهى أن نزير أن صفة الشجاعة وخلة الإقدام وميسم الجسارة أمور من الحتم اللازم توافرها فى أتباع «الظفور» لضرورة قهر القبائل على اعتناق الديانة التى بشر بها.

وسبق أكثر من مرة أن رقمنا أن هناك نصوصا تأسيسية مقدسة صريحة فى حروفها ومعانيها على إلزامية إكراه العربان بالسيف كيما يتحولوا من الشرك إلى التوحيد ومن الكفر إلى الإيمان ومن الوثنية إلى الإسلام وهذا لا سوم فيه.

والبديهية الأخرى التى نخطها كارهين لزيادة التوضيح هى أن حمل شارة الديانة سواء ب اللسان أو حتى على الجباه (سيماهم فى وجوههم) هو علامة الانضواء تحت راية دولة بنى سخينة التى شرع (صاحب المحجة البيضاء) فى إقامتها فى قرية بنى قيلة، حتى إنه من المستحيل أن نفصم بين دخول حظيرة الإسلام وإحناء القامة لِ الدولة القرشية، أى هناك تفاضل وتكامل بين الأمرين.

ذاك واقع تاريخى من العبث إنكاره أو المحاجة فيه.

ولعل حروب الصدقة (وهى غير حروب الردة) تضع فى حجورنا

الدليل الدامغ عليه.

فـ قد اعتبر التيمى عتيق بن أبى قحافة امتناع عدد من القبائل عن رفده أو مده بـ أموال الصدقة خروجا على الدين ومروقا من الإيمان وطلاقا لـ الإسلام.

وصاح بـ قالته المشهورة (والله لا أفرق بين الصلاة والزكاة) والأولى ـ كما هو معلوم للعامة وللحامة أو للكافة قبل الخاصة ـ عماد الدين من تركها فقد هدمه، نعوذ بـ الله منه.

أما الأخرى فقد رأى فيها أول خلفاء (خطيب الأمم) برهان الانقياد لـ دولة قريش التى تربع على دست رئاستها بـ كيفية غير متوقعة كما صرح خلفه العدوى (لقد كانت خلافة أبى بكر فلتة).

ومن ثم حارب مانعى الصدقة أو الزكاة بقسوة وشراسة، ومن أراد أن يطلع على الفظائع التى ارتكبها قائده المخزومى ابن الوليد بن المغيرة بـ أوامر صريحة منه فـ عليه بـ الجزء الثالث من (تاريخ الطبرى) وغيره من الكتب التراثية.

أما المؤرخون المحدثون فـ يغرطشون (يتعامون أو يتعالون على الحق) ويطوشون[1] ويتجاوزون ولا ندرى كيف تطاوعهم ضمائرهم العلمية؟

من الموسف أن من بينهم جامعيين (= أساتذة/ أكاديميين).

إن من المفارقات الطريفة أنه بعد أقل من عقدين من الزمن وغِبّ تدفق الغنائم الأسطورية على حاضرة دولة بنى سخينة التى نهبت من البلاد التى وطئوها بـ سنابك خيولهم المبرورة، أشار الخليفة الثالث الأموى عثمان بن عفان على القبائل بـ توزيع الصدقات (الزكوات) على فقرائها ولا موجب لـ نقلها إلى أثرب (= المدينة) هذا أمر بالغ الأهمية ولا يصح العبور عليه بخفة وسطحية لأنه ينفح عددا من

---

١ ـ العامة فى مصر يقولون: يطنش.

الدوالّ منها:

(أ) أن رفع شعار الدين ل تبرير العنف السياسى للوصول إلى الحكم، أو السياسة العنيفة ل البقاء فى الحكم، بدأ مبكرا = بعد أشهر قليلة من انتقال محمد إلى الرفيق الأعلى راضيا مرضيا، وأن أول من سنه خليفته الأول:

التيمى عتيق، فقد برر حربه الشرسة ضد القبائل التى عارضت خلافته (تمثلت معارضتها فى رفضها دفع الزكاة له) ب أنها فاصلت بين الركنين الأولين من العبادة: الصلاة والزكاة.

وبالمناسبة نحن نذهب إلى أن التحليلات الهشة المجانية التى طفحت بها عشرات الكتب والمقالات والأبحاث بأن الجذور التاريخية للإرهاب الذى مارسته منذ عقد ونصف عقد الجماعات التى نسبت نفسها للإسلام ترجع إلى الخوارج، قد جانبها (= التحليلات) الصواب، والنظرة التاريخية المعمقة تثبت أن أول من مارسه هو التيمى عتيق أو عتيق التيمى.

(ب) أن اثنين من كبار الصحابة ومن العشرة المبشرين ب الجنة ومن أعضاء مجلس الشورى ومن النجباء والأبدال...... إلخ. اختلفا فى أمر الزكاة - وهى من الأركان الخمسة للإسلام - فأولهم رأى ضرورة توريدها أى نقلها ل مقر حاضرة الخلافة وأن الجزاء على المخالفة هو شن قتال ضروس تستباح فيه كل الحرمات بل المحرمات (ب لىّ رقاب النصوص التأسيسية المقدسة).

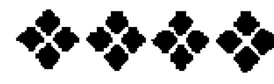
مثل الإلقاء من شواهق قمم الأجبل والتحريق ب النار والتعليق منكسا (= الرأس تحت والأرجل فوق) فى البيار... إلخ.

وثانيهم ذهب إلى العكس أى عدم توريد الزكوات/ الصدقات إلى يثرب ولا بأس من توزيعها فى مضارب القبائل على المعوزين والمحاويج من أبنائها.

(ج) إن التجريد عند إصدار الفتاوى والأحكام خطأ مركب، إذ يتعين عدم إغفال الظرف التاريخى الذى انبثق فيه النص (أصل أو مصدر) الفتوى أو الحكم وإلقاء نظرة شاملة على الأحوال الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التى واكبته، ف دولة بنى سخينة فى بدئ الأمر أى فى مفتتح خلافة التيمى: ماليتها مهزولة ومواردها نحيفة وخزانتها ضامرة خمصانة، فأفتى رأسها ب ضرورة دفع الزكاة/ الصدقة إلى حاضرتها (يثرب) بنقلها إليها.

وبعد أقل من عقدين من الزمان عندما تضلعت (الدولة) من الأموال المنهوبة من المستعمرات (مصر/ الشام/ العراق/ فارس شمال إفريقية) (حتى كادت معدتها أن تتفزر من كثرتها)، رأى إمامها (خليفتها) أنه لا مسوغ لحملها إلى عاصمتها (قرية ذات الحرتين/ أثرب) وأن على أشياخ القبائل تفريقها على المستحقين لها منهم.

إذن الظرف التاريخى هو الذى غاير بين الفتويين وفاصل بين النظرتين وباين الأولى عن الأخيرة، ومن ثم نخلص إلى أنه من الحتم اللازم ضرورة الإحاطة المستقصية بكافة ظروف الفتوى أو الرأى أو الحكم.



ثم نرجع إلى سياقة التقير:

إن ترسيخ الشجاعة والإقدام والجرأة والاقتحام فى ذوات التبع لا محيص عنه وب القدر نفسه رفع الجبانة وإزالة الخور والقضاء على الخوف ومحو الرعدة وكنس الرعشة من صدورهم وقلوبهم كلها حتم خالص وقضاء مبرم وحكم نافذ ب لامعوقات وبدون منبطات وإلا لا يتاح للديانة أن تهيمن ولا ل الإسلام أن يسيطر ولا ل الإيمان أن تعلو راياته.

وفى الكفة المقابلة لا تتأسس قواعد الدولة ولا يرتفع بنيانها ولا ترفرف أعلامها.

فى الضفة المواجهة:

حب الحياة أقوى الغرائز طرا والمحافظة عليها طبع مركوز فى الأعماق، والحرص عليها وعدم التفريط فيها يولد مع الإنسان لا يفارقه.

وبين هذين الأمرين وجد (صاحب البراهين) نفسه الكريمة فى منتصف المسافة.

بيد أن نصوص التأسيس بكل قداستها تراقب عن كثب وتعاين عن قرب وتلاحظ من أدنى مكان «وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب» - ١٨٦ البقرة، خاصة أن لذائذ الجنة مثل:

الحور العين/ الكواعب الأتراب/ المقصورات فى الخيام/ اللاتى لم يطمثهن إنس ولا جان... إلخ/ وانهار الماء العذب والخمر/ واللبن السائغ والعسل المصفى/ والولدان المخلدون كأنهم اللؤلؤ المنثور[1].

هذه اللذائذ لم تؤثر إلا على عدد محدود من الصحاب من ذوى الشحنات الإيمانية العالية، أو من الذين يشتعل فى قلوبهم القلق الميتافيزيقى من الموت، أو أولئك الذين تروعهم النهاية المحتومة وما يعقبها من مصير غامض مجهول لم يكشف عنه واحد من الذاهبين.

كلهم يرغبون أن يعثروا على الخلاص وعلى الفوز بالمكافآت بعده.

ورقمنا أن هؤلاء قلة من بين التبع لأن أغلب التبع عاشوا أكثر أعمارهم وهم يعتنقون العقائد السابقة على الإسلام (يسمونها الجاهلية وهى تسمية أيديولوجية وسياسية ا. هـ) وعلم الاجتماع الدينى يخبرنا أن من السذاجة تصور اختفاء العقائد السوابق سواء على مستوى الفرد أو المجتمع فور اعتناق عقيدة جديدة خاصة إذا لم يمض عليه سوى بضع سنين.

١ - كاتب معاصر أورد فى أحد كتبه أن اللواط مباح فى الجنة للرجال من أهلها، وقد التزمت مؤسسة شئون التقديس فى مصر الصمت المطبق!!!.

ومن أهم عقائد ذياك الإبان هو أن هذه الحياة الدنيا هى الحيوان وما عداها تخييل وتوهم يفسره إقبالهم على الشهوات والمتع والأطايب والعبّ منها ل درجة الإسراف.

إذن جماع الموقف استتفر معالجة دقيقة ومرنة وذكية.

ف الشدة أو القساوة مدعاة ل النفور ومجلبة ل الكره وباعثة على الإعراض.

والرخاوة أو اللين مظنة الضعف وشارة التهاون وعلامة التساهل. كما أن المحاسبة العسيرة تدفع ل الهروب، والمجازاة الوعرة تمنع من الانخراط، والمجابهة الخشنة تحض على المفارقة، والمساءلة المفرطة تحول دون الانضواء... إلخ.

ل هذا كله رأينا (أحسن القصص) يغفر للصحب زلاتهم وفرارهم من ميدان المعركة، ويسامح آخرين عند التقاعس عن الالتحاق بالسرايا والتباطؤ عن الانضواء تحت راية الغزوات ويتجاوز لهم عندما لا يحققون الرقم الذى حدد لهم عند لقاء العدو.

وكل ما يخاطبهم بشأنه هو علمه ب ضعفهم (الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا)[1].

وفى تفسيرها يقول الإمام ناصر الدين أبو الخير القاضى البيضاوى: «لما أوجب على الواحد مقاومة العشرة والثبات لهم وثقل ذلك عليهم خفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين»[2].

وعند السيوطى «أخرج ابن راهويه فى مسنده عن ابن عباس قال: لما افترض عليهم أن يقاتل الواحد منهم عشرة ثقل ذلك عليهم وشق ف وضع الله عنهم إلى أن يقاتل الواحد الرجلين»[3].

---

١ - سورة الأنفال الآية السادسة والستون.

٢ - (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) المسمى: (تفسير البيضاوى). مصدر سابق.

٣ - (لباب النقول) ص ٩١/مصدر سابق.

(وأخرج البخارى وأبو داود وابن أبى شيبة وابن إسحق عن ابن عباس: لما نزلت «إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين» شق ذلك على المسلمين ف نزل «الآن خفف عنكم»)[1].

وهذا الخبر نفحنا به البخارى مقدم الصحاح الستة وأبو داود أحدها وراوية الحبر عبدالله بن عباس، ووصفه الأزهرى المصنف أو المصنف الأزهرى بصحة الإسناد وأن رجاله ثقات.

ويفسر القمّى النيسابورى الضعف بقوله:

«المراد ب الضعف فى البدن، قيل فى البصيرة والاستقامة فى الدين وكانوا متفاوتين فى ذلك.

والظاهر أن المراد: الضعف الإنسانى المذكور فى قوله «وخلق الإنسان ضعيفا» النساء ـ ٢٨»[2].

إذن هو عتاب خفيف ولفت نظر رفيق، وتنبيه لطيف، لأن التعنيف الثقيل واللوم القارس، والتوبيخ القارص والمحاسبة المفرطة والعذل الشاق تنفر من جماعه النفوس وتلفظه الطبائع وتمجه الفطر (ج ـ فطرة) وترفضه الجبِلّ (بكسر الجيم وفتح الباء، ج، جبلة) وتبغضه القلوب وتنتج عن كله المفارقة وتترتب عليه المفاصلة وتتسبب عنه المصاعدة وهى أمور ليست فى صالح الديانة الجديدة وتفت فى عضد الدولة الوليد.

أ ـ كيف قابل القرآن الكريم فرارهم من الزحف؟:

الفرار أو الهروب أو إطلاق الساقين للريح إبان القتال وفى عز المعمعة وفى حمو الوطيس ووقت اشتداد العركة وضعه القرآن الكريم ثم (الأعظم) فى مصف كبرى الكبائر وساوياه بالشرك والعياذ بالله جل جلاله ـ فى الجزاء الرهيب والمصير البائس إلى جهنم[3].

---

١ ـ (المقبول فى أسباب النزول) ل أبى عمر الأزهرى ٢٥٤ -مرجع سابق.

٢ ـ (غرائب القرآن ورغائب الفرقان) ص ٣٧٣ ـ المجلد الخامس، تحقيق حمزة النشرتى وآخرين ـ مصدر سابق.

٣ ـ الآيتان الخامسة عشرة والسادسة عشرة من سورة الأنفال.

(حذرت آيات القرآن وأحاديث النبى ـ ص ـ من التولى يوم الزحف أى الفرار يوم القتال)[1].

ومعلوم أن أحاديثه منذ أن صنف الشافعى المطلبى القرشى رسالته المشهورة ارتفعت إلى مرتبة النص التأسيسى المقدس الأول ونعنى به القرآن العظيم.

ولا حاجة بنا إلى توضيح علة تشريعه ب موجب النصوص التأسيسية المقدسة، ولم وسم الفرار من الزحف ب هذا الميسم الشديد الذى يلقى ب الفارّ أو الهارب إلى قاع سقر وما أدراك ما سقر؟

فنحن نترك الإجابة ل فاطنة القارئ وذكائه.

كل ما نضيفه ف حسب أن الباعث لا صلة له ب الذُرى (ج. ذروة) الإيمانية أو الروحية، بل هو سياسى صرف.

ولا أدل عليه أن (ذؤابة قريش) وعظ تبعه أن المؤمن من الجائز آن يغدو جبانا رعديدا[2] إنما أبدا لا يتصف ب البخول لأن الأول يحافظ على روحه وهى تستحق أما الآخر نعنى به الباخل ف هو حريص على لعاعة لا تستأهل. ونرجع إلى السياقة:

رغم هذه القاعدة المستقرة = اعتبار الفرار من الزحف كبيرة بل من أكبر الكبائر وأوعرها وأقساها جزاء ومعرفة الصحابة بها بل وحفظهم إياها، فإن عددا كبرا منهم وفيهم صناديد، كسرها بل وداس عليها برجليه المرتعشتين وأطلق ساقيه لتسابق الريح.

كله حدث فى أحد وحنين ومؤتة.

أما فى الأخيرة ف ربما يلتمس لهم العذر إذ بلغت عدة جيش

---

١ ـ (تفسير القرآن الكريم) ل عبدالله شحاتة الجزء الرابع ص ٧٠٥. د. ت/ دار قباء القاهرة.

٢ ـ ممن ينطبق عليه هذا الوصف تماما: حسان بن ثابت الشاعر إذ لم يشترك فى أية غزوة أو سرية ويوم الخندق وضعوا الأطفال والنسون فى أحد الأطم (الحصون) ومعهم ذلك الحسان بن ثابت ـ أ. هـ

الروم وحلفائهم من أوشاب أو أوباش القبائل أكثر من خمسين ضعفا من عسكر (الصادع ب الحق).

(فبلغ الناس أن هرقل قد نزل مآب من أرض البلقاء فى مئة ألف من الروم وانضم إليهم من لخم وجذام والقين وبهراء مئة ألف عليهم رجل من بلى»[1].

إن عيونه (جواسيسه) لم يخبروه بحقيقة قوة عدوه من الروم ومن المحال أن تكلف شخصا منازلة خمسين مهما بلغت صلابته أو شجاعته وثبات فؤاده.

بعكس ما حدث فى غزاة حنين ف أجناد المسلمين بلغوا من الكثافة العددية والعُدّية (من العدة أى الكراع أو السلاح) أضعاف أبناء قبيلة هوازن.

ولقد صاح واحد من كبار التباع مفتخرا أو افتخر صائحا: «لن نغلب اليوم عن قلة».

ولقد أثبت الذكر الحكيم هذا الموقف اللامسئول بل إذا شئت الدقة: المستهتر بقوله «ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم»[2].

ورغم ذلك فما إن شد عليهم هؤلاء حتى منحتهم غالبية الصحبة الأماثل ظهورهم المباركة وأمعنوا فى الهرب وأفرطوا فى الفرار ويالغوا فى الزوغان (= كلمة عربية فصيحة ا. هـ) حتى سخر منهم الطليق أبو سفيان بن حرب سخرية مريرة فقهقه شامتا وأردف قائلا: لن تقف هزيمتهم إلا عند سيف البحر!!.

أما فى غزاة أحد وهى التى شهدت أوعر نكسة منى بها أصحاب (المؤمَّل) بفتح الميم، فشغلتهم الغنائم والأسلاب عن العراك، إذ فى بدئ القتال انحاز النصر إلى صفهم ولكن بمجرد أن التفتوا إليها

---

١ - (السيرة النبوية) ل ابن إسحق - المجلد الثانى - ص ١٨٠ - طبعة أخبار اليوم - مصدر سابق. وأيضا (كتاب المغازى) ل الواقدى - الجزء الثانى - ص ٧٦٠ - مصدر سابق.
٢ - الآية ٢٥ من سورة التوبة.

وطفقوا بجمعونها ويتهالكون عليها (ليس الرماة وحدهم فقط بل جماعهم ا. هـ). ونسوا الحرب وموجباتها والقتال وأشراطه والنزال والتزاماته.

عندها خنس عنهم (= الانتصار) وخاصمهم الفوز وباينهم الظفر بينونة كبرى وأسرعت إليهم الخيبة وأرقل إليهم الخذلان وعجل إليهم الخَور.

فى كل هذه المواقع وقف (الظفور) مثلا للشجاعة الفائقة ونموذجا ل الثبات المتين وقدوة فى الصبر الجميل وأسوة فى الاحتمال البالغ، ومعه نفر من المخلصين يأتى فى مقدمتهم رهطه ال هاشم، وعلى قُلتهم (ذروتهم) أبو الحسنين كرم الله وجهه.

فى حين أن العدوى عمر بن الخطاب يتربع على رأس قائمة الفارين الهاربين الذين ولوا الأدبار وركبهم الذعر الشديد وسيطر عليهم الهلع المريع وهيمن عليهم الخوف البالغ واستولت عليهم ال لَشْلَشَة المفرطة[1] فى وقعة أحد، فما إن وقف ل ملاقاة الأعداء، ولم يلبث إلا قليلا حتى منحهم ظهره ونفحهم دبره وأعطاهم قفاه وظل يعدو حتى وجد ملجأ فى إحدى مغارات الجبل ف اختبأ فيها[2].

والعدوىّ ذاته هو الذى اعترف ب التولى يوم الزحف والفرار من وجه الأعداء والهرب من الجهاد والتخلى عن الكفاح والاستقالة من الطعان، بل إنه وصف نفسه بقوله (فررت حتى صعدت الجبل، فلقد رأيتنى أنزو كَ أننى أروى). ا. هـ[3].

أخرج ابن جرير كليب قال:

خطبنا عمر يوم الجمعة، فقرأ آل عمران، فلما انتهى إلى قوله:

---

١ - ال لشلشة = كثرة التردد عند الفزع - من «القاموس المحيط» للفيروز آبادى.

٢ - هنا نتذكر قالة مخادنه (= صديقه) التيمى عتيق بن أبى قحافة له:
أجبار فى الجاهلية خوار فى الإسلام!!

٣ - الأروى هو الوعل ويطلق على الذكر والأنثى - «المعجم الوجيز» ونزا = وثب أو ركب على أنثاه، وتطلق على الحيوان لا على الإنسان إلا فى معرض التهكم والسخرية - ا. هـ.

«إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان»

قال: لما كان يوم أحد، هزمنا، ففررت حتى صعدت الجبل، فلقد رأيتنى أنزوي كأننى أروى والناس يقولون:

قتل محمد ﷺ

فقلت: لا أجد أحدا يقول: قتل محمد ﷺ إلا قتلته، حتى اجتمعنا على الجبل، فنزلت.

«إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان»[1].

وإذ إن الذى أورد هذا الخبر هو أبو جعفر بن جرير الطبرى فى تفسيره مقدم التفاسير وعمدتهم فَ يغدو عريا عن المطاعن، مليطا من المعايب، عديما من المآخذ، ويؤيد القمى النيسابورى حقيقة فرار العدوىّ ابن الخطاب من الميدان فى عركة أحد ولكن بطريقة ضمنية أو غير صريحة (ولم يبق معه ـ ص ـ إلا أبو بكر وعلى والعباس وطلحة وسعد)[2].

يصف لنا القاضى البيضاوى حالة عمر ومن شاركه فى الفرار عند تفسيره ل الآية الثالثة والخمسين بعد المائة من سورة آل عمران ب الآتى (الإصعاد: الذهاب والإبعاد في الأرض، يقال صعدنا من مكة إلى المدينة. ولا تلوون على أحد: ولا يقف أحد ولا ينتظره)[3].

ومن الذين أدبروا فى غزاة أحد: الأموى عثمان بن عفان وقد عيره عبدالرحمن بن عوف به[4].

---

١ ـ (تفسير الطبرى) ـ الجزء السابع ـ الأثر رقم ٨٠٩٨ صفحة ـ ٣٢٧ ـ مصدر سابق.

٢ – (غرائب القرآن) المجلد الثالث ـ ص ٢٠٧ مصدر سابق.

٣ ـ (أ) (تفسير البيضاوى) سابق.

(ب) الطبالون والزمارون من أجواق التمجيديين والتعظيميين من الكتبة قدامى ومحدثين الذين تناولوا سيرة العدوىّ عمر يتعامون عن هذه الواقعة ويغطرشون عليها ويلقون بها فى الظل وذلك لأسطرة هذه الشخصية وغيرها من شخصيات حقبة فجر الإسلام لتغدو أقوالها وسلوكياتها (الأخرى) منهاجا للمسلم العادى ليظل حبيس المفاهيم الدينية الدوجماطيقية المسكرة «المسدودة» منذ قرون ولا يفكر مجرد تفكير فى الانعتاق من إسارها (قيدها) بل ولا حتى نقدها. ا. هـ.

٤ ـ (الاثنان من العشرة المبشرين بالجنة).

(عن شقيق قال: لقى عبدالرحمن بن عوف الوليد بن عقبة، فقال له الوليد: مالى أراك جفوت أمير المؤمنين عثمان؟:

فقال عبدالرحمن إنى لم أفر يوم أحد ولم أتخلف عن بدر...)[1]

أخرج البخارى فى الأدب المفرد قال: حدثنا موسى يعنى ابن إسماعيل المنقرى - حدثنا أبو عوانة عن يزيد بن أبى زياد عن عبدالرحمن بن أبى ليلى عن ابن عمر قال:

كنا فى غزوة فحاص الناس حيصة، قلنا: فكيف نلقى النبى ﷺ وقد فررنا فنزلت: «إلامتحرفا لقتال».

فقلنا: لا نقدم المدينة فلا يرانا أحد، فقلنا لو قدمنا فخرج النبى ﷺ من صلاة الفجر، قلنا: نحن الفرارون، قال أنتم العكارون فقبلنا يده قال: أنا فئتكم)[2].

يقول المصنف الأزهرى فى الهامش:

هذا الفرار حدث عن الصحابة (= هكذا ب ال (ألف لام)

---

١ - «أ» تفسير ابن كثير - الجزء الثامن - ص ١٢٦ مصدر سبق ذكره.

«ب» من المعلوم أن عبدالرحمن بن عوف لعب دورا خطيرا فى إقصاء صاحب الحق الشرعى فى تولى الخلافة وهو الإمام على رضى الله عنه ونور ضريحه ووضعها لقمة سائغة فى فم نديده فى الثروة والغنى عثمان وبعد آن اعتلى الأخير عرش الخلافة.

إذ هو الذى بدأ فى تحويلها إلى ملك عضوض وسار على دربه آبناء أرومته السفيانيون والمروانيون.

- نقول بعد أن اعتلى... لم يجد عبدالرحمن بن عوف ما أمّله منه ولا تقول فيه.... هنا طفق يشنع عليه ويظهر معايبه ويعيره بزلاته السوابق!!!.

من حقنا أن نتساءل = عندما فضل ابن عوف الأموى عثمان على آبى الحسين - نضر الله مثواه - لم تغاضى عن هذه الأخطاء وطوش (العامة فى مصر تقول: طنش) عنها =وكيف طاوعه ضميره أن يفضّل من هرب على من ثبت ومن قاتل على من نفح العدو كتفيه ومن أصعد على من صبر وجاهد؟!.

والذى لا نشك فيه أن (البشير) بعبقريته الفذة وبصيرته الثاقبة وذكائه الشديد ولماحيته البالغة أدرك هذه الصفة فى عبدالرحمن بن عوف ومن ثم فما إن يلقاه حتى يقول له:

لن تدخل الجنة إلا زحفا يا ابن عوف.

وفى رواية: إلا حبوا.

ولقد صدق ظنه وتحقق حدسه وفلجت فراسته كيف لا وهو «الصادق المصدق» ا. هـ.

٢ - (نهاية السول فيما استدرك على الواحدى والسيوطى من أسباب النزول) ل الشيخ آبى عمر نادى الأزهرى ١٢٤ - مرجع سابق.

الاستغراق ا. هـ) فى غزوة مؤتة كما جاء فى التصريح به فى رواية ابن إسحق وأوردها ابن كثير فى تاريخه وأخرجها البيهقى فى الدلائل.

ويورد القاضى البيضاوى الواقعة عن ابن عمر أيضا:

(عن ابن عمر - رض - أنه كان فى سرية بعثهم رسول الله ﷺ ففروا إلى المدينة فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال: بل أنتم العكارون وأنا فئتكم)[1].

فى الفقرة السابقة الذى فر وهرب هو العدوى عمر ب اعترافه.

وفى هذا الخبر الذى فعلها هو أكبر أبنائه عبدالله مما يجعلنا نؤكد أن الشجاعة فى القتال والصبر على مواجهة العدو والثبات على حرارة الوطيس صفات افتقر إليها ابن الخطاب وأبناؤه الميامين وواقعة لَشَلْشَة هذا ال عبد الله (الابن) تذكرنا ب المثل القائل «من شابه أباه فما ظلم».

ووكّد القمىّ النيسابورى خبر تولى ابن الخطاب من الزحف على النحو التالى: «عن ابن عمر: خرجت سرية وأنا فيهم ففروا فلما رجعوا إلى المدينة استحَيَوا ف دخلوا البيوت فقلت: يا رسول الله نحن الفرارون، فقال: أنتم العكارون وأنا فئتكم»[2].

والفقيه المفسر الحنفى الجصاص يزيدها وثاقة: «قال ابن عمر: كنت فى جيش فحاص الناس حيصة واحدة ورجعنا إلى المدينة فقلنا نحن الفرارون فقال النبى - ص - أنا فئتكم»[3].

وهكذا غدا هروب عبدالله بن عمر من ميدان المعركة وارتكابه

١ - (تفسير البيضاوى) ص ٢٣٦ سابق.

٢ - «غرائب القرآن» - الجزء الثامن - ٣٨٨ - مصدر سابق - وفسر القمى المصنف أو المصنف القمىّ كلمة (العكارون) ب قوله: والعكرة: الكرة ا. هـ.

٣ - (أحكام القرآن) ل الإمام أبى بكر أحمد الرازى الجصاص ت ٣٧٠ هـ - المجلد الثالث - ص ٤٧ دون تاريخ نشر - دار الفكر - بغير ذكر المدينة أو الدولة - هل هى مصر أم دمشق أم لبنان....؟

كبيرة التولى يوم الزحف موثقا، إذ وضعه فى حجرنا شيخ المفسرين: الطبرى ومن بعده نظام الدين الحسن القمىّ النيسابورى وكتابه يعتبر أحد المؤلفات المتميزة فى التفسير ويحظى بوافر التقدير ثم الجصاص المفسر الحنفى.

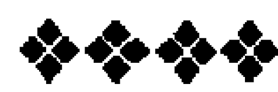
كم من الكتبة سواء من السلف الصالح أو الخلف الفالح ممن صنّف عن حياة عبدالله بن عمر رصد اقترافه إياها؟

الإجابة: لا أحد.

إن أولئك الكرام الكاتبين لا يقدمون إلا صورة مزيّفة ومبرقشة عن الفاعلين الاجتماعيين فى ذيّاك الزمن المعجب - نعنى الصحابة - ويحررون مصنفاتهم بأسلوب تمجيدى من أجل أن تبرز أيآتهم (هيئاتهم) مؤسطرة (حولت إلى أسطورة) تحفّ بها هالة من القدسانية ومن ثم تغدو أفعالهم وأحاديثهم معصومة أو شبه معصومة متعالية مستحيلة على النقد أو حتى على العرض الموضوعى المتوازن الذى يقدم الشمائل ولكن لا يغفل عن النواقص.

تلك الصورة أو الصور المؤسطرة التى تزداد وتتراكم أسطرتها على مر القرون هى التى تتحكم منذ ذاك الماضى السحيق فى المسلم العادى وترسم له خطاه وتحدد له طرقه، دون أن يفكر ولو للحظة خاطفة فى التحديق أو حتى مجرد النظر فيها ل ينقه حقيقتها الموضوعية وما أضيف إليها من تمويه وبرقشة وتزويق كيما يقضى ب نفسه على ما صدر منها من أفعال أو نسب إليها من أقوال، هل هو: صحيح أم فسيد، صواب أم خطأ، سديد أم غلط؟

ثم نؤوب إلى سياق الحفر والتنقير.



لم يقتصر الجرى من وجه العدو على عمر بن الخطاب وبكره عبدالله والأموى عثمان بن عفان بل طال الكثيرين، منهم ذوو الأسماء

اللوامع: «حدثنى داود بن سنان: سمعت ثعلبة بن أبى مالك يقول: انكشف خالد بن الوليد، يومئذ حتى عيروا ب الفرار وتشاءم الناس به»[1].

ومنهم أبو هريرة الصحابى الذى اشتهر بكثرة التحديث (رواية الحديث المحمدى) عن (البارع صاحب البيان).

ومنهم سلمة بن هشام بن العاص بن المغيرة، وهو ابن أم سلمة إحدى الزوجات الوضيئات الأثيرات ل (الأزج/ الأزهر):

(أم سلمة زوج النبى - ص - قالت ل امرأة (أى بعلة) سلمة: مالى لا أرى سلمة يحضر الصلاة مع رسول الله - ص - ومع المسلمين؟ قالت: والله ما يستطيع أن يخرج، كلما خرج صاح به الناس يا فرّار، فررتم فى سبيل الله.. حتى قعد فى بيته فما يخرج»[2].

هذا الخبر الذى أورده ابن إسحق مقدم كتاب السيرة المحمدية (التى تنفح أطيب الدروس فى المثل العليا) (السيرة) والواقدى فى (المغازى) والاثنان من أميز المصنفات فى هذا المضمار يهدى إلينا عدة معطيات:

(١) أن الفرار من الزحف شمل حتى الفتيان أو الناشئة أى الشببة من الصحاب لأن سلمة بطل الواقعة هو صاحب ولاية عقدة نكاح أمه هند لـ(الراضى) ويقول الإخباريون إنه وقت ذاك صبى لم يراهق.

إذن هو يوم مؤتة لم يناهز الخامسة أو السادسة عشرة.

(٢) أن اليثارية ظلوا يعيرونه كلما خرج حتى ألزموهُ عقر داره ولم

---

١ - (كتاب المغازى) ل الواقدى - الجزء الثانى - تحقيق مارسدن جونز - ص ٧٦٤ طبعة أولى ١٩٦٥ منشورات مؤسسة الأعلمى- بيروت - لبنان - سبق أن رقمنا أن هذا ال خالد بن الوليد نافس العباس بن عبدالمطلب بن هاشم فى الإقراض ب الربا.

٢ - (السيرة النبوية) ل ابن إسحق - المجلد الثانى - ص ١٨٧ طبعة أخبار اليوم - مصدر سابق.
(المغازى) ل لواقدى - ذات الجزء ص ٧٦٥ سابق - وأضاف الواقدى « .... ف ذكرت ذلك أم سلمة ل رسول الله ﷺ فقال رسول - ص - بل هم الكرار فى سبيل الله، ف ليخرج ف خرج».
المصدر ذاته وكذا الصفحة.

يـالوا أنه ابن بنت زاد الراكب إحـدى أجمل زوجـات (العُـدّة/ العدل) ومن أحبهن إلى فؤاده.

ونخـرج منه أن تقديس الأشـخـاص ل صلتهم ب مـحـمـد لم يعـرفه المسلمون إبّان ذاك إنما نشأ فيما بعد ل أسباب دينية وسياسية.

(٣) وجود رأى عام له دور فعال، يقـوم ب الإفصاح عن وجهة نظره ب كل جرأة وب منتهى الشجاعة وب غاية الإقدام.

إنما للأسـف تقلص أو بمعنـى أصـح اختـفـى تمامـا ب قـيـام الدولة المسـمـاة الخـلافـة الأمـوية ومن بعـدها الخـلافـة العـبـاسـيـة بعـد أن تحـالفت السلطة السـيـاسـيـة العليا والقُلّة (بضم القـاف وتشـديد اللام أى الذروة) الدينيـة (الفقـهـاء) واحتكرت المؤسـسـتـان كل الفـضـاءات: الحكم والدين والمال - وتركت القـاعـدة الشـعـبـيـة مـهـمـشـة مـهـدورة الحقـوق حتى الحق فى إظهـار رأيهـا - واسـتـمـر هـذا الوضع المأسـاوى لدى الشعوب الإسلامية (عربية وأعجمية) حتى يومنا هذا.

(٤) أن (البليغ/ البـهـاء) لم يقـمـع الأثاربة (منازيـح ومـسـتـوطنين) عندمـا انتقـدوا فرار مؤتة بل حتى لم يمنعهم ب طريقة رفيقة رقيقة من إعلان سخطهم لأنه لم ير فيه بأسا، ولم يلف سندا يخوّله ردهم.

وكل مـا أقـدم عليـه أنه طيّب خـاطر الهـاربين - وهذا مـا سنتناوله فيما بعد[1].

(٥) أن أم سلمة بعل (الحـجـازى) انزعـجت ل عـدم حـضـور ولدها صلاة الجماعة (وب حسب تعبيرها: مع المسلمين).

هل لوازع دينى؟ نعم بلا شك - بيـد أنه ليس هو التحضيض اليتيم أو المفـرد هناك ب جـانبـه دافع سـيـاسـى هو: إن شـهـود المسلم إياها دليل علـى خـضـوعـه ل دولة بنى سـخـينة (قـريش) وانضـوائه تحت

١ - البعل يقال للزوجة وللزوج أى يطلق على الأنثى والذكر (الأنثى بعل وبعلة قاله المجد). من (المعجم المبتكر فى بيان ما يتعلق بالمؤنث والمذكر) - صنفه أبو الحسن ذو الفقار أحمد التقوى - ص ٨٤ - الطبعة الأولى ١٩٩٨ م مؤسسة الانتشار العربى - بيروت - لبنان.

بيرقها ووقوفه تحت لوائها والعكس صحيح، ومن ثم خشيت هند بنت زاد الركب أن بكرها ل مروره بالمحنة التى لاقاها فى وقعة مؤتة قد حاك فى صدره شىء وطفق يفكر فى التمرد والعصيان، وأول مخايله الإضراب عن التوجه إلى المسجد المحمدى الذى يعتبر بمثابة مقر الحكم ومركز السلطة، وهذا يرسخ ما كتبناه مرارا، فى ما سلف من أن قراءة سيرة (الحامد/ المحمود) التى هى أحلى من تفاح الشام ب طريقة مستأنية وبعين مفتوحة وبصيرة نافذة تنفح معطيات بالغة الثمانة شديدة النفاسة عالية القيمة تساعد بدورها على إدراك بل وتفسير العديد من الأحداث المعاصرة وكيف أن لها جذورا غوائر فى التاريخ.



وكيما ندرك كثافة الصحبة الذين تفضلوا مشكورين وتصدقوا ب أكتافهم على الروم ومن حالفهم من أوشاب القبائل، وب المثل لكى ننقه مدى قوة الرأى العام فى أثرب إبان حياة (خير من مشى على أديم الأرض) والذى اضمحل ثم تلاشى على أيدى من انتسب إلى قبيلته قريش (بنى أمية من بنى سفيان وبنى مروان) أو من أَرُومته - بفتح الألف - (بنى العباس) وغِبَّ أن تحول الإسلام - شأنه شأن سائر الأديان - من ثورة إلى مؤسسة:

«عن أبى بكر بن عبدالله بن عتبة يقول ما لقى جيش بعثوا معنا ما لقى أصحاب مؤتة من أهل المدينة، لقيهم أهل المدينة ب الشر حتى إن الرجل لينصرف إلى بيته وأهله، فيدق عليهم الباب أن يفتحوا له، يقولون ألا تقدمت مع أصحابك؟

فأما إن كان كبيرا من أصحاب رسول الله - ص - ف جلس في بيته استحياء، حتى جعل النبى - ص - يرسل إليهم رجلا يقول أنتم الكرار فى سبيل الله»[1].

---

١ - «كتاب المغازى ل الواقدى - الجزء الثانى - ص ٧٦٥ - مصدر سابق.

هذا الخبر يدل على أن الرأى العام الأثربى غدا فى عُرام (ضم العين أى شدة) الهيجان على الفارين حتى حولوهم إلى عقائل فى أدبار دورهم لا يجرءون على مبارحتها ولا يقدرون على المروق منها ولا يستطيعون مغادرتها.

ويقطع بأن صحابة أكابر من بين الهرّابين بلغ بهم الاستحياء ووصل بهم الخجل وشملهم العى لدرجة أنهم خنسوا عن لقاء (الضارع/ المتبتل) إنما ل أخلاقه الرفيعة ومناقبه المنيفة ومحامده الوفيرة بادر من جانبه بإرسال من يطيب خاطرهم ويجبر كسرهم ويداوى جرحهم ويخبرهم أن ما فعلوه كر لا فر وتحّرف (= انحراف) لا هروب، وميل لا زوغان وانعطاف لا دُحُور.



مقدم كتاب السيرة المحمدية التى هى أزكى السير.

ينسخ ما يلى:

(وجعل الناس يحثون على الجيش التراب، ويقولون: فررتم فى سبيل الله!!! فيقول رسول الله - ص - ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار إن شاء الله تعالى)[1].

هذا الاستقبال الحافل الذى أعده بنو قيلة والمنازيح ل الصحاب الذين أطلقوا سوقهم (ج ساق) الرعديدة يسابقون بها الدبُور[2].

استبقيناه وأتينا به فى مؤخرة الفاصلة لأنه أجدر ب ختامها:

لقد بلغت قوة الرأى العام أقصى مدى ف هم التقوا فرار مؤتة ب التراب يرمونه فى وجوههم ثم يجابهونهم ب أقسى العبارات وأشدها

---

١ - (أل سيرة النبوية» ل ابن إسحق - المجلد الثانى - ص ١٨٧ - طبعة أخبار اليوم - ب مصر، مصدر سابق.

٢ - وهى ريح تهدم البنيان وتقلع الشجر وهى القاصف والصرصر (المعجم المبتكر) للتقوى - ١٨٨ - سابق.

ونضيف: إن هذه الريح، لولا سرعتها وهوجها لما فعلت هذه الأفاعيل ولما استحقت هذه الأوصاف ا. هـ..

إيلاما وأبلغها جرحا للمشاعر وشقا للأحاسيس وجذما (قطعا) ل العواطف.

والأبلغ دلالة أن جماعه حدث فى حضرة (الصادق/ المصدق).

ولم ينههم، وفى علم الحديث أن هذه سنة إقرارية وتعنى وقوع فعل أمام ذاته الشريفة المشرفة ولا يعترض عليه.

إذن نخرج منه أن حق القاعدة الشعبية العريضة فى الإفصاح عن رأيها وإعلانه ب الصورة المناسبة شرع تأكد بسنة محمدية إقرارية.

بيد أن هذا الحق الطبيعى رحل إلى الظل ونقل إلى العتمة وغُيّب فى الظلام وتعاون على التعتيم عليه وتعاضد على إخفائه وشارك فى التضبيب عليه مؤسستان: السلطة السياسية أو الحاكمة والقلة (بضم القاف) أو الذروة الدينية فهما الاثنتان من مصلحتيهما أن تظل القاعدة الشعبية العريضة مخدرة وتبقى مبنجة (عربية صحيحة محدثة) وتظل فاقدة لوعيها.

ف السلطة السياسية/ الحاكمة يهمها أن تغدو الطبقة الشعبية معدومة الصوت، مقطوعة اللهاة، مبتورة اللسان حتى لا تزعجها ب المطالبة ب حقوقها.

والذروة الدينية تفضّل الشعب الأبكم والمحكومين الخرس والرعية (هم يطلقون عليهم هذا الاسم تشبيها لهم ب البُهم والمواشى ا. هـ) الصامتة التى لا تحتج على انحيازها ل الحكام وممالأتها ل السلاطين وتعاونها مع الطغاة.

ثم بعد هذه التفريعة نعود إلى سياق البحث.



هذا موقف على قدر من الحروجة ف من ناحية (الصالح/ الصبور) هناك قاعدة أصولية هى أن الفرار من الزحف إحدى الكبائر الوعرة والجزاء هو القرار فى قاع الجحيم، وبديهى أن الدافع

على النص عليها أو تشريعها هو التحريم على أجناده الهروب من ميدان القتال وإلا ما تمكن من نشر الديانة التى جاء بها ولما استطاع دحر القبائل التى ترفضها (= الديانة) والانضواء تحت لوائه وهو يؤسس الدولة الحلم التى داعبت خيال جدوده قصى وهاشم وعبدالمطلب.

(إن الانهزام محرم إلا فى حالتين فقال «إلا متحرفا لقتال» هو الكر بعد الفر يخيل إلى عدوه أنه منهزم ثم يعطف عليه وهو من خدع الحرب «أو متحيزا إلى فئة» إلى الجماعة - من المسلمين سوى الفئة التى هو فيها.... وعن ابن عباس أن الفرار من الزحف فى غير هاتين الصورتين من أكبر الكبائر)[١].

ويذهب الفقيه الحنفى الشهير أبو بكر الجصّاص أن الثبات فى القتال وعدم الفرار من وجه العدو... إلخ (كان ذلك فرضا عليهم قل أعداؤهم أو كثروا)[٢]

بل إن من يترك موقعه لينتقل إلى آخر فيه جمع من المسلمين دون مبرر فإنه اعتبر فى حكم الفار أو الهارب وليس متحرفا أو متحيزا إلى فئة وأنه قارف الكبيرة.

(فأما إذا أراد الفرار ليلحق بقوم من المسلمين لا نصرة معهم (= لهم) فهو من أهل الوعيد المذكور فى قوله تعالى: « .... فقد باء بغضب من الله»[٣].

هذه القاعدة التشريعية فى مضمار القتال والتى هى كما السيف الباتر خالفها عن عمد عدد من كبار الصحابة وأعداد وفيرة منهم وبعضهم اعترف ل (الخالص) فما المخرج؟

لو طبق الحكم ب حذافيره طال أولئك جميعهم وفيهم كما توضح

---

٢ - (غرائب القرآن) ل القمى النيسابورى - المجلد الخامس - ص ٣٢٢ - مصدر سابق.
٢ - (أحكام القرآن) - المجلد الثانى - ص ٤٧ - مصدر سابق.
٣ - المصدر السابق ص ٤٨.

أصحاب أسماء لوامع ب•الإضافة إلى الجم الغفير (وأقبلوا منهزمين فذاك: إذ يدعوهم الرسول فى أخراهم ولم يبق مع النبى - ص - غير اثنى عشر رجلا)[١].

هنا تتهادى آية كريمة:

«إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم إن الله غفور حليم»[٢].

وهى خاصة ب الذين فروا فى غزاة أحد:

(خطبنا عمر فكان يقرأ على المنبر آل عمران ويقول: إنها أُحُدّية.

ثم قال: تفرقنا عن رسول الله - ص - يوم أحد.... إلخ)[٣].

وأكده فى ذات الصفحة عند تفسيره ل «يوم التلقى الجمعان» يوم التقى جمع المشركين والمسلمين فى أحد، ثم أضاف «اختلف أهل التأويل الذين عنوا بهذه الآية فقال بعضهم: عنى بها كل من ولى الدبر عن المشركين بأحد»[٤].

أما ابن كثير فقد سبق أن ذكرنا له تعبير عبدالرحمن بن عوف ل الأموى عثمان بن عفان عن فراره يوم أحد ورد الأخير عليه.

فقال: كيف يعيرنى بذنب قد عفا الله عنه فقال: إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان... إلخ[٥].

يؤكد القرطبى أنها بشأن الهاربين يوم أحد:

والمراد من تولى عن المشركين يوم أحد، عن عمر - رض - وغيره (عن) السدى يعنى من هرب إلى المدينة.... وقيل هى فى قوم بأعيانهم تخلفوا عن النبى - ص - وقت هزيمتهم[٦].

---

١ - (صحيح البخارى) الجزء السادس - كتاب التفسير - ص ٤٨ - طبعة ١٣٧٨ هـ - كتاب الشعب - ب - مصر.

٢ - الآية الخامسة والخمسون بعد المائة من سورة آل عمران.

٣ - أخرجه الطبرى فى تفسيره ٣٢٧/٧ رقم ٣٢٧ - مصدر سابق.

٤ - ذات المصدر والصفحة نفسها.

٥ - (تفسير ابن كثير) - المجلد الثانى - ص ١٢٦ مصدر سابق.

٦ - (الجامع ل أحكام القرآن - المشهور بتفسير القرطبى) ل أبى عبدالله محمد بن أحمد القرطبى - المجلد الثالث - ص ١٤٨٥ - كتاب الشعب - دار الريان - د. ت.

ثلاثة من كتب التفسير الشوامخ: الطبرى/ ابن كثير/ القرطبى، أطبقت على أن الآية الشريفة المذكورة بزغت لمناسبة الفرار فى أحد.

ذكرت الآية أن الشيطان استزل الفارين، ويفسر القاضى البيضاوى الاستزلال بأنه «ذكر ذنوب سلفت منهم فكرهوا القتل قبل استخلاص التوبة والخروج من المظلمة»[1].

وليس البيضاوى الذى انفرد بهذا التفسير المعجب بل نسخه أيضا القرطبى[2].

ومن الطبيعى بل من بل البديهى أن ينسخ على نولهم ويقتفى خطاهم ويسير فى دربهم المفسرون المحدثون فـ يتبنون هذا التفسير الفطير:

(ولقد علم الله دخيلة الذين هزموا وفروا يوم التقى الجمعان فى الغزوة أنهم ضعفوا وتولوا بسبب معصية ارتكبوها فظلت نفوسهم مزعزعة ب سببها، فدخل عليهم الشيطان من ذلك المنفذ وسقطوا)[3].

وهو ذات المنحى الذى ذهب إليه صاحب (الرحاب):

«.... تولوا فارين إنما أوقعهم الشيطان فى هذا الخطأ بسبب بعض أفعالهم السابقة فإن الذنب الذى يفعله الإنسان يترك نقطة سوداء فى القلب فينفذ منها إلى الإنسان ويوحى إليه بالسوء»[4].



وصفنا هذا التفسير مرة أنه معجب والأخرى فطير (غير ناضج)

---

١ ـ (تفسير البيضاوى) ص ٩٣ سابق.
٢ ـ (تفسير القرطبى) ذات المجلد والصفحة.
٣ ـ (فى ظلال القرآن) سيد قطب ـ المجلد الأول ـ الجزء الرابع ـ ص ٤٩٧ ـ الطبعة الشرعية الحادية عشرة ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ م ـ دار الشروق/ القاهرة.
٤ ـ (فى رحاب التفسير) ل عبدالحميد كشك ـ الجزء الرابع ـ ص ٧٢٠ ـ الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨م.

لأنه غير مقنع ولا منطقى، فلو أن الشيطان ذكرهم بذنوبهم السوابق ف فروا حتى تتم توبتهم ويخرجوا من مظالمهم، فإن الأقرب إلى البديهى أن يكفروا عنهم ب نوالهم الأجر الجزيل والثواب الوفير ب الثبات والمضى فى القتال ونصرة الدين الذى آمنوا به وشد أزر (قائدهم محمد) الذى بشرهم به، والاستشهاد فى سبيله ومعلوم لهم المنزلة التى يحظى بها الشهيد.

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى:

هل الذين استمروا فى القتال ولم يولوا الأدبار خلاء من الذنوب والمظالم؟

ومن ثالثة وأخيرة:

من بين الذين أعطوا ظهورهم للمشركين وأصعدوا ولم يلووا: العدوى عمرو الأموى عثمان وغيرهما من الأماثل.

فهل ينطبق عليهم هذا الادعاء الفسيد؟

وإذا جاءت الإجابة ب نعم، فما هو حال عامة الصحاب الذين لم يدخلوا الإسلام إلا منذ عهد قريب؟

إذ من المعلوم أن عركة أحد وقعت بعد النزوح من بكة إلى أثرب بِ ثلاثة أعوام على الأكثر. أى أن غالبية من ثبت مع (أبى القاسم) فى العركة وهم من بنى قيلة لم يمض على إسلامهم سوى فترة يسيرة، فى حين أن العدوىّ عمر والأموى عثمان عريقان فى اعتناق الديانة وانقضى على كل منهما أكثر من خمسة عشر عاما.

أليس من الأسهل والأوفق لتوجيهات الإسلام وأبسطها الجهر ب الحق مهما بلغت مرارته أن يسطر أولئك المفسرون أن الجبانة والحرص على الحياة هما الدافعان اللذان وزا الفارين على الهروب؟.

ويفسرون استزلال الشيطان لهم بدخوله إليهم من هذه الموالج.

وهنا يتقدم سؤال على قدر من الأهمية:

لماذا يسلك المفسرون قدامى ومحدثون هذا النهج المعوجّ؟

فى رأينا أن باعثهم الحثيث عليه هو ما سبق أن رقمناه:

عملية الأسطرة وإضفاء القداسات الزيوف والهالات المصطنعة على شخوص حقبة الفجر فهم لا يصح أن يظهروا فى أيأة (هيئة) الجبن ولا فى صورة الخوف ولا فى زى الرعدة ولاب منظر الرعشة.

بل هى شخصيات كاملة مثالية نموذجية لا يقرب منها شين ولا يمازجها عيب ولا يخالطها عوار.

والحق أن المفسرين وأضرابهم من الإخباريين والفقهاء وأصحاب السير بعد أن غربت فترة الوهج والتألق والطزاجة نجحوا نجاحا منقطع النظير فى أسطرة تلك الشخصيات، حتى إنها مازالت مستمرة حتى يومنا هذا لدرجة أن كاتبا معاصرا صدّر مؤلفه عن العدوى عمر بن الخطاب ب الاستئذان فى الدخول!!.

أرأيت ل هذا الحد وصل التقديس وبلغت الأسطرة؟

مع أن الاستئذان فى القرآن العظيم باستثناء المماليك على أسيادهم والمحتلمين من الأطفال على ذويهم لم يرد إلا فى حق (الأعظم) وحده دون غيره[1].

والكاتب المذكور ينقهه أو من المفروض لأنه شيخ أزهرى أو أزهرى شيخ وأنداده يردفون أسماءهم بعبارة (من العلماء)[2].

بيد أن الأسطرة التى استمرت ما يزيد على اثنى عشر قرنا غسلت مخ المؤلف (ب كسر اللام) وأنسته توجيهات الذكر الحكيم فى نطاق الاستئذان.

إن الذى يثير الاستغراب ويستفر الذهن ويحض على التعجب أنه

---

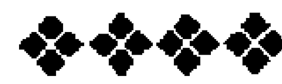
١ - الآيتان ٥٨، ٥٩ من سورة النور.

٢ - الإمام الأعظم أبو حنيفة شيخ أكبر المذاهب الفقهية تبعا لم يفعله بل كثيرا ما ردد على مسامع ما لا يقل عن عشرين ألف شخص من تلاميذه وشهود درسه أن جهله يفوق علمه!!! وهذه سمة العلماء بحق. ا . هـ.

«= الكاتب» انطلق من أرضية تبشر باستتارة واعدة ولكنه نكص على عقبيه بل تبرأ من فاتحته!!

نفحنا القارئ هذا المثال لنبرهن له على مدى تأثير الأسطرة، لأنها على المسلم العادى أشد وقعا وأعمق فعالية وأوعر غورا وأمر حصادا.

ومن البديهى أن نؤكد أن زحزحتها سواء ب النسبة إلى النصوص «الثوانى» أو الأشخاص مهمة ثقيلة بيد أنها ليست مستحيلة كما نقدر وغيرى من البحاث المفكرين ممن يسيرون معى أو أسير معهم فى ذات الاتجاه.



هذه النقطة وهبتنا فرصة ل نجرى مقارنة عجلى بين منحى البشرى ونعنى به القرآن المجيد ومنهج النصوص الثوانى وفى مقدمتها مصنفات التفسير والفقه. فالأول جاء نصه صريحا مباشرا مفتوحا:

فرار واستزلال من الشيطان ثم عفو من الله جل جلاله لأنه غفور رحيم، غفر للهرابين ضعفهم البشرى وتغلب غريزة حب الحياة عليهم....... إلخ.

أما الآخر «منهج النصوص الثوانى» ونعنى تفسير المفسرين فاتسم ومازال ب اللف والدوران والتعمية والتغطية والتغبيش والتضبيب والأدلجة.

ونذكر القارئ هنا بما زبرناه فى المقدام فى «السفر الأول» عن الفرق بين القرآن الذى حفظه الصحب فى صدورهم والقرآن الذى دون وعرف فيما بعد ب «مصحف عثمان» ونكرر أنه لا خلاف فى السور والآيات إنما فى التلقى والاستقبال والتعامل.

الأول شفوى والآخر مسطور وليرجع القارئ إلى ما حررناه آنفا

فى هذه الخصوصية لأن المراجعة سوف تزيده فهما لما نؤم وإدراكا لما نقصد ونقها لما نبغى ووعيا بما نريد.

الخلاف بين الاثنين يتمثل فى الغاية التى استهدفها كل منهما.

ف الذكر الحكيم رمى إلى معالجة لحظات الخذلان وساعات الخور وأوقات التضعضع التى تضرب نفوس البشر عندما يمرون ب امتحان عسير واختبار وعر وفتنة عمياء، أما خريقات المفسرين التراثيين والمعاصرين ف تنزع إلى التبرير الفج والتسويغ البائخ والتجويز (جعله جائزا) المسيخ (ب الخاء وهو الذى لا طعم له ا. هـ) لماذا؟

لأن عددا من أولئك الهاربين فى نظرهم لا يتعرضون ل الوهن ولا يعتريهم الغلط ولا يجوز عليهم الخطأ.

مع أن (سيد ولد آدم) قال: «كل بنى آدم خطاء وخير الخطائين التوابون»[1].

بعد هذه التفريعة التى نشعر بأنها طالت ولكنها ضرورية نرجع إلى سياق الدراسة.



فى غزاة حنين التى وقعت فى السنة الثامنة ولىّ الصحاب البررة مدبرين ولم يبق مع «المزمل» إلا نفر قليل فى مقدمهم أهل بيته وعلى رأسهم «أبو تراب» كرم الله وجهه وأيضا أسامة بن زيد «الحب ابن الحب» وأيمن ابن أم أيمن (ظل صامدا حتى استشهد) ب الإضافة إلى التيمىّ عتيق والعدوى ابن الخطاب (لعله أراد أن يكفر عن خطيئته يوم أحد). هناك العديد من كتب التراث التى يضعها المسلمون فى أعلى محل تؤكد أن الذى بقى مع (صفوة الكائنات) اثنان فحسب عمه العباس وابن عمه أو سفيان بن الحارث[2].

---

١ - رواه الترمذى وابن ماجة والحاكم فى المستدرك عن أنس بن مالك.

٢ - (تفسير البيضاوى) و(تفسير الجلالين) و(الكشاف) على سبيل المثال.

وعدد الصحاب الميامين الذى خرجوا ل لقاء هوازن عشرة آلاف ودعك من الألفين من الطلقاء من أهل قرية التقديس الذين أسلموا بعد فتح الفتوح: (ثم خرج رسول الله ﷺ ومعه ألفان من أهل مكة مع عشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه ففتح الله بهم مكة، فكانوا اثنى عشر ألفا)[1].

قال البراء بن عازب: كانت هوازن رماة فلما حملنا عليهم انكشفوا وكببنا على الغنائم فاستقبلونا بالسهام وانكشف المسلمون عن رسول الله ﷺ واختلفوا فى عدد عسكر رسول الله ﷺ فقال عطاء عن ابن عباس كانوا ستة عشر ألفا، وقال قتادة: كانوا اثنى عشر ألفا: عشرة آلاف الذين حضروا مكة وألفين من الطلقاء. وقال الكلبى: عشرة آلاف. وكان هوازن وثقيف أربعة آلاف[2].

ويؤكد أبو البركات النسفى هذه الأعداد إن فى جانب تباع (أول من تنشق عنه الأرض) أو ب النسبة لعدوه: (حنين واد بين الطائف ومكة كانت فيه الوقعة بين المسلمين وهم اثنا عشر ألفا بين هوازن وثقيف وهم أربعة آلاف....)[3].

وملأ الزهو نفس ابن أبى قحافة لما نظر إلى ذلك الجيش العرمرم «فقال أبو بكر: لا نغلب اليوم من قلة»[4].

نلحظ أن ابن سعد كاتب الواقدى وصاحب الطبقات وله مقام مشهود بين كتاب السيرة المحمدية التى يؤكد كل سطر فيها عبقرية

---

١ - (السيرة النبوية) ل ابن إسحق - الثانى - ٢٧٧ - طبعة أخبار اليوم - مصدر سابق و(الفصول فى اختيار سيرة الرسول - صلى الله عليه وسلم) تأليف الحافظ أبى الفداء إسماعيل ابن كثير ٧٠١ - ٧٧٤ هـ تحقيق وتعليق محمد العبد الخطراوى وآخر - الطبعة الأولى ١٩٩٩ - ١٤٠٠ هـ ص ١٨٢ من منشورات: مؤسسة علوم القرآن - دمشق - بيروت ودار القلم - دمشق - بيروت.

٢ - (مفاتيح الغيب - التفسير الكبير) ل فخر الدين الرازى - المجلد السابع ص ٦١٤ طبعة دار الند العربى - سابق.

٣ - تفسير النسفى لأبى البركات عبدالله النسفى - الجزء الثانى ص ١٢٢ د. ت/ دار أحياء الكتب العربى ب مصر.

٤ - (الطبقات الكبرى) ل ابن سعد - الجزء الثانى - ص ٢٠٠ طبعة ١٣٥٨ هـ - سلسلة التاريخ الإسلامى - لجنة نشر الثقافة الإسلامية - مصر.

صاحبها و(طبقاته) من أميز الكتب فى هذا المجال - ذكر قالة التيمى أبى بكر بصيغة التأكيد، بيد أن أحد الكتبة المحدثين عندما نقلها أوردها بصيغة التمريض والتوهين والتهزيل «قيل»: «قيل إن آبا بكر الصديق.. قال: .... إلخ»[1].

لماذا فعلها الغزالى؟ ل يفرخ فى روع قارئه أن التيمى من المستحيل عليه أن يداخله الزهو أو يخالطه الغرور أو يمازجه الافتخار وأن هذه العبارة دست عليه ولم يقلها، متجاهلا أن ابن سعد وهو من هو أوردها مؤكدة دون تشكيك.

وكيما ينزع عن أبى بكر حقيقته التاريخية وصفته البشرية وطبيعته الآدمية فهو ليس كغيره من الناس فلا يزهو ولا يغتر ولا يتفاخر.

إنه منهج أسطرة الأشخاص وإضفاء الهالات عليهم ونفحهم القداسات الذى استمر قرونا ممدودة حتى غدوا فوق الزمان والمكان.... إلخ.

ومازال المسلم ينظر إليهم هذه النظرة التجريدية اللاتاريخية.. ثم عود إلى سياق الدراسة.



أولئك الصحابة الألوف أو الألوف من الصحابة ما إن هجم عليهم فرسان هوازن حتى أخذوا يسابقون الدبور (= ريح فائقة السرعة).

«فكان أنس بن مالك يحدث يقول: «فلما تحدرنا فى الوادى فبينما نحن فى غلس الصبح، أن شعرنا إلا بالكتائب قد خرجت علينا من مضيق الوادى وشعبه فحملوا حملة واحدة فانكشف أول الخيل - خيل سليم - مولية فولوا وتبعهم أهل مكة وتبعهم الناس منهزمين ما يلوون على شىء».

---

١ - (فقه السيرة) ل محمد الغزالى ص ٤٠٩ - الطبعة الثامنة ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ - دار الكتب الإسلامية ب مصر.

قال أنس: فسمعت رسول الله ﷺ والتفت عن يمينه ويساره والناس منهزمون وهو يقول: «يا أنصار الله.. يا أنصار رسوله.. أنا عبدالله ورسوله)[1].

ولم يثبت مع (صاحب القدر الرفيع) إلا أولئك النفر الذين ذكرناهم وسجل القرآن العظيم هذا الهروب الكبير أو الفرار الجماعى الذى حققه هذا العدد الهائل من المرات القليلة فى التاريخ ولكن بقوله «ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين»[2].

وليس هناك ما هو أشد توثيقا من آى الذكر الحكيم.

«وضاقت عليكم الأرض بما رحبت».. والمعنى أنكم لشدة ما لحقكم من الرعب لم تجدوا فى الأرض ذات الطول والعرض موضعا يصلح لهزيمتكم وكأنها ضاقت عليكم «ثم وليتم مدبرين» أى انهزمتم انهزاما[3].

وهو ما زبره الزمخشرى فى (كشافه): (فانهزموا حتى بلغ فلّهم مكة.. «بما رحبت» أى مع رحبها.. والمعنى: لا تجدون موضعا تستصلحونه لهربكم إليه ونجاتكم لفرط الرعب فكأنها ضاقت عليكم، «ثم وليتم مدبرين» ثم انهزمتم، «سكينته» رحمته التى سكنوا بها، «وعلى المؤمنين» الذين انهزموا)[4].

ولقد سجلت الآية الشريفة موقف التباهى الذى اعترى التيمى عتيق بن أبى قحافة «إذ أعجبتكم كثرتكم» ولا يقدح فى وجهة النظر هذه أن اسم أبى بكر لم يرد فيها ف القرآن المجيد درج على محو أسماء الأشخاص والأماكن والأزمان عندما يتناول سرد أى حادثة[5]

---

١ - (كتاب المغازى) ل الواقدى - الجزء الثالث - ص ٨٩٧ - ٨٩٨ - مصدر سابق.
٢ - الآية الخامسة والعشرون من سورة براءة/ التوبة.
٣ - (غرائب القرآن) ل القمى النيسابورى -المجلد الخامس – ص ٤٢٢ .
٤ - (الكشاف) ل الزمخشرى ٤٦٧ - ٥٣٨ هـ - المجلد الثانى - ص ١٨٢ . د. ت. ن. دار المعرفة - بيروت - لبنان.
٥ - الاستثناء الوحيد لهذه القاعدة هو ذكره ل اسم زيد بن حارثة ورقمنا فيما سبق علته ا. هـ.

كيما تتسم آياته بالتعالى والتسامى والتجريد، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى: ولو أنها أقل أهمية وأخفض قيمة وأضعف قدرا من الأولى أن إثبات أسامى الأشخاص قد يجرح إحساس المذكور لو جاء فى معرض الحرج أو الوهن أو الضعف. أما لو أتى فى مجال الإشادة والثناء الجميل والذكر الحسن فمن ورد اسمه قد يداخله الإعجاب بذاته، وغيره ينفسه عليه ويغار منه والذكر المحكم (السور والآيات) حريص على أن تظل نفوس الصحابة راضية وقلوبهم مطمئنة وصدورهم منشرحة.

كيف لا؟ وهم العدة فى نشر الديانة والسلاح ل توسيع رقعة الدولة.

وقبل أن نغادر هذه النقطة ل غيرها نقارن بين منحى القرآن الكريم الذى وقت ذاك مازال شفويا أو مكنونا فى الصدور ولم يسوّر عليه بين دفتى مصحف عثمان الأموى وبين تلاعبات المفسرين الذين عاشوا على هامشه.

فقد رقم أحسن الحديث حالة العنجهية والخنزوانة والتشامخ التى ضربت الصحابة والتى عبر عنها كبيرهم عتيق بن أبى قحافة التيمى حينما رأوا كثرة العدد وأكدوا نصرهم على عدوهم.

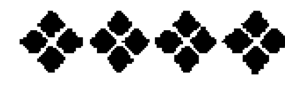
أما الكاتب الذى نسخنا اسمه فيما سلف فقد نقلها بصيغة توحى ب عدم الوقوع وتشى ب استحالة الحدوث وتشف عن استبعاد التشيؤ، وهو مثل لما فعله سلفه الصالح ويفعله أنداده المعاصرون وهذا هو الصادع الذى يفصل بين الصدق والتفتح والطهارة، وبين اللف والدوران واللولبة والالتواء، وإذ أردفت أو أضيفت (النصوص الثوانى) على حواشى أو هوامش النصوص المقدسة الأصلية وانتسبت إليها نالها قدر من التقديس آنا كبير وحينا صغير وبالتقادم الطويل يترسخ ذلك.

وليس مصادفة أو خبط عشواء أن عددا وفيرا من التفاسير خاصة «التراثية» تدون وتطبع على جوانب المصحف الكريم، بل إن

هذا العمل مازال مستمرا حتى الآن[1].

وهى «النصوص الثوانى» غدت ـ ل عدة عوامل ـ لا مجال هنا ل ذكرها ـ واسعة الانتشار قريبة المنال بل فى راحة اليد.

ومن هنا يصبح تأثيرها على القارئ العادى أو حتى المثقف أشد غورا وأعمق شقا وأنفذ مفعولا وهذا أحد الروافد المهمة فى تكليس[2] العقول وتحجيرها وتنفيرها إلا من الثقافة الضيقة أى التقليدية المغلقة على نفسها.



ب فرار عشرة آلاف صحابى وتوليهم وجريهم لا يلوون على شىء تخلقت أزمة من الوزن الثقيل إذ كيف يُوسم هذا الحجم الغفير وفيهم مرازبة جحاجح وسادة غطاريف ونُجُب أسياد: منازيح وأبناء قبيلة بهذه الكبيرة الباهظة والإثم الفظيع والخطيئة الغليظة؟.

أولاهما: معنوية وهى الحكم على هؤلاء جميعهم ب أن غضب الله تعالى نزل عليهم وأن مأواهم جهنم وبئس المصير.

وأخراهما: مادية وهى لا سبيل إلى الاستعانة بهم وحتى معاملتهم، إذ كيف تستعين بُ هُراب فرار تولوا يوم الزحف وينتظرهم المآل المحتوم إلى الهاوية؟.

فإذا تم فكيف ومتى وأنىّ يمكن تعويض العشرة آلاف؟

هنا يأتى دور (الحبل/ القرآن) ف يتفضل ب تقديم الحل ف تهلّ الآيات الكريمة: «لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين. ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى

---

١ ـ انظر على سبيل المثال السريع «التفسير الميسر» لرئيس مؤسسة شئون التقديس الشيخ محمد سيد طنطاوى ـ والأمر الذى لا يخفى على الفطن معناه أنه مطبوع بـ «مطبعة المصحف الشريف/ الأزهر» ا. هـ.

٢ ـ فى «المعجم الوسيط» التكلس ترسيب أملاح الكالسيوم غير القابلة ل الذوبان.

المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين. ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم»[1].

فـ هنا نزلت السكينة من السماء على الذين منحوا أكتافهم العريضة لـ عدوهم الذى لم يصل إلى ثلث عدتهم أى الذين أمعنوا فى الفرار والجرى حتى وصلوا إلى مشارف مكة مع أنهم فى بدىّ الأمر انتصروا فما إن لمحوا الغنائم الجزيلة، حتى ألقوا أسلحتهم وطفقوا يجمعونها فعاد إليهم فرسان هوازن وهجموا عليهم ثانية، فما إن شعر الصحاب البسيلون بعودة الهوازنيين إلى الطعان حتى منحوا سيقانهم للريح وحدّس الطليق أبو الطلقاء الأموى سفيان بن حرب ألا شىء سيوقفهم من الإدبار إلا ساحل البحر، أى على أولئك الشجعان المغاوير الذين تركوا قائدهم وسيدهم مع نفر قليل من الثابتين.

السكينة هى ـ الطمأنينة:

(واذكر «يوم حنين» واد بين مكة والطائف «إذ أعجبتكم كثرتكم» «فقلتم لن نُغلب اليوم من قلة وكانوا اثنى عشر ألفا والكفار أربعة آلاف «فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت» أى مع رحبها أى سعتها فلم تجدوا مكانا تطمئنون إليه لـ شدة ما لحقكم من الخوف «ثم وليتم مدبرين» منهزمين «ثم أنزل الله سكينته» طمأنينته)[2].

بيد أنه من الجائز أن يعترض قارئ قائلا إن السكينة التى نصت عليها الآية الشريفة المذكورة حددت من نزلت عليه «على رسوله وعلى المؤمنين»، والذين ولوا مدبرين من المستحيل أو حتى من الصعب وصفهم بـ الإيمان ومن ثم فهى لا تعمهم؟.

---

١ ـ الآيات ٢٥ ـ ٢٦ ـ ٢٧ من سورة التوبة.

٢ – (تفسير الجلالين) ـ تصحيح ومراجعة: محمد صادق قمحاوى ـ ص ١٥٦ د. ت. ن مكتبة الجمهورية العربية ـ مصر.

بيد أن المفسرين أو ل الدقة التى نحاول أن نتحراها فى كل بحث أو دراسة: عددا منهم أكدوا أن السكينة ضمت الذين ثبتوا والفُرّار.

«ثم أنزل سكينته» رحمته التى سكنوا وأمنوا.

«على رسوله وعلى المؤمنين» الذين كانوا انهزموا وعلى الذين ثبتوا مع رسول الله حين وقع الهرب[1].

والقاضى البيضاوى يعاضد القمى النيسابورى فى هذا المذهب:

(وضاقت عليكم الأرض بما رحبت» برحبها أى سعتها لا تجدون فيها مقرا تطمئن إليه نفوسكم من شدة الرعب أو لا تثبتون فيها كمن لا يسعه مكانه. «ثم وليتم» الكفار ظهوركم. «مدبرين» منهزمين والإدبار الذهاب إلى خلف، خلاف الإقبال.. «ثم أنزل سكينته» رحمته التى سكنوا بها وآمنوا. «على رسوله وعلى المؤمنين» الذين انهزموا)[2].

أما القرطبى فيذكرها بطريقة ضمنية:

(قوله تعالى: «ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين» أى أنزل عليهم ما يسكنهم ويذهب خوفهم حتى اجترءوا على قتال المشركين)[3].

فإذهابه الخوف وإعادة الجرأة على القتال التى فسر بها السكينة كلها لا تنال إلا الهرابين الذين ركبهم الفزع وعمهم الهلع وامتطتهم ال لشلشة.

وب مفهوم الموافقة فإن إنزالها من السماء يعنى العفو والمغفرة والصفح عن كبيرة الكبائر والاكتفاء بعتاب رقيق هادئ ولفت نظر بسيط بعدم الاغترار بكثرة العدد.

---

١ - (غرائب القرآن) ل القمى النيسابورى - المجلد الخامس - ص ٤٢٢ - مصدر سابق.
٢ - (تفسير البيضاوى) ص ٢٥١/ مصدر سابق.
٣ - (تفسير القرطبى) المجلد الخامس - ص ٢٩٤٠ - سابق.

وهكذا انحلت عقدة هزيمة الصحب فى مفتتح غزاة حنين وهربهم من وجه عدوهم وعاد الهدوء إلى (الأعز/ الأعظم) واعترى صحبه سرور عارم لا ب التجاوز عن الكبيرة التى ارتكبوها ف حسب بل ل نوالهم غنائم جزيلة لم يحصلوا عليها فى أى غزاة «انتصروا» فيها.

ولاشك أن تقسيم الغنائم على الجميع دون تفرقة بين من ثبت مع (الغوث) ومن ولىّ الأدبار يدل على صحة تفسير أن السكينة التى وردت فى الآية جاءت عامة ولم تخص أولئك الأبطال المغاوير الذين ظلوا يقاتلون ولم يهربوا.



يبين من جماع ما تقدم أن الأساليب تنوعت والوسائل تباينت والطرق تعددت فى كف الصحب عن الجبانة ونهيهم عن الرعشة أو الارتعاش وتنفيرهم من الخور، وبالمقابل حضهم على الشجاعة وترغيبهم فى الثبات ودفعهم إلى البسالة.

ف مرة: يقال لهم إنها زلة شيطانية وقد عفا الله عنها إذ هو الغفور الرحيم.

وأخرى: أنهم عكّارون لا فرّارون وإن ما بدر منهم مجرد تحرّف فى القتال وتحيّز إلى فئة وذكر لهم «ال أمين» وهو الذى لا ينطق عن الهوى «أنا فئتكم» أى أن هروبهم حتى يثرب هو انحياز إلى قومهم وهو على رأسهم، وسبق أن رقمنا أن لهم عذرهم لأن جيش العدو خمسون ضعفا.

وثالثة: ينزل السكينة عليهم ف ينعطفون على المشركين ويهزمونهم.

هذه الأساليب المتنوعة، كما نلاحظ، الهدف منها التربية، إذ راعت كل حالة وقدرت كل ظرف ووزنت كل نازلة.

وهكذا يثبت الذكر الحكيم أنه دائما مع «الموقر» وجماعة المؤمنين

لا يغفل عنهم خاصة فى المحن والشدائد والأزمات.

ولعل فيه أبلغ رد على اعتراض مشركى مكة «وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا»[1].

ولاشك أن تثبيت فؤاد (المقفى) هو بالضرورة تثبيت لقلوب أتباعه، ولقد تيقن صدق هذه الآية الكريمة بعد سنوات ب صورة جلية، إذ إن سورة الفرقان التى ضمتها مكية والوقائع التى سطرناها فيما سلف حدثت بعد النزوح إلى قرية الحرتين.



٣- إلجام التبّاع عن الاندفاع نحو المتع الحسية:

تناولنا ب الدراسة الموضوعية - فيما سبق - اشتعال غريزة الجنس فى ذاك المجتمع لدى الذكور والإناث دون تفرقة وسردنا أسبابه ولا نرى داعيا لتكراره.

انظر كتابنا (مجتمع يثرب - العلاقة بين الرجل والمرأة فى العهدين المحمدى والخليفى) دار سيناء ومؤسسة الانتشار العربى - بيروت - وقد طبع مرتين.

وقد عانى (أُذن خير) الأمرين وهو يقوّم اعوجاج التبع فى هذا المجال وتربيتهم على السيطرة على نوازع الحس وتعليمهم التسامى ب تلك الغريزة.

وكما تعودنا لم يذره «أحسن الحديث» يحارب فى هذه العركة الشرسة منفردا بل وقف إلى جنبه يؤازره ويعاضده ويشد من أزره.

السلوكيات الفَلُوت والتصرفات الطائشة والأفعال المنحرفة التى صدرت من عدد من التبع جاءت متنوعة، بيد أنها تشى ب غلبة دوافع الجسد وسيطرة الغريزة وقوة الشهوة التى تصل فى أحيان

---

١ - سورة الفرقان - الآية الثانية والثلاثون.

كثيرة إلى درجة الشبق، لأن الذى يُقدم على اغتصاب مرة أخيه وهو يعلم علم اليقين أنه خرج مجاهدا فى سبيل ذات الديانة التى يعتنقها هو بل وربطته بالزوج الغائب آصرة قوية، نقول إن هذا الشخص هيمنت عليه الغريزة وحولته من إنسان إلى حيوان أبجر[1].

«أخرج الترمذى والنسائى والبخارى فى تاريخه والواحدى عن أبى اليسر قال: أتتنى امرأة تبتاع تمرا، فقلت إن فى البيت تمرا أطيب منه، فدخلت معى البيت، فأهويت إليها فقبلتها، فأتيت أبا بكر فذكرت ذلك له فقال: استر على نفسك وتب، فأتيت عمر فذكرت ذلك له، فقال استر على نفسك وتب ولا تخبر أحدا فلم أصبر فأتيت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له فقال: أخلفت غازيا فى سبيل الله فى أهله ب مثل هذا، حتى تمنى أنه لم يكن أسلم إلا تلك الساعة، حتى ظن أنه من أهل النار.

قال وأطرق رسول الله ﷺ حتى أوحى الله إليه «وأقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين» ١١٤ ـ هود[2].

أما الواحدى النيسابورى فقد أكد علم أبى اليسر أن المَرَة زوجة أحد أجناد البعوث «السرايا» وأنه لما قص حكاية فعله المخزى على (البشير) قال له على الفور خُنت رجلا غازيا فى سبيل الله ب هذا»[3].

إن هذا الأبا اليسر ليس هو الفارس الوحيد فى هذا المضمار ف ثمة تمار «بياع تمر» آخر يرتكب الفُحش ذاته:

أخرج الثعلبى من طريق مقاتل عن الضحاك عن ابن عباس فى

---

١ ـ الأبجر: هو من امتلأ بطنه ولم يشبع- ورجل أبجر ومَرَة بجراء «المعجم الوجيز» أى بلغت به النهامة «إفراط الشهوة» أقصى مداها. ا. هـ

٢ ـ (المقبول) ل أبى عمر نادى الأزهرى ـ ص ٤٠٨، وأضاف المصنف: أورده الخطيب فى تاريخ بغداد والطبرانى فى الكبير والواحدى فى أسباب النزول ووصف إسناده بأنه حسن وكذلك (لباب النقول) ل السيوطى ص ١٠٢ وأضاف:

وورد نحوه من حديث أبى إمامة ومعاذ بن جبل وابن عباس وبريدة وغيرهم.

٣ ـ (أسباب النزول) ص ١٨٠ ـ ١٨١ مصدر سابق.

قوله: «والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم» آل عمران: ١٣٥، قال: هو نبهان التمار، أتته امرأة حسناء جميلة تبتاع منه تمرا، فضرب عجيزتها، فقالت: والله ما حفظت غيبة أخيك، ولا نلت حاجتك، فسقط فى يده فذهب إلى النبى ﷺ فأعلمه، فقال له: إياك أن تكون امرأة غاز؟ فذهب يبكى ثلاثة أيام يصوم النهار ويقوم الليل فأنزل الله عز وجل فى اليوم الرابع هذه الآية. فأرسل إليه فأخبره، فحمد الله وأثنى عليه وشكره وقال: يا رسول الله هذه توبتى فكيف لى بأن يقبل شكرى؟ فأنزل الله عز وجل: «وأقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات».

عندما نؤكد أن هذا المنزع يتجاوز التصرف الذاتى ويكاد يتحول إلى ظاهرة اجتماعية، فليس فى هذا أقل مبالغة، فهذا أحد الصحبة الميامين يقارف نفس الخطيئة ولا يكفى بالتقبيل ك أبى اليسر أو ب والتحسيس[1] باليد على العجيزة المكتنزة للمَرَة المشترية مثل ما أقدم عليه نبهان التمار، إنما مضى لأوعر منه لولا أن همته لم تسعفه ومذاكيره خذلته ورجولته خَنَسَت عنه.

(أخرج الإمام أحمد والبيهقى والبزار وغيرهم أن رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ كان يهوى امرأة فاستأذن من النبى ﷺ فى حاجة فأذن له فانطلق فى يوم مطير فإذا بالمرأة على غدير فلما جلس منها مجلس الرجل من المرأة ذهب يحرك ذكره، فإذا هو هُدْبَة، فقام فأتى النبى ﷺ فذكر له ذلك فقال له النبى ﷺ صل أربع ركعات، فأنزل الله تبارك وتعالى: «وأقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات» ١١٤ هود)[2].

وذكر المصنف أن الهيثمى قال عنه فى الزوائد: رجاله رجال

١ - الحس: الإدراك بأحد الحواس والمحسوس المدرك ب إحدى الحواس من «المعجم الوجيز»
٢ - «المقبول» ل أبى عمر نادى الأزهرى ص ٤٠٧ - سابق

الصـحـيح وأن الخطيب رواه فى تاريخ بغـداد والعـراقى أورده فى تخريج الإحياء(يعنى تخريج أحاديث إحياء علوم الدين ل الغزالى) وعـزاه له ابن مـردويه ب إسناد جيـد ووصفـه المصنف الأزهرى أو الأزهرى المنصف بأنه صحيح.



فى كتابنا «مجتمع يثرب » نسخنا أن «المغيبات» أى زوجات الذين يجندون فى الغزوات والسرايا والبعوث شكلن معضلة اجتماعية لأنهن صيد سهل للرجال الباقين فى أثرب وهم (وهن) حديثو عهد بالإسلام وغرائزهم ملتهبة ذكورا وإناثا وجماعه دعا (المدثر) إلى إصدار أحاديث تشدد على نهى التماس بهن، بيد أن طغيان الغريزة التى هى بطبيعتها مشتعلة عندهم والملابس التى يرتدونها والأخبية (جمع خباء)[1] والخيام وحتى مبانيهم الساذجة البدائية كلها ساعدت على سهولة الالتقاء.

• ولذا ألفينا فى غالبية الحوادث التى هى على هذه الشاكلة أن النسوَن اللائى تم التحرش بهن أو اغتصابهن هن بعلات عساكر الغزو.

وإذا اتضح من الأخبار المتقدمة أن ضمير الرجل أو المرأة قد استيقظ، ف الأدنى إلى المنطق والأقرب إلى طبائع الأمور أن هناك العشرات من اللقاءات تمت سرا ولم يبلغ عنها أطرافها: رَجَلَة (= جمع رجل) أو نسوة بل لقيت من الجميع الرحابة والانبساط.

(... عن ابن عباس أن رجلا لقى عمر فقال إن المرأة جاءتنى تبايعنى فأدخلتها المولج فأصبت منها كل شىء إلا الجماع، فقال ويحك لعلها مُغيب (أى زوجها) فى سبيل الله قلت أجل، قال ائت أبا بكر.. فقال ما قال لعمر ورد عليه مثل ذلك وقال: ائت رسول الله ﷺ

١ - إن الرجل كان إذا تزوج بنى للعروس خباء جديدا وعمّره بما يحتاج إليه.
من «المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير للرافعى» تأليف أحمد المقرى الفيومى تحقيق د. عبدالعظيم الشناوى - الطبعة الثانية ١٩٩٤ دار المعارف ب مصر.

فسله فأتى رسول الله ﷺ فقال مثل ما قال ل أبى بكر وعمر، فقال رسول الله ﷺ لعلها مُغيب فى سبيل الله فقال نعم. فسكت عنه ونزل القرآن: «أقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات». فقال الرجل: إلى خاصة يا رسول الله أم للناس عامة؟ فضرب عمر صدره وقال: لا ولا نعمة عين ولكن للناس عامة، فضحك رسول الله ﷺ وقال: صدق عمر»[1].

إن تكرار سؤال (الأزهر) والتيمىّ والعدوىّ/ الرجل: لعلها مُغيب فى سبيل الله أى لعل زوجها غائب عنها فى غزاة أو سرية أو بعث؟ يشى ب إدراكهم العميق لأبعاد هذه المشكلة الاجتماعية، وأنها لم تعد حالات فردية بل ظاهرة عامة.

عندما قرأت الخبر تعجبت ل جراءة عمر، فالرجل يتوجه ب سؤاله إلى (سيد الكائنات) هل الآية تخصه أم تعم سائر التباع؟ فإذا به أى العدوىّ لا يلزم غرزه ولا يقف عند حده، ولا ينتهى عند موقعه... فيسرع بالإجابة: إنها لكل الناس ولم نعهد فى غيره من التبع من يقدم على مثل هذا الصنيع.

بعدها نأتى إلى التفاسير:

(إن الحسنات يذهبن السيئات) قال المفسرون نزلت فى أبى اليسر عمر بن غزية الأنصارى كان يبيع التمر فأتته امرأة فأعجبته، فقال لها إن فى البيت أجود من هذا فذهب بها إلى بيته فضمها إلى نفسه وقبضها وأصاب منها كل ما يُصيب الرجل من زوجته سوى الجماع ثم ندم، فأتى رسول الله ﷺف أخبره بما فعل فقال انتظر أمر ربى، فلما صلى صلاة العصر نزلت، فقال نعم اذهب فإنها كفارة لما عملت، فقيل له هذا له خاصة أم للناس عامة فقال: بل للناس عامة[2].

---

١ ـ (أسباب النزول) ل الواحدى النيسابورى ص ١٨١ ـ سابق.

٢ ـ (غرائب القرآن) ل القمىّ الجزء السادس ص ٢٥ ـ ٢٦ ـ مصدر سابق

وفى تنوير المقباس:

(نزلت فى شأن رجل تمار يقال له أبو اليسر بن عمر)[1].

ويؤكد صاحبا تفسير الجلالين أن الحديث رواه الشيخان:

(نزلت فيمن قبل أجنبية فأخبره ﷺ فقال إلىّ هذا فقال: لجميع أمتى، رواه الشيخان)[2].

وسبق أن أوضحنا ما تعنيه كلمة «الشيخين» فى دائرة علم الحديث، أى البخارى ومسلم وإذ إنهما يتربعان على قُلّة (ذروة) الصحاح الستة فإن الحديث الذى يتفقان عليه يغدو الطعن فيه من الصغار الذى لا يليق.

الخبر الذى وضعه فى حجورنا القمىّ النيسابورى ينبغى لنا قراءته بحرص شديد، فبعدما سمع (خير قرابين الله) القصة من التمار الشبق الذى لم يراع أى حرمة، رد عليه ب قوله (انتظر أمر ربى) أى أنه على يقين كامل أن السماء لن تدعه يواجه هذا الموقف بمفرده خاصة أن الممارسات الجانحة تكررت وتحولت إلى ظاهرة.

وإن المرء ليعجب أشد الإعجاب ب حلم (خير من وطئ الأرض) وصبره، فهو عندما سمع تلك الحكاية المخجلة خاصة أنها مورست مع مغيبات ورغم نهيه الباتر كما السيف الصارم عن الاتصال بهن بأى صورة ولأى ظرف لم ينفعل ولم يعنف مرتكبيها ولم يوجه لهم كلمة عتاب ولا نزير (نسطر) كلمة لوم. لماذا؟

لأنه من ناحية: يدركه عرامة غريزة الاتصال ب الآخر لديهم ذكورا وإناثا وأنهم لم يعتنقوا الديانة التى بشر بها سوى قبل قليل وأنهم (مرتكبى التصرفات الفلوت) الاحتياطى أو الرديف الذى من أقرب الاحتمالات تجنيده فى الغزوات والسرايا والبعوث، فلو قسا

١ - (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) ص ١٢٥ - ١٤٦ - مصدر سابق.
٢ - (تفسير الجلالين) ص ١٩٢ - مصدر سابق

عليهم فسوف يترك ندوبا فى قلوبهم أو صدورهم تدفعهم إلى التباطؤ وتحثهم على التراخى وتحضهم على التكاسل.

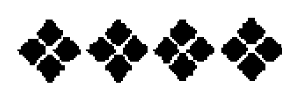
ومن رجا آخر: ليس من الحصافة التهويل ب شأنها لأنه سوف يوزّ عساكره فى السرايا والبعوث.. إلخ على الانسحاب ويشجعهم على التخلى ويغريهم على الاستقالة لأنه مهما بلغت مغريات الجهاد من مغانم وأسلاب وأنفال فى الدنيا، وحور عين وولدان مخلدين وأنهار خمور وعسل ولبن فى الآخرة، فإنها لا تعوض الواحد منهم - نزولا على موجبات مجتمعهم البدىّ - عن ثلم العرض والتعدى على الحمى وانتهاك الحرمات. كلها يتحاشى وقوعها (المدثر) إذ تباعد بينه وبين نشر الديانة وتحول دونه وتحقيق حلم الجدود: إقامة دولة قريش.



نفحنا «البلاغ = القرآن» هذه الآيات المجيدة الأدلة المؤكدة أنه على صلة وثقى بالمجتمع المدهش الذى حظى أفراده ب رؤية (أبى إبراهيم) والملتبك به، ف تناولت الموضوع بيد أنها مسته مسا رقيقا به عفو وسماح ورحمة مع تكليف بسيط للغاية لو أداه الصاحب الجانح ل ذهبت سيئاته وامّحت ذنوبه وزايلته خطاياه.

برهان ساطع على تاريخية السور والآيات وارتباطها ب إكراهات المجتمع الذى انبثقت فى حناياه وب سلوكيات الفاعلين فى جنباته..

لاكما يذهب إليه التقليديون أنها مجردة ومتباعدة ومتغربة عمن خوطب بها وتحلق فى فضاءات مثالية لا وشيجة لها مع واقع الناس.



٤- تمقيت زواج الأم (الاعتبارية) وتبشيعه:

فى بدىّ الأمر نعنى ب الأم الاعتبارية: زوجة الأب.

وقد درج العربان على نكاح امرأة الأب بعد وفاته لا فرق فيه بين بنى سخينة «قريش» وبنى قيلة «الأوس والخزرج» ولا بين علية القوم

وأغمارهم «سفلتهم». وممن فعله «حصن بن أبى قيس» تزوج امرأة أبيه كبيشة بنت معن، والأسود بن خلف تزوج امرأة أبيه، وصفوان بن أمية بن خلف تزوج امرأة أبيه فاختة بنت الأسود بن المطلب ومنصور بن مازن تزوج امرأة أبيه مليكة بنت خارجة»[1] مرجعه إلى: غلظ حسهم وكثافة شعورهم وفساد ذويهم وأن الواحد منهم يعدد بعلاته ويظل يكرره طوال حياته ولا مانع لديه أن ينكح من هى فى سن أولاده أو أحفاده ف يتوفى عنها وهى (أوهن) فى ريعان شبابها، فيرضيها ويحظى لديها أن يتزوجها ابنه الشاب المفتول العضل الملئ بالفحالة الفائض القوة ل تعوض ما فاتها من متعة ولذة أيام أبيه الشيخ.

من ناحية الابن ف إن هذا النكاح سيوفر عليه المهر وسائر التكاليف التى تبهظ كاهله لو أنه نكح أخرى خاصة أنه فى كثير من الأحيان مليط من المال، خالى الوفاض، عاريا من النشب.

بيد أن العلة الكبرى التى تكمن وراء هذه العادة الذميمة هى تخلف المجتمع وبداوة البيئة وحوشية الوسط.



نؤكد أنه (= العرف الفاحش) وقع فى نفس (الأعظم) موقع النفور ونزل فى صدره منزل الكراهية وتموضع فى قلبه بمكان البغض، وارتأى أنه من الحتم إلغاؤه ومن الضرورى رفعه ومن اللازم القضاء عليه.

وسنحت الفرصة.

إذ (توفى أبو قيس وكان من صالحى الأنصار، فخطب ابنه قيس امرأته فقالت أنا أعدك ولدا وأنت من صالحى قومك، ولكن آتى

---

١ ـ (أسباب النزول) ل الواحدى النيسابورى ص ٩٨ ـ مصدر سابق.
وكذلك (تفسير الطبرى) ـ الجزء الثامن ١٣٢ ـ مصدر سابق.
ولو أنه ذكره مع بعض الاختلاف مثلا منظور بن زيان بدلا من ابن مازن كما عند الواحدى.
و(تفسير القرطبى) المجلد الثالث ـ ص ١٦٧٢ مصدر سابق ـ وأضاف «وكانت فى قريش مباحة مع الترضى».
و(تفسير القرآن العظيم) ل ابن كثير ـ المجلد الثانى ـ ص ٢١٤ ـ سابق.

رسول الله ﷺ واستأمره، فأتت رسول الله ﷺ فقالت: إن أبا قيس توفى، فقال لها رسول الله ﷺ خيرا، قالت: وإن ابنه قيس خطبنى وهو من صالحى قومه وإنما كنت أعده ولدا، فقال لها رسول الله ﷺ ارجعى إلى بيتك فنزلت هذه الآية:

«ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف، إنه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا» الآية الثانية بعد العشرين من سورة النساء - أخرجه ابن أبى حاتم والطبرانى فى الكبير(١).

بورود الحديث فى اثنين من أميز كتب (الأسباب) التراثية (المصادر) وثالث من المراجع الحديثة ووصفه إياه ب الحسن، غدا موثقا.



من التفاسير: تفسير القرطبى أورد الحديث بأكمله(٢).

ونسخه ابن كثير فى تفسيره بنصه(٣).

أما شيخ المفسرين أبو جعفر بن محمد بن جرير الطبرى فقد سطره بصيغة مغايرة «قال عكرمة: نزلت فى كبشة بنت معن بن عاصم من الأوس توفى عنها أبو قيس بن الأسلت فجنح عليها ابنه فجاءت النبى ﷺ فقالت: يا نبى الله لا أنا ورثت زوجى ولا تركت فأنكح، فنزلت هذه الآية»(٤).

وفى موضع لاحق ذكر الطبرى: «نزلت فى أبى قيس بن الأسلت خلف على أم عبيد صخر كانت تحت الأسلت أبيه»(٥).

---

١ - (المقبول) ل أبى عمر نادى الأزهرى - وقال عنه: حديث حسن - مرجع سابق.
و(أسباب النزول) ل الواحدى النيسابورى - ص - ٨ مصدر سابق.
و«الباب النقول» لـ السيوطى - ص ٥٠ وأضاف ل ابن أبى حاتم والطبرانى: الفريانى.. عن عدى بن ثابت.

٢ - (تفسير القرطبى) المجلد الثالث ص ١٦٧٣/ ١٦٧٤ - مصدر سابق.

٣ - (تفسير القرآن العظيم) المجلد الثانى ص ٢١٤ - مصدر سابق

٤ - (تفسير الطبرى) - الجزء الثامن - بند ٨٨٧٣ ص ١٠٦ - مصدر سابق.

٥ - (تفسير الطبرى) - المجلد الثامن - بند ٨٩٤٠ ص ١٣٣ - سابق.

ل اختلاف اسم الزوجة علق المحقق الشيخ محمود محمد شاكر ب الآتى: «ف أخشى أن يكون الخبر السالف وهذا الخبر مجتمعين على أنه جنح على امرأتين من نساء أبيه: كبيشة بنت معن وأم عبيد بنت صخر»[١].

وأضاف أن الثعلبى ذكر فى تفسيره: أن الابن جنح على كبيشة. لمعايشتنا الطويلة فى الكتب لمجتمعهم المعجب وبيئتهم المدهشة ووسطهم الفريد نؤيد الشيخ محمود محمد شاكر فى خشيته بل نرجح أن الأب ترك زوجتين وأن الولد جنح على كليهما.

إذ من البديهى ألا يفوّت الفرصة النادرة التى فتحت أمامه الباب على مصراعيه ليمتع مذاكيره بمَرّتين لا واحدة دون أن يدفع درهما.

ومن مصنفات التفسير المحدثة. تفسير القرآن الكريم ل عبدالله شحاتة فقد زير الحديث بنصه وقصه[٢].



نوع ثالث من كتب التراث: تراجم الصحابة

أورد الحافظ ابن حجر العسقلانى الخبر ب تمامه عن الفريانى وابن أبى حاتم عن عدى بن ثابت عند ترجمته ل قيس بن صيفى بن الأسلت[٣].

وفى ترجمته لكبشة بنت معن رقم ما يلى «كانت زوجة أبى قيس بن الأسلت ويقال لها كبيشة قال ابن جريج عن عكرمة: نزلت فيها ......»[٤].

وترجم للزوجة الأخرى: «أم عبيد بنت صخر بن مالك... كانت

١ ـ نفس المصدر والجزء ـ هامش ص ١٢٤
٢ ـ الجزء الرابع ـ ص ٨٠٥ ـ مرجع.
٣ ـ (الإصابة فى تمييز الصحابة) ـ تحقيق طه عبدالرءوف سعد ـ المجلد الخامس ـ ص ص ٦٨٨ ـ ٦٨٩ ـ د. ت ـ دار الغد العربى ب مصر.
٤ ـ ذات المصدر ـ المجلد الرابع ـ ص٧١٢ ـ سابق.

تحت الأسلت فخلف عليها أبو قيس بن الأسلت ففرق الإسلام بينه وبينها لكونها امرأة أبيه، ذكره أبو موسى من طريق محمد بن ثور، عن ابن جريج»[1].

والأثر الأخير يدل على أن الابن نزا (وثب) أو نط[2] على امرأة أبيه بالفعل ومن الطبيعى أنه تم برضا الطرفين بدليل ما جاء فيه: «ففرق الإسلام بينه وبينها» أى بعدما هلت الآية المذكورة إذ لا يتصور قبله.

ما سطّره قاضى القضاة وشيخ الإسلام ابن حجر فى التراجم الثلاثة يؤيد خشية الشيخ شاكر من جنوح الابن على البعلتين ويؤكد ترجيحنا له.



وسواء نط الابن على واحدة أو على اثنتين فقد ثبتت صحة الحديث غبّ أن قدمته المصادر العوالى من أمهات ذخائر التراث فى الدوائر الثلاث:

(أسباب النزول) و(التفسير) و(تراجم الصحاب).

ونلخص الموقف فى الآتى:

عرف اجتماعى ممعن فى الفحاشة بالغ الدناءة، شديد الحقارة تمنى (الأمى/ المكى) زواله وتطهير تباعة منه فلبى (الحبل/ المبارك = «القرآن») طلبته وحقق رغبته واستجاب ل أمنيته فاقبلت الآية الكريمة تتهادى كالقمر المجلو تحرم هذا النوع البغيض من النكاح وتصفه بأقسى النعوت: الفاحشة أى العلاقة المحرمة مثل الزنا، والمقت وهو أقصى درجات الكراهية وأعلى مراتب البغض وأبعد مراحل الشنآن.

وساهمت فى تهذيب أخلاقهم وتقويم إعوجاجهم وتعديل

---

١ – ذات المصدر والمجلد نفسه ـ ص٨٢١ .

٢ – العامة فى مصر تستعمل هذه الكلمة فى ذات المعنى ف هى إذن من العربية الفصحى ا هـ.

انحرافهم، ووقفت فى صف الآيات المجيدة التى تعنى ب شئون الأمة المسلمة وتهتم ب أمورها ولا تتفضل عن أحوالها. إنها العلاقة الجدلية بين النصوص والواقع وعدم انفصامها عنه، بل والالتحام به بصورة شديدة الحميمية تصك الذين يصفونها ب النقيض: المفاصلة والتحليق فى الفضاء.



٥ - كف الصحابة عن الحصول على الدخول الريعية المشبوهة:

اعتاد العرب العيش على الدخول الريعية، إذ لا طاقة لهم قديما وحديثا ب بذل الجهد وسفح العرق ومعاناة التعب فى سبيل الحصول على الرزق ومن ثم ف لم تقم فى جزيرتهم المباركة صناعة رغم توافر المواد الخام فيها.

العمل الوحيد الذى يمكن إدخاله فى دائرتها هو صنع السيوف. تولاه بنو سليم ومما له دلالة عميقة أنهم أطلقوا عليهم (القيون/ جميع قين أى عبد) ف هم فى نظرهم عبدان.

والزراعة، لديهم محصورة فى بضع واحلت منها:

١ - اليمامة: محصولها الرئيسى القمح أو الحنطة وبلغت مستوى من الجودة أن ضرب بها المثل، وفيما بعد درجوا على إرسالها ل قصور الخلفاء الأمويين والعباسيين.

ولم ينج بنو حنيفة من سخرية الأعاريب فتندروا عليهم وعيروهم ب أن مساحيهم (= جمع مِسّحَاة : آلة زراعية) هى سيوفهم، أى ليس لهم فى القتال.

ثبت فيما بعد أن هذا الهزو غير صحيح لأن بنى حنيفة أهل اليمامة حاربوا ب شراسة فى (حروب الردة) هكذا سماها المؤرخون والإخباريون فى حين أنها حرب أهلية بكل المقاييس؛ لأن القبائل الكبيرة مثل بنى حنيفة وتميم أنفت من حكم بنى سخينة بعد وفاة

(سيد ولد آدم) الذى له جانبه التيولوجى وكبدوا دولة بنى سخينة فى عهد التيمى ابن أبى قحافة خسائر فوادح. فى وقعة (حديقة الموت) لقى مئات من الصحابة حتفهم وللأسف من بينهم قراء أى حفاظ القرآن العظيم وهو الأمر الذى وز العدوى ابن الخطاب على أن يشير على الخليفة الأول بجمعه.

والله سبحانه وتعالى وحده يعلم مدى النكبة النكباء (عن ابن الأنبارى عن ابن شهاب (الزهرى) أنه قال: بلغنا أنه قد نزل قرآن كثير، فقتل علماؤه يوم اليمامة الذين كانوا قد أودعوه ولم يعلم بعدهم ولم يُكتب)(١)

الزهرى هو «أبو بكر محمد بن مسلم الزهرى من أهل المدينة ونزيل الشام وكان من المحدثين المعروفين ويقدر عدد الأحاديث التى رواها بألفى حديث وقيل إنه أول من دون فى علم الحديث توفى السنة ١٢٤ هـ»(٢).

أما ابن الأنبارى فهو «أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنبارى أحفظ أهل الكوفة، فكان يحفظ ثلاثمائة ألف بيت شاهد فى القرآن وكان دينا صدوقا توفى ب بغداد السنة ٣٢٧ هـ»(٣).

الزهرى وابن الانبارى من المستحيل أن يرويا خبرا معلولا(٤).

ويدعمه ما نقله الخوئى عن السيوطى أن «عمر - رضى الله عنه - قال: لا يقولن أحدكم قد أخذت القرآن كله وما يدريه ما كله؟ قد ذهب منه قرآن كثير ولكن ل يقل قد أخذت ما ظهر»(٥).

---

١ - (البيان فى تفسير القرآن) ل الإمام أبو القاسم الموسوى الخوئى ص ٢٠٢ - ٢٠٣ - ١٩٧٤م - مؤسسة الأعلمى للمطبوعات - بيروت نقلا عن (جدل التنزيل) لـ د. رشيد الخيون - ص ٢٢ الطبعة الأولى ٢٠٠٠ منشورات الجمل - كولونيا - ألمانيا.

٢ - (سيرة أعلام النبلاء) ل شمس الدين محمد أحمد الذهبى - الخامس - ص ٣٢٦ - ١٩٨٢ مؤسسة الرسالة - بيروت نقلا عن (جدل التنزيل) ص ٢٧ - سابق.

٣ - (طبقات النحويين واللغويين) ل محمد بن الحسن الزبيدى - تحقيق أبو الفضل إبراهيم ص ١٥٣ - د. ت دار المعارف ب مصر نقلا عن (جدل التنزيل) نفس الصفحة سابق.

٤ - العامة فى مصر تقول «مضروب» ل التعبير عن الشىء (ماديا أو معنويا) المغشوش.

٥ - (البيان) ص ٢٠٣ نقلا عن (جدل التنزيل) ص ٢٢.

السيوطى علم فى فناء الفكر الإسلامى وكتابه «الإتقان فى علوم القرآن» من أميز كتب التراث فى هذا المضمار فكيف يسمح له ضميره العلمى أن يختلق على العدوى ما لم يقله؟.



ثم نرجع إلى السياق:

لولا أن العبد وحشيا اغتال مسيلمة قائد بنى حنيفة وبنى تميم بطريقة غادرة كما فعل مع حمزة بن عبدالمطلب فى غزاة أحد لما تمكنت جيوش التيمى عتيق بن أبى قحافة من هزيمتهم.

نخلص منه جميعه أن بنى حنيفة أصحاب واحة اليمامة لم يقض امتهانهم ل الزراعة على قدرتهم على القتال أو على بسالتهم كما زعم العريان تحقيرا وزراية.

٢ ـ الطائف: بلدة بنى ثقيف ولعدد من صناديد قريش فيها مزارع وبساتين وهؤلاء وأولئك استخدموا العبدان فى الزراعة وسبق أن رقمنا قصة عداس عبد (غلام) عتبة بن ربيعة[1].

وهذا على سبيل المثال.

ولما ذهب (المنصور بالرعب مسيرة شهر) إليها ل يُبَشّر ب دين الإسلام سلط عليه كبراؤها عبيدهم وسفهاءهم فقذفوه بالحجارة حتى دميت قدماه الشريفتان.

من هذين الخبرين: نستدل على وجود الأعبُد بكثافة فيها وهم الذين ينوءون بالزراعة لحساب ساداتهم الذى ينعمون ب حصيلة كدهم وشقائهم.

٣ ـ يثرب: الواحة الثالثة، زرع أراضيها ـ بخلاف اليهود ـ بنو قيلة وهم الأوس والخزوج الذين لم يستنكفوا منها لأن جرثومتهم من

١ ـ (فترة التكوين فى حياة الصادق الأمين) لخليل عبدالكريم ص ٣٣٦ ـ الطبعة الأولى ٢٠٠١ م ـ دار ميريت ـ مصر.

اليـمن، حيـث لا تعـد الزراعـة عـمـلا يزرى ب الكرامـة أو يحط من الاعتبار أو يقلل من القيمة شأنها شأن الشعوب المتحضرة.

بلغ استكبار العريان فى نظرتهم إلى الزراعة حدا جعلهم يطلقون على الفلاحين فى البلاد التى دعسوها بسنابك أحصنتهم - دون أى مسوغ - ونهبوا خيـراتها واستنزفوا ثرواتها واستوطنوا أراضيـهـا وفرضوا عليها لغتهم (الجميلة) وثقافتهم: «العلوج» وهى مقلوب «العجول».

منيت مصر المحروسة ب العديد من الغزو والاحتلال ولكن لم يقم أى من الغزاة والمحتلين ب مثل ما قام به العريان، نهبوا خيـراتها واستوطنوا أراضيها وشمخوا بأنوفهم السامية المحدودبة على شعبها، أعرق شعوب الأرض قاطبة وصاحب أقدم وأزهى حضارة عرفتها البشرية، ولم يكتفوا .. بل أقدموا على ما هو أوعر: أجبروهم على التخلى عن لغتهم وأكرهوهم على تعلم لسانهم الفصيح وأجبروهم على الأخذ ب ثقافتهم..

يطلقون على الفلاحين (العُلوج) (مقلوب العجول جمع عجل).

فى معاجم اللغة العلجْ = الرجل الضخم من كفار العجم[1].

بعضهم يطلق العلج على الكافر المطلق[2].

أى أن مـجـرد رفض إنسـان / ابن آدم – كـرمـه الله تعـالى – الدخول فى دينهم يحوله إلى حيوان : عِجْل.



إذن ما هى أهم مصادر دخول العَرَبة؟

تتقدمها غزوات النهب والسلب والخطف.

لأن الخساسة متأصلة فى طباعهم والدناءة متجذرة فى أعماقهم

١ - (المصباح المنير) ل الفيومى.
٢ - ذات المصدر..

والجَبَانة أهم صفاتهم فهم لا يشنون الغارات إلا عند حالتين:

الأولى: فى عماية الصباح - قبيل الشروق - حيث يغطّ عدوهم فى نوم عميق فيفاجأون ب هذه الكبسة ولا يجدون ذرة من وقت للدفاع عن أنفسهم.

= يسمون هذا الفعل الذى لايمت إلى الأخلاق ب أدنى صلة (يوم الصباح)[1].

الأخرى: عندما تخبرهم عيونهم (جواسيسهم) أن قبيلة خرجت ل شن غارة فيهتبلونها نُهزة سانحة ويقومون ب دورهم ب الإغارة عليهم إذ لا يوجدسوى الشيوخ والعجائز والنسون والأطفال الذين لا طاقة لهم ب الوقوف في وجوههم وصدهم.

صورة أخرى للحقارة وانعدام المروءة والانحطاط الخُلقى.

فى كلتا الحالتين يعمدون ب منتهى السرعة إلى خطف كل ما تناله أياديهم الرعديدة: السبايا الأطفال، النوق، الجمال، الملابس، الكراع... إلخ ويرقلون عائدين.

دافع العجلة مردّه:

فى يوم الصباح يخشون استعداد المهاجمين (بفتح الجيم) لملاقاتهم.

وفى الحالة الأخرى : كى لا يعود فرسان القبيلة ف يلقنونهم درساً قاسياً.



تأتى التجارة مُصلية (ثانية) للغارات.

فيها يعتمدون على العبدان والأجراء والوكلاء التجاريين الذين يقع على كواهلهم الكليلة العبء الأكبر، وما على السادة الغطاريف سوى تحصيل الأرباح الطائلة.

ويتفرع عنها أو يتضايف عليها تسليف المال ب الربا الفاحش عند

---

١ - فى (القاموس المحيط) ل الفيروز آبادى / يوم الصباح = يوم الغارة.

عجز المدين يغدو رقيقاً للدائن.

مورد آخر هو عَرق الأعبد:

إذا أتقن العبد حرفة مثل النجارة أو الحدادة أو صقل السيوف أو البناء أودبغ الجلود.. إلخ ف يعمل فيها منذ انبلاج الفجر حتى الليل وما يدفع له من أجر يصب فى جيب سيده.

تكالبا على الدخول الريعية التى تأتى ب لا تعب لم ير الواحد منهم عارا فى أن يصير ديوثاً، فيفشل جواريه في العهورة ولا يشعر ب أدنى غضاضة من الاستحواذ على عرق أفخاذهن البوائس.

لا يستفر العجب ولا يدعو ل الاندهاش ولا يبعث على الاستغراب أن من بين من فعلها عددا من كبار صناديد بنى سحينة بل ومن فروعها الشامخة. فى مكة/ قرية القداسة وجدت (تسع صواحب رايات) لهن رايات كرايات البيطار يعرفونها:

أم مهدون جارية السائب بن أبى السائب المخزومي، وأم غليظ جارية صفوان بن أمية، وحبّة القبطية جارية العاص بن وائل[1].

---

١ ـ أليس من مهازل التاريخ أن هذا الديوث الذي عاش على دخل الاماء القحاب هو والد (عمرو) الذى غزا مصر وفعل هو وجنوده فيها الأفاعيل؟.

كم باحثا وكاتبا ومؤلفا ... إلخ سواء من القدامى أو المحدثين كتب فى سيرة هذا ال(عمرو) مؤلفا (بفتح اللام) أو بحثاً أو دراسة وذكر أن والده رباه من عرق فخذ أمة قبطية؟.

هل يمكن أن نرجع أعمال ابن الديوث التى ارتكبها فى المحروسة إلى نتيجة لعقدة نفسية ترسبت فى أعماقه منذ الصغر وهو يرى ويحس أنه نشأ وترعرع مما تكسبه الجارية القبطية التى دفعها أبوه ل احتراف الدعارة أو العهورة؟.

لم يكتف العاص بن وائل والد قاهر مصر المحروسة ب احتراف الدياثة بل يُعد فى مقدمة من ناوأ (أبا القاسم) من المشركين فى قرية القداسة مكة وهو يدعو إلى دين الإسلام ومجابهته بكل فظاظة وخشونة بما يكره:

«ورجح بعض المفسرين أن الآية ٧٨ من سورة ياسين (يس) (وضرب لنا مثلاً ونسى خلقه...) نزلت فى حق العاص بن وائل أتى إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعظم حائل، فَفَتّه بين يديه ثم ذراه فى الريح فقال: يا محمد من يحيى هذا وهو رميم؟ فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الله يحييه ثم يميتك ثم يدخلك النار».

(المختصر فى تفسير القرآن - مختصر الإمام الطبرى) ل ابن صمادح التجيبى - تحقيق عدنان زرزور - عند تفسيره ل سورة يس ـ ص٣٥٦ ـ الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م ـ مؤسسة الرسالة بيروت ـ لبنان.

وماذا ينتظر من ذاك الديوث؟

ومن ناحية أخرى ف جماعه يفسر لنا أعمال ابنه سواء فى (أم الدنيا) أو فى واقعة التحكيم بين الطليق ابن الطليق وبين الإمام على كرم الله وجهه ورضى عنه وأرضاه وعطر مرقده الطاهر صاحب الحق الشرعى فى الإمامة العظمى ا. هـ.

[redacted]

ومـرية جـارية ابن مـالك بن عـمـثلة بن السبـاق، وجـلالة جـارية سهيل ابن الأسود وقرينة جارية هشام بن ربيعة، وفرتنا جارية هـلال بن أنس وكانت بيوتهن تسمى فى الجاهلية (المواخير)[1].

ينضم ل هؤلاء الأماجد: عبدالله بن جدعان التيمى من بنى تيم رهط عتيق بن أبى قحافة وعبدالله بن أُبى بن سلول له جاريتان: مسيكة وأميمة يشغلهما فى الفجور فأسلمتا ورفضتا فشرع فى إكراههما وفى شأنهما انبثقت الآية الثالثة والثلاثون من سورة النور (ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء).

ورد هذا الخبر فى العديد من كتب (أسباب النزول) و(التفاسير).

عبدالله بن أبىّ ترأس المنافقين فى قرية الحرتين وقرب وصول (الحبيب المصطفى) أوشك بنو قيلة (الأوس والخزرج) أن ينصبوه ملكا عليهم ثم عدلوا ل تغير الظروف ب الكلية.

ألا تعجب معى ل أولئك العربة؟

كيف تسمح لهم نفوسهم أن يملّكوا عليهم ديوثاً صاحب ماخور؟

ألا يقف الحق معنا بكل قوته عندما نقرر – من خلال الوقائع الموثقة – أن ذياك المجتمع يختلف عن مجتمعنا المعاصر ب صورة جذرية؟.

ومن ثم يتعين علينا دراسته من كل أقطاره دراسة متأنية كيما نتقه (النصوص التأسيسية المقدسة) على وجهها الصحيح.

ولنوضح التباين بين المجتمعين:

هل يقبل أهل أى قرية مصرية فى الصعيد أو الدلتا أن يعين ديوث عمدة لقريتهم؟

الإجابة لا تحتاج إلى تسطير أو رقم.

إذن يوجد تباين رئيسى بين الفاعلين فى ذاك المجتمع والفاعلين

---

١ - (أسباب النزول) ل لواحدى - ص٢١١ - سابق.

فى مجتمعاتنا: من نواحى البناء النفسى ل الفرد، والتقاليد، والقيم والأخلاقيات، والسلوكيات، وهو يحتم ماندعو إليه:

النصوص تخلّقت فى رحم مُجتمع مباين تماماً، وفى. ظروف تاريخية مغايرة، وفى بيئة مفاصلة وغير مؤتلفة ولا متوافقة.

ف كيف يتم تطبيقها بحذافيرها وحذوك القِذة بالقِذة؟.

وهل من الصواب التمسك بحروفها وشكلياتها؟.

ومرة أخرى: نؤوب إلى سياق التنقير.



رقمنا أن التقاليد والأنساق الاجتماعية تؤثر فى الشخص الذى نشأ وشب فى أحضانها وأن ما تنتجه من قيم وتوجيهات ومحددات سلوكية تظل متجذرة فى أعماقه خاصة إذا سلخ من عمره شوطا.

فإذا تلقى الشخص ثقافة جديدة تنافر ما رُبى عليه فإن هذا لا يزول أو يمّحى بل يختفى أويغيب أو يتوارى حتى تواتى الفرصة ل يستعلن مرة أخرى، خاصة إذا حسبنا عهده ب القيم الحديثة أو الطارئة ف وجدناه قصيراً بالنسبة إلى الأعوام التى عاشها.

هذا لايغض من مقام الثقافة الجديدة ولا ينال من مكانة القيم الحديثة ولا يزعزع رتبة المبادئ المستضافة. إنما عامل الزمن هو الذى يساعد على الترسيخ ويعاضد على التثبيت ويؤازر على التعميق.

بمعنى أن الثقافة الوافدة ب كل شموخها محتاجة ب طريق الحتم واللزوم إلى مدى طويل كيما يتاح لها الهيمنة وتتهيأ لها السيطرة وتتمكن من الاستعلاء.

وحتى إذا أفلحت، ف ليس معناه نفى القديم أو تغريبه أو استبعاده.

إذ يلجأ إلى المناورة ويعمد إلى المداورة ويضطر إلى المراوغة.

يظل يتربص حتى تلوح له فى الأفق البعيد بوادر رأى نُهزة ف يرقل (=يهرع) إلى الظهور واحتلال موقعه السابق الذى تنازل عنه مؤقتا ول وقت معلوم ل القادم الجديد.

فرشة قصيرة وضرورية لتوضيح العلل والكوامن وراء هرولة بعض الصحاب إلى اكتساب دخول ربعية حتى ولو على حساب المبادئ السامية التى لقنهم إياها (المعصوم من الناس).



(أخرج النسائى عن عبدالله بن عمرو قال:

كانت امرأة يقال لها أم مهزول وكانت تسافح ف أراد رجل من أصحاب النبى ﷺ أن يتزوجها فأنزل الله «والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين» الآية الثالثة من سورة النور[1].

أخرج الحديث النسائى أحد أصحاب الستة الصحاح.

وورد به أن بطل القصة «رجل من أصحاب النبى ﷺ».

تعبير دقيق له مغزى عميق، إذ سوف نرى فى الأخبار المصلية (التالية) جملاً مثل: رجل من المسلمين أو رجال من المسلمين أو الناس.

هى صيغة تقطع ب أنه من أصحاب (أول من تنشق عنه الأرض) تمييزا له عن غيره ولو أن الجميع يطلق عليهم لقب صحابى[2].

أورد الحديث ذاته أبو عمر نادى الأزهرى وزاد عليه:

(أخرجه النسائى فى الكبرى وفى تفسيره ورواه الإمام أحمد فى مسنده والطبرانى فى الأوسط والحاكم فى المستدرك وصححه وأقره الذهبى والبيهقى فى سننه وجهم عن عبدالله بن عمرو.

---

١ - (لباب النقول) ل السيوطى - ص١٢٢.

٢ - انظر فى هذه الخصوصية السفر الأول من كتابنا «شدو الربابة» - دار سينا للنشر ومؤسسة الانتشار العربى - بيروت.

ووصف إسناده ب الصحة[1].

رقمه أيضا الواحدى النيسابورى[2].

تأكد الحديث إذن وتوثقت صحته بعدما نسخناه بشأنه.

الصحابى لم يشعر أدنى ذرة من حرج أو مُسكة من حياء أو بقية من خجل فى أن يتزوج العاهرة أم مهزول وتنفق عليه من كسبها الخبيث من التقحب.

إنه لا يرى أى عار فى أن يتحول إلى ديوث يرحب ب أى زبون (عربية فصيحة) يأتى إلى منزله ل يسافح زوجته بل يدله على حجرتها .. مادام سيدفع الجُعْل.

ولولا أن المجتمع لا يستنكر هذا الضرب من النكاح (=الزواج) لما أبدى الصحابى رغبته فيه.

ف من المعلوم أن الفرد لا طاقة له ب الوقوف فى وجه أفراد المجتمع ب الخروج على تقاليدهم، لا يستطيع أن يتحداهم ب هذه الصورة السافرة بل الوقحة لو أن العرف يحظره.

إذن هذا التصرف لا غبار عليه أيانه، ف هو مباح ومتعارف عليه بل ربما عد نوعاً من الشطارة.

فى «المعجم الوجيز» الشاطر: الفهم المتصرف.

وضرباً من الفتاكة (=الفتاك الشديد).

وجه من وجوه البينونة الكبرى بين مجتمعهم والمجتمع المعاصر:

اليوم أفقر مواطن مصرى يفضل الموت جوعاً ولا يتاجر بعرضه.

قد ينبرى فلحاس[3] العامة فى المحروسة «مصر» تقول: فلحوص (بالواو والصاد) أ. هـ.

---

١ - (المقبول) ص ص ٤٧٥ - ٤٧٦ - مع هامش الأولى.

٢ - (أسباب النزول) ص٢١٢.

٣ - فى «القاموس المحيط» ل لفيروز آبادى / الفلحاس السمع.

فيصيح معترضا أنها حادثة فردية، فلا يصح تعميمها.

ونرد عليه:

لولا أنها ظاهرة اجتماعية ل ما بزعت بشأنها آية من القرآن العجب.

ف لا يعقل أن تتهادى بطلعتها المضيئة لعلاج داء أصاب فرداً واحداً. لا نتعكز على المحاجات المنطقية رغم عرامتها، نلجأ إلى المنقول إذ نعلم أنه أبلغ أثراً خاصة فى بيئة تغلب عليها الثقافة التقليدية.

(نزل ذلك لما هَمّ فقراء المهاجرين أن يتزوجوا بغايا المشركين وهن موسرات لينفقن عليهم)[1].

سبق أن أوضحنا ب البرهان أن من بين فقراء المهاجرين أصحاب أسماء لوامع ومنهم من غدا فى مقدم الشموس الساطعة، لأن المشركين المكاكوة لم يسمحوا لهم بأخذ شىء معهم عند نزوحهم لقرية الحرتين.

ول نتفرس فى الخبر. فقد ذكر الجلالان (فقراء المهاجرين) بصيغة الجمع والشمولية.

فلم يزبرا (بعض فقراء المهاجرين) أو (عدداً من فقراء المهاجرين) أو (شطراً من فقراء المهاجرين).

القاضى البيضاوى الإمام ناصر الدين أبو الخير عبدالله ثبت الخبر

(الآية نزلت فى ضعفة المهاجرين لما هموا أن يتزوجوا بغايا يكرين أنفسهن ل ينفقن عليهم من أكسابهن على عادة الجاهلية)[2].

بداية: الضعيف تطلق على الفقير والمملوك والمرأة، والضعفان بالمعنى ذاته وهى جمع.

إذن ضعفة المهاجرين: فقراء النازحين ومحاويجهم ومعوزوهم.

---

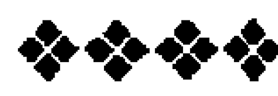
١ - (تفسير الجلالين) ص٢٩٢ - مصدر سابق.

٢ - (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) ص ٤٦٣ سابق.

المفسر البيضاوى ذكرها ب إطلاق دون تبعيض أو تجزىء.

وأثره أوسع تبيينا إذ كشف عن العلة: لينفقن عليهم، ومعلومة أخرى وهبها لنا مشكورا: (على عادة الجاهلية).

أى هو أمر معروف لديهم وليس منكرا أو مستنكرا أو مستهجنا وهذا يؤيد ما ذكرناه عن استحالة إقدام الواحد منهم عليه والهم به والشروع فيه لو أن مجتمعه ينفر منه أو يزدريه ويحتقر من يمارسه.



(قال مجاهد وعطاء بن أبى رباح وقتادة: قدم المهاجرون وفيهم فقراء ليس لهم أموال ولا عشائر وبالمدينة نساء بغايا يكرين أنفسهن وهن يومئذ أخصب أهل المدينة، ولكل واحدة منهن علامة كعلامة البيطار، أنها زانية، وكان لا يدخل عليها إلا زان مشرك، فرغب فى كسبهن ناس من فقراء المسلمين، قالوا نتزوج بهن إلى أن يغنينا الله عنهن فاستاذنوا رسول الله ﷺ ف نزلت هذه الآية[1].

الخبر المرقوم رواه مجاهد وعطاء بن أبى رباح وقتادة وهم من سادة التابعين الكبار ومثلهم لا يتصورأن ينقل أثرا ضعيفا أو مجروحا ولا نقول ملفقا.

حمله كتاب (مفاتيح الغيب) وهو من أجل التفاسير وصاحبه هو الإمام فخر الدين الرازى من الأئمة الأعلام.

إذن هو صحيح لا شائبة فيه ولا مطعن عليه ولا قدح يلحقه.

وعباراته تقطع بأن الحضيض (الدافع) عليه هو الرغبة فى كسب العواهر ف حسب ونفحنا بمعلومة طريقة هى أن القحاب وأبن على اتخاذ علامة مثل علامة البيطار ل يعرفن ول إرشاد الزانين إلى بيوتهن.

---

١ ـ (مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير) ل الإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازى ٥٤٤ ـ ٦٠٦هـ ـ المجلد الحادى عشر ـ ص ٤٥٣ ـ ٤٥٤ ـ مصدر سابق.

هذه المعلومة تساعد علماء الاجتماع على تحليل ذياك المجتمع تحليلا موضوعيا وتقييمه تقييما صحيحا يعاضد المفسر على تفسير النصوص التأسيسية المقدسة، وعلى فهمها على الأوجه الأمثل.

بلغت الجراءة ب أولئك (الناس) أن يتوجهوا ل (متمم مكارم الأخلاق) كيما يأذن لهم بنكاح هاته البغايا، ولا أدرى كيف دار ب خلدهم أو طاف ب بالهم واعتمل فى قلوبهم وحاك فى صدورهم أنه سيوافق، ألا يدل هذا على أنهم يجهلونه؟.



الأزمة التى طقطقت (= فرقعت أو سمع لما صوت ذو دوى) بين صفوف النزحة أو بين الفقراء والضعفانين منهم لها دوافع اقتصادية وبيولوجية وعاطفية.

إذ ليس لهم موارد رزق يقتاتون منها ولا مساكن يأوون إليها. وبين جوانحهم غريزة ملتهبة تمسك ب مخانقهم كيما يرووا ظمأهم المتأجج.. ويبغون مثل إخوانهم تأسيس أسرة: زوجة يلقون لديها المودة وأولاد يلاعبونهم، ف هداهم حسهم الغليظ - إن صح أنه يهدى - وأفقهم الضيق وعقلهم العبيط «الساذج» إلى فكرة الزواج بالزوانى إذ سيوفر لهم كل هذه الرغائب.

وفقراء النزحة - كما رفعنا الستار عن حقيقة توصيفهم - هم الأجناد الأوفياء وأعضاء كتيبة الحراسة وأفراد سرية الطوارئ والملبون لأول هيعة والمستجيبون لأول صيحة والمسارعون لأى استغفار.

فمثلهم لا يرد بعنف ولا يصد بقساوة ولا يصك بغلظة ولا يصت بشراسة وكما هو متبع: لا يدع (أحسن الحديث/ القرآن المجيد).. (سيد الناس وذؤابة العرب) يواجه الموقف الحساس دون مؤازرة:

فإما أن يُغضب شطرا مفرشحا من عسكره عندما يسفه

مراغبهم. وإما أن يلبى طِلابهم ويوافق على النزوة الحمقاء الرعناء التى ارتفعت كالنبت الشيطانى فى أدمغتهم الصعلاء[1]والتى تنافى المبادئ السامية وتناقض القيم الرفيعة وتعارض الأخلاق العالية التى نادى بها. وكثيرا ما علمهم أنه ما جاء إلا ليتمم مكارم الأخلاق.

إذن لا مشاحة فى ضرورة أن تتلألأ منه (الحبل المتين/ القرآن) آية كريمة توضح للصحاب عموما ول كل ضعفان من النازحين أن نكاح الزوانى وزواج العواهر ومباعلة القحاب عمل فسيد وسلوك طَفِس وتصرف ممجوج لا يليق ب المؤمن.

قد يفعله المشرك ويقدم عليه الكافر ويقبله الزانى ويرتكبه الفاسق إنما هو على المؤمنين والتبع المخلصين حرام قطعا. ارتدع فقراء النزاحة وخنسوا وتنازلوا عن طلبتهم الدنسة إذ علموا أن التحريم أو النهى أو الحظر لم يأت به (الظفور) إنما سفرت به آية من (الفرقان/ القرآن) الذى تعنو له جباههم.

بذا اتحفتنا الآية الثالثة من سورة النور ب برهان إضافى على أنه فى علاقة جدلية متجددة الحيوية بالغة النشاط، شديد الآده[2].

وأنه متين الآصرة ب المخاطبين (بفتح الطاء) به لا يغفل وحاشاه أن يفعل عن جميع شئونهم لا يتباعد عنها أو ينفصل بل هو حميم القرب منهم.



نوع آخر من ضروب الحصول على الدخول الريعية التى تأتى دون بذل نقطة عرق:

الاستيلاء على مهر البنت.

«وآتو النساء صدقاتهن» أى مهورهن.. قيل الخطاب ل الأولياء لأن

١ ـ الصَعْلاء أى الصغيرة وفى حديث أم معبد صاحبة الخيمة وهى تصف (ولد يعرب بن يشجب): ولم تزر به صعلة «بضم الصاد وسكون العين» ا. هـ.
٢ ـ الآده ـ هى القوة ـ من «القاموس المحيط» ل الفيروز آبادى.

العرب كانت فى الجاهلية لا تعطى البنات من مهورهن شيئا ولذلك كانوا يقولون لمن ولدت له ابنة: هنيئا لك النافجة يعنون أنك تأخذ مهرها إبلا فتضمها إلى إبلك فتنفج مالك أى تعظم)[١].

من المعلومة - الاجتماعية - التى نفحنا بها القمى النيسابورى اعتبر أولئك العربان أن نهب صداق الابنة عمل طيب يستحق التهنئة والمهر عبارة عن إبل. وهو الأصل فى تسميته ب ال (سياق) لأن الإبل تساق إلى بيت (خباء) خيمة العروس.

(ساق إلى المرأة مهرها سياقا أى أرسله، والسياق ك كتاب: المهر)[٢].

وعند الزمخشرى: (ومن المجاز: ساق إليه خبرا وساق إليها المهر، وأردت هذه الدار بثمن، فساقها الله بلا ثمن)[٣].

المعنى من منظور المجاز: أن المهر وصل إلى ولى من عُقد عليها كأنه رزق هبط عليه من السماء كما أن سوق الإبل (المهر) هو المنظور المادى أو العينى.

ويؤكد المقرى الفيومى إطلاق كلمة السياق على الصداق (ساق الصداق إلى امرأته أى حمله إليها)[٤].

وعند مجمع اللغة العربية:

(ساق المهر إلى المرأة: أرسله وحمله إليها.. وساق فلانا ماشية = ملكه إياها)[٥].

لعل القارئ لاحظ أن (فلانا) فى الجملة (مفعول به) أى ساق الماشية إلى فلان، كذا ربط التعريف بين سوق (المهر) وسوق

١ - (غرائب القرآن) ل القمى النيسابورى - المجلد الثالث ص ٤٨٣ - سابق
٢ - (القاموس المحيط) ل الفيروز آبادى.
٣ - (أساس البلاغة) الأول.
٤ - (المصباح المنير).
٥ - (المعجم الوسيط) الجزء الأول.

(الماشية)، أو على الأقل أوردهما فى مجال واحد، لأن السياق فى الأصل التاريخى هو الماشية ثم تطور إلى نقود وسمى ب صداق ومهر.

نخرج من هذه الفرشة اللغوية أن العربى وقت ذاك يعتبر الماشية التى سيقت إليه مهرا ل ابنته: خيرا ساقه الله إليه، وغنيمة من حقه الاستحواذ عليها.



من البديهى أن نرقم أن العرف الاجتماعى الذميم استمر بعد الإسلام وهو يؤكد ما ذكرناه أن الأنساق الاجتماعية من المحال أن تتغير ب مجرد المواعظ والخطب وأنها تظل كامنة فى أعماق الفرد حتى غبّ اكتسابه ثقافة جديدة مهما بلغت من السمو والرقى والامتياز.

(أخرج ابن أبى حاتم عن أبى صالح قال: كان الرجل إذا زوج ابنته أخذ صداقها دونها فنهاهم الله عن ذلك فأنزل: «وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن لكم عن شىء منه نفسا فكلوه هنيئا مرئيا». الآية الرابعة من سورة النساء)[1].

يقول القاضى البيضاوى (والخطاب للأزواج والأولياء لأنهم كانوا يأخذون مهور مولياتهم)[2] عند تفسيره ل سورة النساء.

ويبين لنا شيخ المفسرين ما درجوا عليه:

(عن أبى صالح قال: كان الرجل إذا زوج أيمه أخذ صداقها دونها فنهاهم الله تبارك وتعالى عن ذلك ونزلت «وآتوا النساء» إلى آخر الآية)[3].

وفى هامش الصفحة شرح المحقق كلمة (أيمه) التى وردت فى

---

١ - (لباب النقول) ل السيوطى - ص ٢٨ - سابق.
٢ - (أنوار التنزيل وأسرار التأويل).
٣ - (تفسير الطبرى) الجزء السابع - ص ٥٥٣ - سابق.

المتن:

(امـرأة أيّم ورجل أيّم، وهى من النسـاء لا زوج لهـا بكرا كـانت أو ثيبا ا. هـ).

ويؤكد أبو جعفر ابن جرير الطبرى فى موضع آخر العرف الخبيث ورسوخه فى مجتمعهم: «وآتوا النساء صدقاتهن نحلة» أولياء النساء وذلك أنهم كانوا يأخذون صدقاتهن[١].

بيد أنه أطلعنا على صورة أخرى متفرعة عن الأصل وهى أنه: (كـان ذلك من أوليـاء الناس بأن يعطى الرجل أختـه لرجل على أن يعطيه الآخر أخته على ألا كثير مهر بينهما، فنُهوا عن ذلك)[٢].

أى أن الأمر لم يقتصر على اغتيال مهر الوليد أو البنت بل تعداه إلى هبش[٣].

ثم أردفه ب أثر آخر يدعّمه فى الصفحة التالية برواية مشاكلة (مماثلة):

(حدثنا محمد بن عبدالأعلى، قال حدثنا المعتمد بن سليمان، عن أبيه قال: زعم حضرمى أن أناسا كانوا يعطى هذا الرجل أخته ويأخذ أخت الرجل ولا يأخذون كثير مهر فقال الله تبارك وتعالى «وآتو النساء صدقاتهن نحلة»)[٤].

صحيح أنه انضوى على عبارة (زعم حضرمى) ما يضّعفه، لأن (زعم) تعنى ظن. وتزاعما[٥] = تحادثا بمالا يوثق به من الحديث).

كما أن (حضرمى) مجهول.

---

١ ـ ذات المصدر والجزء والصفحة.
٢ ـ ذات المصدر والجزء والصفحة
٣ ـ الهبش = الجمع وهبشته = أصبته واهتبش منه عطاء = أصابه.
٤ـ من «القاموس المحيط» ل الفيروز آبادى. مهر الأخت.
٥ ـ ذات المصدر والجزء ـ ٥٥٤.
(المعجم الوسيط)

وعند الزمخشرى: «زعم فلان أن الأمر كيت وكيت زعما إذا شككت أنه حق أو باطل، وأكثر يستعمل فى الباطل»[1].

(وقال المرزوقى «زعم» أكثر ما يستعمل فيما كان باطلا، وقال ابن الفوطية - زعم زعما - قال خبرا لا يدرى أحق هو أو باطل.. وقال بعضهم هو كناية عن الكذب وقال الخطابى ولهذا قيل زعم مطية الكذب)[2].

والمرزوقى وابن الفوطية والخطابى من أهل اللغة.

بيد أن تبادل زواج الأخوات أو البنات بدون مهر نوع من النكاح عرفه العُريان قبل الإسلام ويطلق عليه «الشغار» واسمه كما يدل عليه أى الخلاء (من المهر/ الصداق) لأن شغر تعنى: خوى وصفر وفرغ من...

ثم حظره (أول من يفيق من الصعقة).

فى هامش الصفحة ٥٥٣ كتب محقق تفسير الطبرى وهو الشيخ محمود محمد شاكر: «وذلك هو الشغار/ شغار المتناكحين بغير مهر، ألا يضع وليته أو أيمه.

وكان ذلك من نكاح الجاهلية فنهى رسول الله ﷺ عنه»[3].

ونضيف أنه: ورد فى ثلاثة من الصحاح الستة.. أبى داود والترمذى والنسائى[4].

ووصفه المصنف بأنه: حديث صحيح.

وعرف (الشغار) بأنه: وهو أنه يزوجه ابنته أو أخته على أن يزوجه

---

١ - (أساس البلاغة) الأول.
٢ - (المصباح المنير) ل المقرى الفيومى.
٣ - (تفسير الطبرى) هامش ص ٥٥٣.
٤ - (جوامع الكلم من أحاديث سيد العرب والعجم) تجميع - صلاح الدين سيد التجانى - ص ٣٥١ طبعة مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٠ - الهيئة المصرية العامة للكتاب.

ابنته أو أخته[1] إذن غدا الخبر الذى ساقه الطبرى موثقا.

وبالتالى إذ إن هذا الضرب من حرمان الأيم حقها فى المهر واغتصابه ب معرفة وليها سواء الأب أو العم أو الأخ أو غيرهم، من أشكال الظلم البين، الذى حرص (المزمل) على رفعه وتطهير المجتمع منه، فقد أشرقت الآية الرابعة من سورة النساء تأمر الأولياء بإيتاء الأيامى (النساء) مهورهن نحلة أى عن طيب نفس ورضا فهدأ بال (الذى جعلت له الأرض مسجدا) وانشرح صدره ومن رجا آخر سرت وانبسطت النسون بعودة حقهن إليهن.

وعلى طول المدى يؤكد (المهيمن/ القرآن) قربه القريب ممن يوجه إليهم الخطاب وعدم انفصامه عنهم. أو غربته عن واقعهم.



٦- أخيرا أصبح نكاح المتعة.. جريمة[2]

هاجس معافسة (امتطاء) المرة لا يفارق الواحد من أولئك الأعاريب لا فى ظعنه أوعدنه ولا فى سفره أو إقامته ولا ترحاله أو حله ولا فى البادية أو الحاضرة.

لدرجة أن تقول - دون مبالغة - إنه شغله الشاغل وهمه المقيم وعزمه المستديم وعقد قلبه الذى لا يريم، إذا ارتحل وغادر خباءه ومضرب قبيلته إلى بلدة أخرى فأول ما يفعله هو أن يُنبّش[3] عن امرأة عزب يطفى فيها شهوته الملتهبة وإذ إنها تماثله فى العرامة وتشاكله فى التأجج وتماثله فى الاشتداد وفى الرغبة فى التموضع تحته فإنها تقبل أى أجر يقدمه: نعل، مال، إزار.. إلخ.

لا تهمها القيمة بل التماسّ به فحسب.

ويتفقان على مدة معينة غالبا فترة إقامته فى مضرب قبيلتها.

---

١ - السابق - ص٢٥٩.
٢ - الجريمة: ما فات من كل مطموع فيه، من (المعجم الوسيط).
٣ - (كلمة عربية صحيحة أى يفتش أو يبحث)

بعدها يتركها دون أى التزام عليها ولا أى حق لها قبله.

أطلقوا على هذا الضرب من التلاقى زواج أو نكاح المتعة:

(كان الرجل يقدم البلدة ليس له بها معرفة فيتزوج المرأة يقدر ما يرى أن يقيم فتحفظ له متاعه وتصلح له شأنه)[1].

استمر هذا النسق الاجتماعى حتى بعد أن أشرق الإسلام وسطع نوره وإذ إن الصحبة الميمونة تعودوا عليه فعند خروجهم فى الغزوات والسرايا والمهام الخاصة يفعلونه ف يعقدون على أيامى عقود نكاح متعة. يستمتعن بهن والبائسات يجدن فيه عوضا عن أيام الشَرَق والتحاريق التى اكتوين ب لظاها إبان العزوبة. ومن سيرة (العين) العاطرة علمنا أن يحوز ب جدارة على الشمائل الممتازة الفريدة ومنها الحنكة البالغة والحصافة الفاذّة والحكمة العميقة.

رأى ب ثاقب نظره ونافذ بصيرته وسعة أفقه وسداد رأيه أنه لو حظر (نكاح المتعة) لضاقت نفوس تُبّاعه وحَصِرت صدورهم وزمجروا.

وترتيبا على جماعه يتقاعسون عن الخروج ويخنسون عن الانخراط فى صفوف الجيش ويتباطأون عن القتال. وهذا لا يدخل فى باب الفطانة ولا يلج نهج الزكانة ولا يُعَدّ من الفقاهة. ف دولة بنى سخينة وليد مازالت تحبو والديانة فى بدئ أمرها وأول طورها ومفتتح شأنها.

وهناك الكثير مما يتعين القيام عليه ويلزم الإتيان به ويتوجب إنجازه ولا يتم شىء بغيرهم ف تركوا وشأنهم:

(أخرج الترمذى عن ابن عباس قال: إنما كانت المتعة فى أول الإسلام)[2].

---

١ - (نهاية السؤال فيما استدرك على الواحدى والسيوطى من أسباب النزول) ل الشيخ ابن عمر نادى الأزهرى - ص ١٦٣ - الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ ١٩٩٥م - دار الصحابة ل التراث طنطا - مصر.

٢ - (ذات المرجع والصفحة).

والترمذى صاحب واحد من الصحاح الستة التى تعتبر مقدم كتب السنة أو الحديث المحمدى الشريف.

(... عن قيس عن عبدالله - رضى الله عنه - قال: كنا نغزو مع النبى ﷺ وليس معنا نساء فقلنا ألا نختصى فنهانا عن ذلك فرخص لنا بعد ذلك أن نتزوج المرأة ب الثوب ثم قرأ: «يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم» (المائدة ٨٧)[١].

يؤيد القرطبى تحليل زواج المتعة فى مبدأ الإسلام:

(وقد كان للمتعة فى التحليل والتحريم أحوال، فمن ذلك أنها كانت مباحة ثم حرمها رسول الله ﷺ زمن خيبر ثم حللها فى غزاة الفتح ثم حرمها بعد قالة ابن جرير منداد من أصحابنا وغيره، وإليه أشار ابن العربى)[٢].

ولسنا ب صدد بحث عن (نكاح المتعة) إنما الثابت مما أورده القرطبى أن التحريم النهائى جاء بعد (غزاة الفتح).

أى فتح مكة المسمى بـ (فتح الفتوح) إذ أصبحت دولة قريش الحاكمة المطلقة على شبه الجزيرة وغدا قائدها (سيد الناس)

كما هيمن الإسلام على ربوعها إلا بعض الجيوب القبلية تم القضاء عليها ودخلت فيه وأنوفها راغمة.

فى ذياك الظرف ب الضرورة خَفَتَ صوت العسكر ولم تعد لهم طاقة على الزمجرة ولا نرقم المعارضة.

هنا أضاءت ب نورها الباهر الآية السادسة من سورة (المؤمنون):

(إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم).

وفبها كما قال عبدالله بن عباس:

(فكل فرج سواهما حرام)[٣].

١ - (صحيح البخارى) - الجزء الخامس - ص٦٦ - طبعة ١٣٧٨ هـ طبعة دار الشعب ب القاهرة
٢ - (تفسير القرطبى) المجلد السابع ص ٤٤٩٨ - مصدر سبق أن ذكرناه.
٣ - (نهاية السول) ل أبى عمر نادى الأزهرى - ص ١٦٣ - سابق.

ويعنى ب سواهما : الأزواج وملك اليمين.

ومما له دلالة فى هذه الخصوصية أن الآية هلّت مفتوحة. بيد أن النزعة الذكورية كما هى العادة هيمنت على المفسرين وحجّروا النص بدون مسوغ حتى ولو أفتى به العدوى ابن الخطاب بأن قصروا الحق على الزوج الذكر فى ملك اليمن أى أن له أن ينكح الجوارى والإماء كما يحلو له.

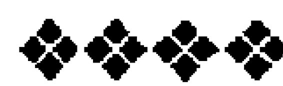
أما الزوجة فـ لا.

ليس لها أن تنكح مملوكها أو تتسرر به طبعا إلا إذا اعتقته فصار حرا. وإن فعلت عدّوها زانية تستحق الرجم عند إحصانها من قبل (سبق زواجها) أو جلدها إذا علموها بكرا.

تفرقة لا مبرر لها إلا سيطرة المنحى الذكورى، إذ إن نص الآية لا يبيحها، ومن رجا آخر: توثّق مذهبنا : أن انفتاح النصوص التأسيسية المقدسة سكّره[1].

الذين تولوا تفسيره وتحكمت فيهم رغبات واتجاهات شتى.

لو أبيح ل المرة أن تتسرى ب عبدها كالرجل بأمته ألا دَلّ على سماحة الإسلام وإصراره على مساواتها ب الذكر والعكس صحيح؟ هكذا أساء أولئك المتشددون إليه.



ثم نؤوب إلى مساق التنقير والتنقيب.

نأتى بما خطّه كبار المفسرين التراثيين حسب سبقهم فى التاريخ لا فى المكانة إذ لكل منهم مقام محمود:

١ ـ الإمام أبو بكر الجصاص ـ الفقيه الحنفى (ت ٣٧٠ هـ).

(عن ابن شهاب (أى الزهرى).. عن ابن عمر أنه سئل عن المتعة

---

١ ـ سكره تسكيرا: خنقه (القاموس المحيط).

فقال: ذلك السفاح. وعن هشام بن عروة عن أبيه قال: كان نكاح المتعة بمنزلة الزنا.

فإن قيل: لا يجوز أن تكون المتعة زنا لأنه لم يختلف أن المتعة قد كانت مباحة فى بعض الأوقات أباحها رسول الله ﷺ ولم يبح الله تعالى زنا قط، قيل له: لم تكن زنا فكما حرمها الله تعالى جاز إطلاق الزنا عليها[١].

وعند تفسيره ـ استنباط الأحكام ـ ل سورة المؤمنون زبر حجة الإسلام الجصاص ما يلى:

«فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون» يقتضى تحريم نكاح المتعة إذ ليست ب زوجة ولا مملوكة)[٢].

٢ ـ الإمام الفقيه ـ عماد الدين محمد الطبرى ـ المعروف ب الكيا الهراسى ـ (ت ٥٠٤هـ):

فى تناوله ل الآيتين الخامسة والسادسة من سورة المؤمنون رقم (يقتضى تحريم المتعة إذ ليست ب زوجة ولا مملوكة)[٣].

٣ – القاضى أبو بكر محمد بن عبدالله ـ المعروف ب ابن العربى (٤٦٨ ـ ٥٤٣هـ):

(.... وإن قلنا بالحق الذى أجمعت عليها (صحتها عليه) الأمة من تحريم نكاح المتعة لما كانت زوجة فلم تدخل فى الآية وبقيت على أصل حفظ الفرج وتحريمه (من) بسببها[٤].

٤ – الإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازى (٥٤٤ ـ ٦٠٦هـ):

(السؤال الثالث: هذه الآية تدل على تحريم المتعة على ما يروى

١ ـ (أحكام القرآن) ـ باب المتعة ـ المجلد الثانى ـ د. ت. ن ـ دار الفكر ـ دون ذكر المدينة.
٢ ـ المصدر السابق ـ المجلد الثالث ـ ص ٢٥٣.
٣ ـ (أحكام القرآن) ـ المجلد الثانى ٣/٤ ـ ص ٢٨٥د. ت.ن دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان.
٤ ـ (أحكام القرآن) ـ سورة المؤمنون ـ المجلد الثالث ـ ص١٣١١ ـ تحقيق على محمد البجاوى ـ ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م ـ دار المعرفة ـ دار الجبل ـ بيروت ـ لبنان.

عن القاسم بن محمد؟

الجواب: نعم وتقريره أنها ليست زوجة ف وجب ألا تحل له.

وإنما قلنا إنها ليست زوجة لأنهما لا يتوارثان ب إجماع ولو كانت زوجة لحصل التوارث[1].



كوكبة لامعة من القُلل العوالى من السلف من أعلام المفسرين والفقهاء أطبقوا على أن الآية السادسة من سورة المؤمنون أجهزت تماما على حلية (نكاح المتعة).

ومشى فى ركبهم الشيخ عبدالحميد كشك وهو من المفسرين المحدثين فأورد:

(.... فأولئك هم المعتدون المتجاوزون وعلى ذلك حرم نكاح المتعة)[2].

إن تحليله وتحريمه وتحليله.. إلخ من قبل (الصادق المصدوق) يقطع بأنه دأب على أن ينظر إليه شزرا ويمجّه ولا ترتاح نفسه الشريفة إليه.

ف أقبلت الآية الكريمة ك الشمس المشرقة فى رابعة النهار من (البصائر/القرآن) ترفع عن صدره الهم وتزيل من نفسه الضيق وتزيح عن قلبه الغم وتحرم نكاح المتعة إلى الأبد.

ويرضخ التبع لما أمرت به وبعدها لم يفكروا فيه ولم يخطر لهم على بال ولم يرد لهم فى حلم.

لعل ما ساعدهم كثرة السبايا نتاج الغزوات والسرايا.

---

١ - (مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير) - المجلد الحادى عشر - عند تفسيره ل سورة المؤمنون - ص ٣٤٨ د. ت. ن - دار الغد العربى - القاهرة.

٢ - (فى رحاب التفسير) - الجزء الثامن عشر - سورة المؤمنون - ص ٢٧١٠ - ١٩٨٩ - ١٤١٠هـ - المكتب المصرى الحديث -القاهرة.

ثم تضاعفت أعدادهن إلى العشرات بل المئات وربما الألوف.

نتيجة ل الغزو الاستيطانى النهبوى الاستعمارى الاستنزافى الذى قاموا به - دون سند من (البلاغ/القرآن الكريم) أو السنة المحمدية المطهرة.

لم يقف أثر الآية السادسة عند هذه النتيجة الرائعة.

فلها أخرى:

إثبات أن (المبين/القرآن) له آصرة شديدة الأسر ب الواقع ووشيجة متينة ب مجريات الحياة وعلاقة وطيدة ب الفاعلين الاجتماعيين.

وبذا صتت المتحذلقين الذين ينادون ب انفصام آياته الكريمات وتحليقها فى فضاء التجريد.



٧ - كتمان الشهادة جزاؤه الآثام

مقدم الآباء المؤسسين لعلم تفسير القرآن الكريم: ابن جرير الطبرى:

(أخرج: قال حدثت عن عمارة حدثنا ابن جعفر عن أبيه عن الربيع: فى قوله «ولا يأبى الشهداء إذا ما دعوا» قال: كان الرجل يطوف فى القوم الكثير يدعوهم ليشهدوا فلا يتبعه أحد منهم، فأنزل الله عز وجل «ولا يأبى الشهداء إذا ما دعوا» وهى الآية الثانية والثمانون بعد المائتين من سورة البقرة[1].

أيد الألوسى هذه الحقيقة التاريخية ورواها بنصها (عن الربيع)[2] إذ وجد بعض التبع إذا ما طلب منه أداء الشهادة نكل وخَنَس، على

١ - (تفسير الطبرى) ٣ - ٨٤ - سابق.

٢ - (تفسير الألوسى - روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى) ل العلامة أبى الفضل شهاب الدين محمود الألوسى ١٢١٧هـ - ١٢٧٠ هـ تحقيق محمود الشرقاوى - الجزء الثالث - ص ٩٨ - الطبعة ١٤١٥م - ١٩٩٥ كتاب الشعب الدينى - القاهرة.

الرغم من أن (مقدم عترة الله) ما فتئ يعلمهم أن الساكت عن الحق شيطان أخرس.

(وقد روى عن ابن عباس والحسن البصرى: أنها نعم الحالين: التحمل والأداء)[1] والتحمل هو قبول حمل الشهادة. ا. هـ.

بل إن (الهادى البشير) حث صحابته على التطوع بالشهادة: تحملا وأداء.

(فى صحيح مسلم والسنن.. أن رسول الله ﷺ قال: ألا أخبركم بخير الشهداء؟ الذى يأتى بشهادته قبل أن يسألها»)[2].

إن ما ورد لدى الطبرى ثم الألوسى خاصة جملة (كان الرجل يطوف فى القوم الكثير، ف لا يتابعه أحد) يشعر بأن هذا المرض الاجتماعى متجذر ومنتشر.

والظاهر أنه استمر فى مسيله رغم أحاديث الترغيب والترهيب التى وعظهم بها ابن العوانك من سليم) هنا أدرك ب نافذ بصيرته وثاقب نظره وواسع أفقه أن هذا الداء الوبيل سوف يفرز نتائج وخيمة وعواقب فسيدة وآثارا سيئة.

إذ إن كلمة الحق إذا لم ينطق بها فى مضمار الشهادة ولم تطرح فى مجلس التقاضى ولم تواجه بها السلطة ف إنها ستؤدى بطريق الحتم واللزوم إلى تحلل المجتمع وترديه وتفسخه.

أهمّ ذلك (من لا تحل ل آله الصدقة) وعبأ صدره الشريف ب القلق وشحن نفسه الكريمة ب الغم وملأ قلبه الرقيق ب الكدر.

وكيف يذر (العجب = القرآن) (أعرب العرب) فى تلك الحالة فريدا.

لابد أن تتلألأ آيتان مجيدتان فيهما المخرج من الزناق والفرج من

---

١ - (تفسير القرآن العظيم) ل ابن كثير عند تفسيره ل الآية ٢٨٢/البقرة - المجلد الأول - ص ٤٩٨ مصدر سابق.

٢ - ذات المصدر والصفحة.

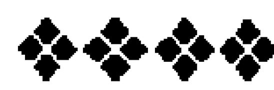
الشدة والفتح فى هذه العتمة، أرسلت الآية الثانية والثمانون بعد المائتين من سورة البقرة - هى أطول آية فى (أحسن الحديث/ القرآن) وتسمى آية المداينة أو الدين - أشعتها الثاقبة الباهرة ف تجهز على الظلمة وتبدد قوامها تأمر الأتباع بتحمل الشهادة والكف عن الزوغان[1].

والآية المصلية ٢٨٣ تشدد عن النكول عن أداء الشهادة وتصف من يفعله ب القلب الآثم والفؤاد المذنب واللب الخاطئ.

وعلى الفور لا على الريث أدرك النفر المتقاعسون عن تحمل الشهادة والكاتمون لها والرافضون ل تقديمها غلطهم ف عدلوا عن موقفهم الوبىء وعزموا على ألا يعودوا له ف انزاح عن (صاحب الأمة الأمية التى لا تكتب ولا تحسب) ما اكتنفه من مشاعر خشنة وأحاسيس ساخنة سببتها لديه مسلكيات أولئك الصحاب.

قامت إذن الآيتان (٢٨٢) و(٢٨٣) من سورة البقرة بدور فعال فى تصفية أخلاقهم من الأوشاب التى علقت بها والكدورات التى اختلطت بها والشوائب التى مازجتها، وشكلتا قطعة عزيزة من نسيج العلاقة الجدلية التى بين (الحق = القرآن) والمجتمع الذى وجه خطابه المحكم إليه.

والتى (= العلاقة) التى تبين علة تنجيمه، ب خلاف الكتابين اللذين سبقاه زمانا لا رتبة وتاريخا لا درجة والذى هو (= التنجيم) فى ذات الوقت نوط الامتياز وعلامة السمو وشارة التفوق عليهما معا.



ونختم هذه الفقرة بملحظ على قدر بالغ من الأهمية:

قد يعترض أحدهم أن الآية ٢٨٣ من سورة البقرة على وجه

---

١ - (كلمة عربية صحيحة).

الخصوص قد وردت ب شأن المداينة فحسب.

ونرد عليه ب الآتى:

١ - إنكم تقولون ب قاعدة (العبرة ب عموم اللفظ لا ب خصوص السبب) ولو أننا لا نوافق عليها، إنما نسطرها ل نحاجكم بها.

ف إذا انسحبت على هذه الآية المجيدة ف لا يحق لكم الاعتراض ل أنكم ب ذلك تناقضون أنفسكم.

٢ - الأثر الذى رقمه شيخ المفسرين ثم تبعه فيه الألوسى يدل على العمومية.

٣ - الآية ٢٨٣ جاءت لاحقة ل آية الدين أو آية المداينة ٢٨٢ ولو أنها مكملة لها. بيد أن هذا لا ينفى استقلالها.

و(الشفاء/القرآن) لو أرادهما آية واحدة ما أعجزه ذلك.

إذن فصلهما عن بعضهما وجعلهما آيتين جاء لحكمة عميقة هى شمولية وعمومية النهى الصارم والوعيد الشديد عن كتمان الشهادة على أى حال وفى أى وقت.

- هذا هو الباعث الدافع على هلّ الآية بعد أن استشرى مرض النكول عن الشهادة والامتناع عن أدائها فى أى ظرف ولدى أية نازلة عند الشهود على واقعة.

٤ - أيد كبير الآباء المؤسسين ل علم التفسير عمومية النص:

(عن الربيع فى قوله «ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه».. فلا يحل ل أحد أن يكتم شهادة هى عنده وإن كانت على نفسه والوالدين ومن يكتمها فقد ركب إثما عظيما»[1].

و(عن ابن عباس قال: أكبر الكبائر الإشراك بالله لأن الله يقول: «إنه من يشرك بالله فقد حرم عليه الجنة ومأواه النار» سورة المائدة ٧٢، وشهادة الزور وكتمان الشهادة، لأن الله عز وجل يقول: «ومن

---

١ - (تفسير الطبرى) - تفسير سورة البقرة ١٨٣ - الجزء السادس ص ٩٩ مصدر سابق.

يكتمها فإنه آثم قلبه[1].

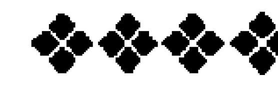


التعنيف الشديد للصحبة الذين قتلوا مسلمين مثلهم للحصول على غنيماتهم أو متاعهم القليل أو الكثير:

بلغت معاناة (دار الحكمة/ محمد) الذروة ووصلت إلى القُلة وانتهت إلى ختام الشوط عندما طفق بعض صحابته يقدم على اغتيال نفر من تبعه إخوتهم فى العقيدة حتى بعد أن يُعلموهم بذلك بطرائق تتم عن إصرار وبأعصاب باردة من أجل غنيمة[2] أو متاع قليل أو جمل أحمر.. إلخ.

تكررت الحوادث وتعددت وتراكمت ل درجة الخشية أن تنقلب إلى ظاهرة. حقيقة أن (المحمود) ينقه تماما أن الصحاب عاشوا فى مجتمع يشكل فيه النهب والسلب والاحتياز على الغنائم بأى صورة موردا رئيسيا لدخولهم.

ف الرجال فى ذياك الوسط يأنفون من الزراعة ويحتقرون الصناعة وأصحاب رءوس المال فيهم نادرون، ف ما أسهل أن تجتمع فرقة منهم ضاقت أمامها سبل العيش فتقرر مهاجمة القبيلة المجاورة، وفى غبش الصبح وهم نائمون حتى تنعدم فرصتهم فى المقاومة ويتعذر عليهم التصدى لهم ويصعب عليهم الوقوف فى وجههم، ينهب المهاجمون مما تصل إليه أيديهم الخطافة ثم يسرعون عائدين إلى مضاربهم، ويقتاتون من حصيلة ما سلبوه حتى ينفد ويبدأ الجوع يعضهم فيرجعون إلى الإغارة مرة أخرى وهكذا دواليك.



بمرور السنين غدا هذا العمل نسقا اجتماعيا/ اقتصاديا/ نفسيا/ يسم سلوكيات أولئك الأعاريب المتبدين بطابع الديمومة.

---

١ - المصدر السابق ص٩٩ - ١٠٠.

٢ - بضع غنمات وتقول العامة فى مصر وصفا لها (شوية معيز).

فلما اعتنقوا ديانة الإسلام واستمعوا إلى المبادئ السامية والقيم العالية والأخلاق الحميدة التى هى جميعها كما المسك الأذفر والتى طفق منذ اللحظة الأولى يبثها فيهم (الأمى/ الألمعى) حين التقاهم فاقتنعوا بها فى الظاهر وربما مصمصوا[1] شفاههم ولكنها لم تؤثر فيهم ب ما فيه الكفاية ولم تستطع أن تزحزح العادات الراسخة أو تخلخل الأعراف المتجذرة أو تفكك التقاليد الغائرة فى الأعماق ويأتى فى مقدمها إزهاق روح ابن آدم ب غاية السهولة فى مقابل عرض تافه.

تكرار النوازل على الشاكلة التى سنرقمها هو السبب الوحيد فى ضيق (سيد الناس) بل الذى فاقم سخطه هو أن من بين من فعلها أصحابا من ذوى الأسماء اللوامع وبعضهم تربطه بهم علاقة حميمة وآصرة وشيجة وصلة وثيقة.



الصورة النموذجية هو أن تخرج جوقة من الصحاب ـ وهو نفس ما تعودوا عليه فيما سلف ـ وفى عماية الصبح فى معظم الأحوال وهو ذات الوقت المختار المفضل للهجوم لأن العدو يغط فى نوم عميق ـ فيصحو أحد أفراد القبيلة المغدورة ويقابلهم ويسلم عليهم ب تحيتهم المعهودة ثم يعلن إسلامه بل ويتلو عليهم الشهادتين وهما شعار دينهم.

ولكن ل الأسف جماعه لا يشفع له ولا يجديه فتيلا فيصرعونه ويهبشون سائر ما معه حتى وإن خسّت قيمته ثم يعودون ب أوداج منتفخة يملؤهم الزهو ب الانتصار على أخيهم فى العقيدة واحتيازهم ماله الهزيل!!

يصل خبر الواقعة الدنيئة إلى (الرءوف الرحيم) إما مباشرة من المغوار الذى ارتكبها وإما عن طريق واحد أو أكثر من رفقائه.

---

١ ـ كلمة عربية فصيحة.

فيضيق صدره الشريف ويمتلأ قلبه الرقيق ب الغم وتشحن نفسه الكريمة ب الأسى، ويتأكد أن تعاليمه السامية ومواعظه البليغة ودروسه القيمة لم تأت ب الثمرة المرجوة، وأن النشأة التى ربى عليها أولئك التبع والوسط الذى ترعرعوا فيه وموجبات البيئة التى حاطت بهم مازالت مرسومة فى أعماقهم ومخبوءة فى حناياهم ومتغلغة فى جوانبهم.

اتباعا ل المنهج الذى التزمناه نستفتح ب :

أ- كتب: (أسباب النزول):

(حدثنا سفيان عن عمرو عن عطاء عن ابن عباس قال: لحق المسلمون رجلا فى غنم له فقال: السلام عليكم فقتلوه وأخذوا غنيمته فنزلت: «ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا » (= تلك الغنيمة) رواه البخارى عن على بن عبدالله ورواه مسلم عن أبى بكر بن أبى شيبة كلاهما عن سفيان»[١].

توافق البخارى ومسلم على تخريج الحديث وعن حديث مماثل خرجاه يقول شيخ من (علماء الأزهر):

(.. هذا الحديث رواه الإمامان الجليلان البخارى ومسلم فى صحيحيهما وهما من هما فى علو كعبهما فى التصحيح ومعرفتهما التامة ب الرجال والعلل ونظرهما الثاقب فى الكشف عن خفايا الأحاديث وعللها (ا. هـ .)[٢].

إذن الحديث المرقوم عاليه والذى أخرجه الشيخان، كل فى صحيحه، ينأى عن المطاعن، الرجل فى غنيمة له ف لحقوا به فأقرأهم أو بادأهم ب السلام ومع ذلك عمدوا إلى اغتياله طمعا فى غنيمته[٣].

---

١ – (أسباب النزول) ل الواحدى ص ١١٥ ـ مصدر سابق.

٢ ـ (دفاع عن السنة) ل محمد محمد أبو شهبة ـ ص ٩٢ ـ الكتاب الثانى ١٤٢٠ هـ ـ ١٩٩٩م من سلسلة البحوث الإسلامية ـ السنة الثلاثون ـ مجمع البحوث الإسلامية الأزهر ـ القاهرة.

٣ ـ أى بضع غنيمات ـ مصغر غنمة

وقد وصفها القرآن المجيد عرض الحياة الدنيا وهذا ينفحنا توصيفة واضحة عن بؤس أفراد ذيّاك المجتمع الذين اعتبروا (الغنيمة) من عرض الدنيا وتستحق قتل نفس مسلمة وحتى بعد إعلان صاحبها إسلامه.

ومع هذا مازال ذلك المجتمع (التحفة) يجثم بثقافته وقيمه وطروحاته على عقول وقلوب المسلمين منذ ١٤ قرنا.

(روى البخارى والترمذى والحاكم وغيره عن ابن عباس قال:

مر رجل من بنى سليم بنفر من أصحاب النبى - ص - وهو يسوق غنما له، فسلم عليهم فقالوا: ما سلم علينا إلا ليتعوذ منا فعمدوا إليه فقتلوه وأتوا بغنمه النبى ﷺ فنزلت «يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم....» الآية..[1]

الرجل المقتول مر على أولئك النفر الذين لم يتضح من النص أنهم فى سرية أو يؤدون أى عمل حربى ومع ذلك أجهزوا عليه حتى بعد أن حياهم ب تحية دينهم وعللوا فعلتهم النكراء ب أنه ما سلم إلا تعوذا كيما يبرروا سطوهم على غنمه.

(.. حدثنى بكر بن حارثة الجهنى قال: كنت فى سرية بعثها رسول الله فاقتتلنا نحن والمشركون، حملت على رجل من المشركين، فتعوذ منى بالإسلام فقتلته، فبلغ ذلك النبى - ص - فغضب وأقصانى فأوحى الله إليه (وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا) قال فرضى عنى وأدنانى)[2].

رغم أن (المتن) لم يذكر أن الرجل معه مال أو غنم أو جمل إنما يفهم من السياق.

إذ ما الدافع على قتله بعد أن تعوذ ب الإسلام؟

١ - (لباب النقول) ل السيوطى ص ٥٩ - مصدر سابق - كما هو واضح: خرج الحديث البخارى والترمذى من أصحاب الصحاح الستة والحاكم فى المستدرك وهو من أميز كتب الحديث رواية عن ابن عباس.

٢ - (نهاية السول) ل أبى عمر نادى الأزهرى - ص ١٠٦ - أخرجه أبو نعيم والدولابى وابن منده.

يوضح النص حالة (سيد ولد آدم) إثر إبلاغه ب الأمر (فغضب وأقصانى). ويعد أن انبجست الآية الكريمة كما النبع الصافى رضى عن القاتل وأدناه.



ب. التفاسير العوالى:

(عن عطاء عن ابن عباس قال: لحق أناس من المسلمين رجلا فى غنيمة له، فقال: السلام عليكم: فقتلوه وأخذوا تلك الغنيمة فنزلت هذه الآية: (ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا)= تلك الغنيمة)[1].

المسطور ب النص أن المعتدى عليه معه غنيمة وسبق لنا شرحها - والعلة الكامنة وراء نحره هى سرط (بلع) مواعزه وقد أوضحته الآية المجيدة (تبتغون عرض الحياة الدنيا).

(عن أبى الضحى عن مسروق: أن قوما من المسلمين لقوا رجلا من المشركين فى غنيمة له فقال (السلام عليكم إنى مؤمن) فظنوا أنه يتعوذ بذلك، فقتلوه وأخذوا غنيمته، قال: فأنزل الله جل وعز: «ولا تقولوا لمن ألقى.... » أى تلك الغنيمة).

هنا صرح الرجل المذبوح ذبح الشاة لهم أنه مؤمن بعد التسليم عليهم إنما لم ينجه من المصير المحتوم لأن الأمعز (المعيز) التى معه خلبت لبهم وأعمت بصيرتهم وسوغوا ل أنفسهم المتبدية والتى لم تغيرها التربية السامية التى لقنهم إياها (أول من يفيق من الصعقة) أنها حيلة منه أراد خداعهم بها ل ينفد ب جلده ويهرب ب معيزه.

(قال الحسن: إن أصحاب النبى - صلى الله عليه وسلم - خرجوا يتطرقون (= يبتغون طريقا يلقون فيه المشركين) فلقوا المشركين فهزموهم فشد منهم رجل من المسلمين وأراد متاعه، فلما غشيه بالسنان قال إنى مسلم فكذبه ثم أوجره بالسنان (طعنه بالسنان

١ - (تفسير الطبرى) الجزء التاسع - ص٧٥ - مصدر سابق.

وأدخله فى صدره) فقتله وأخذ متاعه، وكان قليلا، فرفع ذلك إلى النبى - صلى الله عليه وسلم - فقال قتلته بعد ما زعم أنه مسلم، قال: يا رسول الله إنما قالها متعوذا قال فهلا شققت عن قلبه؟ قال: لتنظر أصادق هو أم كاذب، قال: وكنت أعلم ذلك يا رسول الله، قال: ويلك أنك لم تكن تعلم ذلك إنما يبين عنه لسانه)[1].

متاع المسلم الذى أوقعه سوء بخته فى طريقهم قليل وقبلها أعلن لهم إسلامه أى أنه واحد منهم بيد أن جماعه لم يحجز عنه السنان الذى نفذ فى صدره حتى مات، هذه عينة من الفاعلين الاجتماعيين فى المجتمع الذى مازال البعض ينادى ب مثاليته!! وأن تاريخ البشرية لم ير أعظم منه ويعمل (= البعض المذكور) على إعادته!! والخبر يرفع لنا الستار عن الحروجة النفسية التى غشيت (الظفور) بعد علمه ب العمل الفاحش ويبين ذلك من المناقشة الحادة التى دارت بينه وبين أبى الفوارس الذى زج برمحه أو سيفه فى صدر ضحيته والمستلب ل متاعه القليل ورده العنيف عليه (ويلك أنك لم تكن تعلم ذلك) أى دعا عليه ب العذاب والثبور ونفى ذريعة (التعوذ) وأرسى قاعدة رائعة مضيئة هى أن النطق اللسانى يكفى ل قبول الإسلام.

إلى أى مدى كابد (أبو القاسم) من آلام معنوية ألحقتها به سلوكيات هؤلاء!!



أسماء بعض الصحاب الذين لامهم (عين العز) على فعلها:

- أسامة بن زيد بن حارثة:

أ - من كتب أسباب النزول:

أولا: (أخرج الثعلبى من طريق الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس ان اسم المقتول مرداس ابن نهيك من أهل فدك وأن اسم القاتل أسامة بن زيد، وأن اسم أمير السرية غالب بن فضالة الليثى، وأن قوم مرداس لما انهزموا بقى هو وحده، وكأن الجأ غنمه بجبل،

---

١ - (غرائب القرآن) ل القمى النيسابورى - المجلد الرابع ص ٧٦ - مصدر سابق.

فلما لحقوه قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله السلام عليكم، فقتله أسامة بن زيد، فلما رجعوا نزلت الآية)[1].

ترجع الرواية إلى عبدالله بن عباس وجاء بها اسم القتيل وأنه من أهل فدك وأن أسامة فى مهمة قتالية وأن المجنى عليه هو مرداس وأنه حياهم ب تحية الإسلام ونطق ب الشهادتين ومع ذلك كان أسامة وحده من بين من تتبعوه هو الذى أجهز عليه ولا شك بسبب غنمه التى ألجأها إلى شعب فى الجبل وبسببها انبثقت الآية.

ثانيا: (أخبرنا حصين قال: حدثنا أبو طبيان قال: سمعت أسامة بن زيد بن حارثة يحدث قال: بعثنا النبى ﷺ إلى حرقة بن جهينة، فصبحنا القوم فهزمناهم، قال ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلا منهم، فلما غشيناه قال: لا إله إلا الله، قال: فكف عنه الأنصارى فطعنته برمحى فقتلته، فلما قدمنا بلغ ذلك النبى ﷺ فقال: يا أسامة أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله؟ قلت: يا رسول الله إنما كان متعوذا، قال: أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله؟ قال: فمازال يكررها علىّ حتى تمنيت أنى لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم)[2].

فى هذا الأثر: أسامة هو الذى روى.

من ضمن سرية إلى حرقة بن جهينة وأنها صبحت القوم (فصبحنا القوم فهزمناهم) وهذا أمر طبيعى وأننا شرحناه ف لا مدعاة ل تكراره.

تعاضد هو وآخر من بنى قيلة على اللحوق ب الرجل الذى أعلن إسلامه مما دعا اليثربى إلى تركه والانصراف عنه أما أسامة ف لم يؤثر فيه وأنفذ فيه رمحه حتى فاضت روحه.

عندما أحيط (الرحمة المهداة) ب النازلة أفزعته وعنف ابن حارثة بشدة ولم يقبل تعلة التعوذ وأفهمه أنها لا تجوز وأن النطق بالشهادة

---

١ - (لباب النقول) ل السيوطى - ص ٦٠ - مصدر سابق.
٢ - (أسباب النزول) ل الواحدى - ص ١١٧ - مصدر سابق.

يدحضها ومن بالغ ألمه النفسى ظل يعيدها على مسامع أسامة حتى تمنى أنه لم يتابعه على الإسلام قبلها.

ثالثا: (قال السدى: بعث رسول الله ﷺ أسامة بن زيد على سرية، فلقى مرداس بن نهيك الضمرى فقتله، وكان من أهل فدك ولم يسلم من قومه غيره، وكان يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله ويسلم عليهم، قال أسامة: ف قدمت على رسول الله ﷺ أخبرته فقال: قتلت رجلا يقول: لا إله إلا الله، فقلت يا رسول الله إنما تعوّذ من القتل، فقال: كيف أنت إذا خاصمك يوم القيامة ب لا إله إلا الله؟ قال: فما زال يرددها علىّ: أقتلت رجلا يقول لا إله إلا الله؟ حتى تمنيت لو أن إسلامى كان يومئذ، فنزلت (إذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا - الآية)[1].

رواية أخرى نقلها إلينا الواحدى النيسابورى عن السدى. مفادها أن أسامة فى سرية.

وتؤكد أن المغدور هو مرداس من أهل فدك وأنه المسلم الوحيد بين قومه وأنه سلم على أفراد السرية وتلا الشهادتين وأن ابن حارثة هو الذى نقل خبرها إلى (المدثر المزمل) والموقف الشعورى له هو ذاته الذى حمله الخبر السابق وعقبها هلت الآية الكريمة.

٢ـ مصنفات (تفسير القرآن):

أولا: (عن السدى: بعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سرية عليها أسامة بن زيد إلى بنى ضمرة فلقوا رجلا منهم يدعى مرداس بن نهيك، معه غنيمة له وجمل أحمر، فلما رآهم أوى إلى كهف جبل وأتبعه أسامة، فلما بلغ مرداس الكهف وضع فيه غنمه ثم أقبل إليهم فقال: (السلام عليكم، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله) فشد عليه أسامة ف قتله من أجل جمله وغنيمته.

وكان النبى - صلى الله عليه وسلم - إذا بعث أسامة أحب أن يثنى

١ - (أسباب النزول) ل الواحدى - ص ص ١١٦ و ١١٧ - سابق.

عليه خيرا، ويسأل عنه أصحابه.

فلما رجعوا لم يسألهم عنه، فجعل القوم يحدثون النبى ﷺ ويقولون يا رسول الله، لو رأيت أسامة ولقيه رجل، فقال الرجل (لا إله إلا الله محمد رسول) فشد عليه فقتله:

وهو معرض عنهم، فلما أكثروا عليه، رفع رأسه إلى أسامة فقال: كيف أنت ولا إله إلا الله؟ قال يا رسول الله، إنما قالها متعوذا، تعوذ بها: فقال له رسول الله ﷺ: هلا شققت عن قلبه فنظرت إليه؟

قال: يا رسول الله، إنما قلبه بضعة من جسده: فأنزل الله عز وجل خبر هذا وأخبره أنما قتله من أجل جمله وغنمه، فذلك حين يقول: (تبتغون عرض الحياة الدنيا) فلما بلغ (فمن الله عليكم) يقول: فتاب عليكم، فحلف أسامة ألا يقاتل رجلا يقول: (لا إله إلا الله) بعد ذلك الرجل وما لقى من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيه)[1].

الخبر تأكيد ل قتل أسامة مرداس بن نهيك وينضوى على إضافات مهمة تتكرم وترسل حزمة من أشعة الضوء تنير لنا حواف موضوع البحث وأوساطه منها:

وأن مرداسا ب الإضافة إلى أمعزه معه جمل أحمر وهو أفخر وأثمن أنواعها حتى إن أولئك العربان حين يتحدثون عن (كرائم الإبل وحمر النعم) فإنهم يعنون أنفسها وأغلالها وأعلاها قيمة ومن ثم ف لا شك أن الجمل الأحمر هو الذى أثار شهية ابن زيد ووزه على تمزيق مالكه (مرداس) إربا ل يظفر به ويعدو عضوا فى نادى أصحاب (حمر النعم) كما يفتخر العربان المعاصرون (= اليوم) فى الجزيرة شديدة البركة ب تملكهم للسيارات المرسيدس والكاديلاك والبونتياك.. إلخ.

ولا يتركنا الحديث للحدس والتخمين بل يضع فى حجرنا اليقين (فشد عليه ف قتله من أجل غنيمته).

---

١ - (تفسير الطبرى) - الجزء التاسع - ص ص ٧٨/٧٩ - مصدر سابق.

عندما تناهى الخبر إلى (المنصور ب الرعب مسيرة شهر) كرهه لأنه لم يصدق أن أسامة ينحدر إلى هذه الوهرة (ب الراء)[1] البشعة ويتدحرج إلى هذه المستوى الخفيض وينزل إلى هذا الدرك الوبىء، نظرا ل وشيجته القريبة منه ف هو الحب ابن الحب، ولد زيد ابنه السابق ب التبنى، قبل إلغاء التبنى الذى يشكل عائقا دون (صاحب المقام المحمود) ونكاح الحسينة القسيمة زينب بنت جحش بعلة زيد ا. هـ. ومولاه (=زيد) فى ما بعد.

لمّا تأكد عنده صدق الواقعة طفق يؤنب أسامة ب منتهى الحزم وغاية الصرامة ومنتهى الشدة.

ويوثق مقدم الأباء المؤسسين ل علم تفسير القرآن العظيم أن ما جاء ب الآية المشرفة (تبتغون عرض الحياة الدنيا) أن ابن زيد قصد من وراء الفتك ب مرداس حيازة ما معه: جمله وغنمه.

وفى عُجُز الأثر أن أسامة من شدة ما لقيه من (الشمس = محمد) حلف ألا يقاتل مسلما يقول ب الشهادتين. إذن هناك حوار بين آى الذكر الحكيم وبين الفاعلين فى المجتمع الذى نبعت منه ك الماء الزلال يتمثل هنا فى صدور سلوك معوج وفعل أثيم وممارسة منكرة من أحدهم.

تتولى الآية المجيدة الكشف عنه جماعه وتوصيفه بل وتبيان العلة المخبوءة وراءه ثم ترشد إلى محجة التطهير التى يتعين على التابع الجانح أن يسير فى فجاجها حتى يحظى ب التوبة. السور والآيات لم تتجرد عن الواقع ولم تتخل عن المعاشات ولم تترفع عن موجبات الحياة التى يخوض غمارها الفرد مرة ب السلب وأخرى ب الإيجاب وسائره يقدم لنا هدايا بالغة الثمانة فى تعميق قاعدته التاريخية.

ثانيا: (إن مرداس بن نهيك رجل من أهل فدك أسلم ولم يسلم من قومه غيره فذهبت سرية الرسول - نص - إلى قومه وأميرهم غالب

---

١ - الوقعة فيما لا مخرج ل المرء منه (المعجم الوجيز)

بن فضالة، فهرب القوم وبقى مرداس لثقته بإسلامه، فلما رأى الخيل ألجأ غنمه فى عاقول (=الأرض لا يهتدى لها لكثرة معاطفها) من الجبل، فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال: لا إله إلا الله محمد رسول الله، السلام عليكم، فقتله أسامة بن زيد وساق غنمه فأخبروا رسول الله ﷺ فوجد وجدا شديدا، وقال: قتلتموه إرادة ما معه، ثم قرأ الآية على أسامة، فقال أسامة: يا رسول الله استغفر لى، فقال: فكيف وقد تلا لا إله إلا الله: قال أسامة: فمازال يرددها حتى وددت أنى لم أكن أسلمت إلا يومئذ واستغفر لى وقال: أعتق رقبة)[1].

تفسير الفخر الرازى بمثابة موسوعة فى علم التفسير (ويستحق عن جدارة عنوان (التفسير الكبير) ف هو كذلك حجما وقيمة.

والخبر أهدانا معلومات مهمة:

ـ أن مرداسا ثقة منه بإسلامه لم يهرب مثل قومه ولم يشك أنه ب مجرد إعلان إسلامه ل عسكر السرية فلن يمسوه ب سوء.

ـ لذا خبأ غنيماته فى مكان آمن ب الجبل ونزل ليقرنهم السلام ويبلغهم إسلامه.

ـ بيد أن أسامة لمحها فراقت فى عينيه وهو إذ ذاك حدث لم يجاوز الخامسة عشرة عاما وأبوه عبد سابق ثم مولى وأمه جارية سابقة (سوف نرقم خطوط سيرته الميمونة فيما بعد) وطبيعى أن يغدو شرقا[2] للمال نهما ل النشب، متعطشا للثروة إذ جمع بين وضاعة النسب وخساسة الحسب.

ـ أن (صاحب الأزواج الطاهرات) صارحه ب أن هدفه من ذبح مرداس هو حيازة معيرة (وقال اقتلتموه إرادة ما معه) ولا شك أنه بحكم لسوق القاتل به يعرف دخيلة نفسه.

ـ أن (صاحب التاج) وجد أى حزن بشدة ل قتل مسلم دون عذر شرعى

١ ـ (مفاتيح الغريب، التفسير الكبير) ل الفخر الرازى ـ المجلد الخامس ـ ص ٣٩٤ ـ مصدر سابق.
٢ ـ شرقت الأرض جفت من عدم الرى ـ ف هو شرق وهى شرقة ـ من (المعجم الوجيز).

ومن رجا (ناحية) آخر ف إن الفاتك من المقربين مما يسيء إليه، ومن جانب ثالث إذا لم تؤت مواعظة وخطبه ودروسه وباقى وسائل تربيته أكلها فى أسامة وهو يعتبر من البطانة، فكيف هو الحال ب غيره؟!.

(المرحمة) لم يستجب له عندما رجاه أن يستغفر له وأفهمه أن (لا إله إلا الله) تحول دونه.

ثالثا: (ونزلت فى سرية لقيت رجلا فسلم عليهم وقال: لا إله إلا الله محمد رسول، فحمل عليه أحدهم فقتله، فيشق ذلك على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكان القاتل محلم بن جثامة والمقتول عامر بن الأضبط وقيل القاتل أسامة بن زيد والمقتول مرداس بن نهيك)[1].

المصنف ابن جزى الكلبى لم يجزم أن القاتل هو أسامة ف كلمة (قيل) توحى ب التهزيل بيد أنه إذا وضع هذا الخبر فى قائمة أنداده المؤكدين ازداد قوة.

ورد فيه اسم محلم بن جثامة وقد أسقطناه من بين القتلة لأن دافعه هو الثأر.

رابعا: (قال السدى: بعث رسول الله أسامة بن زيد على سرية فلقى مرداس بن نهيك رجلا من أهل فدك أسلم ولم يسلم من قومه غيره وكان يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله ولم يهرب ثقة بإسلامه فقتله أسامة واستاق غنما كانت معه فلما قدم على رسول الله ﷺأخبره، فقال: قتلت رجلا يقول: لا إله إلا الله، قال يا رسول الله إنما تعوذ من القتل فقال كيف أنت إذا خاصمك يوم القيامة ب لا إله إلا الله؟ قال فمازال يرددها علىّ، أقتلت رجلا يقول لا إله إلا الله، حتى تمنيت لو أن إسلامى كان يومئذ فنزلت الآية)[2].

---

١ - (التسهيل ل علوم التنزيل) ل ابن جزىّ الكلبى - الجزء الأول - صفحة عشرين - الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ ١٩٧٢م - دار الكتاب العربى - بيروت - لبنان.

٢ - (غرائب القرآن) ل القمى النيسابورى - المجلد الرابع - ص ٧٦ - مصدر سابق.

هذا الخبر الذى طلع به علينا القمىّ النيسابورى تتمثل أهميته فى شأنين:

الأول: أنه زيادة فى التوثيق على أن إزهاق روح مرداس تم بيد أسامة لأن الكثيرين قد يحاولون نفيها عن جانبه اتباعا ل طريق التبجيل والتفخيم حتى ولو على حساب الوقائع التاريخية التى حملتها إليهم مصادر من الدرجة الأولى الممتازة.

لأنها تتعلق ب واحد من الشخصيات التى نسجت لها أردية مؤسطرة.

الآخر: أن هلّ أو انبجاس أو انبثاق الآية المباركة حدث غبّ حصول الواقعة وإثر وصولها ل مسامع (اللبيب) الشريفة.

بيد أنه ما أهمية هذا الشق؟

لعل الرد لا يحتاج إلى ذكاء خارق ونختزله فى أن أفراد الجوق المذكورين (فى أولا) يقومون بعمل لا تساعدهم عليه الحقائق الثوابت وهو نزع النصوص التأسيسية المقدسة من سياقها التاريخى ولزق أجنحة لها سُداها التخيل ولُحمتها التوهم ثم دفعها إلى التحليق فى أجواء أو فضاءات لا يجمل بها الطيران فيها!!.

ولم ينقهوا أن هذا الصنيع (وأضرابه) يسىء إلى النصوص ويفرّغها من ميزة بالغة الخطر وهى ارتباطها ب الواقع المعاش ل المخاطبين (ب فتح الطاء) بها وهو أحد أسرار تفوقها، على الكتابين المقدسين اللذين سبقاها فى التأريخ لا فى المقام أو الرتبة.



ولكن من هو أسامة بن زيد؟

(هو أسامة بن زيد بن شراحيل... الحِبّ ابن الحِبّ يكنى أبا محمد وقيل أبو زيد وأمه أم أيمن حاضنة النبى ﷺ... ومات النبى ﷺ وله عشرون سنة، وقال ابن أبى حيثمة فى ثمانى عشرة، وكان أمّره على

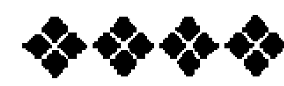
جيش عظيم، فمات النبى - ص - قبل أن يتوجه، فأنفذه أبو بكر وكان عمر يُجلّه ويُكرمه وفضّله فى العطاء على ولده عبدالله واعتزل أسامة الفتن بعد قتل عثمان إلى أن مات فى أواخر خلافة معاوية)[1].

يبين من التعريف الذى رقمه قاضى القضاة الحافظ ابن حجر العسقلانى أن أسامة تمتع ب مكانة مرموقة لدى (الظفور) وهذا يفسّر لنا انزعاجه ل إقدام ابن زيد على قتل المسلمين الناطقين ب الشهادتين ولعل الحديث الآتى يرسخ مكانته عنده:

(روى أن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال: إن أسامة بن زيد لأحب الناس إلىّ أو من أحب الناس إلىّ وأنا أرجو أن يكون من صالحيكم فاستوصوا به خيرا)[2].

كما أنه يفسر لنا علة إجلال العدوىّ ابن الخطاب وإكرامه له، لأنه اتبع النهج نفسه مع كل من يمت إلى (المؤتمن) بأدنى صلة ل امتصاص الغضب المكتوم فى صدور بنى هاشم خاصة والعوالى من أبطن قريش عامة لتوليه ومن قبله التيمىّ عتيق بن أبى قحافة منصب الخلافة دونهم وهم أحق به منهما.

أما ما ورد فى المختتم عن اجتناب الفتن فمآبه إلى مثُول التأنيب الذى لقيه من (القرشى) وعدم مبارحة ذاكرته وخشيته أن يكرر ما ارتكبه.



٢- المقداد بن الأسود:

أ- من مدونات (أسباب النزول):

أولا: (عن سعيد بن جبير قال: خرج المقداد بن الأسود فى سرية فمروا ب رجل فى غنيمة له ف أرادوا قتله، فقال: لا إله إلا الله فقتله المقداد، فقيل له أقتلته وقد قال: لا إله إلا الله وهو آمن فى أهله؟ فلما قدموا على رسول اللهﷺ ذكروا ذلك له فنزلت «يا أيها الذين

---

١ - (الإصابة فى تمييز الصحابة) ل ابن حجر العسقلانى - المجلد الأول - ص ١١٠ - مصدر سابق.

٢ - (أسد الغابة فى معرفة الصحابة) ل عز الدين بن الأثير الجزرى - ٥٥٥ - ٦٣٠ هـ - المجلد الأول ص ٧٩ - طبعة ١٩٧٠ كتاب الشعب - القاهرة.

آمنوا إذا ضربتم فى سبيل الله فتثبتوا»)[1].

المقداد خارج فى مهمة حربية والمقتول آمن فى أهله ومعه غنيمة ف ما إن رآهم حتى أسرع ب تلاوة الشهادة وأعلن إسلامه، إنما جماعه لم يقنع المقداد لأن (الغنيمة) زغللت[2]

عينيه فأقدم على الإجهاز على أخيه فى الدين من أجل السطو على مَعْزه.

ويخبرنا الأثر أن الآية المرقومة فى ختامه هلت بطلعتها الباهرة غب العلم ب الواقعة المؤلمة.

ثانيا: (أخرج البزار - من وجه آخر - عن ابن عباس قال:

بعث رسول الله ﷺ سرية منها المقداد، فلما أتوا القوم وجدوهم قد تفرقوا وبقى رجل له مال كثير، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، فقتله المقداد فقال له النبى - صلى الله عليه وسلم - كيف لك ب لا إله إلا الله غدا؟ وأنزل هذه الآية)[3].

أضاف السيوطى فى الخبر الذى سطره فى (لبابه) أن الرجل المنحور بيد المقداد له مال كثير مما يدعم أن التحريض على القتل، هو الاستيلاء عليه (= المال) لا الجهاد فى سبيل الله تعالى أو علاء كلمته عز وجل.

ثالثا: أخرج البخارى والبزار عن ابن عباس - رض - قال: بعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سرية فيها المقداد بن الأسود، فلما وجدوا القوم قد تفرقوا وبقى رجل له مال كثير لم يبرح، فقال: أشهد ألا إله إلا الله!!! فأهوى إليه المقداد فقتله فقال رجل من أصحابه: أقتلت رجلا يشهد ألا إله إلا الله!! لأذكرن ذلك للنبى -

---

١ - (أسباب النزول) ل الواحدى - ص ١١٦ - مصدر سابق.

٢ - فى (المعجم الوجيز) الزغل: الغش، وعلى ذلك فتصبح الكلمة قريبة من الفصحى وهى أن الغنيمة غشت عينيه وأعمته عن حقيقة إسلام مَنْ نَحَرَه. ا. هـ.

٣ - (لباب النقول) ل السيوطى - ص ص ٥٩ - ٦٠ مصدر سابق.

صلى الله عليه وسلم ـ فلما قدموا على النبى ﷺ قالوا يا رسول الله إن رجلا شهد أن لا إله إلا الله فقتله المقداد، فقال: ادع لى المقداد، يا مقداد أقتلت رجلا يقول لا إله إلا الله؟

كيف لك ب لا إله إلا الله غدا؟ فأنزل الله تبارك وتعالى الآية (النساء ٩٤) فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ للمقداد: كان رجل مؤمن يخفى إيمانه مع قوم كفار، فأظهر إيمانه، فقتلته، وكذلك كنت تخفى إيمانك بمكة من قبل)[١].

وصفه المصنف ب صحة الإسناد[٢].

الحديث موثق بدرجة عالية كما أثبت المصنف الشيخ أبو عمر نادى الأزهرى.

بيد أنه لم يضف جديدا يعتد أو حتى يؤبه به سوى:

ـ أن الرجل له مال كثير أى هذا هو الدافع على قتله.

ـ أنه من بالغ ثقته ب إيمانه وأنه سوف يحميه من أى سوء لم يغادر موضعه فى حين تفرق أى هرب ذووه أو عشيرته الذين لم يؤمنوا.

ـ أن واحدا أو أكثر مانعوا فى القتل بعد أن تيقنوا أن الرجل مسلم ولا يجوز شرعا استئصال شأفته ف لاموا المقداد على عمله المنكر.

ـ فهمنا من الحوار الذى دار بين (الأزهر) وبين القاتل أن المقداد عندما دخل ديانة الإسلام فى مكة أخفى إيمانه بخلاف بنى قبيلة الذين لم تضطرهم ظروفهم كيما يفعلوا ومن ثم ف حرى به أن يقدر ما فعله الرجل ويثنى عليه خيرا لا العكس.

---

١ ـ (المقبول) ل أبى عمر نادى الأزهرى ـ ص ص ٢٣٩ ـ ٢٤٠ ـ مرجع سابق.
٢ ـ وأضاف إلى من سبق ذكرهم فى التخريج: الطبرانى فى الكبير والبزار فى مسنده.
وقال الريشى فى الزوائد إسناده جيد ورواه الحارث فى مسنده وقال محققه: حديث صحيح ا. هـ.
إذن هذا الحديث ارتفع إلى مرتبة عالية تنأى به عن التشكيك وتبعده عن التوهيم وتحميه من التهزيل (من الهزال).

ـ المال الكثير الذى تملكه الرجل ل سوء حظه هو الذى وز المقداد على أن يتغاضى عن إسلامه وهنا يرتفع سؤال على قدر وفير من الأهمية:

لماذا لم يقم أسامة أو المقداد أو أبو الدرداء ب أسر الذين وقعوا فى أيديهم عوضا عن سفك دمائهم وفى ميسورهم أن يفعلوا؟



ب ـ من كتب التفسير:

(وعن سعيد بن جبير قال: خرج المقداد بن الأسود فى سرية فإذا هم برجل فى غنيمة له فأردوا قتله فقال: لا إله إلا الله، فقتله المقداد، فقيل له: أقتلته وقد قال لا إله إلا الله، فقال ود لو فر بأهله وماله، فلما قدموا على رسول الله ـ ص ـ ذكروا ذلك له فنزلت)[1].

أوردنا هذا الخبر نقلا عن تفسير القمى النيسابورى لتأكيد قيام المقداد بن الأسوب ب قتل مسلم مثله من أجل الحصول على معيزه وأن الآية بزغت ك القمر المنير عقب إبلاغهم (الملاحمى ـ الملاذ) ب الحادث.



تعريف ب المقداد:

هو (المقداد بن عمر بن ثعلبة... المعروف ب المقداد بن الأسود وهو الأسود بن عبد يغوث الزهرى وإنما نسب إليه لأن المقداد حالفه فتبناه فنسب إليه.

ويقال له أيضا المقداد الكندى وإنما قيل له ذلك لأنه أصاب دما فى بهراء فهرب منهم إلى كِندة فحالفهم ثم أصاب فيهم دما فهرب إلى مكة فحالف الأسود بن عبد يغوث)[2].

ويوضح لنا قاضى القضاة العسقلانى أحدوثة[3] الدم الذى أصابه هذا المقداد فى كندة (فلما كبر المقداد وقع بينه وبين أبى شمر بن

١ ـ (غرائب القرآن) ل القمى النيسابورى ـ المجلد الرابع ـ ص ٧٧ ـ مصدر سابق.
٢ ـ (أسد الغابة) ل ابن الأثير الجزرى ـ الخامس ـ ص ٢٥١ ـ مصدر سابق.
٣ ـ العامة فى مصر تقول: حدوتة

حجْر الكِندى شجار فضرب رجله بالسيف وهرب)[1].

هذه صفحة المقداد الذى دأب على قتل المسلمين المقرين ب التوحيد الناطقين ب الشهادتين مقابل عرض من الدنيا قليل:

اعتاد القتل والتعدى على الآخرين والهرب دعىّ منسوب إلى غير أبيه، ملصق فى غير قبيلته والذى على الشاكلة لا وزن له ولا مَقام (بفتح الميم) ولا مكانة حتى إنه فى إحدى المرات تعدى طوره ولم يلزم غرزه وتجاوز قدره فتجرأ وطلب يد إحدى بنات عبدالرحمن بن عوف فثرت ثائرته وشتمه وسبه إذ كيف ينسى المقداد أنه لصيق ودعى ومنسوب ل غير أبيه مع أن ابن عوف من بنى زهرة ذات الرهط الذى التزق به المقداد:

(كان المقداد وعبدالرحمن بن عوف جالسين، فقال له: مالك لا تتزوج؟ فقال: زوجنى ابنتك فغضب عبدالرحمن وأغلظ له)[2].

هذه هى نفسية المقداد التى وزّته على = نحر الموحدين مقابل حفنة من أمعز يضاف إليها قوة فى البدن ومتانة فى الأسر وفتل فى العضل وجماعها تُكمل البواعث الحثيثة على الاجتراء والتعدى والاستهانة ب كل القيم.

(قال السدى: جاء المقداد بن الأسود إلى رسول الله ـ ص ـ وكان عظيما سمينا فشكا إليه وسأل أن يأذن له فنزلت فيه الآية الحادية والأربعون من سورة براءة التوبة (انفروا خفافا وثقالا)[3].

ولكن لم ضاق صدر (المأمون) ب تصرفات ابن الأسود؟

لأن المقداد قديم الإسلام وبدرىّ (= شهد غزاة بدر الكبرى) وله فيها قالة حسينة ثم شهد أحدا وسائر المشاهد وهو أحد الأربعة

١ ـ (الإصابة) ل ابن حجر العسقلانى ـ السادس ص ٣٧٩ ـ ٣٨٠ ـ مصدر سابق.
٢ ـ (الإصابة) ل ابن حجر العسقلانى ـ السادس ـ ص ٣٨٠ ـ سابق.
٣ ـ (أسباب النزول) ل الواحدى ـ ص ١٦٦ ـ مصدر سابق.

عشر نقيبا[1]

إذن عز على (المخصوص ب العز) أن واحدا من أظهر تباعه ويحمل على كاهله تاريخا مشرفا وُتحلّى صدره شمائل زاهرة يرتكب أفاعيل خسيسة وصنائع فواحش:

بيد أن علم النفس يعرفنا أن الصفات التأسيسية والمكونات الأصيلة واللبنات الأوائل فى تركيب النفس الإنسانية تظل كوامن وتبقى مستقرة وتستمر متوارية حتى تواتيها الفرصة فتخرج من أكنانها وتغادر كنستها وتبارح مخابئها وبتطبيق القاعدة على ابن الأسود.

ف ما إن يعاين المال مع المغدور سواء قل أم كثر بضع أماعز أو غنيمات معدودات حتى تنسحب الألقاب المنيفة المستحدثة ليبرز ما ظل محجوبا:

المقداد الذى يقتل أو يدمى ثم يضع طرف ثيابه بين أسنانه ويولىّ هاربا من رهطه أو بطنه أو قبيلته إلى أخرى يكرر فيها ذات العملة النكراء.

وفى كل مرة يلتزق ب من يحميه ويلوذ ب من يؤازره ويعود ب من يؤمنه:

لو أن الألقاب التى علّقت فى رقبة المقداد مثل قديم الإسلام، البدرىّ، حاضر جميع المشاهد تغلغلت فى أعماقه وشحنت حناياه ونفذت إلى بواطنه ل أحجم وتعفف ول سما عن المستوى الخفيض الذى لَدِم[2].



تلك النفوس المركبة التى أخفت طقوس الدين الجديد وشعائره

---

١ - (أسد الغابة) ل ابن الأثير الجزرى - المجلد الخامس - ص ص ٢٥٢، ٢٥٣ - مصدر سابق
٢ - أللدم صوت الحجر أو الشىء يقع ب الأرض - من (المعجم الوجيز)، إليه.

وترميزاته الطبقات الجوانية التى ترسبت فيها من النشأة الأولى، والمشاعر والأحاسيس ب الدونية والسُفُولة التى راكمتها فيها أوضاعها الاجتماعية مثل الرق والتبنى والولاء والالتحاق والالتزاق والتحالف.. إلخ.

تلك النفوس يتعين ب طريق المنطق السديد ألا يدعها (الفصل - القرآن الكريم) دون تقويم وبلا علاج وبغير تصحيح ف تتلألأ واحدة أو عدة من آياته الشافية الكافية تؤدى دورها الرائع البديع بكل اقتدار.

إنها العلاقة الجدلية بين ما ارتكبه عدد من كبار الصحبة وبين (البلاغ/القرآن) خاصة أن ممارساتهم يضيق بها صدر (قدم صدق) وكيما لا يظل يعانى لمدة طويلة.

أدلة الثبوت تترى وحججه تتوالى وبراهينه تتتابع. المجلى (السابق) قبل المصلى (التالى) على أن دعاوى المفارقة ومزاعم المفاصلة وحكايات المباينة كلها زيوف لا تثبت للتمحيص ولا تقوى على التفنيد ولا طاقة لها على الصمود ل النقد الموضوعى.



٣ ـ أبو الدرداء:

(حدثنى يونس، قال أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد: نزل ذلك فى رجل قتله أبو الدرداء)[١].

فى المصادر التى عندى سواء من كتب (أسباب النزول) أو (التفاسير) انفرد ابن جرير الطبرى ب هذا الخبر وهو أن أبا الدرداء انضم إلى قائمة قتلة الناطقين ب الشهادتين ولحق ب أسامة والمقداد بن الأسود.

ونظرا لأن أبا جعفر ونعنى الطبرى هو مقدم الآباء المؤسسين ل

١ ـ (تفسير الطبرى) الجزء التاسع ـ ص ٨٠ ـ مصدر سابق.

علم التفسير ورفعنا الستور عنه وعن موسوعته فى التفسير فيما سلف خاصة فى السفر الأول فقد أخذنا ب خبره وعددناه صحيحا إذ لا نتصور أنه يضمن كتابه خبرا ضعيفا أو مشكوكا فيه أو منتحلا أو موضوعا[1].

من هو أبو الدرداء؟

هو عويمر بن عامر ويقال عويمر بن قيس.. وهو من الخزرج من بنى قيلة - وللأمانة العلمية لم أجد فى سيرته ما يؤخذ عليه ف هو من صالحى الصحابة ولم يتغير أو يغيّر بعد (دعوة إبراهيم = محمد) ولم تغره الدنيا ك غيره.

وتوفى (الذكار = محمد) وهو عنه راض بل نفحه لقبا تتقطع دونه الرقاب (عويمر حكيم أمتى)[2].

وآخى بينه وبين سلمان الفارسى الذى حظى عنده ب مكانة باذخة حتى إنه قال فى حقه (سلمان منا آل البيت).

وإذا أخذنا ب خبر الطبرى المسطور أعلاه ف ربما جاءت فلتة من أبى الدرداء وكل بنى آدم خطاء وعاش بقية عمره ناسكا متعبدا، حتى إنه تفرغ لها (قال الأعمش عن خثمة عن أبى الدرداء: كنت تاجرا قبل البعث ثم حاولت التجارة بعد الإسلام، فلما يجتمعا)[3].

إذن حتى لو أن عويمرا فعلها من باب الهفوة أو الخطأ أو الضعف الإنسانى الطارئ فإنه قد كفر عنها أضعافا مضاعفة.

إنما ضرورة الدراسة العلمية الموضوعية هى التى أكرهتنا على إدراج أبى الدرداء فى لائحة من فعلوها .

---

١ - العامة فى مصر تقول مضروبا أى مغشوشا ويمكن استعمال هذا الوصف لأنه يفى ب المدلول.
٢ - (أسد الغابة) المجلد السادس - ص ٩٧ سابق و(الإصابة) المجلد الخامس - ص ١٩٧- سابق.
٣ - (الإصابة) ذات المجلد والصفحة - وبداهة لا يعنى ذلك أننا نؤيد هذا المسلك أى التفرغ للتعبد وترك السعى على المعاش.



من موجبات البحث أن نختم بصورة عمومية لوقائع اغتيال بعض الصحاب ل مسلمين موحدين ناطقين ب الشهادتين ورافعين ب الكلية شارة الإسلام وأن تجيء على قدر ملحوظ من التوثيق.

لماذا؟

لتأكيد حدوثها فى ذاته سواء ارتكبها أسامة أو المقداد أو غيرهما ممن لم يذكر عدد من الآثار المشابهة أسامى أصحابها.

وتوكيد الوقائع أمر ضرورى لما تحمله فى طياتها من شذوذ وقُذوذ وفرادة.

إذ كيف يقتل صحابى من أقرب المقربين ل (خير هذه الأمة) مسلما مثله وحتى لو أن الصاحب من غير اللصيقين به فإن هذا لا ينفى الغرابة ولا يزيل التعجب ولا يرفع الدهشة ف من ناحية الذين ارتكبوها هم خير القرون كما وصفهم الحديث المعروف الذى يدور على الألسنة.

ومن رجا آخر ف إن إزهاق روح إنسان خطيئة فادحة بل من أكبر الكبائر وعمل من المحال الإقدام عليه ب بساطة.

من هنا قامت لزومية الإثبات وضرورة تقديم البرهان وحتمية طرح الحجة:

(أخرج البخارى والترمذى وأحمد عن ابن عباس ـ رض ـ قال:

مر رجل من بنى سليم بنفر من أصحاب رسول الله ـ ص ـ وهو يسرق غنما له، فسلم عليهم فقالوا:

ما سلم علينا إلا ليتعوذ منا، فعمدوا إليه، وأتوا بغنمه النبى ـ ص

فنزلت هذه الآية: «يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا» النساء الآية ٩٤).[1]



بعد رفع اللبس وإزالة الشك والقضاء على أى ذرة من ريب، وتقديم أدلة الثبوت على حصول الواقعة ب عمومها دون ضرورة ل تعليقها ب رقبة تابع معين، نوضح النقاط الآتية:

هناك احتمال لا تغادره الوجاهة ولا تفاصله المعقولية ولا تباينه المنطقية وهو: هل ثمة غموض فى الخطاب الذى خاطب به المغدور السرية أو المجموعة أو القاتل أدى إلى سوء التأويل؟

بداهة لا نعنى ب الخطاب مجرد العبارات التى وجهها إليهم أو إليه، إنما نؤم (نقصد) أنه يضم الأفعال التى قام بها - على سبيل المثال إخفاء الأعنز فى شعب فى الجبل أولبثه وعدم هروبه مع قومه الرافضين لاعتناق الديانة والانضواء تحت بيرق دولة بنى سخينة - وكذا الأيأة (الهيأة) التى ظهر أمامهم بها؟

ب معنى أن الخطاب بـ مجمله لفظا وحالا لم ينجح فى توصيل الدلالة التى تغيّاها إلى من أرسل إليه: فضلا عن أنه من المحتمل أن عبارات التوحيد وهى فى المقام الأول الشهادة ويرتدفها السلام حتى

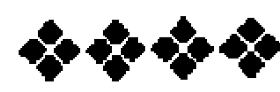
١ - (المقبول) ل أبى عمر نادى الأزهرى ص ص ٢٣٨ - ٢٣٩ مرجع سابق والبخارى أول الصحاح الستة والترمذى أحدها، مسند أحمد بن حنبل من كتب الأحاديث ذات الرتبة العالية.
وأضاف المصنف أن الحاكم رواه وصححه وأقره الذهبى.
وأخرجه ابن أبى شيبة فى مصنفه والبيهقى فى سننه وزاد السيوطى نسبته فى الدُّر للطبرانى وعبد بن حميد وصححه، ووصفه (= المصنف الأزهرى) ب صحة الإسناد.
والسيوطى الذى ورد ذكره فى السطر السابق كان:
(يحفظ مائتى ألف حديث.. وهو والأمر كذلك شديد الاحتفال ب أحاديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كَلِفَ بجمعها واستقصائها والتأليف فى علومها ومن ثم ألف عشرات من كتب الحديث الشريف).
(جلال الدين السيوطى: سيرته العلمية ومباحثه اللغوية) ل. د. مصطفى الشكعة ص ١٢٩ - الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م - الدار المصرية اللبنانية - القاهرة:
وأكد الشكعة أن السيوطى هو (عالم المائة التاسعة) الهجرية - ص ١١٧.
نخلص مما سبق أن الحديث المرقوم أعلاه، صفر من المطاعن.

ذياك الزمن المعجب لم ير أولئك الأصحاب فى مجرد النطق بها حائلا دون سفك دم من يتفوه بها؟ إذ إن فى الأخبار التى رقمناها وقرأناها أن (سيد الأولين والآخرين) فى قمة ضيقه وذروة غضبه وقلة سخطه يسأل القاتل (كيف لك ب لا إله إلا الله)؟

إن هذا ينفح افتراضا ولو أنه غير مفرسخ أو مفرطح أن اللوم الشديد أو التعنيف القوى أو التوبيخ البالغ أو العذل النافذ مرده أن الصحابى القاتل لم ينقه المدلول السديد والمفهوم الصحيح والمعنى العميق والمغزى الدقيق ل تلاوة المذبوح الشهادة وإلقاء السلام.

أتستطيع هذه الوقائع المتكررة أن تنفحنا دليلا أو حتى قرينة على أن العبارات التيولوجية حتى ذياك الوقت المدهش لم تكتسب هذا القدر الوفير من الهالات التى أحيطت بها فيما بعد والتى ازدادت وما تزال تزداد تراكما ب تعاقب القرون؟

سواء صح هذا أو ذاك ف الذى لا مشاحة فيه أن ضعف تقابل دالة الخطاب بين طرفيه وعدم تطابقها لدى كل واحد منها أمر يتوجب علينا ألا نسقطه من حسابنا، مع ضرورة الانتباه ب قوة أن هذا لا يعنى التجاوز عن الحقيقة الثابتة وهى أن الوازع الرئيسى فى نحر الضحية هو الاستيلاء على ما معها، بيد أنه بتعدد النوازل يغدو طرح هذه الفروض ضربة لازم ك ضرورة ل التحليل الموضوعى.



وهنا يمسى أن تناول مسألة التعددية هذه قد آن أوانه:

(قال القفال: ولا منافاة بين هذه الروايات، فلعلها نزلت عند وقوعها بأسرها، فكان كل فريق يظن أنها نزلت فى واقعته)[1].

١ - (غرائب القرآن) ل القمى النيسابورى - المجلد الرابع - ص ٧٧ - مصدر سابق.

من هذا النص يبين أن القفال يرى أن الآيات المباركات أشرقت غب كل حادثة أى كلما تقع واحدة منها تنبجس فى إثرها آية مجيدة ويفهم من طرحه أنه لا مانع من تكرار هلّ الآية أكثر من مرة وهو رأى قال به العديدون وتناولته كتب علوم القرآن العظيم تحت عنوان (تكرار النزول) ولعل أشهر ما قيل فيه تكرار سورة الفاتحة.

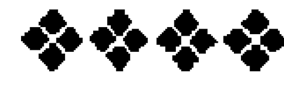
وقد تحدثنا فيما سبق عنه إنما بشأن وقائع قتل الموحدين على أيدى بعض الصحاب نذهب إلى صعوبة القول به ودليلنا نستقطره أو نستنبطه من داخل الأخبار ذاتها أى من ألفاظ أو عبارات أو تراكيب النصوص، وقد تأتى لنا من القراءة بصبر وتأن وبعين يقظة وبصيرة نافذة.. إلخ، وهو ما ندينا إليه مرات عديدة، إذ نعثر فى كم من الآثار أو الأخبار على عبارة مثل «ثم قرأ أى (سيد ولد قصى) الآية على أسامة» وفرق واضح بين هذا التعبير وآخر مثل «فنزلت: يا أيها الذين»... إلخ الآية ف الأول يعنى أن الآية الحميدة موجودة ومحفوظة فى صدره الشريف وصدورهم وكل ما فعله أنه قرأها على الصحابى ليذكره بها.

وفى مواضع أخر يقتصر النص على الحوار العنيف الذى دار بين (أول من تنشق عنه الأرض) وبين الصحابى دون ذكر ل انبجاس الآية كما النبع الصافى.

وفى ثالث: يتركز الشأن على تعظيم (ذؤابة ولد آدم) ل حرمة لا إله إلا الله وتبشيع الاستهانة بمكانتها الرفيعة من قبل التابع الذابح حتى يتمنى أنه أسلم بعدها لا قبلها.

إذن لا لزوم - من وجهة نظرنا - للربط بين كل واقعة وآية كريمة يتعين أن تبزغ من أجلها ولا بين تكرار هلها رغم أن جماعه لا

يؤود جبريل لأنه ذو قوة متينة من الصعب أو المستحيل تصورها بدليل قول ابن عباس (نزل جبريل على رسول الله ستين ألف مرة)[١].



بقيت ملاحظتان:

الأولى: الآية الرابعة والتسعون من سورة النساء (يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا) وردت فى بعض الأخبار فتبينوا وفى البعض الآخر فتثبتوا...

(قال قرأ أبو جعفر: واختلفت القراء فى قراءة قوله (فتبينوا).

فقرأ ذلك عامة قرأة المكيين والمدنيين وبعض الكوفيين والبصريين (فتبينوا) بالياء والنون من (التبين) بمعنى التأنى والنظر والكشف عنه حتى يتضح.

وقرأ ذلك عُظم قرأة الكوفيين (فتثبتوا) بمعنى التثبت الذى هو خلاف العَجَلَة)[٢]

ويؤيد القمى النيسابورى اختلاف القراءتين:

(فتثبتوا) من التثبيت وكذلك فى الحُجرات (هكذا قرأها) حمزة وعلىّ وخلف والباقون قرأوها (فتبينوا) من التبيين)[٣].

---

١ - (بحار الأنوار الجامعة ل درر أخبار الأسمية الأطهار) ل محمد باقر المجلس - ص ٢٦٣ - طبعة ١٩٨٣ - دار إحياء التراث العربى/بيروت وهو مصدر غير مباشر.
وإذ إنه بحسب ما تذكره المصادر التراثية أن ملاك الرب جبرائيل التقى محمدا لمدة ثلاثة وعشرين عاما يخصم منها أعوام ثلاثة انقطع فيها فى البدئ سميت ب (فترة أو فتور الوحى) أى الباقى عشرون عاما (عشر فى القرية المقدسة وعشر أخرى فى قرية بنى قيلة ذات الحرتين) ف يصبح المعدل السنوى ل الالتقاء بينهما هو ثلاثة آلاف مرة أى فى اليوم الواحد أكثر من ثمانى مرات!!.
علما ب أن الذى طرح هذه المعلومة هو عبدالله بن عباس الملقب ب (حَبْر الأمة) وبغض النظر عن صحة إضفاء اللقب عليه من قبل (الحبيب) وهو ما شككنا فيه من قبل، فإنه مما لا يختلف فيه اثنان من رجال الدين المعاصرين أنه (= ابن عباس) من علماء الأصحاب وضربت إليه أكباد الإبل من قبل أكابر التابعين ل تلقى العلم عنه. أ. هـ.

٢ - (تفسير الطبرى) - التاسع - ص٨ - مصدر سابق.

٣ - (غرائب القرآن) ل القمى النيسابورى - المجلد الرابع - ص ٦٤ - مصدر سابق. وإليه أيضا ذهب العكبرى:

(قوله تعالى: (فتبينوا)(يقرأ ب الباء والياء والنون من التبيين، وبالثاء والباء والتاء من التثبت وهما متقاربان فى المعنى.. والذى نزلت فيه الآية قال لمن ألقى إليه السلام لست مؤمنا وقتله والسلام ب الألف التحية...، وهو الاستسلام والصلح)[1].

وهذا ينفحنا دليلا على أن النص فى بدئ أمره جاء منفتحا.

بيد أنه فيما بعد أغلق وأحكم رتاجه ومن ثم فإن ما جاء ب مصحف عثمان (فتبينوا).

وكذلك (ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا) وهى بقية الآية الرابعة والتسعين من سورة النساء ورد فى بعض القراءات (السلم) بغير ألف.

ثم ثبت لفظ (السلام) ب الألف.

(ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلم لست مؤمنا) أراد الانقياد والاستسلام ل المسلمين.. ومن قرأها (السلام) ب الألف فله معنيان:

أحدهما: أن يكون المراد السلام الذى يكون تحية المسلمين أى لا تقولوا لمن حيّاكم بهذه التحية إنه إنما قالها تعوذا فتقدموا عليه بالسيف لتأخذوا ما له ولكن كفوا وأقبلوا منه ما أظهره.

ثانيهما: أن يكون المعنى: لا تقولوا لمن اعتزلكم ولم يقاتلكم لست مؤمنا، وأصل هذا من السلامة لأن المعتزل طالب للسلامة)[2].

الأخرى: أن الذى يشدّ الانتباه فى هذا النص هو تفسير الفخر الرازى لكلمة السلم أن المراد بها هو الانقياد والاستسلام للمسلمين.

أى طاعتهم والدخول فى دينهم وقبول الوقوف تحت راية دولة قريش.

---

١ - (التبيان فى إعراب القرآن) ل أبى البقاء عبدالله العكبرى ٥٣٨ - ٦١٦ هـ ص ١٩١ - الجزء الأول الطبعة الأولى ١٩٨٠م - المكتبة التوفيقية - القاهرة.

٢ - (مفاتيح الغيب - التفسير الكبير) ل الفخرى الرازى: المجلد الخامس ص ٢٩٤ - مصدر سابق.

وسبق أن زبرنا (كتبنا) أن أبا البقاء العكبرى فسّر إلقاء السلام ب الاستسلام.

يؤيده ما سبق أن سطرناه وقدمنا الأدلة عليه وهو أن انتشار الدين الإسلامى فى داخل الجزيرة العربية إنما تم ب حد السنان.

ومن بين البراهين التى طرحناها: آية السيف والحديث المحمدى:

(أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا (أو يشهدوا) أن لا إله إلا الله محمد رسول الله) وقد ورد فى صحيح مسلم وفى غيره من كتب السنة العوالى.

(وأن عليه القتال بعد البلاغ، والحرب بعد البيان والأكراه بالقتل على الدخول فى الدين)[١]

ونصل من هذه الفرشة الوجيزة إلى أن تفسير كلمة (الإسلام) ب الاستسلام والخضوع والانقياد والامتثال والطاعة... إلخ عبر اعتناق الديانة تفسير له سنده من النصوص التأسيسية المقدسة.

فضلا عن أن الحفر عن جذور أمثال هذه الألفاظ والتنقيب عن أصول الوقائع المحايثة لها ومنها قتل المسلمين وطلوع آيات كريمة بسببها يؤيده (=التفسير).

فالمغدورون فيها نطقوا ب الشهادتين أى أعلنوا الخضوع والاستسلام والطاعة ب دخولهم الإسلام ومن ثم لا يصح شرعا نحرهم، ولو لم يفعلوا ل جاز دون لوم أو تثريب أو تعنيف.

وب معادلة منطقية بسيطة: إلقاء السلام وتلاوة الشهادتين جماعها تعنى الطاعة والانقياد والاستسلام للدين أى = اعتناق الإسلام، إذن الإسلام بدوره هو هذه الأمور على وجه التعيين والتحديد.

١ - (الناسخ والمنسوخ فى القرآن الكريم) ل القاضى أبى بكر بن العربى تحقيق د. عبدالكريم العلوى - الجزء الثانى - ص ٣٤٥ - الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م - وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - المملكة المغربية.

هذه هى دالّة الإسلام فى جذره التاريخى كما وكّدته الآيات المجيدة ووثقه تعنيف (صاحب البرهان) ل الصحابى القاتل لأن المقتول وقد أسلم أعلن انقياده واستسلامه وخضوعه وطاعته ف لا موجب شرعا ل نحره. هذا المعنى الخالص الصافى الذى لا تشوبه شائبة ولا يكدره قذى ولا تخالطه عكارة استحال على أيدى المحدثين إلى دالة مغايرة لا صلة لها به:

(الإسلام هنا معناه إخلاص الوجه لله تعالى فاليهودية إسلام فى مدتها والمسيحية إسلام فى فترتها والرسالة المحمدية إسلام بمعنى إخلاص الوجه لله تعالى والامتثال لطاعته)[1].

يمكن لنا أن نسأله = على أى بساط يسير من يبغى إخلاص الوجه لله تعالى؟ وأى محجة يسلك ؟وعبر أى بوابة يدلف؟

ولو طلب منه أهل الكتابين السابقين أن يحضر لهم برهانه على أن اليهودية اسلام فى مدتها والمسيحية إسلام فى فترتها؟ ف كيف يجىء رده؟

ولماذا انتهت مدة إسلام اليهودية ثم فترة إسلام المسيحية؟

ولماذا خُص زمن إسلام الديانة الثالثة ب الأبدية والسرمدية؟

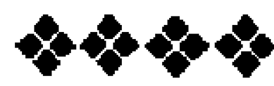
هذا ما سوف يقوله اليهود والنصارى (المسيحيون) فى عقيدتهم.

ألا يعرف الدكتور المفسر أو المفسر الدكتور أن كل عقيدة من هذه العقائد الثلاث توقن أنها تملك الحقيقة المطلقة السرمدية وما عداها ليس على شىء.

أليس المعنى الذى قالت به النصوص المقدسة أصح وأيسر فهما وأبعد عن الصدام ب أصحاب الأديان السابقة؟

❖❖❖❖

١ - (تفسير القرآن الكريم) أ. د. عبدالله محمود شحاتة - الجزء الثالث - ص ٥٤٠ - الطبعة الأولى - ٢٠٠٠م - دار غريب - ب مصر.



أما صاحب الفضيلة الشيخ محمود شلتوت ف له تعريف آخر ل الإسلام.

(الإسلام هو الصراط المستقيم وأنه لذلك كان الشريعة الخالدة الصالحة لكل زمان ومكان)[1]

وبداية ف نحن نكن تقديرا خاصة لفضيلة الشيخ لأن آراءه فيها قدر لا بأس به من الاستنارة والعقلانية ولو أنه بحكم دراسته ينطلق من أرضية دوجماطيقية مغلقة.

كذا لجهوده المخلصة التى بذلها فى التقريب بين المذاهب.

بيد أن هذا التقدير لا يمنعنا من تقييم تعريفه للإسلام تقييما موضوعيا ووضعه على محك النقد.

قال إن الإسلام هو الصراط المستقيم وهى عبارة وردت فى القرآن العظيم أكثر من ثلاثين مرة وتدل على العديد من المعانى ومثلها رغم سموها لا تصلح أن تغدو تعريفا أو تمنح معنى منضبطا بخلاف المعنى الذى جاءت به نصوص التأسيس وخلاصة الانقياد والطاعة والاستسلام خلال اعتناق العقيدة المخصوصة والمحددة التى بشر بها (المنصور) وفى حال حياته: الاعتراف ب الدولة التى أسسها فى أثرب.

ثم يضيف إلى معنى الإسلام أو التعريف بدالته أنه الشريعة الخالدة لكل زمان ومكان.

إن الشيخ شلتوت تربع على كرسى مؤسسة شئون التقديس فى مصر أى وصل إلى أعلى منصب دينى فى العالم الإسلامى.

وكما قال عمر بن الخطاب ل أبى عبيدة بن الجراح (لو غيرك قالها يا أبا عبيدة)! وصارت مثلا، ف نحن بدورنا نقول له (لو غيرك قالها يا شلتوتا)!.

---

١ - (تفسير القرآن الكريم) ل الشيخ محمود شلتوت - الأجزاء العشرة الأولى - ص ٣٩ د. ت. ن - دار القلم ب مصر.

ف الإسلام عقيدة خالدة صالحة لكل زمان حقيقة لا يمارى فيها إلا لجوج ولا يعارضها إلا شكس ولا يشكك فيها إلا عنيد مخطئ.

أما الشريعة وصلاحيتها لكل زمان ومكان فإن صاحب الفضيلة أو فضيلة الصاحب لا يعدم من يحاجه ويسائله ما رأيك فى:

= الرق وملك اليمين والإماء والعبدان.. إلخ هل تجرؤ دولة إسلامية الآن على تقنينها؟

= تقسيم الإسلاب والغنائم على المقاتلين ونصيب الراكب (= الذى معه فرس) ضعف نصيب الراجل أيمكن أن يتم فى أى جيش إسلامى؟

= صلاة الخوف فى ميدان المعركة بعد استعمال الصواريخ والطائرات.. أيصلح حاليا ل أدائها؟

= معرفة ما فى الأرحام بعد اختراع السونار ما الرأى فيها؟

= صلاة الاستسقاء بعد ابتداع المطر الصناعى هل مازال لها محل؟

= والظهار بعد إمكانية معرفة من هو أبو المولود بعد تحليل عينة من دمه ونسيج جسمه.

= ما هى ضرورة عدة المطلقة والمتوفى عنها زوجها والأجهزة الحديثة فى دقائق معدودة من الميسور عليها الجزم ب براءة الرحم أو علقه من المطلق أو الزوج المتوفى؟

= هل من التلازم مرافقة ذى رحم محرم للمرأة فى وسائل النقل الحديثة؟

= يمكن تخدير السارق تخديرا كليا ف لا يشعر ب ألم قطع يده!

= أولا يستطيع الطب الحديث إعادة اليد ب عملية جراحية بسيطة!!

= هل ـ فى جـريمة الزنا ـ من الحتم إقـامـة الدليل عليـهـا وجـود أربعة رجال يرون الميل فى المكحلة أو يجوز شرعا إثباتها ب التسجيل = الصوت والصورة وأيهما أقوى؟

الذى يسـرق ربع أو نصف دينـار أى خمسة جنيهـات على الأكثـر تقطع يده والذى يشـترى بضاعة ب ربع مليـون جنيـه (مثـلا) ويعطى صكا (شيكا) بدون رصيـد لا يقطع له أصبع واحد وكذا من يختلس مئات الألوف من المال العام...!

ويستمر ذلك المتسائل فى إبداء ملاحظاته:

ـ شهادة المرأة نصف شهادة الرجل هل هذه القاعدة تتفق مع وضع المرأة هـذه الأيام بعـد حـصـولهـا على أعلى الشـهـادات من أرقى الجامعات؟

ـ وكـذا نصـيـبـهـا فى الميـراث هل ينسـجم حـاليـا بعـد أن تغـيـرت الأوضاع الاجتماعية ب الكلية عن مثيلاتها وقت أن ظهرت النصوص التى شرعتها .

ألا يحتـاج التـأكيـد ـ يا صـاحب الفضيلة ـ على خلود الشـريعـة وصلاحيتها ل كل زمان ومكان إلى مراجعة مستأنية؟

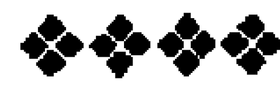
إن من البـديهى أن هـذا المتسـائل ينتظـر ردودا من الفـعل لا من النقل.

لقـد قـدمنا هذين المثلين كـبـرهان على أن النصـوص المقـدسـة التأسيسية أكثر صراحة وأوفى طبيعية وأنضر وجها فيما تقدمه من مكان ودوال وقيم مما طرحه ويطرحه المفسرون والأصوليون والفقهاء قدامى ومحدثون.

❖❖❖❖

ثم نعود إلى سياقة القول:

تبين من الوقائع التى رقمناها أن (من تنام عيناه ولا ينام قلبه)



ضاق صدره الشريف وملأ فؤاده الرقيق الغم وشحن صدره الوسيع ب الأسى من جراء إقدام عدد من صحابته وبينهم مقربون إليه على قتل عدد من المسلمين الموحدين المستسلمين.

بيد أن (الذكر الحكيم) لايذره على هذه الحالة الحرجة فتبزغ آيات حميدة تجيء كما البلسم الشافي للجراحات المعنوية التي ألمت به.

وب ظهورها يرتفع عنه كل ما داخله من غموم.

ومن وجهة الصحاب سواء الذين فعلوها أو غيرهم عمّهم السرور إذ انتهى الأمر ب عتاب رقيق ولوم رفيق وعقدوا الخناصر على ألا يعودوا لمثلها.

وتحققت ب بزوغها غايات سامية:

توجيه وتربية خُلُقية للصحاب وتقويم لما بدر منهم من اعوجاج.

وإزاحة ل هم وَصِب (وجيع) انتاب (رحمة العالمين).

وإهداء حجة أخرى تضاف ل سلفها على أن (صحفا مكرمة= القرآن) دائما على وثاقة متينة ب الفاعلين في ذياك المجتمع وب سيدهم (سيد الثقلين).

وأنه ليس كما يدعي المعاندون: مفارقا أو مباينا أو مفاصلا.

ونفحة مسك نختم بها هذه الفاصلة وهي أن هذه الآيات المجيدة وأخواتها تنفحنا برهانا ساطعا على أن الواقع هو الأساس الذي ينبني عليه الفكر والأرض الصلبة التي يقوم عليها التنظير والمدماك الشديد الذي يقف عليه الرأي وأن هذه كلها (الفكر/ التنظير/ الرأي) لا تهبط من عل.

إن الانتباه ل هذه الحقيقة الجوهرية هو الباب الملكي والوحيد ل الخروج من كل الأزمات والانعتاق من سائر المزانق والانفلات من كل القيود.

وأخيرا واحتراما ل القداسة التى توليها الديانات الساميّة الإبراهيمية الثلاث للرقم سبعة والتى نتشتها من الديانات السامية القديمة، نجعل هذه الفاصلة السابعة خاتم الفصل الأول (التربية الخلقية).

الفصل الثانى
التربية العسكرية السياسية

بناء دولة بنى سخينة تطلب إعداد جيش قوى.وهو أيضا ضرورى ل نشر الديانة التى دعا إليها (البارع/الباهر).

وهاتان المهمتان الملحتان استلزمتا إعداد تبع على درجة معقولة من الحنكة السياسية واضطلع بهما (الكافل/الكريم) على خير وجه.

وبيد أنه لاقى فى هاتين المحجتين (التربية العسكرية والإعداد السياسى) الأمرّين، لأن غالبية من آمنوا بدعوته على قدر وفير من التبدى، ويتميزون بأخلاق جافية وصفات حوشية ويفتقرون إلى الضبط والربط ويفتقدون النظام ويحتاجون إلى التشذيب والتهذيب.

إلا أن (البيان/الذكر الحكيم) لم يتركه يعانى المشقات منفردا بل وقف إلى جانبه كالعادة، كما سيتضح من الأمثلة التى سنوردها، وبداهة من العسير استقصاء كل الحالات أو إحصاء جميع الوقائع أو حصر كافة النوازل، ونأمل أن ما نطرحه فيه غنية.

أولا: التربية العسكرية

١- حظر التقاعس عن الخروج ل القتال:

(أخرج ابن جرير عن ابن عباس قال:

أمر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الناس أن ينبعثوا معه، وذلك فى الصيف.

فقال رجال: يا رسول الله، الحر شديد ولا نستطيع الخروج فلا تنفر فى الحر! فأنزل الله تعالى:

«قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون» الآية ٨١ التوبة[١].

---

(١) ((لباب النقول) ل السيوطى ص ص٩٧-٨٨ سابق.
كما رواه الطبرانى فى الكبير.
وابن جرير فى تفسيره
وابن أبى حاتم فى تفسيره وقال الهيثمى فى الزوائد ٧-٢٣ رجاله ثقات.

وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم من طريق العوفى عن ابن عباس قال:

أمر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الناس أن ينبعثوا معه، وذلك فى الصيف.

فقال رجال: يا رسول الله، الحر شديد ولا نستطيع الخروج فلا ننفر فى الحر! فأنزل الله تعالى:

«قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون».

هنا نجد أن المتكاسلين (رجال) تعللوا ب حمّارة القيظ.

أما فى الخبر الآتى بعد فإن الاعتذار عن الخروج ل الحرب جاء بسبب الانهماك فى الأعمال والانصراف إلى الأشغال والاهتمام ب الأموال بأنواعها.

﴿قوله تعالى: «انفروا خفافا وثقالا» نزلت فى الذين اعتذروا ب الضيعة والشغل وانتشار الأمر، فأبى الله تعالى أن يعذرهم دون أن ينفروا على ما كان منهم).(1)



لم يقتصر التباطؤ على أفراد بل ضرب حيا ب كامله:

(أخرج أبو داود والحاكم والبيهقى عن ابن عباس فى قوله «إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما» قال:

أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-استنفر حيا من أحياء العرب فتثاقلوا عنه، فأنزل الله هذه الآية: فأمسك عنهم المطر، فكان ذلك عذابهم.

الحديث خرجه ثلاثة من كبار أصحاب دواوين السنة المحمدية المطهرة، أولهم أبو داود وهو من أصحاب الستة الصحاح.

وفى رواية أخرى ورد الحديث على النحو التالى:

(1) (أسباب النزول) ل الواحدى ص١٦٦ مصدرسابق.

(أخرج أبو داود والحاكم والبيهقى عن ابن عباس فى قوله «إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما» قال:

(إن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- استنفر حيا من أحيا العرب فتثاقلوا عنه، فأنزل الله هذه الاية: «انفروا خفافا وثقالا» ٤١ التوبة فأمسك عنهم المطر، فكان ذلك عذابهم).

وقد أكده السيوطى وزبره على هذا الوجه:

و(أخرج ابن أبى حاتم عن نجدة بن نفيع قال: سألت ابن عباس عن هذه الآية: «إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما....» ٣٩ من سورة التوبة/براءة فقال: استنفر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أحياء من العرب فتثاقلوا عنه فأنزل الله «إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما» فأمسك عنهم المطر، فكان عذابهم)[١]

فيه أحاطنا السيوطى خبرا ب أن المتثاقلين «أحياء من العرب» ب الجمع.

مما يقطع بانتفاء فطانة أولئك العربة للأهداف التى تغياها (المصون/المضخم) من وراء قتاله للمشركين: إفشاء الديانة وإقامة دولة قريش.

كما أن الأثر المروى عن طريق السيوطى وما سبقه نفحونا ب معلومة جد خطيرة وهى أنه ليس (المثانى/القرآن) هو الذى عاضد (الضيغم وتعنى الشجاع المقدام) فحسب بل إن عوامل الطبيعة أيضا آزرته ب أن أمسكت مطرها عن الهطول وهذا من أشد أنواع العذاب الذى يصيب أولئك البدو ويكفى أن تعرف أن من بين أسمائه فى معجمهم الطريف: الغيث والنجا أو النجاء والحيى والحيا والرى والخصب والغيداق... إلخ! وعلى المطر تتوقف «ب المعنى الحرفى المباشر» حياتهم وحياة دوابهم، فإن مُنعوه تحولت إلى جحيم أو موت

---

١ - (لباب النقول) ل السيوطى -ص ٩٤- مصدر سابق.

وشيك الوقوع.



من «الأفراد» إلى «الحى» ف الأحياء تتسع مساحة دائرة المتباطئين كيما تشمل قبائل ب أسرها:

﴿تخلفت بعض القبائل عن الجهاد مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فى غزوة تبوك ومنها قبائل: مزينة وجهينة وأشجع وغفار وأسلم كما تخلف بعض المسلمين من أهل المدينة فنزلت الآيات تعتب على المتخلفين﴾.(١)

بل إن التراخى تعدى إلى نفر من اليثاربة العُريان أى من بنى قيلة.

ب هذه الصورة تحول الأمر إلى معضلة ف قبائل البادية، ليس من المستغرب أن تتهاون، إذ إن هذا طبع مركوز فى نفوسهم لأنهم جُبلوا على «التصبيح» والغارات الخاطفة التى تدر الاسلاب والأنفال والغنائم فى أسرع وقت كما أن نسبة الخطورة فيها قليلة أو محسوبة.

أما الغارات فتحتاج إلى «نفس طويل» ووقت مديد وجهد مضاعف ومشقة أوعر.

ب الإضافة إلى أن الاسلام لم يستقر فى قلوبهم ولم يعدن فى صدورهم ولم يترسخ فى وجدانهم فيهون عليهم جماع هذا.

أما ب النسبة إلى الذى آمنوا من أهل أثرب فَ الوضع مختلف، إذ المفروض فيهم وقد آووا ونصروا أنهم أصحاب إيمان قوى وإسلام مكين يبلغ حد اليقين فيعتقدون أن موعود الله الذى جاءهم على لسان (الصادق المصدوق) أكثر تعينا وأبلغ تشيئا وأقوى تحققا مما هو بين أياديهم ولكن حدث العكس ووقع النقيض:

﴿قوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا) الآية

---

١ - (المعجم الموضوعى للقرآن الكريم) ل حمزة النشرتى وآخرين-الجزء الخامس- ص ٤٦٩- الطبعة الأولى ١٩٩٩م/الناشر= حمزة النشرتى.

الثامنة والثلاثون من سورة براءة/التوبة، نزلت فى الحث على غزوة تبوك وذلك أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لما رجع من الطائف وغزوة حنين أمر ب الجهاد ل غزو الروم وذلك فى زمان عسرة من البأس وجدب من البلاد وشدة من الحر، حين أخرفت النخل وطابت الثمار فعظم على الناس غزو الروم وشق عليهم الخروج إلى القتال، فلما علم الله تثاقل الناس أنزل هذه الآية).[1]

ونشد الانتباه إلى العبارة التى وردت فى الخبر «فعظم على الناس» فهى على قصرها تنفح دلالتين:

أولاهما: أن الخروج لِ الحرب غدا من عظائم الأمور، أى موضع استرذال واستهجان وامتعاضٍ واستثقال.

أخراهما: أن ذياك الشعور بسط مظلته السجوم (يقال عين سجوم أى غزيرة الدمع) على الناس لا على نفر معدود أو فئة محدودة أو حتى شراذم مبعثرة أو أشتات متفرقة أو أوزاع متناثرة هنا وهناك.

إزاء تلك الأيأة (الهيأة وزنا ومعنى ا. هـ.) المأساوية والتى بدون شك أصابت قلب (الظفور) بالغم وشحنت صدره الكريم بالأسى وعبأت وجدانه ب الأسف -لا يذره (الحق/الهادى أى الذكر الحكيم) مفردا يعانى تلك الحالة الأليمة.

هذا من رجا.

ومن آخر فإن أولئك الصحاب برهنوا على أنهم فى حَوْجَة شديدة إلى صياغة جديدة وصقل مكين وسبك متين حتى يدركوا أن عترستهم[2] نمّت على نقص فى الإيمان وافتقار إلى نقه الأمور الصحائح-وهكذا أصابت الآية أو الآيات الكريمة هدفين:

أ- إنهاض همم من خوطبوا بها لِ الإرقال إلى ميادين القتال.

(١) (أسباب النزول) ل الواحدى ص١٦٦- مصدر سابق.

(٢) عترس فى الأمر أخذ فيه بالجفاء والعنف- «المعجم الوجيز» والعامة فى مصر تقول: فلان عترس أى عصى ولم يطاوع ا. هـ.

ب- تصحيح العقيدة التى من بين شاراتها الطاعة المطلقة ل (أبى القاسم) وإمضاء أوامره وإنفاذ تعليماته وفى مقدمها الانبعاث إلى ملاقاة العدو.



ننتقل بعدها إلى كتب «تفسير القرآن» ل نطالع فى صحائفها كيف واجه «الشفاء= القرآن» مسألة التراخى عن الخروج ل الغزوات والسرايا: («يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض.....» الآية الثامنة والثلاثون من سورة براءة/التوبة.

(... المروى عن ابن عباس أنها نزلت فى غزوة تبوك وذلك لأنه - صلى الله عليه وسلم- لما رجع من الطائف أقام بالمدينة وأمر ب جهاد الروم وكان ذلك الوقت زمان شدة الحر وطابت ثمارالمدينة وأينعت فاستعظموا غزو الروم وهابوه، فنزلت هذه الآية).(1)

ولعله من نافل القول أن نرقم أن التربية العسكرية التى تعهدهم بها (المنصور) خاصة فى هذه الغزوة «تبوك» أتت أكلها، إذ بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى راضيا مرضيا شمروا عن سواعدهم وخرجوا من جزيرتهم القرعاء الجرداء الجديبة يحاربون ما جاورهم من البلدان، بداهة ب الإضافة ل أسباب أخرى لا مجال لِ سردها.

(«إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما......» الآية التاسعة والثلاثون من سورة التوبة/براءة).

قال ابن عباس -رضى الله عنه- استنفر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- القوم فتثاقلوا فأمسك الله عنهم المطر).(1)

(وكان ذلك فى غزوة تبوك فى سنة عشر بعد رجوعهم من

---

(1) (مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير) ل الفخر الرازى -المجلد السابق- ص٢٦٤- مصدر سابق.

الطائف استنفروا فى وقت عسرة وقحط وقيظ مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم).[2]

ونحن نرى أن الزمخشرى خالف الرازى فى توصيف زمن الغزوة وأتى بعكس ما زبره الأخير ووصفه بالقحط وإن اتفقا أنه حر وقيظ.

وأنه وَهِمَ فيما ذهب إليه، إذ إن الغالب هو أنه وقت طيب الثمار.

(هذا شروع فى عتاب من تخلف عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فى غزوة تبوك حين طابت الثمار والظلال فى شدة الحر وحمّارة القيظ).[3]

ويؤكد ابن كثير أن العذاب الذى ورد ب الآية التاسعة والثلاثين هو حبس المطر عنهم («إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما» قال ابن عباس: استنفر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حيًا من الرب فتثاقلوا فأمسك عنهم القَطْر فكان عذابهم).[4]

اذن ساهمت الطبيعة فى تأييد (أول من يفيق من الصعقة) ومعاضدته بأن حجبت عنهم الغيث والحَيا.

واللفظة التى وردت ب الخبر« القَطْر» أبلغ تعبيرا عن شدة العذاب الذى وقع ب المتراخين لأن من معانى «القَطْر» جمع قطرة.[5]

وهكذا أثبتت الطبيعة أنها من أشد الناصرين ل «صاحب العطايا»، إذ إنها ضنت على المتثاقلين حتى ببضع قطرات يبلون بها ريقهم

---

(١) ذات المصدر -نفس الجزء-ص٦٦٧.

(٢) «الكشاف» ل الزمخشرى -المجلد الثانى- ص ١٨٩.

(٣) (التيسير خلاصة تفسير ابن كثير) ل محمود محمد سالم -الجزء الأول- ص٤٣٩- مرجع سابق.

(٤) ذات المرجع والجزء -ص٤٤٠.

(٥) (المختار من صحاح اللغة) لمحمد محيى الدين عبد الحميد ومحمد عبد اللطيف السبكى -الطبعة الثانية-١٣٥٣هـ - ١٩٣٤م المكتبة التجارية لصاحبها مصطفى محمد ب مصر.

النشف.[1]

كما أن هذا التعبير يفسر لنا وصف العذاب بأن «أليم» الذى ورد ب الآية.

ونحن نفضّل تفسير ابن عباس على التفسير الذى شطّ إليه هُواة الغيبيات بأنه «عذاب الآخرة إذ الأليم لا يليق إلا به».[2]

فاللغة العربية لا تضيق ذرعا بِ نعت عذاب دنيوى بأنه أليم.

وفى القرآن الكريم آيات كثيرة نصف العذاب الدنيوى به منها «لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم».[3]

والرجم وقع عليهم فى الدنيا هو والعذاب الأليم و«يغشى الناس هذا عذاب أليم».[4]

وقد فسرها صاحب مقام رفيع فى دائرة علوم القرآن ب الآتى:

(«يوم تأتى السماء بدخان مبين» الدخان الذى ذكر فى هذا الموضع حين دعا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على قريش أن يأخذهم بسنين كسنى يوسف فأخذوا بالجدب وإمساك المطر، حتى كانوا يرفعون أبصارهم إلى السماء فلا يرون إلا الدخان، فأتاه أبو سفيان فقال: يا محمد إنك جئتنا تأمرنا بالطاعة وصلة الرحم وإن قومك قد هلكوا فادع الله لهم.

«يغشى الناس» يشملهم ويحيط بهم.. كان الرجل لا يرى بينه وبين السماء إلا دخانا من شدة الجهد.

«ربنا اكشف عنا العذاب» دعا المشركون بذلك والمراد ب «العذاب» الجوع....)[1]

---

(١) العامة فى مصر تقول: ريقه ناشف إذن هو لفظ صحيح ا. هـ.

(٢) (مفاتيح الغيب) ل الفخر الرازى -المجلد السابع- ص٦٦٧- سابق

(٣) سورة يس -الآية الثامنة عشرة.

(٤) سورة الدخان -الآية الحادية عشرة.

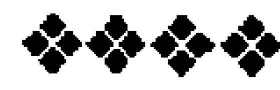
إذن القــول إن «الأليم» لا يصح إطلاقـه إلا على عـذاب الآخـرة فـحـسب ثبت فـسـاده وبطلانه من واقع آيات كـريمات من «أحـسن الحديث- القرآن» نفسه.

ولم نفهم لماذا يستنكر أولئك النفر من المفسرين وقوف الطبيعة بتجلياتها المتنوعة فى جانب (السرى) تنافح عنه وتظاهره مع أن هذا أمر متعارف عليه فى الديانات السامية الإبراهيمية الثلاث، إذ حدث مع عدد كبير من البطاركة الأماثل..

بدأت مع كبيرهم الذى علمهم البلاغ إبراهيم فقد أبطلت النار مفعولها ولم تمسه بأدنى سوء.

وانشق البحر (الأحمر) ل موسى وتبيعه فَ مروا بسلام بين لجحه وأمواجه العاتية وبعد سنوات وقفت الشمس إكراما ل خادمه يشوع بن نون فى كبد السماء ولم تعجل للغروب نحو يوم كامل.(٢)

أما عبدالله وابن أمته عيسى ابن مريم فقد يبس البحر تحت قدميه المباركتين ل يعبره.



من جماعه يثبت أن الطبيعة صديق صدوق ل «الكُمّل» تمد لهم يد العون بسائر طاقاتها.

بعد هذه التفريعة الذى اضطرنا إليها من ينكرون أن العذاب الأليم وقع فعلا على المتكاسلين من النفر إلى قتال الأعادى. نؤوب إلى استكمال ما استطعنا أن نطّلع عليه من التفاسير بشأن التربية العسكرية ل الصحاب ب تحذيرهم من التراخى للبروز ل ملاقاة المناوئين ل إجبارهم ب حدّ السيف على اعتناق الإسلام ول فَرْسَخة رقعة دولة بنى سخينة حتى تهيمن على جزيرة العرب ب أكملها وبعد

---

(١) (المختصر فى التفسير) مختصر من تفسير الطبرى- ل ابن صمادح التجيبى- ص٣٩٦- مصدر سابق.

(٢) الكتاب المقدس/يشوع-١٠/١٤ كيما ينتقم هو والشعب من أعدائه.

[redacted]

ما تم لها ذلك فى حياة (المصطفى) طفقت تتمطط خارج حدودها وتغزو البلاد المجاورة تحت حكم التيمى ومن بعده العدوى ثم تفرشحت على أيدى (ملوك) بنى أمية...



(ذلك أنه -صلى الله عليه وسلم- لما رجع من الطائف أقام ب المدينة فأمر ب جهاد الروم، فاستثقله الناس لكون الزمان زمان صيف وقحط ولبعد المسافة، ولمزيد احتياج إلى الاستعداد ولشدة الحر وللخوف من عسكر الروم ولوجود أسباب الرفاهية بالمدينة لكون الوقت وقت إدراك الثمار وحصول الغلات)[1]

هذا النص الذى وافانا به القمى النيسابورى ثَرٌ بِ المعطيات وفى الوقت ذاته يستدعى عددا من الملاحظات:

أ- التثاقل أو التباطؤ أو التكاسل شمل «الناس» أى لم يقتصر على عدد محدود.

ب- أن «الصبور» لم يمكث ب القرية ذات الحرتين سوى بضعة أيام.

ج- الأمر الذى وزّ أصحاب التقاعس على أن يطرحوا سببا له بعض الوجاهة وهو أن الاستعداد لم يتم ب ما فيه الكفاية.

د- أن العريان درجوا على الرهب من الروم باعتبارهم «قوة عظمى» فى ذيّاك الإبّان المدهش مما يغدو معه القول صحيحا تماما إن الذى نزع من صدورهم ذلك الخوف وجّرأهم على الوقوف أمامهم هو «الصالح» وهى نقطة مضيئة تضاف إلى رصيد تاريخه الباهر والحق أن تاريخه من أوله ل آخره باهر.

هـ - أن «أسباب الرفاهية» متمكنة بين صناديد أهل أثرب وهو ما

---

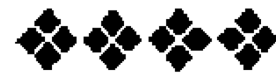
(١) (غرائب القرآن) ل القمى النيسابورى -المجلد الخامس-الجزء العاشر-٤٥٥- مصدر سابق.

أكدناه فى دراسات لنا سوابق، ومعلوم أن البلهنية تصاحبها أدواء اجتماعية خاصة فى نطاق الرابطة الثنائية بين الذكران والنسون.[1]

وأثار توثيقنا ل هذه الحقيقة التاريخية حفيظة الإخوة الدوجماطيقيين -سامحهم الله- ف هاجمونا ب قسوة وعنف بالغين لدرجة أن بعضهم سبنا سبا قبيحا بل وصل الأدب الجم ب أحدهم أن تناول والدىّ «أمى وأبى» رحمهما الله رحمة واسعة وجزاهما عنى خير الجزاء-مع أن «متمم مكارم الأخلاق» الذى يدعون أنه زعيمهم نهى عن الفحش والفحش « ..فإن الله لا يحب الفحش والتفحش».[2]

وأمرهم القرآن المجيد أن يخاطبوا الناس بكل أدب «وقولوا للناس حسنا».[3]

و- تناقض القمى فذكر أن الزمان زمان قحط وبعد سطر: «لكون الوقت وقت إدراك الثمار وحصول الغلات».



ورجح القمىّ أن العذاب الذى ورد ب الآية هو عذاب وقع على المتقاعسين فى الدنيا لا فى الآخرة («يعذبكم عذابا أليما» قيل هو عذاب الدنيا) عن ابن عباس: استنفرهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فتثاقلوا، فأمسك اللهم عنهم المطر).[4]

أى أن القمىّ اختار التفسيرالعقلانى وهو عذاب الدنيا لا التفسير الأسطورى وهو العذاب الأخروىّ.

لا شك أن القارئ سوف يعتريه الدهش ويتولاه العجب ويهيمن عليه الاستغراب ويصيح قائلا أو يقول صائحا: كيف تعد تفسير

(١) فضلا وكرما انظر كتابنا «مجتمع يثرب-العلاقة بين الرجل والمرأة فى العهدين المحمدى والخليفى» وقد طبع مرتين.

(٢) خرجه أبو داود وهو من أصحاب الصحاح الستة وأحمد بن حنبل فى مسنده.

(٣) البقرة-٨٣ ·

(٤) ذات المصدر والمجلد -ص٤٥٦ ·

العذاب بِ حبس المطر عقلانيا؟

وجوابنا: إن العقلانية تحتم علينا وعلى كل باحث موضوعى أن يموضع الأحداث فى زمانها ومكانها كيما يستخلص الحكم الصحيح عليها.

فهى وقعت خلال الثلث الأول من القرن السابع لِ ميلاد عبد الله وابن امته عيسى ابن مريم.

وفى بقعة خاصمتها الحضارة وخوطب بها أميون أكثرهم لا يعقلون كما وصفهم القرآن العظيم.

أما قياسها بِ مقاييس القرن الحادى والعشرين فهذا شطط عن أبسط القواعد وانحراف عن الموضوعية وتغريب لِ العقلانية.(١)



قد يرتفع استفسار على لسان قارئ ذكى:

لماذا هذه الوقعة المستأنية والتفرقة بين التفسير العقلانى والتفسير الغيبى لِ العذاب الأليم الذى وقع على المتثاقلين؟ وما هى وشيجته بسياقة البحث؟

والحق أنه استبيان على قدر متميز من الاستساغة.

ونبدأ بالاجابة على دُبُره أو عَجُزه:

الآصرة التى تربطه ب صلب الموضوع متينة وإن لم يلمحها القارئ.

ترجيح تفسير العذاب الأليم ب العذاب الدنيوى التى انصب على رؤوس المتكاسلين والذى تمثل فى حبس المطر عنهم وهو ما أكده حبر الأمة الذى ضربت إليه أكباد الأبل لِ النهل من علمه ونعنى به عبدالله بن عباس يؤكد التحام النصوص بالبيئة.

---

(١) تناولنا هذا الموضوع بتفصيل فى كتابنا «فترة التكوين فى حياة الصادق الأمين» الذى صدرت طبعته الأولى سنة ٢٠٠١ من دار ميريت لِ النشر بِ مصر- ثم طبع مرة أخرى بعد أقل من ٦ أشهر فـ ليرجع إليه من يريد المزيد من التفصيلات.

هى هنا الآيات المباركات واختلاطها ب الواقع المعاش واصطباغها ب صبغته وهو أمر طبيعى لا غرابة فيه لأنها انبجست من ينابيعه واستقت من معينه وحملت «جيناته».

والذى يمارى نحيله إلى ما رسخه (التذكرة/العروة الوثقى أى القرآن) ذاته فى العديد من آياته: «وهذا لسان عربى مبين» ١٠٣/النحل وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا»١١٣/طه و«إنا جعلناه قرآنا عربيا»٤٣/الزخرف و« قرآنا عربيا غير ذى عوج» ٢٨/الزمر.(١)

ونكتفى بهذه الآيات المجيدات كأمثلة.

وبداهة فهو عربى لا فى اللسان «الشفاهى» أو اللغة «الكتابة» ف حسب إنما تمتد عروبته إلى الأجواء والظروف المحيطة والأنساق السائدة والتقاليد المرعية بل حتى تأثره ب الأحوال المناخية والعوامل الجغرافية.... إلخ.

نضرب مثلا سريعا:

لو أن انبثاق هذه الآيات المباركات وقع فى دلتا النيل «=الوجه البحرى» أى فى بيئة زراعية ل صار العقاب هو هلاك المحصولات بآفات طبيعية مثل الجراد أو الدودة..... إلخ.

ولم يتمثل فى صورة منع القَطْر لأن فى مياه النيل الدفاقة عوضا!!!



إذن عربيته أو عروبته بكافة أنساقها ومن كافة أقطارها ومن سائر أنحائها ومن جميع أرجائها لا يذر منها شيئا ولا يترك منها شاردة ولا يدع واردة، ومن ثم اعتقد الأعراب المتخلفون أن المطر خاصمهم جزاء وفاقا على سوء صنيعهم وهو الذى أيده ابن عباس فى تفسيره.

---

(١) «القرآن العظيم» النحل/ طه/ الزخرف/ الزمر.

ومن البداهة أنه «=الحبر» عربى فتصوره للعذاب الأليم أنه

انحباس القَطْر وهو تصور عربى مستمد من البيئة بكل مقوماتها وعلى رأسها البيئة الجغرافية.

نزيد الأمر إيضاحا:

لو أن أولئك المتخلفين يعيشون فى دلتا النيل «الوجه البحرى من مصر» وأصابت آفات طبيعية زراعاتهم لبادر ابن عباس ب تفسيرها أنها العذاب الأليم المتوافق مع تقاعسهم عن القتال.

هذه هى الصلة التى تربط النصوص بوسطهما التى بُحّ صوتنا أو بمعنى أدق جَفّ مداد قلمنا فى شرحها وتبيانها وتبسيطها وتوضيحها.....إلخ.

بخلاف التفسير الغيبى أو الأسطورى الذى أوّل العذاب ب أنه سوف ينالهم فى الحياة الأخرى فَ علاوة على الأدلة التى وضعناها فى جيب القارئ والتى تقطع ب عطنه وتؤكد فُسُولته وتبرهن على خَطَله فإنه يباعد بين النصوص وبين الواقع المعاش التى تصاعدت منه، أى تفصم عنه الميزة الباهرة التى تُعلى مقامه وترفع شأنه وتسمو ب مكانته على التوراة «=الأسفار الخمسة» التى نزل بها موسى من على الجبل إلى تبيعه والتى ذكر أن ربه قد رقمها ب أصابعه القدسانية!!!!



ولِ الأهمية القصوى التى نوليها ل هذه الفكرة الجوهرية نرى أنه لا بأس ولا يعد تطويلا من جانبنا عندما نلقى مزيدا من الضوء على حفافيها «جوانبها»:

عندما ذهب الطليق «أبو الطلقاء» أبو سفيان إلى «سابق العرب» يطلب منه أن يدعو ربه أن يزيل عنهم الكرب الذى لحق بهم قحطا وجدبا ومنع مطر حتى تخيل الواحد منهم أنه وإذ يرفع رأسه إلى

أعلى لا يرى شيئا خلاف دخان كما شرحه لنا المفسرون.

(وسبب نزول الآية أن قريشا لما استعصت على الرسول -صلى الله عليه وسلم- وأبى أكثرهم الإسلام دعا عليهم فقال: «اللهم أعنى عليهم بسبع كسبع يوسف، فأصابهم قحط شديد وبلاء حتى أكلوا الميتة والجلودَ والعظام».

وكُنّى عنه بالدخان لما تقدم بيانه، كلما اشتد الجدب اشتد الدخان تكاثفا فكان الرجل يحدّث الرجل فيسمعه ولا يراه وذلك قوله - سبحانه «يغشى الناس» أى يضمهم ويحيط بهم).(١)

جهلى أكثر من علمى ولو أن الخليفة أراد أن يعطينى راتبا على جهلى لما وسعنى كل ما فى بيت المال» .ا. هـ.

نقول عندما ذهب «بعل هند آكلة المرار» إليه أفصح ب صدق عن مكنون نفسه ونفوس بنى سخينة بل وجميع المكاكوة.

وسواء نبع هذا الاعتقاد من المخيلة أو من حقيقة الشعور الداخلى، غبّ إن ضاقت الصدور وملأها الضيق ف الذى لا مشاحة فيه أنه اتسم ب التلقائية والبعد عن الكذب أو الاختراع أو الاصطناع.

وأبو سفيان رغم عيوبه المتعددة وبالغ عدائه لِ «سيد الناس» ورهطه ودينه إنما فى هذا المقام لم يزوّر.(٢) قالته بل إن العكس هو الصحيح.

---

(١) (التفسير الوسيط ل القرآن الكريم) تأليف لجنة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية ب الأزهر -ص٨٤٨- المجلد الثالث- الحزب الخمسون-الطبعة الأولى-١٤٠٩هـ/١٩٨٩م

وكنا نفضل لو أن الأزهر كتب على الغلاف «لجنة من الشيوخ أو الأساتذة» ...إلخ. بدلا من «لجنة من العلماء» تواضعا وتأسيا ب السلف الصالح فالذى طالعناه فى سيرة الإمام الأعظم أبى حنيفة النعمان -طيب الله ثراه- أنه كثيرا ماردد:

(٢) العامة فى مصر تقول: فبرك .ا.هـ.

فـ هو زعيم مناوئيه إذن من الصعب عليه وعلى مكانته أن يتوجه إلى دار عدوه لِ يزيل الحجاب عن هلعهم ويرفع الستر عن ضعفهم ويكشف الغطاء عن خورهم أمامه بل يتذلل إليه ليدعو ربه لِ يزيح العذاب عنهم.

وسواء توافق اعتقاد أبى حنظلة «كنية أبى سفيان» مع الحقيقة أو المنطق أو الأسس العلمية الصحيحة أم لا، فالذى لا مشاحة فيه وبكل المقاييس التزم الصدق بمعنى أنه عبر عن حقيقة تيقنها.

هذه هى الوشيجة التى نعنيها ونرمى إليها: تناسب الثقافة مع موجبات البيئة ومعتقدات المجتمع وإكراهات الوسط بغض النظر عن أن الموجبات أو المعتقدات والإكراهات: صحيحة أم فسيدة، متقدمة أم متخلفة، متحضرة أم متبدية، متمدينة أم متوحشة، فـَ لسنا هنا بصدد حكم قيمة عليها فهذا له مكان آخر.

بيد أن الذى نؤمه (نقصده) هو صدق ما طرحه القائل (أبى حنظلة) ب النسبة إليه هو لا إلينا.

فـ هو ليس عالم طبيعة حتى نحاجه فيما ذهب إليه ونثبت خطأه من الناحية العلمية.

بل هو رجل نصف بدوى ونصف حضرى عاش فى الثلث الأول من القرن السابع الميلادى أى فى القرون الوسطى الأولى فى بيئة متخلفة مليطة من الحضارة، عارية من العلم مقلة من المدنية، وقد غدت الحادثة التى تفوه بكلماته إبان وقوعها.. تاريخية ومن ثم يتعين وبطريق الحتم واللزوم النظر إليها كذلك.

أما علاقة هذا كله ب «النصوص» فإنها جزء من ذياك الواقع =المدهش ومن ثم فقد جاءت ملتبكة به، ملتحمة فيه: أفصحت عن أشواقه وأشواكه وآلامه وآماله.

هذا الجانب المبهر هو الذى نفحها مزيدا من التميز عن غيرها من الكتب المقدسة التى حملها إلى تباعهم الكمل السوابق الذين

مــلأوا الدنيــا وشــغلوا الناس ومــازالوا يفــعلون وأغلب الظن أنهم سيظلون هكذا حتى تتغير جذريا الأنساق الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والمعرفية خاصة فى منطقتنا التى شاء لها حظها البالغ السعادة أن تشهد ظهورهم المبرور على أرضها!!!



نعرج على كتب التفسير الحديثة:

(وتبوك موضع فى منتصف الطريق بين المدينة ودمشق فهى تبعد عن الأولى ستمائة وعشرة كيلو مترات وعن الثانية ٦٩٢كم.

وكان السبب فى هذه الغزوة ما بلغ المسلمين من الأنباط الذين يقدمون بالزيت من الشام إلى المدينة من أن الروم جمعت جموعا معهم لخم وجدام وغيرهم من متنصرة العرب حتى وصلت طلائعها إلى البلقاء ب إمرة قائد عظيم منهم يدعى قباذ وعدد جنده أربعون ألفا فندب النبى الناس ب الخروج لقتالهم وأعلمهم الجهة التى يغزونها....

روى ابن جرير عن مجاهد قال: أُمروا بغزورة تبوك بعد الفتح وبعد حنين وبعد الطائف أمروا ب النفير فى الصيف حين اخترفت النخل (اجتنى ثمرها) وطابت الثمار واشتهوا الظلال وشقّ عليهم الخروج فقالوا: منا الثقيل وذو الحاجة والضيق والشغل والمنتشر به أمره فى ذلك كله).[1]

هذا الخبر أو هذه الأخبار التى ساقها لنا الشيخ عبد الحميد كشك وضعت أيدينا على حقائق ساعدت على تسليط مزيد من الضوء:

أ- أن عدم الاستعداد الذى تعلل به المتقاعسون كما زيرنا فيما سلف مرده إلى أن الروم ومعهم أوباش من القبائل التى تنصرت

(١) (فى رحاب التفسير) ل عبد الحميد كشك -الجزء العاشر/ص ص ١٥٥٦/١٥٥٧-مرجع سابق.

شرعوا فى الزحف على أثرب ووصلوا إلى البلقاء ومن ثم ف غدا من الحتم الذى لا مهرب منه سرعة الخروج ملاقاتهم وبذا بطلت تعلة عدم الاستعداد الكافى.

ب- الرواية هنا جاءت عن طريق مجاهد وهو من التابعين الأكابر وسواء رواها عن الحَبْر أو غيره من الصحاب فإنها تزيد الخبر نفحة إضافية من الوثاقة.

ج- جمع المتكاسلون حزمة من المعاذير ضمت كل ما يمكن تقديمه: الثقل، الحوجة، الضائقة، الشغل.

د- أنه زمن صيف طابت فيه الثمار وأصبحت فيه الظلال مشتهى الأنفس.

وبداهة أنفس المترفين أصحاب الرفاغة والرغد والبلهنية الذين سبق ذكرهم، ونرجّح أنهم المقصودون، بدليل ما جاء فى الآية الكريمة الرقيمة ٣٨: «أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة إلا قليل» ذلك أن المحاويج والمعوزين والمملقين والمفاليس ليس بأيديهم متاع الدنيا يحرصون عليه ولا يودون فراقه أو حتى البعد عنه ولو شبرا، وهنا نشد الانتباه إلى ما جاء فى الآية الكريمة من ردع ثقيل ل أصحاب الرفاهية لرضاهم ب المتاع الدنيوى وتقديمه على الأخروى.

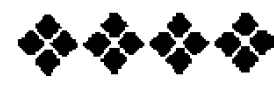
وهذا يؤكد حوار (المهيمن/المبارك أى القرآن) مع الواقع ب صورة جلية لا تخطئها العين ف لولا موقف المرفهين الذين يعضون بنواجذهم على لذائذ الحاضر لما تضمنت سطور الآية المجيدة هذا الوعيد الشديد «يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا» كل هذا يقطع بأن مقاومة المنعمين صلبة وعنيدة ضاق بها وجدان (المجتبى- أبى القاسم).

ومما له مغزى فى هذا النطاق أن ثلاثة من بنى قيلة أصروا علي موقفهم وآثروا التلذذ ب الثمار الناضجة والظلال الظليلة والمياه

الباردة والزوجات الشابات الحسينات والجوارى الجميلات، إذ هم أصحاب حيطان «كروم» وبساتين وحدائق.

وأحدهم هو هلال بنى أمية الذى بزغت فى شأنه وزوجته آيات اللعان، ذلك أنه عاد من كروم نخله وبساتينه مع الغروب فوجد رجلا راكبا عليها وشهد بعينيه وسمع بأذنيه إلى آخر القصة التى ذكرناها فى فاصلة سابقة.

إذن المتثاقلون والمصرون على التخلف هم من الأغنياء والمياسير وذوى النسب فـ ألزم اللازم قـصم ظهـورهم النواعم ب آيات ذوات وقع شديد حتى يكفوا ولا يعودوا لمثله أبدا، خاصة أن الشوط مازال بعيدا.



(سبب نزول هذه الآيات وما بعدها أن النبى -صلى الله عليه وسلم- استنفر أصحابه ل يخرجوا معه فى غزوة تبوك وكانت سنة تسع من الهجرة بعد الفتح ب عام وكان الحر شديدا وبالناس عسر وقحط وقد نضجت ثمار المدينة وطابت ظلالها.... فشق عليهم ذلك وتباطأ وا فى الاستجابة، فنزلت هذه الآية).(1)

مصنف هذا التفسير أستاذ جامعى ويحصل على رخصة لنشر كل جزء من مؤسسة شئون التقديس.

إذن فـ المعلومات التى يقدمها من المفترض أنها صحيحة ومن هذا المنطلق فإنا نزير الآتى:

أ- ب حسب ما تضمنه الخبر أن الذين استنفروا وشق عليهم الخروج تُبّاعُه أو «أصحابه» لا «ناسا» عاديين.

حقيقة أن كل من رأى (الفخر/الفخم) وآمن به وجلس إليه ولو ساعة من النهار عُدّ من الصحابة حتى ولو من الجن، بيد أن كلمة

(1) (تفسير القرآن الكريم) ل عبدالله شحاته -الجزء العاشر ص١٨٦٩-١٨٧٠ - مرجع سابق.

«أصحابه» اصطلاحا تعنى الذين لا زموه آمادا طويلة أو معقولة وخرجوا معه فى غزوة.....إلخ.

وقد شرحنا ذيّاك جماعه فى كتابنا «شدو الربابة».

نخلص أن المتخلفين أو المتقاعسين كما أخبرنا المصنف شحاتة أو شحاتة المصنف هم من الصحابة وهو أمر ليس من اليسير أن يعدّى بسهولة، إذ إن دلالته البينة أن العَصلجة وصلت إلى الصحابة الثقال.

ب- الفارق الزمنى بين الفتح وتبوك عام، هذا مازبره المصنف وهو تعبير غير دقيق إذ إن هذه المدة تضم غزوة هوازن أو يوم حنين ثم حصار «غزوة» الطائف ثم عشر سرايا وثلاثة بعوث ثم الاستعداد ثم النفر ثم المكوث فى أرض المعركة ثم العودة إلى قرية الحرتين.

وحرى به وهو أستاذ جامعى أن يراعى الدقة خاصة وهو بصدد تفسير (الهدى/القرآن).

ف المصادر ذات المكانة السامقة أكدت أن هَيّعَة الحرب التى أطلقت ل لقاء الروم وإفناء القبائل المتحالفة معها صمّت الأسماع بعد أيام من وصوله والمسلمين أثرب غبّ أن أخبرهم التجار الأنباط بالشروع فى الزحف عليهم.

وهذا ما أكده شيخ الإسلام القسطلانى فى «المواهب»:

(وسببها أن بلغه -صلى الله عليه وسلم- من الأنباط الذين يقدمون بالزيت من الشام إلى المدينة أن الروم تجمعت بالشام مع هرقل، فندب -صلى الله عليه وسلم- الناس إلى الخروج..).(١)

هذا هو الصحيح الذى يتعين على المصنف أن ينسخه.

هنا يتساءل القارئ:

---

(١) (المواهب اللدنية ب المواهب المحمدية) ل شيخ الإسلام أحمد بن محمد أبو العباس -شهاب الدين القسطلانى ٨٥١-٩٢٣ هـ -المجلد الأول ص ص٣٠٠-٣٠١ - الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ-٢٠٠١- دار الغد العربى- ب مصر.

ما الأهمية ل هذا التحديد أو هذا التدقيق؟

الإجابة تكمن فى أن عدم الاستعداد الذى تذرع به المترفون المتخلفون له ما يبرره وهو التعجيل بمداهمة طلائع الروم والأوباش قبل وصولهم إلى يثرب.

بخلاف ما لو أن الفاصل حول كامل، ف هذا يسم القيادة بالتراخى فى اتخاذ الأهبة، إذ أمامها اثنا عشر قمرا (شهرا) لم تقم إبانها بواجبها ثم استعجلت عسكرها فى أيام معدودات، إذن لهم العذر أو بعضه فى التكاسل والتراخى والتثاقل...إلخ.

وهو مالم يفطن إليه المصنف شحاتة أو شحاتة المصنف.

وسبق أن نصحنا الإخوة ألا يتسرعوا وهم يكتبون فى مثل المواضيع الشديدة الحساسية البالغة الدقة ال مُمعنة فى الخطر.

ج- دون أن يفطن أو حتى يدرك وقع شحاته فى تناقض واضح وهو أن بالناس قحطا وقد نضجت الثمار وطابت الظلال.

ف هل توجد فى زمن القحط ثمار؟

لو كلف نفسه -وهو أستاذ فى كلية تهتم ب اللغة العربية- عناء (؟) فتح أى قاموس أو معجم لَ علم أن:

(القحط: احتباس المطر ويبس الأرض).(١)

(القحط: الجدب)(٢)

و(القحط: احتباس المطر).(٣)

فهل لو ضرب قرية الحرتين قحط لأنتجت ثمارا ناضجة؟

وهل ينفح يبس الأرض والجدب واحتباس المطر الثمار الناضجة؟

ولكن ما الذى أوقع المصنف فى هذا التناقض الظاهر؟

---

(١) (المعجم الوجيز).

(٢) (المختار من صحاح اللغة).

(٣) (القاموس المحيط).

ما نسخناه فى المفتتح أن المحدثين لا يفسرون (التذكرة/القرآن) إنما يلملمون ماورد فى التفاسير التراثية حتى لو تنافر أوله مع آخره واختلف مُجلّيه مع مُصلّيه وتناقض صدره مع عجزه، كيما يحصلوا على رخصة الموافقة على النشر من المؤسسة الدينية الرسمية.



ثم نعود إلى سياقة الدراسة:

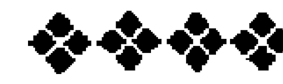
تعدد الآيات الكريمة التى تحض على النفر لِ قتال العدو وهم - باستثناء غزوة تبوك وإلى حدما سرية مؤتة -مشركو الجزيرة بقصد إجبارهم على اعتناق الدين الإسلامى بحد السيف وبالتالى الانضواء تحت راية الدولة القرشية.

ومن العسير إحصاء الآيات التى حملت الوعيد الشديد ل المتقاعسين وقد ركزنا على ما تعلق منها ب غزوة تبوك لأنها تضمنت بين جوانبها النصوص الحاسمة على الحث والتحريض والاستنفار وعلى التهديد الصارم.

وهكذا يثبت دائما (الحبل ـ القرآن) أنه يرعى (القانت) ولا يتخلى عنه طرفة عين.

ومن رجا آخر، ف إن هذه الآيات المجيدة تؤكد صلتها الحميمة ب ما يجرى على صعيد من خوطبوا بها ولا تنأى عن أحوالهم.

وبالتالى تبدو فكرة الانفصام والتجاوز والتحليق فى الفضاء فطيرة (= غير ناضجة) يبرر بها قائلوها اتجاههم الأيديولوجى الذى لا يخفى عن الفطن، فضلا عن ترسيخها وما سبقها ل ميزة التنجيم التى انفرد بها (الرحمة= القرآن).



٢- النهى عن الخيانة

الخيانة عمل بشع خاصة خيانة الجندى لِ قيادته فى ميدان القتال عقابها فى كافة الشرائع هو القتل نظرا لما يتولد عنها من آثار

وبيلة ونتائج مدمرة وعواقب وخيمة.

رغم ذلك أقدم عليها أحد الصحبة من بنى قيلة[1] ولا يشفع له رباطه الوثيق ب من أفشى لهم السر.

وموجز القصة أن بنى قريظة نقضوا عهدهم مع (سيد الخلق/محمد) ووضعوا أيديهم النجسة فى أيدى الأحزاب فى وقعة الخندق وهى من أقسى مالقيه المسلمون.

وبعد انصرافهم مخذولين والتيقن منه آن ل القائد وجنوده أن يعودوا إلى منازلهم للراحة والاستجمام بعد العناء الذى كابدوه:

(ولما دخل -صلى الله عليه وسلم- المدينة يوم الأربعاء هو وأصحابه ووضعوا السلاح جاء جبريل -س- معتجرا بعمامة من استبرق على بغلة عليها قطيفة من ديباج....

فقال له وضعت السلاح والله ما وضعناه فاخرج اليهم وأشار إلى بنى قريظه.. وبعث مناديا ينادى: يا خيل الله اركبى).[2]

وأطاع التبع الأوفياء وهرعوا إلى مقصدهم راجلين وراكبين.

وأمّر على يثرب عبدالله بن أم مكتوم الذى هلّت بشأنه سورة «عبس وتولى» فى قرية القداسة بكة ولعل استعماله واليا على ذات الحرّتين قُصد به المزيد من الإرضاء له ولأمثاله من المستضعفين أو الأراذل كما يسميهم الملأ أو المستكبرون.

فضلا عن أن تأمير واحد من بنى قَيْلة ربما يؤوله البعض أنه إيحاء بأن لهم سؤرا من الإمارة أو الولاية أى الحكم ب المعنى المعاصر وهو ماحرص (الشمس/الشكار) على تغريبهم عنه ، إذ كثيرا ما صرح بأن الأئمة (=الحكام) من قريش وهذا بديهى لأنها دولتهم ولأن جده الأعلى (قصى) عندما وضع أساسها لم يفعله ليشركه فيها الأعراب

---

(١) سيدة النساء فاطمة بنت محمد خاطبت الأثارية العربية ب: أيها بنى قيلة.

(٢) (المواهب اللدنيـة بِ المنح المحمـدية) لِ القسطلانى -المجلد الأول- ص٢١٢- مصدر سابق.

الأثارية ولا غيرهم من العربان أو الأعاجم.

حاصر (النذير) وتباعه بنى قريظة إحدى وعشرين ليلة وهو رقم يدل على العناد وصعوبة المراس لأن الحصار لم يقم به المسلمون وحدهم بل عاضدت فيه كتيبة من الملائكة يقودهم جبريل ذو القوة الجبارة الهائلة.

وتشاور أولاد الأفاعى فيما بينهم واستقر رأيهم على سلوك محجة المراودة والمفاوضة مع «سعد الله»:

(وأرسلوا إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن ابعث إلينا أبا لبابة- نستشيره فى أمرنا فأرسله إليهم، فلما رأوه قام إليه الرجال وجهش إليه النساء والصبيان يبكون فى وجهه فَرَّق لهم، وقالوا يا أبا لُبابة أترى أن ننزل على حكم محمد؟ قال: نعم وأشار بيده إلى خلقه أنه الذبح.

قال أبو لبابة فو الله مازالت قدماى من مكانهما حتى عرفت أنى قد خنت الله ورسوله)[1]

وهكذا أقدم أبو لبابة على خيانة قطيعة ب أن كشف عما عقد قائده العزم عليه وهو نحرهم عقوبة لهم على نقض العهد معه وتحالفهم مع القبائل التى أقدمت للقضاء عليه وعلى دعوته لولا الحيلة العسكرية التى اقترحها سلمان الفارسى ثم الدور المروع للعوامل الطبيعية وعلى قُلتها الريح العاصفة والبرد القارس ثم دهاء نعيم بن مسعود وفوق جميعه رحمة الله بالمسلمين.

****

أبو لبابة ليس صحابيا عاديا إذ «كان نقيبا شهد العقبة وسار مع النبى -صلى الله عليه وسلم- إلى بدر فرده إلى المدينة فاستخلفه عليها وضرب لها بسهمه وأجره).[1]

(١) المصدر السابق -ص٢١٢ ٠

إذن هو يحمل على صدره وسامين رفيعين: شهوده بيعة العقبة وحضوره اعتباريا غزاة بدر الكبرى.

ف ما الذى دفعه إلى ارتكاب تلك الخطيئة الفاحشة؟

زبرنا أن اليثارية الأعراب واليثارية اليهود ربطتهم علاقات وطيدة ولعل القارئ لاحظ أن بني قريظة هم الذين طلبوه تحديدا ل ثقتهم البالغة فيه، لأنه «كان مناصحا لهم».[٢]

وفيما بعد عندما تيب عليه أقسم ألا يطأ أرض بنى قريظة أبدا مما يقطع بأنها أثيرة إليه قريبة من نفسه إذ لديه فيها مصالح جمة متعددة (لأن عياله وماله كانت عندهم).[٣]

بل إنه غبّ العفو عنه قرر أن يتخلى عن ماله (= أرضه) الذى دفعه الحرص عليه إلى المخانة الكريهة «فقال: إن من تمام توبتى أن أهجر دار قومى التى أصبت فيها الذنب وأن انخلع من مالى، فقال: -صلى الله عليه وسلم- يجزيك الثلث تتصدق به).[٤]

ولا يفوتنا أن نشد انتباه القارئ إلى قول ابن المنذر «دار قومى» أى أن بنى قريظة فى ملء وجدانه هم قومه ودارهم داره!!!!

وأنه اعتبر عملته السوداء مجرد ذنب «التى أصبت فيها الذنب» لا كبيرة ولا خطيئة مما يوثق بأن تقييمهم للأمور يتشح بِ الخفة ويأتزر ب العباطة ويتزمل بِ الهبل.[٥]



وبقية القصة أن أبا لبابة (انطلق على وجهه حتى ارتبط فى

(١) (أسد الغابة) ل ابن الأثير الجزرى -المجلد السادس ص ٢٦٥- مصدر سابق. و«الإصابة» ل ابن حجر العسقلانى-المجلد السابع- ص ٢٥٥-مصدر سابق.

(٢) (أسباب النزول) ل الواحدى -ص١٥٧-مصدر سابق.

(٣) ذات المصدر والصفحة

(٤) (غرائب القرآن) ل القمى النيسابورى -الخامس-ص٢٣٢-مصدر سابق.

(٥) فى معاجم اللغة /الهبل = ضعف التمييز.

المسجد إلى عمود من عمده وقال لا أبرح مكانى حتى يتوب الله على مما صنعت وعاهد الله ألا يطأ بنى قريظة أبدا ولا أرى فى بلد خنت الله ورسوله أبدا).(١)

ب هذا العمل أدرك «صاحب التاج» خيانة واحد من أعلام صحبه ولا مشاحة أنه حزّ فى نفسه وآلمه فور أن أضاءت بنورها الوهاج الآية السابعة والعشرون من سورة الأنفال «يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله ورسوله وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون»:

(روى سعيد بن منصور وغيره عن عبدالله بن أبى قتادة قال: نزلت هذه الآية فى أبى لبابة بن عبد المنذر، سأله بنو قريظة يوم قريظة: ما هذا الأمر؟ فأشار إلى حلقه يقول الذبح الذبح، فنزلت، قال أبو لبابة: مازالت قدماى حتى علمت أنى خنت الله ورسوله).(٢)

وهنا ملمح عميق الدلالة أن (ذؤابة قريش) علم ب الخيانة بعد إهلال الآية وأن أبا لبابة لم يربط نفسه ب عمود فى المسجد المحمدى الشريف إلا بعد أن كشفت الآية المجيدة فعلته الشنعاء.

إن ما أورده السيوطى أقرب إلى المنطق والمعقولية.

ونترك الحدس والتخمين الذى قد لا يلقى قبولا من المناوئين ونأتى بنص صريح لأن عقليتهم الدوجماطيقية لا يقنعها سوى النقل:

(.. فنزلت هذه الآية «يعنى ٢٧ الأنفال» فلما نزلت شد نفسه على سارية من سوارى المسجد وقال: والله لا أذوق طعاما أو شرابا حتى أموت أو يتوب الله على).(٣)



(١) (المواهب اللدنية ب المنح المحمدية) ل القسطلانى -الأول ص ٢١٣- مصدر سابق.

(٢) (لباب النقول) ل السيوطى /ص٨٧- مصدر سابق.

(٣) (أسباب النزول) ل الواحدى النيسابورى -ص١٥٨- مصدر سابق.

أما ما جاء بشأنها فى كتب التفسير:

(نزلت هذه الآية فى أبى لبابة حين بعثه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى قريظة لما حاصرهم وكان أهله وولده فيهم، فقالوا يا أبا لبابة ما ترى لنا، أننزل على حكم سعد بن معاذ فينا، فأشار أبو لبابة إلى حلقه أى أنه الذبح فلا تفعلوا فكان ذلك منه خيانة لله ورسوله).(1)

سعد بن معاذ هو الذى عرض على بنى قريظة أن يحكم فيهم وَلَبَكته ورهطه بهم وشائج متينة وهو الذى حكم عليهم بعد قليل بذبح البالغين من رجالهم وهم ما بين سبعمائة إلى تسعمائة، وسبى النّسْوَن والذرارى.

يستدل مما تضمنه الخبر أن حكمه معروف للجميع ويتمثل هذا فى أن أبا لبابة كشفه لهم ونصحهم برفض تحكيمه وألا يعتقدوا أن حلفهم وصلاتهم معه ومع قومه ستحول دونه والقضاء بِ نَحْرهم.

(إن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حاصر يهود بنى قريظة إحدى وعشرين ليلة فسألوا الصلح كما صالح إخوانهم بنى النضير على أن يسيروا إلى أذرعات وأريحاء من أرض الشام فأبى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فأبوا وقالوا: أرسل إلينا أبا لبابة.. وكان مناصحا لهم لأن عياله وماله فى أيديهم، فبعثه إليه، فقالوا له ما ترى هل ننزل على حكم سعد؟

فأشار إلى حلقه، إن حكم سعد بن معاذ هو الذبح)(2)

ولقد أورد الزمخشرى الخبر بنصه وفصه.(3)

أما القرطبى فقد أورد «نزلت فى أبى لبابة أشار إلى بنى قريظة

---

(1) (مفاتيح الغيب) ل الفخر الرازى -المجلد السابع-ص٤٧٨/٤٧٩- مصدر سابق. مصدر سابق.

(2) (الكشاف) ل الزمخشرى /المجلد الثانى- ص ١٥٣.

(3) (غرائب القرآن) ل القمى النيسابورى -المجلد الخامس-ص٣٣٣ مصدر سابق.

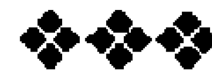
حين قالوا: ننزل على حكم سعد بن معاذ، لا تفعلوا فإنه الذبح وأشار إلى حلقه).(١)

هذا الأثر يقطع بأن بنى قريظة هم الذين اختاروا سعدا حكما (فقالوا لا ننزل على حكم محمد ولكن ننزل على حكم سعد بن معاذ).(٢)

والعلة أن المحكم «سعدا» من الأوس كذا مرتكب المَخَانة أوسىّ وله أرض «مال» عندهم. (قال عبد الرزاق عن أبى قتادة والزهرى: أنزلت فى أبى لبابة بن عبدالمنذر حين بعثه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى بنى قريظة لينزلوا على حكم رسول الله فاستشاروه فى ذلك فأشار عليهم بذلك وأشار بيده إلى حلقه أى أنه الذبح).(٣)

نلاحظ أن ابن كثير نسخ ما يلى «لينزلوا على حكم رسول الله» وكذا القسطلانى فى المواهب «أترى أن ننزل على حكم محمد» بينما الفخر الرازى زَبَر «ننزل على حكم سعد بن معاذ فينا» وكذا القرطبى فى جامعه.

هذا التباين يؤكد ما نذهب إليه أن أحداث فجر الإسلام حفلت ب الكثير من الاختلافات فى الأسامى والوقائع وترتيب حصولها وأبطالها، وأن مرجعه عدم تدوين التاريخ غبّ الحدوث لأن العَرَبة لم تسمح لهم درجتهم الحضارية به ولم يتم إلا فى منتصف القرن الثانى الهجرى وهذا الحكم الصحيح ينسحب على النصوص.



ثم نأتى إلى المفسرين المحدثين:

(روى أنها نزلت فى أبى لبابة وكان حليفا لبنى قريظة من اليهود،

(١) (الجامع ل أحكام القرآن- تفسير القرطبى) ل أبى عبد الله محمد القرطبى - المجلد الرابع -ص ٢٨٣١- مرجع سابق.

(٢) المصدر السابق ذات الصفحة.

(٣) (التيسير/خلاصة تفسير ابن كثير) الجزء الأول- ص٤٢- سابق.

فلما خرج إليهم النبى -صلى الله عليه وسلم- بعد إجلاء بنى النضير وحاصرهم حصارا شديدا دام إحدى وعشرين ليلة وقد طلبوا أن يرسل إليهم أبا لبابة كان مَناصِحًا لهم، لأن أمواله وعياله فيهم، فبعثه إليهم فقالوا له: ما ترى؟ هل ننزل على حكم سعد بن معاذ كما طلب محمد -صلى الله عليه وسلم-؟ فأشار إلى حلقه أى أن حكم سعد الذبح).[1]

وَهِمَ الشيخ عبدالحميد عندما ذكر أن غزاة بنى قريظة جاءت بعد إجلاء بنى النضير التى حدثت فى ربيع أول فى السنة الرابعة من النزوح، أما وقعة بنى النضير فهى باتفاق بعد الخندق (وقال ابن إسحق: كانت فى شوال سنة خمس وبذلك جزم غيره من أهل المغازى)[2]

ومحمد بن إسحق مقدم آباء علم السيرة وقيل فى حقه «الناس عيال فى المغازى على ابن إسحق».

وحتى نقطع محجة المعاندة خاصة من دراويش الشيخ كشك نزير أنه بعد غزوة بنى النضير حدثت الغزوات التاليات:

ذات الرقاع- بدر الموعد- دومة الجندل- بنى المصطلق- الخندق- ثم غزاة بنى قريظة!!!

فكيف يصح أنها حدثت بعد النضير؟

(حاصر النبى -صلى الله عليه وسلم- بنى قريظه، إحدى وعشرين ليلة فسألوه صلحا كصلح بنى النضير وهو أن يتركهم يسيرون إلى إخوانهم بأذرعات وأريحاء من الشام فأبى إلا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ سيد الأوس وكان حليفهم وكان حكمه أن تقتل المقاتلة وتقسم الأموال وتُسبى الذرية وأبوا ذلك، ثم طلبوا أن

---

(١) (فى رحاب التفسير) لعبد الحميد كشك. الجزء التاسع- ص ١٤٦٦ مرجع سابق ذكره.

(٢) (المواهب اللدنية) ل القسطلانى ص٢١٣ - مصدر سابق.

يرسل إليهم أبا لبابة، وكان مناصحا لهم لأن ماله وعياله كانا فى أيديهم فبعثوا إليه فقالوا ما ترى؟هل ننزل على حكم سعد؟ فقال لا تفعلوا فإنه الذبح وأشار إلى حلقه).[1]

أخطأ المصنف خطأ فادحا كنا نأمل ألا يقع فيه والتفاسير التى يسر لنا الله الاطلاع عليها إن من التراث أو المحدث لم تحمله ولا ندرى مصدره فيه.

كيف يطلب بنو قريظة مشاورة حليفهم ومناصحهم أبى لبابة من حكم ابن معاذ وقد عرفوه وهو ما جاء بالنص؟ ، وما فائدة الشورى إذن؟

لوأن يهود بنى قريظة على علم ب حكومة سعد بن معاذ فيهم فلماذا اعتبر ابولبابة إشارته إلى حلقه كناية عن نحرهم مخانة لله وللقائد؟

نأمل إذا عزم شحاتة إعادة طبع تفسيره أن يراجع هذا النص ويرقمه على الوجه الصحيح الذى يتفق مع العقل والنقل ونأمل ألا يغضب لتنبيهنا إياه لهذا الغلط ونذكّره بقالتيّ العدويّ ابن الخطاب:

«أصابت امرأة وأخطأ عمر» و«رحم الله من أهدى إلى عيوبى».

ثم نأتى إلى نقطة على هامش هذه الواقعة:

لماذا قضى سعد بن معاذ بهذا الحكم الصارم وهو حليف بنى قريظة وكذا سائر رهطه (=الأوس)؟

لأسباب عديدة نذكر منها:

أن غدر بنى قريظة فاحش وخيانتهم بشعة ونقضهم للعهد بلغ غاية الفُجّر، إذ لولا المكيدة العسكرية التى اقترحها سلمان الفارسى، وهى حفر الخندق والعوامل الجوية، ودهاءة نعيم بن مسعود الأشجعى الذى أوقع بين أولاد القردة والخنازير وبين الأحزاب وصدع وحدتهم

(١) (تفسير القرآن الكريم) ل عبد الله شحاتة ص ١٧١٥-١٧١٦ -مرجع سابق.

وفرق شملهم، ولطف الله بالمسلمين ل َحدث مالا تحمد عواقبه ولَ أصابهم شر مستطير لا يعلم إلا الله وحده مداه.

هذا من رجا.

ومن جانب آخر.

فَ إنّ الحالة الصحية أثرت على نفسية ابن معاذ، إذ أصيب فى ذات الوقعة بِ سهم رماه به حبان بن العرقة خلف جرحا غائرا ولم يعش بعده سعد سوى شهر واحد(1) فى إبّانه أصدرالحكم وهو يعانى أفدح الآلام من الجرح.

وقد استصوب (الصيّن) حكومته وقال «أصبت حكم الله فيهم».(٢)

تلقى ابن معاذ مكافآت جزيلة على قضائه:

(روى من حديث سعد بن أبى وقاص عن النبى -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: لقد نزل من الملائكة فى جنازة سعد بن معاذ سبعون ألفا ما وطئوا الأرض قبل؟(٣)

ومن البديهى أن يفوز بدخول الجنة وأن يستعمل فيها مناديل أرق من الديباج فمن توابع غزوة تبوك أن بعث (ذو القوة) خالد بن الوليد إلى أكيدر صاحب دومة الجندل فقتل أخاه وأخذه أسيرا (وكان عليه قباء ديباج مخوّص بالذهب فاستلبه خالد وبعث به إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قبل قدومه عليه، فجعل المسلمون يلمسونه بأيديهم ويتعجبون منه فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أتعجبون من هذا؟ فو الذى نفسى بيده لمناديل سعد بن معاذ فى الجنة

---

(١) (الاستيعاب) ل ابن عبد البر -المجلد الثالث- ص٥٢ و«الإصابة» ل ابن حجر العسقلانى -المجلد الثالث -ص ١٧٨- مصدران سابقان.

(٢) (الاستيعاب) ل ابن عبدالبر-المجلد الثالث -ص ٥٤ -سابق.

(٣) المصدر السابق ص ٥٥.

أحسن من هذا).[1]

(وعن الحسن البصرى.. قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لقد استبشرت الملائكة بروح سعد واهتز له العرش).[2]

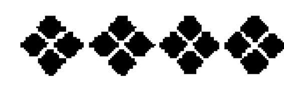
وقال المحققان فى هامش ص ٨٥:

حديث اهتزاز العرش ثابت من وجوه وفى بعض ألفاظه أن جبريل -س- نزل حين مات معتجرا بعمامة من إستبرق فقال: يا محمد من هذا الميت الذى فتحت له أبواب السماء واهتزله العرش .ا هـ.

والمحققان أولهما «من علماء الأزهر الشريف والآخر محقق فى التراث الإسلامى».

وحسب علمنا وهو ضئيل فإن السماء لم تهتز من قبل ل موت أى نبى ولا لاستشهاد أحد فى الغزوات السوابق مثل بدر وأحد وثمة مشكل فى الحديث لم أصل إلى حله:

كيف ينزل ملاك الرب جبريل من السماء إلى الأرض وهو لا يعلم من هو الميت الذى اهتز له عرش الله وهبطت إكراما له ملائكة عدتهم سبعون ألفا ولا يحاط خُبرا باسمه إلا من فم «الفاتح»؟!.



بعد هذه التفريعة نعود أدراجنا إلى سياقة البحث:

مخانة أبى لبابة لا شك أنها ملأت صدر (السراج المنير) ب الأسى لأن الخؤون ليس مسلما عاديا بل من حامة «صفوة» الأصحاب وعلى الأقل حاذ لقبين فى منتهى الرفعة (عقبى =أى شهد العَقَبة) وبَدْرى (شارك معنويا فى غزاة بدر الكبرى) ومن كبار الأوس، وهم الفرع

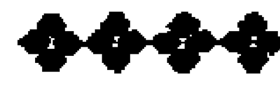
(١) (الاكتفاء فى مغازى رسول الله والثلاثة الخلفاء) ل الكلاعى ٥٦٥-٦٣٤ هـ - تحقيق د. مصطفى عبد الواحد -الجزء الثانى - ص٢٨٦ -الطبعة الأولى -١٣٨٩ هـ/١٩٧٠م- مكتبة الخانجى- ب القاهرة.

(٢) (السيرة النبوية) لمحمد بن إسحق -المجلد الثانى-ص ٨٦ طبعة أخبار اليوم- مصدر سابق.

الآخـر من بنـى قـيلة الذين آووا ونصـروا وبذلوا الكثـيـر من الدمـاء والأمـوال فى سـبـيل نصـرة الإسـلام ورفع ألوية دولة بنى سـخـينة، فوسّمه ب الخيانة ووصفه ب الغدر ودمغه ب النقض أمور يعز على (المنصور) أن يقدم عليها بشأنه لما عرف عنه من الأدب الجم والحياء الفـائق والخلق الرفـيـع وهنـا يـأتى دور «المكرم= القـرآن» فـتطلع كالشمس فى رابعة النهار الآية السـابعة والعشرون من سورة الأنفال وتشـجب الخيـانة والخـائنين لله ول(الظفور) فـ تصُت سـمع أبا لبـابة فيسـقط فى يديه ويعلم أن ما قـارفـه ليس ذنبـا عـاديا إنمـا خطيئـة وكبيـرة، لا يجـد أمـامـه من حل إلا أن يربط نفسـه بعمـود من عـمـد المسجد الشـريف ويقسم ألا يذوق طعامـا أو شـرابا حـتى يتوب الله عليه أو يموت.

وهكذا حلت الآية المجيد الأزمة التى عاناها (الخاتم) وغدا إضفاء لقب الخائن على ابن المنذر ليس صادرا منه بل حملته الآية الشريفة.

فى كل نازلة فردية أو جماعية فإن (البصائر/القرآن) لا يغفل عنه ويعالج أخطاء الفاعلين المشاركين فى المجتمع المعجب وتستمر العلاقة الجدليـة وثيقـة وتتـراكم البـراهين على مـصـداقـية التنجيم وحكمـتـه الفريدة.



مسيرة الأزمة لم تتوقف لأن تقييد أبى لبابة نفسـه فى عمـود فى المسـجـد شكل صـورة تـراجيـديـة «..عن الزهرى قـال: ارتبط أبو لبـابة سبعا ما بين يوم وليلة عند الأسطوانة التى عند باب أم سلمة فى حر شـديد لا يأكل فيهن ولا يشرب، قـال لا أزال هكذا حتى أفـارق الدنيـا أو يتـوب الله علىّ، قـال: فلم يزل كذلك حـتى مـا يسـمع الصـوت من الجهد، ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- ينظر إليه بكرة وعشية.. يقـال مكث خمس عشـرة «ليلة» مـربوطا وكانت ابنته تأتيـه بتـمـرات لفطره فيلوك منهن ويتركه ويقول والله ما أقدر على أن أسيغها فرقا

ألا تنزل توبتى. وتطلقه عند كل صلاة فإن كانت له حاجة توضأ وإلا أعادت الرباط، ولقد كان الرباط جَزٌّ فى ذراعيه وكان من شعر وكان يُداويه بعد ذلك دهرا وكان ذلك يبين فى ذراعيه بعدما برىء).[1]

هذه الأيأة[2] المأساوية لابد أنها ضغطت على شعور «الرحمة المهداة» خاصة أنه يروح ويغدو ويقع نظره الشريف عليه كلما توجه لأداء الصلوات.

الموقف شديد الحُروجة فلو أعلن هو توبته لحاك فى صدور بعض الصحاب خاصة المنازيح بل وعامة المسلمين وتساءلوا: لَمِ التوبة وقد خان الله و«الصراط المستقيم» وكافة التبع لأن جرم بنى قريظة مفرط فى الفحاشة فلو أفلحوا هم والأحزاب فى مخططهم الشرير لاستأصلوهم على بكرة أبيهم.

هذا من جانب.

ومن آخر فإن إنزال عقاب المخانة عليه سوف يثير رهطه «الأوس» فهو (= أبو ل باب ة) له المكانة التى كشفنا عنه، كما أن قومه سند قوى ل «العروة الوثقى» ولهم دور رائع لا يستهان به فى نشر الديانة وترسيخ أسس الدولة التى حلم بها جدوده: قصىٌّ وهاشم وشيبة الحمد (عبدالمطلب).

فضلا عن أن سيدهم سعد بن معاذ يوشك أن يودع الدنيا من أثر جراحه وفقدهم اثنين من المتنفذين فيهم أى رءوسهم يغدو ضربة قاصمة لهم تبلبل نفوسهم وتزعج وجدانهم وتضيق صدورهم وتحرج أحاسيسهم وتكرب مشاعرهم، و (صاحب العلو والدرجات) حريص ألا تصيبهم ذرة منه ومن ثم فقد غدا يمر ب فترة يحتاج فيها إلى

---

(١) (كتاب المغازى) ل الواقدى- محمد بن عمر بن واقد المتوفى سنة ٢٠٧ هـ-الجزء الثانى -ص ٥٠٨- تحقيق الدكتور مارسدن جونز-د.ت.ن. /مؤسسة الأعلمى للمطبوعات بيروت-لبنان.

(٢) الهيأة وزنا ومعنى.

(الكتاب/القرآن) كيما يأخذ بيده الكريمة ل يجتازها أو يتجاوزها بسلام ويعبرها ب أمان ويقطعها ب سكينة:

(أم سلمة قالت: إن توبة أبى لبابة نزلت فى بيتى، فسمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يضحك فى السَحَر، فقالت: ما يضحكك يا رسول الله؟ قال تيب على أبى لبابة فقلت: أوذنه بذلك؟

فقال: ما شئت فقمت على باب الحجرة، وذلك قبل أن يُضرب الحجاب، فقلت: يا أبا لبابة: أبشر، فقد تاب الله عليك فثار الناس ليطلقوه فقال: حتى يأتى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فيكون هو الذى يطلقنى، فلما خرج إلى الصبح أطلقه. فنزلت «وآخرون اعترفوا بذنوبهم» ١٠٢ من سورة التوبة).(١)

والواحدى نقل إلينا رواية أخرى لا تتضوى على ذكر هند بنت زاد الركب أى أم سلمة وأنها التى بشّرت أبا لبابة ب التوبة عليه بل لم يورد اسم من نقل إليه إهلال آية شريفة بها بل رقم الفعل مبنيا ل المجهول «ف قيل له»

(فنزلت هذه الآية، فلما نزلت شدّ نفسه على سارية من سوارى المسجد وقال: والله لا أذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت أو يتوب الله علىَ فمكث سبعة أيام لا يذوق فيها طعاما حتى خر مغشيا عليه، ثم تاب الله عليه، فقيل له: ياأبا لبابة قد تيب عليك، فقال: لا والله لا أحل نفسى حتى يكون رسول الله -صلى الله عليه وسلم- هو الذى يحلنىَ فجاءه فحله بيده، ثم قال أبو لبابة: إن من تمام توبتى أن أهجر دار قومى التى أصبت فيها الذنب وأن انخلع من مالى، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يُجزيك الثلث

---

(١) (نساء النبى) ل بنت الشاطىء ص ص ١٢٥-١٢٦- مرجع سابق.

وذكرت أن مصدرها «سيرة ابن هشام» الجزء الثالث-٢٤٨

و(أم سلمة) ل أمينة أمزيان الحسنى ـ الأول ـ ص ١٣٠ مرجع سابق.

و (كتاب المغازى) ل الواقدى -الجزء الثانى- ص ٥٠٨ مصدر سابق

و(المواهب اللدنية) ل القسطلانى- المجلد الأول -ص٢١٤- مصدر سابق

أن تتصدق به).[1]

وبداهة فإن تعريفنا بالمبشّر لا يتبوأ المقام الأول فى الأهمية.

إنما العناية تتمركز فى الفعل ذاته أى بزوغ الآية وشروقها كَ الشمس.

هذا هو الذى يسترعى الانتباه ويستنفر الالتفات ويشد النظر ويوزّ البصيرة على التمعن والوعىّ على التيقظ والفكر على التأمل.



الآية هى الثانية بعد المائة منه سورة التوبة أو براءة (وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم).

ويفسر الفراء «عسى» التى جاءت بها كالآتى:

(عسى من الله واجب إن شاء الله، وكان هؤلاء أوثقوا أنفسهم بسوارى المسجد وحلفوا ألا يفارقوا ذلك حتى تنزل توبتهم).[2]

وفاقا لِ هذا تغدو الآية حاملة ل بشرى التوبة على أبى لبابة.

وقد ورد ب الخبر الأول الخاص ب أم سلمة أن (صاحب المقام المحمود) طفق يضحك وتعليله أن الآية الكريمة المذكورة أزاحت عن صدره الشريف الأزمة التى عاناها والتى ألمعنا إليها قبل قليل، إذ لا يستطيع أحد لامن خاصة الصحبة ولاعامتهم ولا من المنافقين أن يتفوه بكلمة واحدة لأن التوبة على مخانة أبى لبابة لم تصدر من (صاحب الأزواج الطاهرات) بل هلت بها آية مجيدة وضعت حدا صارما كالسيف الباتر لأى تقولات.

وهكذا يثبت (العلم/الحق =القرآن) أنه مع « الصَفُوح» فى كافة

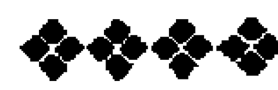
(١) (أسباب النزول) ل الواحدى ص ص ١٥٧/١٥٨ سابق.

(٢) (معانى القرآن) تأليف أبى زكريا يحيى بن زياد الفراء، المتوفى سنة ٢٠٧ هـ - تحقيق أحمد يوسف نجاتى ومحمد على النجار-الجزء الأول - ص٤٥١ - الطبعة الأولى ١٩٨٠- الهيئة المصرية العامة ل الكتاب/القاهرة.

أحواله: ظروف اليسر وأوقات الشدة، وأنه يعاونه فى تربية الصحاب وتقويم أخطائهم وخطاياهم وأن بصره لا يفارق مجتمعهم بل على الدوام هو فى حوار معه.

وأن التجيم إنما تشيأ لهذه الحكمة السامية.

ومن رجا آخر فإن فكرة التجريد والمفاصلة والمفارقة التى تبناها البعض من زاوية أيديولوجية ولِ أغراض سياسية ينصب الدليل وراء الآخر على بطلانها..



٣- التغريب الداخلى عقاب التخلف ب لا عذر:

تبوك آخر غزاة قادها (بشرى عيسَى) وتعد من أخطر غزواته، ويكفى أن يعلم القارئ أنه حشد لها أكثر من ثلاثين ألفا وهو مالم يحدث من قبل، وبهم استطاع أن يشل فاعلية جيش الروم وأوباش القبائل معه: لخم وجذام وغسان وغيرها وأن يحبط مسعاهم ويفسد خططهم.

ولعل مما يكشف عن مدى أهميتها عند (صاحب التاج) أن الدعوة ل المساهمة فى تغطية تكاليف الخروج تمططت حتى مسّت النِسوَن ف أتين ﴿ب بكل ما قدرن عليه فكن يلقين- فى ثوب مبسط بين يدى النبى -صلى الله عليه وسلم- المَسَك (بفتح الميم والسين الأساور واحدته مسكة ا هـ.) والمعاضد «حُلّى العضد» والخَلاخِل والأقرطة «جمع قُرط» والخواتيم والخَدَمات «جمع خَدَمَة وهى حلية الرسغ».(١)

وهيعة التهيؤ ل لقاء الأعادى سُمعت (حين طابت الثمار والناس يحبون المقام فى ثمارهم وظلالهم ويكرهون الشخوص

(١) (إمتاع الأسماع ب ما للنبى -صلى الله عليه وسلم- من الأبناء والأموال والحفدة والمتاع) ل تقى الدين المقريزى ٨٤٥ هـ تحقيق محمد عبد الحميد النميسى -الجزء الأول- ص ٣٢٦-الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ-١٩٨١م دار الأنصار -مصر وفيها على خلاف المعتاد وصرح ب الجهة التى يؤمها المعتاد صرح ب الجهة التى يؤمها.

على الحال من الزمان الذى هم عليه).[1]

(وكانت الغزوة فى فصل الصيف اللاهب والناس ينتظرون موسما جديدا من ثمار المدينة وخيراتها ويتمنون لو كانت فى فصل آخر من السنة أكثر اعتدالا).[2]

والذين طابت ثمارهم وأحبوا التفيؤ ب ظلالها والتلذذ بطعومها وكرهوا الشخوص فى الصيف الذى يشبه فيح جهنم هم الأغنياء والمترفون أصحاب الحيطان «البساتين» وملاك كروم النخيل والأعناب الذين يفضلون البقاء بين جنباتها ومعهم الشراب السائغ البارد وبين أيديهم الناعمة زوجات شابات حسينات وضيئات.

(قال كعب بن مالك «وهو أحد الخوالف». . . ولم يذكرنى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حتى بلغ تبوك فقال وهو جالس فى القوم بتبوك: ما فعل كعب بن مالك؟

فقال رجل من بنى سليم: حبسه يا رسول الله براده والنظر فى عطفيه، فقال معاذ بن جبل: بئسما قلت، والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيرا فسكت رسول الله -صلى الله عليه وسلم).[3]

والبرد=طيب الشىء ونعيمه ومن الدعاء «نسألك الجنة وبردها».

والبردة= التخمة وهى ثقل الطعام على المعدة.[4]

---

(١) (السيرة النبوية)- ل ابن إسحق/ المجلد الثانى-ص٢٧٠- طبعة أخبار اليوم- مصدر سابق.

(٢) (سيرة المصطفى: نظرة جديدة) تأليف هاشم معروف الحسنى- ص٦٢٤-الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ/١٩٩٦م- دار التعارف للمطبوعات-بيروت- لبنان.

(٣) (فى رحاب التفسير) ل عبد الحميد كشك- الجزء الحادى عشر- ص ص ١٦١٣-١٦١٤- مرجع سابق.

(٤) (المعجم الكبير)-الجزء الثانى/ الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ-١٩٨٢ -مجمع اللغة العربية- إصدار الهيئة المصرية العامة ل الكتاب.

إذن الجملة التى وردت ب الحديث «حبسه يا رسول الله براده» تعنى منعه عن الخروج النعيم الذى هو فيه: الماء البارد والطعام الطيب.هـ.

أما معاذ بن جبل الذى دافع عن كعب ف هو يثربى ومن بنى قيلة مثله.

لا يهمنا من لم يدخل الإيمان فى قلوبهم أو المشكوك فى إسلامهم إنما الذى يعنينا أمر الصحبة الراسخى العقيدة الذين ليس فى قلوبهم زغل، ولا فى صدورهم دخل ولا يخالط يقينهم وهن، ولم يعهد فيهم نفاق، ولم يعرف عنهم شقاق، بل على العكس لهم سوابق حميدة وحفظت عنهم بادرات طيبة وقدموا منحا جزيلة ولا اعتبار ل المادية بل الأوعرالمعنوية أو الأدبية.....

من الذين أصروا على التخلف دون النفر وآثروا القعود على الشخوص وفضلوا القبوع على البروز.

وقبل أن نحلل دوافعهم نرفع الغطاء عن أساميهم:

هم (كعب بن مالك وكان من الخزرج، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية من الأوس).(٣)

وأضاف إليهم ابن إسحق أبا حيثمة أخا بنى سالم بن عوف وأضاف أنهم «كانوا نفر صدق لا يُتهمون فى إسلامهم».

ذات المصدر والمجلد والصفحة.

بيد أن عُظم المصادر اقتصر على الثلاثة الأول وفى شأنهم أشرقت آية كريمة.

---

(١) (إنسان العيون فى سيرة الأمين المأمون) الشهير ب «السيرة الحلبية» تأليف على برهان الدين الحلبى -٩٧٥-١٠٤٤هـ الجزء الثالث- ص١٢٤- الطبعة الأولى ١٣٨٤هـ -١٩٦٤م -مصطفى البابى الحلبى/ ب مصر.

(إمتاع الأسماع) ل المقريزى -الأول-ص٣٤٩ سابق.

و(السيرة النبوية- ل ابن إسحق- الثانى - ص ٢٧٣- مصدر سابق.

ذلك أن أبا خيثمة بعدها راجع نفسه و«خرج فى طلب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حتى أدركه حين نزل تبوك».(١)

أهم دواعى التخلف حرارة الجو إذ الوقت صيف لافح حرارته تشوى الوجوه وأن المتخلفين من ذوى اليسار يملكون الحوائط «البساتين» التى نضجت ثمارها وطابت ظلالها، ولعل الصورة التى رسمها لنا محمد ابن إسحق عن أبى خيثمة الذى تقاعس وقعد ثم وخزه ضميره فأرْقَل إلى اللحاق ب العسكر الغزاة، تعطينا فكرة عن الطبقة التى انتمى إليها الخوالف:

(ثم إن أبا خيثمة رجع بعد أن سار رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أياما إلى أهله فى يوم حار، فوجد امرأتين له فى عريشين لهما فى حائطه «بستانه»، قد رشت كل واحدة منهما عريشها، وبردت له فيه ماء، وهيأت له فيه طعاما..).(٢)

ف الذى يهيمن على هذه الإمكانات الباذخة (ب مقياس مجتمعهم المدهش): بستان حافل ب الثمار الشهية وبه عروش (جمع عريش) وأطعمة لذيدة وأشربة سوائغ، وأكثر من زوجة وكلهم حسناوات قسيمات..

لا يمارى أحد أنه من الأثرياء الأماثل.

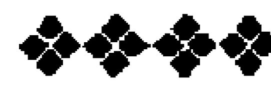
أما هلال بن أمية ف هو صاحب آيات اللعان الذى شغلته كروم نخيله وحوائطه «بساتينه» عن الالتفات إلى زوجاته وإيفائهن حقوقهن الطبيعية، فعاد ذات مساء فوجد رجلا يتفخذ واحدة من بعلاته ورأى ب عينيه وسمع بأذنيه -وقد نسخنا القصة كاملة من قبل- ف هنا الهلال وهو اسم مناسب له، لائق بحاله، متوافق مع شخصيته لسنا فى حاجة إلى زكانة ل ندرك أنه واحد من أثرياء بنى قيلة وأنه عضو بارز فى نادى أصحاب الحوائط «البساتين»، وترتيبا عليه فهو أحد

(١) ذات المصدر-ص٢٧٤ ·

(٢) ذات المصدر ص ص٢٧٣، ٢٧٤ ·

البعول المخدوعين. هؤلاء المنعمون المترفون كيف يتركون هذا النعم ويغادرون هذه اللذائذ ويذرون هاته الشهوات كيما يحملوا السلاح ويقطعوا آلاف الأميال بين رمال الصحراء الملتهبة.

(قال عمر بن الخطاب: خرجنا مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى تبوك فى قيظ شديد فنزلنا منزلاً، فأصابنا فيه عطش، حتى ظننا أن رقابنا ستنقطع، حتى كان الرجل ليذهب يلتمس الماء فلا يرجع حتى يظن أن رقبته ستقطع، وحتى إن الرجل لينحر بعيره فيعصر فَرْثه فيشربه، ويجعل ما بقى على كبده...)[1]



وملحظ آخر هؤلاء الثلاثة المتخلفون بدون أى عذر- مع صدق الإيمان وإخلاص النية كلهم من بنى قيلة: اثنان من الأوس والثالث من الخزرج ليس فيهم نازح فرد.

وهذا بديهى لأن المنازيح حتى ذيّاك الأوان لم يبلغوا بعد رتبة الثراء ودرجة الغنى ومستوى اليسار (إنما وصلوا إليه بعد الغزو النهبوى الاستيطانى الاستنزافى الثقافى الذى قاموا به ضد الشعوب المجاورة دون ذنب أو جريرة ومن غير أن يطلب منهم واحد من أبنائها ذلك أ هـ).

إذن تصفر أياديهم المعروقة الخشنة مما يغريهم ب القعود أو التخلف بل العكس هو الصحيح إذ ربما فى الغزوة يجدون مشاشة.[1] يتبلغون بها أو مسكة من خير يسدون بها خلتهم أو فتيتة من مال يغطون بها عَوَزَهم.

وبالتالى ف النَفّر هو الذى يناسبهم لا التخلف، والخروج يصلح أحوالهم لا القعود، والبروز هو الذى يشفى داءهم لا العدن «الإقامة»

أو أن اليثاربة الأعاريب قدموا الكثير من الأموال والأنفس بديًا من

---

(١) «فى رحاب التفسير» ل عبد الحميد كشك- الجزء الحادى عشر-ص ١٦١٢- مرجع سابق.

غـزاة بـدرالكبـرى ويكفـى جمـاعـه ولا ثمـة من حـاجـة بهم ل مـزيـد من التضحيـات خاصـة أن التـخلف شمل عددا وفيـرا سـوى الثـلاثة الذين تميزوا بشحنة إيمانية كبيرة.

أم أن نفـرا من المتنفـذين من بنـى قـبيلـة أيقنوا أن الـدولة ل بنـى سخينة وحدهم ولا نصيب لهم فيها خاصة بعد ما حدث فى فتح مكة وعلى رأسـهـا المعـاملة البـالغـة السـمـو التى عـامل بهـا (مـتـمـم مكارم الأخلاق) قومه قبيلته.

أو نعـده تمسكا منهم ب الميـثـاق الأصلى الذى عـقـدوه مـعـه فـى العقبة: أن النصر أو الحماية أو المؤازرة.. إلخ تنحصر فى الداخل ولا علاقة بها ب الخارج.

نحن نطرح هذه الاحتمالات أو الفروض لأن الذين كتبوا عن تبوك سواء من القدامى أو المحدثين (الذين هم فى الحقيقة ينسجون على نولهم ويسيرون فى محجتهم ويشربون من حوضهم دون تفكير ا .هـ.)

اقتصـروا على الأبعـاد التيـولوجيـة والنواحـى الغيـبيـة والجـهـات الفـوقيـة والجـوانب الـلامـرئيـة دون أن يلتـفـتـوا إلـى أن هنـاك أمـورا معـاشيـة «هنـا هـى حـربيـة أو قـتـاليـة» تحـركهـا بواعث نفـسيـة ودواع سياسية ونعرات عصبية.

وترتيبا عليه فإن تسويرها داخل العلل التجريدية وتسكيرها فى الدائرة اللامحسوسة وعقلها (ربطها) ب المنظور المتيافيزيقى: عَىّ فى التحليل وعجز عن التعليل وقصور فى الاستنباط.

ومن هنا يصبح تماما الذى نادينا به ولا يزال:

ضرورة كتابة التاريخ الإسـلامى خاصة حقبة الفجر ب موضوعية وعقلانية ودون التأثر ب الهالات البراقة والإطارات «الكوادر» المتألقة والدوائر المتلألئة التى اكتسبتها بتراكم القرون والتى تعشى البصر عن الحقائق الموثقة والظروف المحايثة، والأحوال المواكبة لها .

---

(١) ال مشاشة العظم لامخ فيه.

وننتهز هذه الفرصة لنوضح ما نعنيه ب «ضرورة كتابة التاريخ الإسلامى» لأن البعض أساء فهمها أو فهمها على غيرما نقصد، والذى نؤمه «نقصده» هو كتابة التاريخ الإسلامى من قبل المؤرخين المحدثين أو المعاصرين ب موضوعية وأمانة علمية أى كما دونته كتابات السلف فى كافة فروع العلم: أسباب النزول/مناسبات ورود الحديث المحمدى الشريف، التفسير، الناسخ والمنسوخ/الفقه/ الحديث «السنة».. إلخ طبعا، بخلاف كتب التواريخ والسير والطبقات..

بدون أن يحذفوا الوقائع والنوازل والأحداث التى يرون فيها ما ينافى منزع التبجيل والتعظيم والتفخيم والتطبيل. أما ما يذهب إليه البعض من ضرورة تنقية كتب التراث أو غربلتها أو تهذيبها فنحن نعارضه بشدة ونخاصمه بقوة ونناوئه بأيّد لأنه معَ عطَنه وفسولته وفساده، بل وصعوبة أو استحالة تنفيذه فهو قمة الخيانة العلمية.

ثم نرجع إلى سياقة السرد:

سأل (ال رءوف) عن الثلاثة الذين تخلفوا من غير شك ولانفاق: كعب بن مالك ومرارة بن ربيع وهلال بن أمية فأخبر أنهم من المتخلفين بغير عذر فلما عاد من الغزاة قال ل أصحابه لا تكلمن أحدا من الثلاثة).[1]

ولما مثلوا بين يديه لم يكذبوا عليه وأقروا أنهم قعدوا بلا مسوغ فرد على كل فرد منهم «يقضى الله فيك».

فقاطعهم المسلمون بيد أن الأوعر هو صدور أوامره لهم بأن يعتزلوا زوجاتهم ووجه الوعورة فيه الحرمان من التماس ولو أنه فى

(١) (السيرة النبوية ل ابن هشام) تحقيق د. محمد فهمى السرجانى- الجزء الرابع- ص ١٢٧-الطبعة الأولى ١٩٧٨م-المكتبة التوفيقية ب مصر و(الاكتفاء فى مغازى رسول الله والثلاثة الخلفاء) ل أبى الربيع سليمان الكلاعى ٥٦٥-٦٣٤هـ تحقيق د. مصطفى عبدالواحد -الجزء الثانى -ص٣٩٩ -الطبعة الأولى ١٣٨٩هـ-١٩٧٠م- مكتبة الخانجى-القاهرة.

غاية الأهمية فى نظر أولئك العُريان المتبدين، بل معناه التشكيك فى إسلامهم لأن الكافر لا ينكح مسلمة أبدا.

يقول كعب بن مالك « .. حتى إذا مضت أربعون ليلة جاءنى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال: إن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يأمرك أن تعتزل امرأتك، فقلت أطلقها أم ماذا؟ قال: لا بل اعتزلها ولا تقربها، وأرسل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى صاحبىّ أى وهما: هلال بن أميَة ومرارة بن الربيع بمثل ذلك فقلت لا مرأتى الحقى بأهلك فكونى عندهم حتى يقضى الله فى هذا الأمر).(١)

لعل القارئ الفطن لاحظ أن المرسال الذى بعثه «صاحب ألوية النصر» إلى الثلاثة المخلّفين ليبلغهم اعتزال منكوحاتهم وصل إليهم بعد أربعين يوما.

ولابد أن سأل نفسه لماذا أربعين ب الذات؟.

لأن عدد أربعة ومضاعفاته له قداسة متجذرة فى العقائد السامية القديمة وفى الديانتين الإبراهيميتين السابقتين خاصة اليهودية؛ لأن المسيحية «النصرانية» تعتبر «العهد القديم» كتابا لها ومن ثم يضمه و«العهد الجديد» مجلد واحدا يسمونه «الكتاب المقدس» وقداسة الأربعة ومضاعفاتها بدأت مع إبراهيم إذ أمره ربه أن يأتى بأربعة من الطير.... إلخ.

أما فى اليهودية فلا تحتاج إلى بيان بعد أن ذكرها القرآن العظيم: فقد واعد الرب موسى أربعين ليلة، والتيه فى صحراء سيناء استمر أربعين عاما، وتمام الميقات مع الرب أربعين ليلة وعقبها كلّمه فسمى الكليم، ثم طلب النظر إليه ف أخبره باستحالة الرؤية.

---

(٢) (إنسان العيون فى سيرة الأمين المأمون- الشهير ب السيرة الحلبية) ٩٧٥/١٠٤٤هـ-الجزء الثانى -ص ١٢٥-الطبعة الأولى ١٣٨٤هـ-١٩٦٥- مكتبة مصطفى البابى الحلبى- ب مصر.

وجاء الإسلام وواصل مسيرة النظر إلى العدد أربعة ومضاعفاته بعين التقدير ف الإنسان يبلغ أشده لما يبلغ الأربعين من عمره وعندها يشكر الرب على هذه النفحة ، والشهادة فى اللعان أربع شهادات ب الله، والذين يؤلون من نسائهم عليهم التربص أربعة أشهر والذى يرمى محصنة عليه أن يأتى ب أربعة شهداء وإلا حَدّ فى ظهره ثمانون جلدة وهو ضعف الأربعين، ومن تأتى بفاحشة من النسوة يتعين استشهاد أربعة عليها فإن شهدوا ف إمساك فى البيوت حتى الوفاة ، والأسافل المفترون الكذبة الذين جاءوا ب الإفك والبهتان والزور توجب عليهم أن يجيئوا بأربعة شهود وإذا لم يفعلوا ف عند الله هم كاذبون، وواقعة حراء حدثت (لذؤابة بنى هاشم) وله أربعون عاما من عمره المبارك.

أما من عقائد الفترة السابقة على الإسلام فقد استعيرت منها حرمة الأربعة أشهر: ثلاثة سرد «ذو القعدة وذو الحجة والمحرم» وواحد فرد «رجب» بل ربطها ب الدين «منها أربعة حرم ذلك الدين القيم».(١)

اذن انتظار «من جعلت له الأرض مسجدا» أربعين ليلة حتى نهى الخوالف الثلاثة عن مضاجعة بعلاتهم -وسبق أن كشفنا عن مدلوله- لا يتعين المرور عليه ب خفة واستسهال ومجّانية، بل حتم لازم التفرس فيه لِ تفِّه دالته ومعرفة مغزاه وفقاهة معناه.

وسبق أن طالبنا بضرورة رباط نصوص التقديس أو التأسيس ب الوسط الذى انبثقت فى باطن حناياه لأنها تحمل بصماته وتشكل ب أيأته «هيأته» وتظهر ب قسماته.

وب المثل ف مدونات السيرة المحمدية المعطّار عند مطالعتها يلزم لقارئها قدر من الوعى والتنبه واليقظة وأن يلتفت إلى الأرقام والرموز والشفرات التى تحملها لأن معرفة دلالة الرقم وما يومئ إليه وفك الشفرة تضع أقدامنا على الطريق الصحيح المؤدى إلى التقييم الأمثل.

---

(١) سورة التوبة الآية ٣٦

هكذا تتامت حلقة مقاطعة المتخلفين وتغريبهم داخليا أى تحويلهم إلى غرباء وهم فى بلدهم وبين أهلهم وذويهم وجاء اعتزال المسلمين لهم جادا قاطعا «.. فاجتنبهم الناس، فأما مرارة بن الربيع وهلال بن أمية فمكثا فى بيوتهما يبكيان وأما كعب فكان يشهد الصلاة مع المسلمين ويطوف ب الأسواق فلا يكلمه أحد منهم، قال ولما طال ذلك علىّ من جفوة الناس تسورت جدار أبى قتادة وهو ابن عمى وأحب الناس إلى فسلمت عليه والله ما رد علىّ السلام».(١)

هذه المقاطعة القاسية وإن أصابت فى المقام الأول المتخلفين الثلاثة فإنها بلا شك آلمت «الرحيم» لأنهم من أعيان بنى قيلة ولهم سابقة فى الإسلام وحازوا فيه درجات سامية ومن ثم فإنها «=المقاطعة» أقصى ما استطاع عمله لأن التخلف وعن تبوك تحديدا خَطَل ليس ب اليسير، كما أنه بطريق الحتم واللزوم يشجع بقية التبع على الاحتذاء بهم لو نالوا عقابا خفيفا أو جزاء هينا مثل العتاب أو اللوم أو التوبيخ.



وبعد مضى خمسين يوما من المقاطعة وهى مدة كافية لردع المتخلفين وكل متكاسل هلّت الآية الثامنة عشرة بعدالمائة من سورة براءة أو التوبة (وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم): وهكذا أعلنت (=الآية) توبتهم.

القرآن المبين كما نسخنا مرارا لا يصرح بأسماء الأصحاب والاستثناء الوحيد هو زيد بن حارثة لعلة رقمناها، ومن ثم فيتعين أن

(١) المصدر السابق-ذات الصفحة.

(٢) و(السيرة النبوية) ل ابن إسحاق- الجزء الثانى- ص ص ٢٨٥-٢٨٦ تحقيق طه عبد الرءوف سعد وآخر، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٩م-إصدار قطاع الثقافة-أخبار اليوم-مصر.

نوثق أن الثلاثة الذين انبثقت الآية العظيمة فى أحدوثتهم هم كعب بن مالك وصاحباه.

«عن كعب بن مالك أنزل الله توبتنا على نبيه -صلى الله عليه وسلم- حين بقى الثلث الآخر من الليل ...... حتى إذا صلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- صلاة الفجر آذن توبة الله علينا».

صحيح البخارى ونسخه السيوطى فى «لبابه» ب نصه وفصه.(1)

لا يفوتنا ما جاء فى الحديث أن «النسيب= ذا النسب العريق» أعلمهم بتوبة ربه عليهم لا توبته هو.

(وكان من أرجئ عن التوبة وخلف: كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية فأرجئوا أربعين يوما فخرجوا وضربوا فساطيطهم واعتزلهم نساؤهم ولم يتولهم المسلمون ولم يقربوا منهم فنزل فيهم «وعلى الثلاثة الذين خلفوا» إلى قوله «التواب الرحيم).(2)



ل تمام البحث نرتدف توثيق كتب التفسير بأن الآية الشريفة طلعت كالشمس الساطعة فى كعب بن مالك ورفيقيه.

أ - (قال ابن عباس: «وعلى الثلاثة الذين خلفوا» نزلت فى كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية).(3)

ب - ﴿«الثلاثة» كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية. «خلفوا» =تخلّفوا عن الغزو﴾.(4)

ج - ﴿«وعلى الثلاثة الذين خلفوا» هم كعب بن مالك وهلال بن أمية

---

(1) (لباب النقول) ل السيوطى -ص102 سابق.(2) (المواهب اللدنية ب المنح المحمدية) ل القسطلانى -المجلد الأول- ص212- مصدر سابق.

(2) (المقبول) ل ابى عمر نادى الأزهرى- ص ص 400-401 -مرجع سابق.

(3) (غرائب القرآن) ل القمىّ النيسابورىّ المجلد الخامس ص545/مصدر سابق.

(4) (الكشاف) ل الزمخشرى-الثانى- ص218- مصدر سابق.

ومـرارة بن الربيع وكلهم من الأنصار.. ولما ذكر تعـالى مـا خـرج به هؤلاء الثلاثة من الضيق والكرب من هَجْر المسلمين إياهم نحوا من خمسين ليلة بأيامها.. إلخ﴾ (١)

د - المفسر المعاصر الشيخ عبد الحميد كشك أورد حديثا مطولا خرّجه أحمد بن حنبل فى مسنده جاء فيه على لسان كعب بن مالك:

فـ لبثنا عشر ليال «بعد الأمر باعتزال النسوة» فكمل لنا خمسون ليلة..

قال كعب: فلما سلّمت على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال وهو يبرق وجهه من السرور: أبشر بخير يوم مرّ عليك منذ ولدتك أمك، قال: قلت يا رسول الله أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله؟ قال: لا بل من عند الله...) (٢)

السـؤال الذى فـعـرفـاه ابن مـالك بـه وخـاطب «الكامل ال مـروءة» يقطع بـ عياطة كعب ويجزم بـ هبله ويؤكد بساطته، ولا غرو فهو من بنى قيلة الذين أكد تاريخ الحقبة المدهشة أنهم مخمومو القلب لأنهم خرجوا من المولد بلا حمصة واحدة وانفرد بنو سخينة بالكعكة الشهية دون أن ينفحوهم ولو فُتيتة. (٣)

مع أن بـ سيـوفـهم ارتفع بنيـان الدولة وتفـرسـخت الديانة فى جنبات جزيرتهم المبروكة.

ولكن لماذا اعتبرنا السؤال قرين سذاجة ودليل بلاهة؟

لأن التوبة لابد أن تحملها آية كريمة من الذكر الحكيم لتقطع ألسنة المنافقين والمنبين والمتشككين وبالمثل ينصاع لأمرها التبيع ويسلمون بها ولا يفتحون شفاههم بكلمة.

وهكذا شفا «الصدق/ القرآن» صدر «المختار» فى هذه النازلة.

---

(١) (التيسير خلاصة تفسير ابن كثير)- الأول- ص ٤٦١- مصدر سابق.

(٢) (فى رحاب التفسير) لـ عبد الحميد كشك -الجزء الحادى عشر ص ١٦١١٧/المكتب المصرى الحديث -ص١٦١٦- مرجع سابق.

(٣) (١) العامة فى مصر تقول فتفوتة أ هـ.

[redacted]

ولقنت الآية أتباعه دروسا بليغة تجعلهم يترددون ألف مرة إذا راودتهم فكرة القعود.

كما ينطبق عليها ما سبق أن كتبتاه عن الالتحام ب الواقع وحكمة التنجيم.

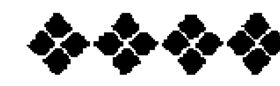


ثانيا: التربية السياسية:

طرحنا أمثلة محدودة فى مجال التربية العسكرية.

بعدها نُعّرج على مضمار التربية السياسية وبديهى أن نماذجها أقل عددا.

إذ إن أمور السياسية تولى زمامها «المعصوم من الناس» بنفسه الشريفة وإن عاونه فيها مجلس شورى كلهم بلا استثناء من قريش وهو مما لا تحتاج نقاهته إلى فطانة.



جمع البيت المحمدى الشريف تسع نسون بخلاف ملك اليمين مثل بنت مصر الوسيمة القسيمة مارية القبطية، ف من الطبيعى أن تشتعل الغيرة بينهن وتحتدم الخلافات وتلتهب المشاحنات، مما آد «الصابر» وضايقه بل وآلمه:

(وقد شهد بيت الرسول من غيرة نسائه المحتدمة ما يخيل إلينا معه أنها جعلت من هذا البيت ميدانا لمعارك نسوية لاتهدأ ولا تفتر، وإن لم تر فيه الطبيعة سوى أثر لحيوية هؤلاء السيدات ومظهر من مظاهر التنافس على حب زوجهن والرغبة فى الاستئثار به... وما من شك فى أن الرسول قد عانى من ذلك كثيراً).(1)

بلغت الغيرة قُلتها (بضم القاف أى أعلاها) والمنافسة ذروتها والمباراة قمتها خاصة بين الزوجات الحسناوات، الجميلات، الفاتنات: عائشة وأم سلمة وزينب بنت جحش.

---

(1) (نساء النبى) د. بنت الشاطئ – ص ٢٠، د. ت.ن. – دار الهلال ب مصر.

وذات مرة أرسل «المزمل / المدثر» ب هدية إلى زينب بنت جحش فردتها إليه، فانتهزت عائشة هذه الفرصة لتدق إسفينا فى العلاقة بين الزوجة البيضاء البرهرة الحسينة وبين «يس» الذى دأب على كثرة التردد على حجرتها وإطالة اللبث عندها، وتعودت هى على إتحافه بنوع من العسل يحبه، وجماعه يشعل النار فى قلوب سائر النسون وأولاهن عائشة ف قالت له:

(عن عمرة عن عائشة، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إنما آلى لأن زينب ردت عليه هديته، فقالت عائشة: لقد أقمأتك، فغضب فآلى منهن).(١)

تجاوزت التيمية بنت عتيق (كان اسمه قبل الإسلام عبد الكعبة ف سماه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عبد الله وقال له عليه السلام أنت عتيق من النار فكان يدعى عتيقا وقيل سمى عتيقاً لجماله).(٢) كل الحدود، إذ لا يجرؤ مسلم ولا مسلمة على أن يوجه هذه العبارة الفلوت (لقد أقمأتك) ل «سيد ولد آدم» ولعل صغر سنها -إذ لم تتجاوز آنذاك السادسة عشرة وجمالها الذى لابد أنها ورثت بعضه من أبيها الذى أحاطنا خبرا الشيخ الأكبر محيى الدين عربى بأن العلة فى تسميته عتيق ترجع ل وسامته، يضاف إليهما (حداثة السن والبهاء) وحب «طه» لها الذى اشتهر أمره بين التبيع:

(قال عمر بن الخطاب لا بنته حفصه: يابنية لا يغرنك هذه التى أعجبها حسنها وحب رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

---

(١) (سنن ابن ماجة) ل الحافظ أبى عبد الله محمد بن يزيد، القزوينى - ابن ماجة - ٢٠٧- ٢٧٨هـ - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى، المجلد الأول - ص ٦٦٤ - باب الإيلاء الحديث رقم ٢٠٦٠- طبعة ١٣٩٥ هـ ١٩٧٥م -دار إحياء التراث العربى/دون ذكر المدينة.

(٢) (محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار) ل الشيخ الأكبر محيى الدين بن عربى ٥٦٠/ ٦٣٨ هـ تحقيق محمد موسى الخولى الجزء الأول - ص ٩٨ - د.ت.ن. دار الكتاب الجديد - القاهرة.

«يريد عائشة»).(1)

أو ربما تعمدت بنت أبى بكر التفوه بهذه الكلمات القوارض لتنفر «المثبت» من بنت جحش وتدمر محبته لها وتثنيه عن إدامة زيارتها وطول المكوث بجوارها.

فروض واردة بيد أنها لاتنفى أن ابنة ابن أبى قحافة تخطت قدرها ولم تلزم غرزها ولم تقف عند حدها وهى تخاطب «ذؤابة قريش».



الحديث خرجه ابن ماجة فى سننه وهو أحد الصحاح الستة التى تلقتها أمة لا إله إلا الله بالتجلة والقبول وتضعها على رأسها، مما يقطع محجة التشكيك وسكة التوهين وطريق التهزيل.

يبرهن على صدور الجملة الخائبة من التيميّة أن جاء رد فعل «العفو/ العطوف» حاسما وهو الإيلاء بالنسبة ل جميع بعلاته دون استثناء وأنه وقد ضرب المثل فى الحلم البالغ الذى لا نديد له وسعة الصدر التى لا مثيل لها والأناة التى يعز أو ينعدم شبيهها لم يقدم على مثل هذه الخطوة الحاسمة إلا لسماعه هذا التعليق البالغ السخف والذى لا مشاحة أنه قد صدمه خاصة إذا وضعنا فى الاعتبار أن الإيلاء شامل، على الرغم من أنه صرح علانية بأنه لم يحب من الدنيا سوى الصلاة والطيب والنساء (عن أنس قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حبب إلى من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عينى فى الصلاة).(2)

كذا أخبرتنا دواوين سيرته التى عنى ب تدوينها السلف والخلف، أنه اعتاد أن يدور على زوجاته التسع كل ليلة، ولا عجب فيه فقد

---

(1) (اللولؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان «= البخارى ومسلم» تجميع محمد فؤاد عبد الباقى- مراجعة - د. عبد الستار أبو غدة - ص ٢٥٢-١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م - نشرته الجمعية الإسلامية الصينية ب بكين الصين.

(2) أورده النسائى فى سننه والطبرانى فى الأوسط والحاكم فى المستدرك

حُفظ عنه حديثه (أوتيت قوة أربعين فى البطن والجماع) كما أنه عشق عددا منهن وتمكن حبهن من قلبه وهن: عائشة وأم سلمة وزينب بنت جحش وهو يوقن أنه لم ير للمتحابين مثل النكاح «عن طاوس عن ابن عباس قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم نر «يُرى» للمتحابين مثل النكاح»)(١)

إن الإيلاء دلنا على ما كابده من ألم نفسى شديد وجرح غائر بسبب العبارة اللامسئولة التى بدرت من التيمية.



ظن المسلمون أنه قد طلق نساءه فأخذوا يخوضون فى هذا الشأن.

(حدثنا ابن عباس قال أصبحنا يوما ونساء النبى - صلى الله عليه وسلم - يبكين عند كل امرأة منهن أهلها، فخرجت إلى المسجد فإذا هو ملآن من الناس، فجاء عمر بن الخطاب فصعد إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو فى غرفة له فسلم فلم يجبه أحد ثم سلم فلم يجبه أحد، ثم سلم فلم يجبه أحد، فناداه فدخل على النبى - صلى الله عليه وسلم - فقال: أطلقت نساءك؟ فقال: لا، ولكن آليت منهن شهرا، فمكث تسعا وعشرين، ثم دخل على نسائه).(٢)

هذا الحديث حمله البخارى أصح كتاب لدى أهل السنة والجماعة بعد القرآن الكريم وسنتبع بعد قليل ب أخبار تطلعنا على أنه مرقوم أيضا فى صحيح مسلم فى باب الطلاق ومن ثم ف هو متفق عليه.

الصحيح المتفق عليه هو الذى خرجه البخارى ومسلم فى صحيحيهما.

---

(١) (سنن ابن ماجة) المجلد الأول - ص ٥٩٣/ مصدر سابق.

(٢) (صحيح البخارى) كتاب النكاح - الجزء السابع - ١٣٧٨هـ - مطابع الشعب - مصر.

والحديث الذى يجمع على صحته الشيخان «البخارى ومسلم» لا يمارى فيه إلا مشاغب ولا يشك فيه إلا مُعاسر ولا يعارضه إلا أحْدَل.[1]



توثيق الخبر من كتب «أسباب النزول»:

(روى مسلم عن عمر بن الخطاب قال: لما اعتزل النبى - صلى الله عليه وسلم - نساءه دخلت المسجد، فإذا الناس ينكتون بالحصى ويقولون: طلق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نساءه، فقمت على باب المسجد فناديت ب أعلى صوتى: لم يطلق نساءه، فنزلت هذه الآية.... فكنت أنا استنبطت هذا الأمر).[2]

عزاه السيوطى إلي صحيح مسلم وهو المصلىّ «التالى» ل صحيح البخارى ثم أورد أبو عمر نادى الأزهرى الخبر الذي زبره السيوطى فى لبابه كما هو دون زيادة أو نقصان.[3] وبهذا يزداد الخبر رسوخا.

واضح من ثناياه أن اجتماع التُبّاع فى المسجد، ووصف أيأتهم «هيأتهم» ينمان عن القلق الشديد لأن طلاق التسع زوجات حسبما بلغهم مسألة خطيرة، ورأوا أن من حقهم أن يتداولوها فيما بينهم ويقلبوها على كافة وجوهها.

هنا نذكّر بحقيقة يتعين ألا تغيب عن ذهننا ونحن نتناول ب البحث والتدقيق هذه الحقبة المدهشة هى: أن الأفراد أو الفاعلين فى مجتمعها أميون مُتَبّدون مَليطون من كل سمات الحضارة وشارات الثقافة وعلامات التمدن، ومن ثم فإن الحكى أو المناقلة أو المشافهة أو المخاطبة أو المحادثة هى وسيلة الإعلام الرئيسة فيما بينهم.

---

(١) حدل عليه: مال ب ظلم أو عداوة ف هو أحْدَل ل وهى حدلاء / من «المعجم الوجيز».

(٢) (لباب النقول) ل السيوطى ص ٥٧- ٥٨ مصدر سابق.

(٣) (المقبول) ص ٢٣٣ - مرجع سابق.



نرتدف بما ضمته التفاسير فى هذه الخصوصية:

(وعند مسلم فقلت: أطلقتهن؟ فقال: لا فقمت على باب المسجد فناديت بأعلى صوتى: لم يطلق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نساءه ونزلت هذه الآية «وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى أمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم» فكنت أنا استنبطت ذلك الأمر).(١)

توكأ ابن كثير عندما تولى تفسير الآية الثالثة والثمانين من سورة النساء على حديث «مسلم» الذي اتفق عليه هو البخارى.

اعترف العدوى ابن الخطاب- الذي أصبح الخليفة الثانى بعد التيمى عتيق بن أبى قحافة وكلاهما من فرع خفيض فى قبيلة بنى سخينة- بأنه أحد الذين عنتهم الآية المعظمة ب أنهم يستنبطون الأمور.

ولا غرابة فهو واحد من مجلس الشورى الذى سكّر بابه وأحكم رُتجَانه ووثق مغلاقه، فلا يلجه إلا قرشى ولا يطأ عتبته إلا سخينى.

ذكر الألوسى تفسيرا للآية - سوف نأتى به مع آخرين فى الفقرة القادمة بيد أنه أضاف: «غير أن روايات السلف على خلافه».(٢)

وشرح محمود الشرقاوى المحقق ما يقصد الألوسى بعبارته الأخيرة بقوله (يذكر هنا حديث عمر بن الخطاب المتفق عليه حين بلغه أن الرسول طلق نساءه فجاء من منزله حتى دخل المسجد فوجد

---

(١) (تفسير القرآن العظيم) ل ابن كثير ٧٠٠ - ٧٧٤ هـ - تحقيق عبد العزيز غنيم وآخرين - المجلد الثانى ص ٣٢٢ د. طبعة الشعب مصر.

(٢) (تفسير الألوسى - روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى) ل أبى الفضل شهاب الدين محمود الألوسى - ١٢١٧- ١٢٧٠هـ تحقيق محمود الشرقاوى - الجزء الخامس ص ١٥٥ - الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٦م - كتاب الشعب الدينى - الشعب - القاهرة.

الناس يقولون ذلك فلم يصبر حتى استأذن على الرسول فاستفهمه: أطلقت نساءك؟ قال: لا، فقلت: الله أكبر وذكر الحديث بطوله.

وعند مسلم، فقلت: أطلقتهن؟ فقال: لا، فقمت على باب المسجد فناديت بأعلى صوتى: لم يطلق رسول الله- صلى الله عليه وسلم- نساءه ونزلت هذه الآية.

البخارى كتاب النكاح ومسلم كتاب الطلاق).[١]

فى النص الذى زبرناه عن شهاب الدين الألوسى قرأنا عبارة «غير أن روايات السلف على خلافه» وتوضيحها أو كشف خفائها أن المفسر نسخ قبلها تفسيرا مغايرا ل هذه الآية العظيمة – فى الفقرة القادمة سنميط اللثام عنه تكملة للبحث -بيد أنه أضاف أن السلف على خلافه أى لا يمضونه أولا يقرونه إنما يؤكدون أن الآية المجيدة إنما هلَت كَ النجم الثاقب بشأن لوك المسلمين الكلام فى نازلة طلاق «صاحب التاج» لأزواجه.

وقد جزم محمود الشرقاوى محقق تفسير روح المعانى به وذكر حديث العدوى ابن الخطاب وأنه متفق عليه.



خلاصة هذه الفقرة أن الزوجة الصبية.[٢]

الغندورة.[٣]

التيمية عائشة تجاوزت مكانتها وخاطبت «القطب» بِ عبارة لا يليق بأى مقياس توجيهها إليه لا كَ زوج ولا مبشَر ب دعوة جديدة ولا مؤسس لدولة بنى سخينة، فغضب واعتزل نسونه ف خَبٍّ التباع ووضَعوا فى الواقعة.

---

(١) ذات المصدر السابق.

(٢) (تعنى الحدثة والحسينة).

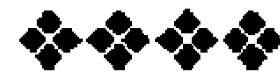
(٣) الناضرة أو بينه النظارة.

من الطبيعى أن يتضايق من هذا المسلك لابسبب أن الإيلاء شأن عائلى فـ حسب إنما لأنه دل على أنهم «الصحاب» مازالوا فى حاجة ماسة إلى المزيد من الصقل والتشذيب والصنفرة والقوظة والتهيئة خاصة فى مربع السياسة.

لأن صحة القائد ومرضه وزواجه وظعنة وعدنه....... إلخ كلها أمور من صميم السياسة بل من أخصها فـ لاتصح إثارتها بين المواطنين «يُطلق أولئك العريان على المواطنين: الرعية التى هى فى قواميس اللغة تعنى الماشية ا هـ» إذ من الحتم اللازم أن يستفيد منها العدو وهم هنا: صناديد الشرك، أولاد الأفاعى = اليهود، المنافقون (أوضحنا فيما سلف أن النفاق معارضة سياسية أكثر منها خلافا عقائديا ا هـ) بـ الإضافة إلى أعداء الخارج: الروم والفرس.

بيد أنه كَ العادةِ لا يتخلى «القصص/ القرآن» عن «قائد الغر المحجلين» فـ تتهادى الآية ٨٣/ النساء كـ الحيا أو الغيث بالنسبة للأرض الجديبة وتأمر الصحاب بـ أن يكفوا عن المشى فى هذه المحجّة العوجاء بأن يرجعوا فى هذه النوازل الحساسة إلى القائد كيما يرشدهم إلى الصواب.

فوائد جمة حققتها الآية المجيدة: رفْع الضيق عن صدر «المختار» ودرس بليغ فى السياسة للتبع وبرهنة على ارتباط «المرفوع المطهر = القرآن» بأمور معاشهم ووقائع مجتمعهم ورفع ستار عن حكمة التنجيم أى بزوغ الآيات والسور على دفعات لا مرّة واحدة.



هناك سبب آخر لـ ظهور الآية ٨٣ من سورة النساء:

وهو أن عددا قد لا يستهان به من المسلمين أخذ يذيع أخبارا كلما سمع الواحد منهم معلومة حتى ولو انضوت على قدر من الخطورة على أمن الدولة أو مستقبل الديانة أو سلامة القائد فلا يتورع عن نقلها ربما بـِ حسن نية أو عن غفلة، أى عدم تنبه أو للإشعار بـ

أهمية القائل وأنه من المقربين للرئاسة ومن العليمين ب بواطن الأمور والمطلعين على الأسرار وأنه يوشك أن يغدو من صناع القرار.

لا يهم ل من يلقى الخبر؟

ومعلوم أن أثرب تموج ب أخلاط تنفر من الإسلام وأَوْشَاب تنضوى صدورهم على بغض دفين ل «صاحب السرايا» وأفناء يكرعون من إناء كراهية دينة وأوباش يرقلون فى درب الحقد على دولته التى أسسها فى القرية ذات الحرتين.

فى مقدمتهم اليهود أولاد الأفاعى الذين ما تصوروا قط لا فى منام ولا فى يقظة أن عربيا من صلب إسماعيل يبشر بدعوة جديدة.

ويليهم المنافقون الذين ملأ الشنآن صدورهم أن ينجح أحد بنى سخينة فى تأسيس دولته فى بلدهم ويفقد زعيمهم «عبد الله بن أبى بن سلول» إلى الأبد فرصته كيما يغدو الحاكم والملك والزعيم.

ويتبعهم صناديد قريش الذين أعماهم الحسد عن معرفة حقيقة الموقف، إنما الذى أفقدهم صوابهم وأعمى بصيرتهم وضيع رشدهم أن «يتيم أبى طالب» -كما دأبوا على نبذ «سيد الناس» به -يحقق حلم أجداده: قصى/ هاشم/ شيبة الحمد (عبد المطلب) بل يحالفه الفلج فى إقامة حكومة فى يثرب والأنكى منه أنها طفقت تقطع على قوافلهم (مصدر رزقهم اليتيم) الطرق.

ومن بعدهم تشرئب الوجوه الكالحة لرؤساء القبائل المحيطة أو المتناثرة فى أنحاء الجزيرة الذين وهموا ب أن «صاحب اللواء» سيقسم لهم نصيبا، بيد أن الإحباط شملهم واليأس هيمن عليهم والشعور ب الضياع ضربهم حتى التخاع عندما تيقنوا أنها ل قريش دون غيرها.

بخلاف جواسيس دولة الروم والفرس الذين ما فتئوا يراقبون بِ قلق بالغ ما يجرى فى يثرب إذ حدثتهم عيونهم أنه شىء جديد لا عهد ل العُربان به من قبل.

هؤلاء جميعا يتشقون ولو رائحة ضعيفة لأى خبر ويفتشون عن أوهى يصيص لنبأ صغير ويرهفون آذانهم القبيحة لنأمة مهما بدت كليلة عن حكاية خمصانة ليستشفوا من أحدها حقيقة أحوال الدولة البرعومة وما يدور داخل كواليسها وما يحدث فى أروقتها والذى يجرى فى دهاليزها.



هذا المسلك من بعض الصحاب ضايق «الخالص» وتمنى أن يكفوا عن المضى فيه ويعدلوا عن السير فى محجته ويمتنعوا عن المشى فى طريقه، ولا يتركه «العربى = القرآن» يكابد الألم فـ تبزغ الآية ٨٣ من سورة النساء مثل الكوكب الدرىّ تعيب على التبيع هذا النهج الأعوج وترشدهم إلى ما يتعين عليهم سلوكه وبذا أسهمت فى تربيتهم ورفعت عن «المكى / المكين» ما أصابه من غم.

(قيل عن ضعفة المسلمين إنه إذا «جاءهم» الخبر «بأمر» من الأمور سواء كان ذلك الأمر من باب (الأمن) أو من باب (الخوف) أذاعوا به وأفشوه.. ولا يخفى ما فى الإفشاء من الضرر من جهة أن الإرجاف لا ينفك عن الكذب، ومن جهة أن تلك الزيادات إن كانت من جانب الأمن ولم تقع أو ورثت شبهة لضعفة المسلمين فى صدق رسول الله...)(١)

ويذهب الألوسى إلى المنحى ذاته:

(.... وذلك أن ناسا من ضعفة المسلمين الذين لا خبرة لهم بالأحوال، كانوا إذا أخبرهم النبى - صلى الله عليه وسلم - بما أوحى إليه من وعد بالظفر، أو تخويف من الكفرة يذيعونه من غير فهم لمعناه، ولاضبط لفحواه، على حسب ما كانوا يفهمونه، ويحملونه عليه من المحامل وعلى تقدير الفهم قد يكون ذلك مشروطا بأمور تفوت

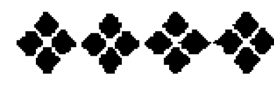
---

(١) (غرائب القرآن) ل القمىّ النيسابورى / الرابع - ص ٤٥ / مصدر سابق.

(٢) (تفسير الألوسى / روح المعانى) الخامس / ص ١٥٥/ مصدر سابق.

بالإذاعـــة، فـــلا يظهـــر أثره المتــوقع، فــيكون ذلك منشـــأ لتــوهم الاختلاف).[2]

وقد رأى الألوسـى أن هذا التعليل «لا يخلو عن حسن غيـر أن روايات السلف على خــلافــه» أى أنه رأى على الرغم من جـودته فـإن السلف أجـمعـوا على غيـره وهو الذى زبرناه فى الفقـرة السـابقـة، أى أن الآية الكريمة ٨٣ من سـورة النسـاء هلت ب أنوارها البـاهرة بسـبب إيلاء (أرحم الناس بالعباد) ل نِسّونه وهو ما حدّث به العدوى عمر بن الخطاب.



ومن التفاسير الحديثة أو المعاصرة:

اخترنا تفسير عبد الله شحـاتة (...... أو بعض ضعـاف النفوس من شهوتهم الكلام كانوا يروّجون أخبار النصر والأمن والخوف وهذه الأمـور تسهل للعدو مهمـة التجسس ومعـرفة مواطن الضعف والقوة لدى المسلمين).[1]

ثم يختم الدكتور المفسر أو المفسر الدكتور كلامه بفقرة إنشائيـة وعبارة بيانيـة وجملة خطابيـة (وبالتـأمل فيمـا تضمنتـه الآية الكريمة من إرشـادات حكيمـة يتضح أن القرآن الكريم قد سبق جميع النظم الحـربيـة فى وضع أقـوى الوسـائل لمواجهـة مـا يسـمى الآن: الحـرب النفسية أو حرب الأعصـاب وهى التى تدير الحرب العسكرية)[2].

وعلى الرغم من أن عَــجُــز الفـقــرة: «هى التـى تدير الحـــرب العسكرية» غامض ومبهم ومشـوش، إذ كيف تدير الحرب النفسيـة والحـرب العسكرية؟ وأيتهـمـا الأصل الذى يتـولى الإدارة والفرع الذى يقبلها؟

فقد تمنيت ألا ينجرف المفسر، وهو أستاذ جامعى أى أكاديمى بدأ

---

(١) (تفسير القرآن الكريم) ل عبد الله شحاتة - الجزء الخامس ص ٨٨٤ - مرجع سابق.

(٢) ذات المرجع والجزء والصفحة

بتعلم مناهج البحث إلى الطريقة التعظيمية وينحو منحى السكة التفخيمية ويهرول فى محجة التطبيل وأن يترك ذياك جماعه ل واعظ فى تليفزيون أو مشعبذ يزعم بكل جرأة على الحق أنه يمنح مشاهديه حزمة من نور كأنما لم يكفه ما هو فيه من نور!!

ومن حقنا أن نسأل شحاتة قبل أن ننتهى إلى نسخ (كتابة) هذه الخطبة المنبرية: هل اطلعت على «جميع النظم الحربية» قبل ظهور «الأحسن/ القرآن الكريم» لدى المصريين القدماء والإغريق والحيثيين والبابليين والأشوريين والصينيين...... إلخ، كيما تحكم عليها ب الدونية وتقضى عليها بالتخلف وتسمها ب التأخر؟

أو هل قرأت عن بعضها مع أن عبارتك تدل على الاستغراق والعموم والشمول؟

ألا يوجد فى قواعد مناهج البحث العلمى ما يقيّدك عن إطلاق هذا الحكم الواسع؟



هل يوافقنا الدكتور المؤلف أن القرآن العظيم كتاب هداية وإرشاد وأخلاق ومواعظ ورقائق....... إلخ ولا شأن له ب الحروب العسكرية أو النفسية؟!

وإذا صح كلام شحاتة فى أن الآية ٨٣ من سورة النساء «سبقت جميع النظم الحربية فى وضع أقوى الوسائل لمواجهة ما يسمى الآن:

(الحرب النفسية أو حرب الأعصاب) فلماذا لم نسبق منذ عهد التدوين إلى إبداع هذا العلم؟ ولماذا انتظرنا حتى توصل إليه الفرنجة الملعونون فى كل كتاب؟

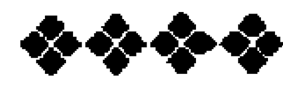
إن ما يحدث هو الآتى:

ما إن تظهر نظرية سواء في العلوم الطبيعية / التجريبية أو العلوم الإنسانية ويقرأها أو يقرأ عنها أحدهم ويمر بِ نظره الكريم على سور وآيات المصحف الشريف حتى يصيح فجأة وجدتها أن النظرية

المذكورة جاءت فى الآية الحميدة رقم كذا فى السورة المجيدة رقم كذا .... وبذا يزعم، أننا سبقنا الغرب فى اكتشافها!!

طيب يا أخانا - جزاك الله خيرا - مادام الأمر كذلك فلماذا لم نعلنها منذ أربعة عشر قرنا أو حتى عشرة قرون؟

وبديهى أن الإجابة هى الصمت المطبق.



إن الذى لا مرية فيه أن عدة عوامل وراء هذا الموقف الهزلى المأساوى الذى تكرر عشرات المرات والذى ما إن يسمعه الفرنجة حتى يضحكوا ملء أفواههم.

وعلى قلتها «بضم القاف أى قمتها» = عقدة النقص التى نعانيها بسبب تخلفنا وتقدم الفرنجة ثم يلحق بها وهو الأوعر محاولة التخدير أو التنويم أو التبنيج التى يلجأ إليها الدعاة الأيديولوجيون لتبرير أيديولوجيتهم بين العامة وهم فى ذلك ينافسون الأنظمة الحاكمة.

أما ثالثة الأثافى والأدهى: الإيحاء بقوة والإيهام بشدة والتلميح بكثافة أنه لا ضرورة لإعمال العقل مادام كل اختراع وإبداع ونظرية مبثوثا فى ثنايا «النور = القرآن».

أيها المسلم - الذى ملكت العالم فى وقت من الأوقات - لا تعمل عقلك ولا تفتح مخك ولا تشغل فكرك، ولماذا تفعل؟

إن كل علم واكتشاف موجود فى «الذكر الحكيم» وما هو مطلوب منك أن تقرأه ب إمعان وعندها تخرج منه بما شئت من مخترعات ونظريات فى كل المجالات!

أما أن الفرنجة الكفرة هم الذين احتكروا اكتشافها فلاتنس يا أخى أن الله جل جلاله سخّرهم لنا، هم يشقون ويتعبون ونحن نأخذها على الجاهز أو اللائح.(1)

هذا من أميز أساليب الخطاب الديماجوجى الذى يطرحه على

(1) تعبير صحيح لغويا ف فى المعجم الوسيط : لاح الشىء ظهر وبرز.

العامة الأيديولوجيون والدعاة المهيِّجون وهو لا يغدو أن يشكل «حقنة بنج» لتخديرها كيما يسهل عليهم قيادها وتوجيهها حسبما يريدون.

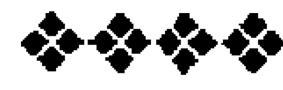
وبداهة أنه (=التوجيه) ليس فى صالح العامة (القاعدة العريضة) ،إنما لتحقيق مكاسب سياسية، إذ هم والأنظمة الحاكمة التى تفتقر إلى الشرعية يتنافسون على المراهنة على الدين:

الأولى: للحصول على الشرعية المفقودة.

أما هم (=الدعاة الأيديولوجيون والوعاظ المهيِّجون) فللتعكز عليها (القاعدة العريضة) وبها واستغلالها فى إزاحة الأنظمة من سكتها والوثوب على السلطة لصالحهم هم.

وفى كلتا الحالتين فإن صحيح الدين والعامة (=القاعدة العريضة) هما الخاسران وللتأكد من مصداقية ذلك عليك بِ ما جرى ويجرى وسوف يجرى فى أفغانستان والسودان.

وبعد هذه التفريعة التى نذهب إلى ضرورتها نعود إلى السياق.



نورد فيما يلى ما رقمه مفسّر حديث (أو معاصر) سببا لإشراق الآية ٨٣ من سورة النساء:

(..... جماعة فى المعسكر الإسلامى لم تألف نفوسهم النظام ولم يدركوا قيمة الإشاعة فى خلخلة المعسكر وفى النتائج التى تترتب عليها وقد تكون قاصمة لأنهم لم يرتفعوا إلى مستوى الأحداث ولم يدركوا جدية الموقف و أن كلمة عابرة وفلتة لسان قد تجر من العواقب على الشخص ذاته وعلى جماعته كلها ما لا يخطر له على بال).(١)

ثم يضيف «هكذا كان القرآن .. فيغرس الإيمان والولاء للقيادة المؤمنة ويعلم نظام الجندية في آية واحدة».(٢)

إذن من رأى هذا المفسر أن الآية جمعت التربيتين العسكرية

---

(١) «فى ظلال القرآن» لِ سيد قطب المجلد الثانى ص ٧٢٣ مرجع سابق.

(٢) ذات المصدر والمجلد-ص ٧٢٤

والسياسية ولا بأس لدينا من ذلك.

وفوقهما أو معهما تجئ الأغراض الآخريات:

رفع الضيق عن صدر «مقيم السنة بعد الفترة» والتنفيس عما أصابه من نكد والإبانة عن مقاصد التنجيم والحكمة منه.

وهكذا أثمرت هذه الآية العظيمة عدة ثمار طيبة.

٢- امتثال أوامر «القائد» بركة ورخصة:

دأب «العادل» على أن يقرع بين نسونه التسع كلما خرج لِ غزاة.

فى غزوة المريسى أو بني المصطلق خرج سهم على أم سلمة بنت زاد الركب وآخر على عائشة بنت عتيق وهما الاثنتان من الزوجات الوضيئات.

و(غزوة المريسيع وهو ماء لبنى خزاعة بينه وبين الفرع يومان وتسمى غزوة بنى المصطلق. وكانت لليلتين خلتا من شعبان سنة خمس وفي البخاري قال ابن إسحق سنة ست، وقال موسى بن عقبة سنة أربع انتهى).[١]

وذهب ابن سعد إلي أنها وقعت في شعبان سنة خمس.[٢]

وبِ حسبة بسيطة تبين أن التيمية بنت ابن أبى قحافة لم تتجاوز الرابعة عشرة من عمرها أى «حَدَثة» كما وصفتها والدتها أم رومان فى مناسبة أخرى.[٣]

وفي طريق العودة إلي أثرب ضيّعت عقدا لها أخذتها معها كيما تُحلّي به جيدها في منافستها لِ ضرتها الحسناء الأثيرة لدي «أكرم الناس» هند نعني أم سلمة.

هنا أمر القائد بِ التوقف حتى يتم العثور على القلادة المعقودة وفى

(١) (المواهب اللدنية) لِ القسطلاني - الأول ص ٢٠١/ مصدر سابق.

(٢) (الطبقات الكبري) الجزء الثالث- ص١٠٤- مصدر سابق.

(٣) الحدث صغير السن والجمع أحداث من «المصباح المنير» ل المقري و«المعجم الوجيز» لِ مجمع اللغة العربية.

رواية أخرى سوف تجئ فيما بعد كلف بعض الرجال بِ التقيب عنها.

حدثت الواقعة في بيداء قفر لا تنبضّ بقطرة ماء للشرب ولا لغيره من الأغراض ولعل هذا يضاف إلى الأدلة التي تساق لإثبات حب «صاحب الشفاعة» لِ التيمية.

كما أن حديث الإفك بدأ بِ: إضاعتها أيضا لِ قلادة وهو تكرار لافت للنظر يشهد على يُفوعها «= صغر سنها» حتى انها لا تحافظ علي الثمين من حلّيها الذي تحرص عليه الحدثة أو اليافعة أو الصبية بِ أبلغ مالديها من عناية.

الصحاب (الذين خوطبوا بالنهى عن الحركة) تململوا وحاك فى صدورهم فأرقلوا إلى والد التيمية وبثوه شكايتهم والعنت الذى أصابهم والضر الذى شملهم والضيق الذى انتابهم بِ سببها:

(حدثنا عبد الله بن يوسف قال أخبرنا مالك عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة زوج النبى- صلى الله عليه وسلم- قالت خرجنا مع رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فى بعض أسفاره حتى إذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش انقطع عقد لي فأقام رسول الله- صلي الله عليه وسلم- على التماسه وأقام الناس معه وليسوا على ماء، فأتي الناس إلي أبي بكر الصديق فقالوا: ألا ترى ما صنعت عائشة؟ أقامت رسول الله- صلي الله عليه وسلم- والناس، وليسوا على ماء وليس معهم ماء؟

فجاء أبو بكر ورسول الله – صلى الله عليه وسلم – واضع رأسه على فخذى قد نام، فقال حبست رسول الله – صلى الله عليه وسلم – والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء.

فقالت عائشة: فعاتبنى أبو بكر وقال ما شاء الله أن يقول، وجعل يطعننى بيده فى خاصرتى، فلا يمنعنى من التحرك إلا مكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على فخذى، فقام رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على غير ماء فأنزل الله آية التيمم، فتيمموا.

فقال أسيد بن الحضير: ما هى ب أول بركتكم يا آل أبى بكر.

فبعثنا البعير الذى كنت عليه، فأصبنا العقد تحته).[1]

إن ما فعله ابن أبى قحافة وما شافهها به يدلان على كثافة شعور التبع ب الحروجة وإحساسهم ب السخط ووجدانهم الغضب.

ولاشك أنه نقل جماعه ل (أول من يفيق من الصعقة) ونظرا لما يمتاز به من رقة فى القلب ورهافة فى العاطفة فقد تألم كثيرا.

بيد أنه كالعادة لا يفاصله (البشرى/ القرآن) بل يقف معه باستمرار فإذا ب آية تبرق بنورها الوضاء «السادسة من سورة المائدة» تحل المشكلة وتفك الأزمة وتخلخل المعضلة وتأمر التبيع ب أن يتوجهوا لأديم الأرض ف فيه عوض عن الماء وهكذا عمهم الرضا وشملهم السرور ول ذا انفرجت أسارير (من جعلت له الأرض طهوراً) إذ إن بقاءهم بعيدا عما يعكر أمزجتهم أو يضربهم ب الكآبة أو يجرهم إلى وهرة.[2] العصيان شأن فى قلة الأهمية لأنهم جنوده وعدته وعتاده فى نشر الديانة وترسيخ أسس الدولة.

وقبل أن نمضى فى توثيق الخبر نشد الانتباه إلى ما جاء فى مؤخرته «فبعثنا البعير الذى كنت عليه، فأصبنا العقد تحته)، إذ كيف لم يدر بخَلَد أحد منهم هذا الاحتمال البسيط؟



أولا: من كتب السيرة المحمدية المعطار:

١ - (عن عائشة - رض - .... فلقيت من أبى بكر - رض - ما شاء الله، أى لأن الناس جاءوا لأبى بكر - رض - وشكوا إليه ما نزل بهم، فجاء إليها ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - واضع رأسه الشريف على فخذها قد نام، فقال لها: حبست رسول الله - صلى الله عليه وسلم

(١) (صحيح البخارى) الجزء الأول - باب التيمم - ص ٩١ - الطبعة الأولى ١٣٧٨ هـ - كتاب الشعب - ب مصر.

(٢) (الوقعة فيما لا مخرج للمرء منه).

- والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء، فجعل يطعن بيده فى خاصرتها ويقول: يابنية فى كل سفرة تكونين عناء وبلاء وليس مع الناس ماء، قالت فما يمنعنى من التحرك إلا مكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على فخذى: أى لأنه - صلى الله عليه وسلم - كان إذا نام لا يوقظه أحد حتى يكون هو يستيقظ، لأنهم لا يدرون ما يحدث، فقال حين أصبح، وفى لفظ: فاستيقظ وحضرت الصلاة فالتمس الماء فلم يجد فأنزل الله تعالى الرخصة بالتيمم.

وفى لفظ فأنزل الله تعالى آية التيمم أى التى فى المائدة).(١)

البرهان الحلبى من الجائز أن نرقم أنه نسخ الحديث الذى خرجه البخارى فى صحيحه، بيد أنه رفع الستر عن كلام التيمى الذى عنف به ابنته، وفيه قدر من القسوة مما يشى بأن الصحاب شحنوا عتيقا بِ الحنق الذى كنته صدورهم وهو بدوره فرغه فى (صورة) عتاب قارص شافه به الابنة الصبية.

٢ - (وقيل وفى هذه الغزوة نزلت آية التيمم. وفى الصحيحين من حديث عائشة أنها قالت: خرجنا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى بعض أسفاره فذكر الحديث).(٢)

أورد القسطلانى معلومة ثقيلة الثمانة، وهى أن الحديث لم ينفرد به البخارى ف حسب بل خرجه مسلم أيضا عند قوله «..... وفى الصحيحين» إذن هو متفق عليه.

٣ - (وفى هذه الغزاة يعنى المريسيع سقط عقد ل عائشة - رض - فاحتبسوا على طلبه ف نزلت آية التيمم فقال أسيد بن الحضير ما هو أول بركتكم يا آل أبى بكر).(٣)

---

(١) (إنسان العيون فى سيرة الأمين المأمون/ الشهير ب السيرة الحلبية) تأليف على بن برهان الدين الحلبى ٩٧٥-١٠٤٤هـ/ الجزء الثانى - الطبعة الأولى ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م - شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى - ب مصر.

(٢) (المواهب اللدنية) ل القسطلانى - الأول - ص ٢٠٢ - مصدر سابق.

(٣) (الطبقات الكبرى) ل ابن سعد الجزء الثانى - ص ١٠٧ - سابق.

طبقات ابن سعد من أميز كتب السيرة المحمدية المعطار والأخبار التى تضمها من التعنت الطعن فيها أو توهينها أو التشكيك فيها .

٤ - (قالت: وأيضا قال: هلكت قلادتك ب الأبواء فأصبح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصبح الناس ليس معهم ماء، فأنزل الله تعالى «فلم تجدوا ماءً فتيمموا صعيدا طيباً» المائدة- ٦ فكان ذلك بسببك وبركتك ما أنزل الله تعالى لهذه الأمة من الرخصة).(١)

(السمط) ل المحب الطبرى ليس كتابا مباشرا فى السيرة المحمدية البالغة السمو إنما هو يترجم ل بَعْلاته ومن ثم ف إن إلحاقه ب ركب مؤلفات السيرة الزكية ليس شططا .

٥ - (الرابعة: نزول آية التيمم بسبب عقدها حين حبس رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الناس، وقال لها أسيد بن الحضير: ما هى بأول بركتكم يا آل أبى بكر).(٢)

وقد ترجم شيخ الإسلام شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلانى ل بدر الدين الزركشى مصنف كتاب «الإجابة» فقال:

(...... وعنى بالاشتغال (=أى بالعلم) من صغره فحفظ كتبا وأخذ عن الشيخ جمال الدين الإسنوى والشيخ سراج الدين البلقينى ولازمه...... وكان منقطعا عن منزله لايتردد إلا إلى سوق الكتب).(٣)

هذا الكتاب «الإجابة» يتناول جانبا من سيرة التيمية ابنة أبى بكر وهو ملاحظاتها على مارواه عدد من الصحابة من أحاديث «ذؤابة

---

(١) (السمط الثمين فى مناقب أمهات المؤمنين) محب الدين الطبرى - ت ٦٩٤هـ - تحقيق حمزة النشرتى وعبد الحفيظ فرغلى- ص ١٠٧ - الطبعة الأولى ١٩٩٦ - الناشر: حمزة النشرتى ، مصر.

(٢) (الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة) ل بدر الدين الزركشى ٧٤٥ -٧٩٤هـ - تحقيق رفعت فوزى عبد المطلب - ص ١٨ «الباب الأول فى ترجمتها وخصائصها - الطبعة الأولى ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م - مكتبة الخانجى ب مصر.

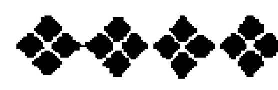
(٣) (الدر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة) ل ابن حجر العسقلانى - ت ٨٥٢ هـ - تحقيق محمد سيد جاد الحق / الجزء الرابع / ص ١٨/١٧ - د ت ن/ دار الكتب الحديث/ القاهرة.

قـريش» ومن ثم يحق لنا أن نعـده من حـواشـى سـيـرته الحـمـيـدة المحمودة.

وقد أكد أن آية التيمم انبثقت بسبب عقدها.

وأبان لنا شيخ الإسلام ابن حجر عن مكانة مصنفه.

نكتفى ب هذا العدد من هذا الضرب من المؤلفات إذ فيه الغنية والكفاء.



ثانيا: من كتب أسباب النزول

(روى البخارى من طريق عمرو بن الحارث عن عبد الرحمن بن القاسم عن ابيه عن عائشة قالت: سقطت قلادة لى بالبيداء ونحن داخلون المدينة، فأناخ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ونزل فثنى رأسه فى حجرى راقدا وأقبل أبو بكر فلكزنى لكزة شديدة وقال: حبست الناس فى قلادة، ثم إن النبى - صلى الله عليه وسلم - استيقظ وحضرت الصبح فالتمس الماء فلم يوجد فنزلت الآية...

فقال أسيد بن حضير: لقد بارك الله للناس فيكم يا آل أبى بكر).[1]

ما فعله السيوطى هو أنه نسخ حديث البخارى فى الصحيح، بيد أنه وصف ما فعله أبو عائشة معها ب «اللكز الشديد» وهو فى معاجم اللغة: الضرب ب جميع اليد على الصدر فإذا وصف ب الشدة دل على فوران الغضب الذى لمسه فى صدور الصحاب وهم يصفون له ما كابدوه من جراء ما صدر إليهم من قرار حاسم ب التوقف الذى يؤوب إلى ضياع قلادتها.



(١) (لباب النقول) ل السيوطى - ص ٦٩ - مصدر سابق.

ثالثا: كتب التفاسير

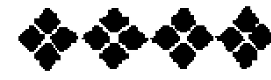
١ - (نزلت فى عائشة - رض - عندما سقطت قلادتها وهى مع النبى - ص - فى غزاة بنى أنمار وهم حى من قيس عيلان).(١)

هذا الكتاب من أقدم مؤلفات تفسير القرآن المجيد التى وصلت إلينا إذ إن واضعه عاش فى الخمس الأخير من القرن الأول الهجرى حتى منتصف القرن الثانى.

وقد وصفه المحقق عبد الله شحاتة أنه أقدمها.

٢ - (ذكر القشيرى وابن عطية أن هذه الآية نزلت فى قصة عائشة حين فقدت العقد فى غزوة المريسيع).(٢)

٣ - (المسألة الثانية فى سبب نزولها: لا خلاف بين العلماء علي أن الآية مدنية كما تقدم ذكره فى سورة النساء وأنها نزلت فى قصة عائشة).(٣)



ثلاثة من كتب التفسير المعتبرة (=لها اعتبارها) وآخرها اختص ب تفسير آيات الاحكام جزمت بأن آية التيمم هلت بسبب قلادة التيمية.



هكذا تضافرت مؤلفات من كتب التراث عالية القدر فى شتى العلوم الإسلامية على أن المزّمل» اصطحب معه زوجته عائشة فى غزوة بنى المصطلق أو المريسيع ول صغر سنها «١٤ سنة» لم تحافظ على عقد حملته معها لتتجمل به ف لما أخبرت به (الرحمة المهداة) أمر بالتوقف حتى يعثروا عليه والمكان صحراء قرعاء جرداء ومأوهم

---

(١) (تفسير مقاتل بن سليمان) ٨٠ - ١٥٠هـ - تحقيق عبد الله شحاتة - الجزء الأول - ص ٢٩٨ / د.ت.ن./ ساعد المجمع العلمى العراقى فى نشره- دار الشروق - مصر.

(٢) (تفسير القرطبى) المجلد الثالث - ص ٢٠٧٧ - مصدر سابق.

(٣) (أحكام القرآن) ل ابن العربى ٤٦٨- ٥٤٣هـ المجلد الثانى - تحقيق محمد على البجاوى ص ٥٨٨ الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م - دار الجيل - بيروت.

نفد ف لامجال لشرب أو وضوء أو اغتسال أو سبقى الدواب.

النهى الحاسم عن التحرك ولو خطوة واحدة دفع عددا من التباع إلى التوجه إلى ابن أبى قحافة والد التيمية التى تسببت ب عدم حرصها على حليتها فى هذا الموقف الحرج، فيتوجه عتيق إلى ابنته الصبية الحدثة ويعنفها - وعندما يستيقظ (القانت) من نومه ينقل إليه وزيره الأول وأكبر مستشاريه غليان الرأى العام وسخط الصحاب.

يحيط (سيد العرب والعجم) ب حقيقة الأمر فيؤذيه تسلسل الأحداث، ف من ناحية أوضحنا فيما سبق مكانة عسكره وحرصه على البعد عن إغضابهم، ومن رجا آخر فإن مما يخل ب هيبة القائد تراجعه عن أمر أصدره إذعانا ل مشيئة عساكره (مرءوسيه) وأنه لو فعل فسوف يشجعهم على المشى فى هذا الدرب الخطر، ومن جانب ثالث ف العدول عن قرار الوقوف واستبدال التحرك به دون العثور على القلادة سوف يثير سخط البعلة الغندورة (الغضة الإهاب) التى صرح مرارا بأنها أحب الناس إليه وأن حبها متمكن من شغاف فؤاده كما العروة الوثقى، إذن ما المخرج من هذه الثلاثية المربكة؟

كما رأينا مرارا فإن (الهادى/ العجب = القرآن» لا يترك مجالا ل الهم أو القلق أن يقترب من (خيرة قرابين الله) وإذا حاول أحدهما أن يفعل فإنه يقطع دابره ومن هنا هلت الآية السادسة من سورة المائدة مثل القمر المنير ومنحتهم رخصة التيمم ووصفها أحد متنفذيهم بأنها بركة.

فانفثأ غضب التبيع ورحل مسرعا الضيق عن صدر (سعد الخلائق) وأخذ الصحابة على يدها درسا بليغا فى التربية السياسية وهى أن الامتثال ل أمر القائد والإذعان لقراره والتسليم المطلق ل إرادته يثمر الخير الكثير والبركة الوفيرة والنعمة السابغة.

إن هذه الآية دليل فاذ على ارتباط (النور/ القرآن) ب الواقع

المعاش والتحامه به وارتباطه معه ب آصرة شديدة الإحكام.

إذن دعاوى التباعد والتجريد والانفصال فارغة من الدليل، فقيرة إلى الحجة، معوزة إلى البرهان يطلقها أصحابها لا من باب العلم إنما من نافذة الأيديولوجيا.

وأخيرا لولا التنجيم «أى إشراق السور والآيات على دفعات».

هل يغدو من الجائز حل هذه المعضلة ذات الضفائر الثلاث؟



هناك رواية أخرى نجد أن موجبات البحث تفرض علينا طرحها:

(أخرج البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى وغيرهم عن عائشة: أنها استعارت من أسماء قلادة، فهلكت فأرسل رسول الله - ص - ناسا من أصحابه فى طلبها، فأدركتهم الصلاة فصلوا بغير وضوء، فلما أتو النبى - ص - شكوا ذلك إليه، فنزلت آية التيمم فقال أسيد بن حضير: جزاك الله خيرا فو الله ما نزل بك أمر قط، إلا جعل الله لك منه مخرجا وجعل للمسلمين فيه بركة).[1]

قال المصنف الأزهرى إن إسناده صحيح.

وإن أحمد بن حنبل خرجه فى المسند والطبرانى فى الكبير.

وأورده الواحدى فى «الأسباب».

هنا نجد أن مصنف «المقبول» زبرنا ب كوكبة لامعة من المصادر العوالى التى قدمت الخبر المذكور: البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى أى أربعة من أصح كتب السنة على وجه الإطلاق والتى أطبق على تقديرها أهل السنة والجماعة، ب الإضافة إلى مسند أحمد بن حنبل وكبير الطبرانى ولكل منهما مقام محمود فى هذا المجال، والأخير «الكبير» ينافس الأول «المسند» فى الطول أى فى احتوائه على عدد كبير من الحديث المحمدى الشريف.

---

(١) (المقبول) ل أبى عمر نادى الأزهرى - ص ٢٧٣/٢٧٤ - مرجع سابق.

وزاد عليها كلها أن الواحدى أورده فى أسباب النزول.

نخـرج من جـمـاعـه أن الحـديث عـرى عن المطاعن، مليط من الشكوك بعيد عن التضعيف «من الضعف».

هذا الخبـر الصحيح الذى حملته إلينا مجموعة فاخرة من ذرى دواوين السنة المحمدية المشرفة ينفحنا بسبب آخر مغاير ل هل الآية السادسة من سورة المائدة.

هو يطلعنا على صورة معجبـة لطاعة الجند المطلقـة ل قـائدهم الحبـيب ف هو يأمـر نفـرا من الصحـابة بالبـحث عن القـلادة التى أضاعتها التيمية والتى استعارتها من أختها أسماء فيمتثلون للأمر ويسلمـون بلا تأفف ولا نأمـة تذمـر ولا نبـرة احـتـجـاج ولا كلمـة معارضة.

يرقلون إلى تنفـيـذ الأمـر ويبـعـدون فى الصـحـراء حـتى تـدركهم الصـلاة وإذ لامـاء ل وضـوئهم فـإنهم صلوا بغـيـر طهـور لأنهم بين خيارين أحلاهما أمر من العلقم:

١ - إما أن يعودوا دون تنفيذ المهمة التى كلفهم بها وإما -٢- أداء الصلاة بغير وضوء رغم أنهم يعلمون عدم جوازه.

ولكنهم فضلوا الأخير لأن الله غفور رحيم وعالم ب الحال.

وفى رأينا أن التاريخ لم ير طاعة عسكر ل قائدهم مثلها.

المهم: عند عودتهم شكوا إليه وعرضوا عليه الأمر برمته ليفتيهم.

وهنا تتـهـادى كـالكوكب الدرى آية التـيـمم وتقـضـى على الشكاية وتخبر الصحب أن صلاتهم مقبولة.

وفى هذا الخبـر لا ينسى أسيد بن حضير «أبوه حضيـر الكتائب» أن يدعو ل التيمية كما فعل فى الخبـر السابق، مما يؤكد أنه انقطع ل بنى تيم يطلب البـركـة لهم فى كل واقـعـة ويثنى عليـهم لدى أى نازلة ويمدحـهم عند وقـوع أصغـر حـادثة مما يدفـعنا أن نـزيز أن أقواله هى الجذر التاريخى لما تلاها على مر العصور حتى يومنا من

مدائح الطبالين والتمجيديين التفخيميين.



٣ - ب المقابل: الطاعة جزاؤها الرضوان ومثوبتها الفتح والمغانم الكثيرة:

فى السنة السادسة من النزوح إلى أثرب - خرج «المنصور ب الرعب مسيرة شهر» ومعه ألف وخمسمائة من تبيعه ومعه بعله أم هند وترك التيمية «١٥ سنة» ربما لما سببته من متاعب من قبل، يريدون أداء العمرة وساقوا الهدى وليس معهم من سلاح إلا السيوف فى القُرب «بضم القاف والراء جمع قراب».

وساروا حتى وصلوا إلى الحديبية على تسعة أميال من قرية القداسة.

بيد أن بنى سخينة، وقد خذلهم الله فى غزاة الأحزاب أو الخندق وردهم مقهورين، يجرون أذيال خيبتهم القوية، تصدوا لهم يبغون منعهم من إتمام نسكهم.

وإذ إنه مضرب المثل فى الحلم وسعة الصدر ورحابة الأفق ونفاذ البصيرة فقد آثر أن يسلك معهم محجة المراوضة وسكة المفاوضة وطريق المداولة علهم يثوبون إلى رشدهم ويعودون إلى صوابهم ويحكّمون عقولهم.

خاصة أن ملأ قريش اشتهر بالحجى وامتاز ب التفكير وتحلى بالتدبر والبعد عن الطيش ومجافاة الاندفاع ومفارقة التهور.

ولو أن جماعه لا يمنع من وجود واحد أو اثنين من بينهم على النقيض خاصة الذين لحقت بهم مصائب فى وقعة بدر الكبرى أو من الذين تأثرت تجارتهم بعد فلج «المعصوم من الناس» فى السيطرة على الطريق المؤدى إلى الشام قبلة قوافلهم الصيفية.

فأرسل مندوبا عنه «خراش بن أمية الكعبى» ليخبرهم بما جاء له، فعقروا به وأرادوا قتله فمنعه من هناك قومه، فأرسل عثمان بن

عفان، فقال اذهب إلى قريش فأخبرهم أنّا لم نأت لقتال أحد، وإنما جئنا زوارا لهذا البيت معظمين لحرمته، معنا الهدى ننحره وننصرف، فأتاهم فأخبروه فقالوا: لا كان هذا أبدا ولا يدخلها علينا العام.

وبلغ رسول الله -ص- أن عثمان قد قتل فذلك حيث دعا المسلمين إلى بيعة الرضوان وبايعهم تحت الشجرة).(١)

نكتفي ب هذه السبعة مصادر ومراجع من مؤلفات السيرة المحمدية الرائعة للتدليل على صحة الخبر وهو مدرج في عظمها.

والحق أن إقبال التباع على المبايعة وعدم تخلف واحد منهم خلا من طوى قلبه على النفاق يشكل صورة مبهرة.

فمن ناحية يقطع بالطاعة المقرونة بالحب للقائد.

ويشي بكامل الولاء ويكشف عن الإخلاص الشامل.

ومن رجا آخر فهو يطرح حجة قوية على الشجاعة الفائقة.

فالتبيع لا يتجاوز بأى حال عددهم الألفين. ذكر ابن إسحق أن

---

(١) أولاً المصادر:

١- (سيرة ابن إسحق) المجلد الثانى ص ١٣٠- ١٣١ ط - أخبار اليوم - سابق.

٢ - (الطبقات الكبرى) ل بن سعد - الجزء الثالث - ص ١٤١ - مصدر سابق.

٣ - (إنسان العيون فى سيرة الأمين المأمون) السيرة الحلبية - الثانى- ص ٧٠١ - مصدر سابق.

٤ - (المواهب اللدنية) ل القسطلانى - الأول- ص ٢٣٨ - مصدر سابق.

ثانيا المراجع:

١ - (دراسات فى السيرة وعلوم السنة) ل موسى شاهين لاشين وآخر ص ١٧٠ - الطبعة الأولى ١٩٨٤ - الفجر الجديد - مصر.

٢ - (سيرة المصطفى- نظرة جديدة) ل هشام معروف الحسين ص ٥٢٦ - مرجع سابق.

٣ - (نور اليقين فى سيرة سيد المرسلين) ل محمد الخضرى - ص ١٨٩ - مرجع سابق.

العدد يتراوح ما بين السبعمائة والأربع عشرة مائة.(١)

ولا تضم أيديهم من السلاح سوى القواصل.(٢)

فى حين أن قريشا فى مكنتها أن تجيش عسكرا عددهم خمسة آلاف، إذ إنها فى غزوة أحد جمعت ثلاثة آلاف رجل فيهم سبعمائة دارع ومائتا فارس.

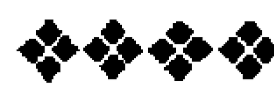
أى أن القوة بينهما غير متكافئة، ومفاده أن الصحابى يوقن أنه سوف يدخل عركة فدائية استشهادية بيد أنه لم يعبأ وما إن أصغى ل هيعة البيعة حتى هرول إليها وأعطاها يده راضيا مختارا وقلبه مفعم ب السرور.

خاصة بعد أن أعلمهم المنادى أن جبريل نزل من السماء كيما يشهدها.

هذا الإجماع أثلج صدر «المظفر/ المعزز» وأفعم فؤاده ب الطمأنينة وعبأ حناياه ب الحبور.

هذا الموقف الشعورى البالغ الروعة من المستحيل أن يفلت من «الشفاء/ الموعظة أى القرآن» دون أن تطلع منه آية كريمة مثل البدر المكتمل تهنئ الأتباع ب الرضا والسكينة وتعدهم بالفتح والمغانم الكثيرة.

(أخرج ابن أبى حاتم عن سلمة بن الأكوع قال: بينما نحن قائلون، إذ نادى منادى رسول الله - ص - أيها الناس البيعة البيعة أنزل الروح القدس، فسرنا إلى رسول الله - ص - وهو تحت شجرة سمرة فبايعناه فأنزل الله «لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا).(٣)



---

(١) (السيرة النبوية) الثانى ص ١٢٥ - ١٢٦ ط - أخبار اليوم- سابق.

(٢) القواصل هى السيوف مثل القواضب والقواطع. من كتاب «نظام الغريب فى اللغة» ل عيسى الربعى الوحاظى الحمدى- تحقيق محمد على الأكوع- ص ١٢٧ - مصدر سابق.

(٣) (لباب النقول) ل السيوطى - ص ١٥٥ - سابق.

نعرج بعدها على كتب التفسير:

(.... والباقى وأضح إلى قوله «لقد رضى الله» وبه سميت بيعة الرضوان ولا يبايعونك حكاية الحال الماضية، والشجرة كانت سمرة، وقيل سدرة، روى أنها عميت عليهم من قابل فلم يدروا أين ذهبت.

وعن جابر بن عبد الله: لو كنت أبصر لأريتكم مكانها.

«فعلم ما فى قلوبهم» من خلوص النية «فأنزل السكينة» الطمأنينة والأمن عليهم، «وأثابهم» جازاهم عن الإخلاص فى البيعة «فتحا قريباً» هو فتح خيبر غب انصرافهم من الحديبية كما ذكرنا، وقيل هو فتح مكة».[1]

ويستخرج الفخر الرازى معانى لطيفة من المسارعة فى البيعة وأنها دليل الصدق وحجة الاخلاص وبرهان عمق الإيمان:

«لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم» من الصدق إشارة إلى الرضا لم يكن عند المبايعة فحسب بل عند المبايعة التى كان معها علم الله بصدقهم.

والفاء فى «فأنزل السكينة عليهم» للتعقيب الذى ذكرته فإنه تعالى رضى عنهم فأنزل السكينة عليهم.

.... وقوله تعالى «وأثابهم فتحا قريبا» هو فتح خيبر.

(ومغانم كثيرة يأخذونها) مضامغها وقيل مغانم هجر....).[2]



رسم لنا ابن جزى الكلبى صورة تنبض ب الحياة والحيوية ل بيعة الرضوان المعجبة («لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة» قال رسول الله -ص- لا يدخل النار إن شاء الله أحد من أهل الشجرة الذين بايعوا تحتها..

(١) (غرائب القرآن) ل القمى- المجلد العاشر- ص ٢٢٦- ٢٢٧ - مصدر سابق.

(٢) (مفاتيح الغيب- التفسير الكبير- ل فخر الدين محمد الرازى المجلد الرابع عشر ص ٣٢١- ٣٣٢.

وفى الحديث أنهم كانوا ألفا وأربعمائة وقيل ألفا وخمسمائة.

وسبب هذه البيعة أن رسول الله -ص- لما بلغ الحديبية وهى موضع على نحو عشرة أميال من مكة أرسل عثمان بن عفان - رض - رسولا إلى أهل مكة يخبرهم أنه إنما جاء ليعتمر وأنه لا يريد حربا.

فلما وصل إليهم عثمان حبسه أهله كرامة له.

فصرخ صارخ أن عثمان قد قتل فدعا رسول الله - ص - الناس البيعة على القتال وألا يفر أحد وقيل بايعوه على الموت ثم جاءه عثمان بعد ذلك سالما....

«فعلم ما فى قلوبهم» يعنى من صدق الإيمان وصدق العزم...

«وأثابهم فتحا قريبا» يعنى فتح خيبر وقيل فتح مكة والأول أشهر.

أى جعل ذلك ثوابا على بيعة الرضوان زيادة على ثواب الآخرة، أما الغنائم المذكورة فهى غنائم خيبر».(1)

من هذه اللوحة البديعة نستقطر بعض المعلومات البالغة الثمانة منها:

- أن التبع الذين شهدوها ضمن لهم «صاحب لواء الحمد» عدم دخول النار وب مفهوم الموافقة دخول الجنة وبذا تغدو مقولة البعض أن المبشرين ب الجنة هم عشرة فقط فيها تحجير ل واسع وتضييق ل مفرطح.

خاصة أن العشرة كلهم من بنى سخينة.

فى حين أن أهل بيعة الرضوان من قبائل شتى وبطون متعددة وأفخاذ متفرقة وهذا هو الأقرب إلى روح الإسلام.

- أن حبس عثمان بن عفان الأموى قام به رهطه إكراما له، وفى روايات أخرى أنه دعى ل الطواف حول الكعبة المشرفة فرفض لأن

(1)(كتاب التسهيل لعلوم التنزيل) ل محمد بن أحمد بن جزّى الكلبى - الجزء الرابع- ص ٥٤ - مصدر سابق.

«الحامد» وصحبه محرومون منه.

وحيس ابن عفان من قبل بنى أمية أدنى إلى المعقولية وأقرب إلى المنطق من سواه لأنهم من القوة والمنعة بحيث لا يتصور معه أن يعرض له أحد بسوء مهما بلغت مكانته لأنه إن فعل لن يفلت من النكال الأليم والعقاب الصارم والجزاء الرادع، ولعل هذا هو سر اختيار عثمان ل أداء المهمة بعد أن اعتذر العدوى عمر بن الخطاب ل ضعف أرومته عن حمايته.

(ثم دعا عمر بن الخطاب ليبعثه إلى مكة، فيبلغ أشراف قريش ما جاء له، فقال: يارسول الله إنى أخاف قريشا على نفسى وليس بمكة من عدى بن كعب أحد يمنعنى).(1)

- أن البيعة على الموت كما وصفناها استشهادية وهذا هو أس روعتها ومنبع شموخها وأصل سموها.

- عدد الكلبى المكافات السخية والعطايا الجسيمة والمنح الوفيرة التى أهديت للمبايعين تحت الشجرة والتى سوف تنفح لهم مستقبلا.

- من هنا نتعرف أهمية حضور البيعة وخطورة شهودها فـ هو نوط بالغ الرفعة ومن فازوا بـ حمله أو تعليقه على صدورهم نظر إليهم المسلمون إبان ذياك الزمان ويعده نظرة إكبار وإعجاب.

كيف لا وقد وضعوا أرواحهم على أكفهم فداء ل عقيدتهم وإخلاصا ل سيدهم.



ومن التفاسير المعاصرة

(يخبر الله تعالى برضاه عن المؤمنين الذين بايعوا تحت الشجرة وكانوا قد بايعوا رسول الله - ص - تحت الشجرة على الموت وعلى

---

(١) (السيرة النبوية) ل ابن إسحق - المجلد الثانى/ ص ١٣٠ - ط/ أخبار اليوم/ مصدر سابق.

ألا يفروا وذلك عندما أرسل النبى - ص - عثمان إلى قريش كمبعوث لرسول الله -ص- يخبرها أنه جاء معتمرا معظما للبيت الحرام.

لكن قريشا احتبست عثمان.

وأشيع أنه قد قتل، فتمت هذه البيعة....

«لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة.........» إلى آخر الآية.

إن الرضا والبركة والرحمة والفضل والسكينة والأمان والمغفرة. قد نزلت من الله تعالى على هؤلاء الصحابة الأجلاء وكانوا ألفا وأربعمائة رجل، قد بايعوا رسول الله تحت شجرة الرضوان فسجل الله رضاه عنهم وقال لهم «أنتم خير أهل الأرض». وقد حضر جبريل الأمين هذه البيعة).[1]

ب هذا تتامت براهين الثبوت من عديد من المصادر ذات الرتب العوالى بخلاف المراجع ل هذا الخبر.

ومنه يبين أن الصحاب فى هذه المرة فعلوا صنيعا باهرا طابت له نفس «خير هذه الأمة» وقرت عينه وانشرح صدره.

و«الشفاء = القرآن» كما يؤازره فى الشدة ويعاضده فى المحنة ويأخذ ب ضَبْعَيْه.[2]

كذلك فى وقت سروره وساعة فرحه تراه ب جانبه فى الأزمة.

ولا شك أن أصحاب بيعة الرضوان لا يتصور أحد مدى انبساطهم فقد فازوا بتحقيق الأمنية التى يتشوق إليها كل مسلم وهى دخول الجنة.

أما فى الدنيا فالفتح القريب والمغانم الكثيرة، وسبق أن رقمنا أنه ما من شىء يدخل السعادة على أولئك العريان أكثر من الأنفال والأسلاب والغنائم ب الإضافة إلى أنه يوثق أن «المجيد/ الزبور أى

(١)(تفسير القرآن الكريم) ل عبد الله شحاتة - الجزء السادس والعشرون - ص ٥٤٥٥ - مرجع سابق.

(٢) الضبْع بسكون الباء: العضد والجمع أضباع من «المصباح المنير» المقرى الفيومى و«المختار» من صحيح اللغة.

القرآن» تربطه ب الواقع صلة شديدة الحميمية.

وتتضح علة انبثاقه منجما: أجزاء وتفاريق لا دفعة واحدة.

والنصوص التى تتحاور مع الواقع المعاش فى كافة تعرجاته وسائر منعطفاته وجماع تقلباته تنفى ب ذاتها عن نفسها دعاوى الانفصال والتجرد والتباعد التى يروج لها البعض ل حاجات فى نفوسهم.



لا تعتدوا حتى على من تبغضون:

(أخرج ابن أبى حاتم عن زيد بن أسلم قال:

كان رسول الله – ص – بالحديبية وأصحابه حين صدهم المشركون عن البيت.

وقد اشتد ذلك عليهم، فمر بهم أناس من المشركين من أهل المشرق يريدون العمرة، فقال أصحاب النبى -ص- نصد هؤلاء كما صدنا أصحابنا، فأنزل الله:

«ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا» المائدة-٢.(١)

الواقعة كما وضعها الخبر:

مشركون مشارقة فى طريقهم إلى قرية القداسة بكة ل أداء العمرة مروا فى طريقهم على المسلمين وهم وقوف ب الحديبية من جراء تعرض مشركى قريش لهم فهم نفر من الصحاب ب منعم وصدهم مثل ما فعل معهم بنو سخينة.

الذى نعلمه عن خلق «أبى القاسم» الرفيع وعدالته العربية عن الضروب ومروءته التى تند عن الشبيه أنه رفض هذا الموقف الجائر.

إذ ما هو ذنب هؤلاى العمار = هل هم الذين حرضوا المكاكوة على حبسهم عند حدود الحديبية؟ ألم يعلمهم مرارا وتكرارا أن الإنسان

---

(١) (لباب النقول) ل السيوطى ص ٦٨ مصدر سابق.

(أسباب النزول) ل الواحدى – ص ١٢٦ مصدر سابق.

مسئول عن فعله لا عما يعمله سواه؟

كم مرة سمعوه وهو يتلو عليهم الآية العظيمة التى ترسخ قواعد العدل أساس الملك وقوام المجتمع:

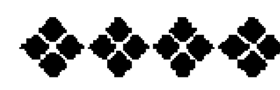
«ولا تزر وازرة وزر أخرى».(١)

أليس من الكياسة وحسن السياسة وبعد النظر الحصول على وداد المشارقة بدل اكتساب عداوتهم؟

من أجل هذا ضاق صدره عندما تناهى إلى سمعه الشريف شروع الصحب فى ارتكاب العمل الأسيف.

ومن البديهى أنه فى مقدوره زجرهم عنه ونهيهم عن المضى فيه وكفهم عن التمادى، إنما خشى أن يذر منعهم أثرا فى نفوسهم ويخلف مرارة فى حلوقهم ويترك ندوبا فى صدورهم وهم جنوده الخلص وعسكره الأصفياء وأعوانه الأوفياء.

هنا تشع ك النور الساطع الآية الثانية من سورة المائدة تؤيد «من جعلت له الأرض مسجدا إلا المقبرة والحمام» وما إن يتلوها عليهم حتى يسكنوا ويطمئنوا ويعلموا أن التوجيه ليس من قبله إنما جاء به «أحسن الحديث».



بعد كتب «أسباب النزول» نؤم:

كتب التفسير

١ - أورد القمى النيسابورى الخبر بنصه.(٢) ومن ثم ينسحب عليه التحليل الذى نسخناه آنفا.

٢ - (فتأويل الآية إذا: لا يحملنكم بغض قوم لأن صدوكم عن المسجد الحرام أيها المؤمنون أن تعتدوا حكم الله فيهم فتتجاوزوه إلى ما نهاكم عنه).(٣)

---

(١) الآية ١٦٤ من سورة الأنعام والآية ١٨ من سورة فاطر.

(٢) (غرائب القرآن) المجلد الرابع - الجزء السادس - ص ١٨٣/١٨٢ مصدر سابق.

(٣) تفسير الطبرى/ الجزء التاسع / ص ٤٨٩ - سابق.

ثم سطر كبير الآباء المؤسسين لعلم التفسير أبو جعفر الطبرى «أن هذه السورة - يعنى المائدة- لا تدافع بين أهل العلم فى أنها نزلت بعد الحديبية».(١)

مفاده أن سورة المائدة التى نتفيئ ظلال الآية الثانية منها هلت بعد محاولة الصحاب منع المشركين المشارقة عن أداء عمرتهم.

الرد عليه = جميعه لا يقدح فى أن الآية فاضت كما النبع الصافى غب الحادث مباشرة ثم ألحقت من بعد فى موضعها فى السورة إذ يوجد فرق واضح يعلمه المتمرسون فى علوم القرآن بين «تاريخ النزول» و(ترتيب التلاوة) ف شيخ المفسرين إنما عنى الأخير لا الأول.

يوضح لنا السيوطى هذه التفرقة الدقيقة «قد تنزل الآيات على الأسباب الخاصة وتوضع مع ما يناسبها من الآى العامة لنظم القرآن وحسن السياق».(٢)

إذن لا تعارض بين ما ذهب إليه كبير الآباء المؤسسين لعلم التفسير من إطباق أهل العلم على أن سورة المائدة هلّت بعد الحديبية - والبعض جزم أنها من أواخر سور القرآن - وبين أن آيتها الثانية تلألأت بشأن الصد الذى مارسه بعض التباع إبان الحديبية إذ إن الحاقها ب «المائدة» مرده كما زبر السيوطى توكأ على المناسبة فى النظم وحسن السياق.

٣ - ما رجحناه هو عين ما أكده القرطبى فى تفسيره:

(قال ابن زيد لما صدّ المسلمون عن البيت عام الحديبية مر بهم ناس من المشركين يريدون العمرة، فقال المسلمون نصدهم كما صدنا أصحابهم ف نزلت هذه الآية).(٣)

---

(١) ذات المصدر السابق والجزء- ص ٤٨٨.

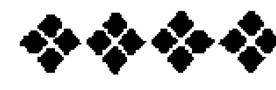
(٢) (الإتقان فى علوم القرآن) للسيوطى الجزء الأول - ص ٤٠- الطبعة الرابعة ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م - مكتبة مصطفى البابى الحلبى- ب مصر.

(٣) (تفسير القرطبى) - المجلد الثالث- ص ٢٠٤٣ - سابق.

النص والدلالة معا يطبقان على أن الآية العظيمة أعقبت الصد دون أبطاء، وهى حقيقة لا تحتاج إلى إبانة ولا تفتقر إلى إيضاح ولا تفتقد إلى شرح.

٤ – ونختم ب تفسير حديث أو معاصر:

(لا يحملنكم شدة بغضكم لقوم سبق أن صدوكم عن المسجد الحرام – كما حدث يوم الحديبية – لا يحملنكم ذلك على الاعتداء عليهم فالإسلام دين العدل..).[1]



نمرق من جماعه إلى أن الآية حققت أهدافا عديدة: ف من ناحية أيقن التبيع أن النهى عن صد المشركين حملته آية مجيدة ساهمت فى تربيتهم سياسيا بأن يموضعوا العدالة نصب أعينهم وأن يحرصوا على زيادة رصيد أصدقائهم وأن يتعلموا أن من لا يحتاجون له اليوم ربما يعوزونه فى غد واستراح «صاحب السرايا» لاقتناعهم ب التوجيه الكريم الذى بدأه معهم وعاضدته فيه الآية العظيمة التى فى ذات الوقت انضمت بدورها إلى أدلة الثبوت السوابق على حوار (الصحف المكرمة/ القرآن) مع الواقع.

وأنه بالتنجيم حاز الميزة الباهرة التى نفحته الحيوية والنضارة والفتاء المتجدد وأعلت مقامه على ما سبقه.



التزام الأدب فى مخاطبة القائد

عظم التبيع من العريان الجفاة الذين لم يتربوا فى أسر تلقنهم أصول التهذيب ولا فى مدارس تتولى توجيههم أو فى مجتمع يحد من حوشيتهم.

ومن ثم لم يدر بخلد أحدهم أن يتأدب عند ما يكلم سيده وسيد الخلائق.

الأمر الذى ضايقه وآذى أحاسيسه وخريش مشاعره.

---

(١) (فى رحاب التفسير) عبد الحميد كشك/ السادس / ص ١٠٦٤/ مرجع سابق.

وهو كما سبق أن رقمنا: كل من عاشره يطبق على أنه أشد حياء من العذراء الخدرة. والذى راكم ضيقه وضاعف حروجة صدره الشريف وزاد من أمله صدور هذا المسلك الفج والتصرف الممجوج والفعل الطفس من تباع أكابر من المفترض أنهم على النقيض:

(«يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى....» إلى آخر الآية الثانية من سورة الحجرات) روى البخارى والترمذى بسنديهما عن أبى مليكة قال: حدثنى عبد الله بن الزبير أن الأقرع بن حابس قدم على النبى – ص – فقال أبو بكر: يا رسول الله استعمله على قومه فقال عمر: لا تستعمله يا رسول الله، فتكلما عند النبى -ص- حتى ارتفعت أصواتهما، فقال أبو بكر لعمر: ما أردت إلا خلافى فقال عمر: ما أردت خلافك، قال: فنزلت هذه الآية: «يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى.. الآية. ومعنى الآية = «يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله = عظموا رسول الله -ص- إذا حدثتموه فلا ترفعوا أصواتكم فوق صوته...).(1)

الحديث رواه البخارى مقدم كتب الصحاح والترمذى وهو منها ووضع أيدينا عليه التفسير الوسيط الصادر بإشراف مجمع البحوث الإسلامية وبذا يمكن أن نطلق عليه التفسير الرسمى ل المعهد العتيق المشهور ب الأزهر، فأنىّ يلحقه الضعف أو يلم به التوهين أو يركبه الهزل أو يصل إليه الجرح، أو يهيمن عليه القدح.

فيه نرى التيمى عتيق والعدوى ابن الخطاب فى حضرة «ذؤابة ولدآدم» يختلفان ويتنازغان ويتجادلان بصوت عال « ..حتى ارتفعت أصواتهما»...

---

(1) (التفسير الوسيط ل القرآن الكريم) تأليف لجنة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية- المجلد الثالث- الحزب الثانى والخمسون ص ١٠٢٧- ١٠٢٩ - الطبعة الأولى ١٤٠١هـ / ١٩٨٩م - الأزهر- القاهرة.

(سبق أن زبرنا ومازلنا نكرر: أنه أقرب إلى هدى الإسلام وسنة السلف الصالح لو أن مجمع البحوث الإسلامية ب المعهد العتيق سطر على غلاف الكتاب «تأليف لجنة من المشايخ أو الوعاظ أو خطباء المساجد أو من الأساتذة بدلا من لجنة العلماء.

ورحم الله الأئمة الأثبات الذين كانوا يستهجنون وصف ذواتهم ب علماء. اهـ.

والأمر لا يحتاج إلى فطانة ولا يفتقر إلى فقاهة ولا يضحى فى عوز إلى ذكاء أن «الحبيب المصطفى» استهول هذا المسلك الفلوك منهما.

ولو بادر ب زجرهما وأسرع إلى نهرهما وأرقل إلى توبيخهما ل حز فى صدريهما وكسر قلبيهما وحمل الضجر إلى نفسيهما.

وهما وزيراه والمجلى والمصلىّ فى مجلس شوراه وهما صهراه وأولهما أبو أحب زوجاته إليه «عائشة» وليس من اللائق أن يعذل العدوى ويذره كما أنهما من بنى سخينة قبيلته. سكت عن مضض وصمت عن أدب جم وصبر من باب حسن الخلق.

بيد أن نفسه الكريمة شحنت ب الأسى الدفين فهل يتركه «المتشابه/ القرآن» يكابد هذه الأحاسيس؟

ب التأكيد تأتى الإجابة ب النفى القاطع، ف تتلألأ ك النجم الثاقب الذى يبدد بضوئه اللامع حجب الظلام الكثيفة الآية الثانية من سورة الحجرات.

ول زيادة التوثيق نورد ما يلى:

(أخرج البخارى وغيره عن طريق ابن جريج عن أبى مليكة أن عبد الله بن الزبير أخبره أنه قدم ركب من بنى تميم على رسول الله -ص - فقال أبو بكر: أمر القعقاع بن معبد، وقال عمر: بل أمر الأقرع بن حابس، فقال أبو بكر ما أردت إلا خلافى، وقال عمر: ما أردت خلافك فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما فنزل فى ذلك قوله تعالى:

«يا أيها الذين آمنوا .. إلى آخر الآيات).(١)

كذلك أورده الواحدى بنصه فى «الأسباب».(٢)

وقد رواه أبو عمر نادى الأزهرى ب صيغة مقاربة:

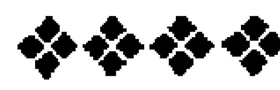
(أخرج البخارى والإمام أحمد عن أبى مليكة قال: كاد الخيرّان أن يهلكا أبو بكر وعمر، لما قدم على النبى -ص- وفد بنى تميم، أشار

---

(١) (لباب النقول) ل السيوطى ص ١٥٥/ مصدر سابق.

(٢) (أسباب النزول) ل الواحدى النيسابورى - ص ٢٥٦ - مصدر سابق ذكره.

أحدهما بالأقرع بن حابس الحنظلى أخ بنى مجاشع، وأشار الآخر بغيره، قال أبو بكر لعمر: إنما أردت خلافى، فقال عمر: ما أردت خلافك، فارتفعت أصواتهما عند النبى -ص- فنزلت: «يا أيها الذين آمنوا ....» إلى آخر الآيات) وقد وصف الأزهرى هذا الحديث ب أنه صحيح فى هامش الصفحة وأضاف أنه خرجه كل من البخارى فى الصحيح في كتاب التفسير والنسائى فى كتاب القضاء والترمذى فى كتاب التفسير وأحمد فى مسنده وأبو يعلى فى مسنده والواحدى فى أسباب النزول.(١)



(قال تعالى فى الآية اللاحقة «يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى....... إلى وأنتم لا تشعرون)- الحجرات ٤٩ / ٢ - وقصتها أنه قدم وفد تميم منهم الأقرع بن حابس، فكلم أبو بكر النبى -ص- أن يستعمله على قومه، فقال عمر: لا تفعل يارسول الله! فتكلما حتى ارتفعت أصواتهما عند النبى -ص- فنزلت الآيات.

قال ابن أبى ملكية: كاد الخيران أن يهلكا: أبو بكر وعمر! رفعا أصواتهما عند النبى -صلى الله عليه وسلم-.

وفى هامش ص٣٩: انظر تفسير الطبرى ١٣ - ١١٩ سنن الترمذى ٥ح ٣٢٦٦ - سنن النسائى- كتاب القضاء باب ٨- ٥٩٣٦ - أسباب النزول للواحدى: ٢١٥ - لباب النقول: ١٩٤ - الدر المنثور ٧- ٥٤٦، ٥٤٧.

وفى هامش ص ٤٠: صحيح البخارى - تفسير سورة الحجرات باب ٣٢٩ح ٤٥٦٤.(٢)

---

(١) (المقبول) ص ٦٠٦ / ٦٠٧ - مرجع سابق.

(٢) (تاريخ السنة النبوية ثلاثون عاما بعد الرسول) ل صائب عبد الحميد - الطبعة الأولى ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م - الغدير للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت - لبنان.

مؤلف الكتاب وثق الخبر توثيقا رائعا ف زبر أن مصادره:

البخارى فى الصحيح - والترمذى فى السنن والنسائى فى السنن.

هذا عن كتب الحديث.

أما فى مربع مؤلفات «أسباب النزول» فقد ذكر. كتاب «أسباب النزول» ل الواحدى وكتاب «لباب النقول» ل السيوطى.

ومن التفاسير = «تفسير الطبرى» و«الدر المنثور» ل السيوطى.

ومن المفسرين الذين أكدوا أن الآية المعظمة هلت بشأن سلوك التيمى والعدوى: ابن جزى الكلبى:

(«إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله» نزلت فى أبى بكر وعمر -رض-..»)(١)

والقمى النيسابورى فى الغرائب).

(وذكر المفسرون فى أسباب النزول وجوها منها ماروى عن أبى مليكة أن عبد الله بن الزبير أخبر أنه قدم ركب من تميم إلى آخر الخبر).(٢)

وبذا تأكدت صحة الحديث بعد أن حملته هذه الكوكبة الرائعة من كتب التفسير وأسباب النزول والحديث المحمدى الشريف.

ولا يفوت القارئ الفطن أن أبا مليكة قال إن التيمى والعدوى أوشكا على التهلكة إذ فعلا ذلك، كيف لا وقد تجاوزا قدريهما وتعديا حديهما وتخطيا درجتيهما ولم يلزما غرزيهما بل نسيا أو تناسيا أنهما يجلسان مع «أعظم من وطئت قدماه أديم الأرض».

وما إن هلت الآية الكريمة ب أضوائها اللوامع حتى عادا إلى رشديهما وطفقا يخفضان صوتيهما عندما يخاطبانه أو يكلمان أحدا

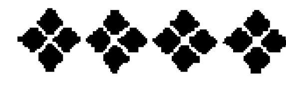
---

(١) (غرائب القرآن) ل القمى النيسابورى - المجلد العاشر/ ص ٢٤١ - مصدر سابق.

(٢) (كتاب التسهيل ل علوم التنزيل) ل ابن جزى الكلبى/ الجزء الرابع ص٥٨.

فى وجوده، حتى قيل إن الواحد منهما عندما يتشرف ب الحديث معه يساره فى أذنه.

(قال ابن عباس: لما نزلت الآية قال أبو بكر يارسول الله لا أكلمك إلا السرار أو كأخى السرار حتى ألقى الله.[1]



وهكذا حققت هدفين:

أ - علمت الصحبة الأدب فى حضرة سيدهم وسنيد العرب والعجم عندما يكلمهم أو عندما يشافهونه وهذه منها يد طولى فى تربيتهم سياسيا واجتماعيا.

ب - أزاحت عن نفس القائد ما ألم بها من عنت من جراء جفاء طبع تبيعه وعدم تفرقتهم بين مجلسه الشريف ومجالسهم السوقية وبين توجيه القول إليه وخطاب بعضهم ل بعض.

وحفظ الأتباع الدرس ووعوه وطبقوه ب حذافيره لكى لا تحبط أعمالهم ف لا يدخلوا الجنة فيحرمون من نعيمها ولذائذها.

ج - أضافت برهانا جديدا على شدة آصرة (التذكرة / العجب / القرآن) ب كافة المخاطبين ب آياته العظيمة وفى مقدمهم «أول المسلمين/ أول المؤمنين» وبوقائع حيواتهم مهما صغرت أو دقت.

د - رسخت الحكمة العميقة من قدومه أبعاضا متفرقة وأجزاء يترى بعضها وراء الآخر، وهى التى خفيت على مشركى قرية القداسة وعلى أولاد الأفاعى اليهود كما دأب على وصفهم ب ذلك عبد الله ومملوكه وابن أمته ومملوكته نعنى عيسى ابن مريم، وهى فى ذات الوقت التى ميزت «المرفوع/ المطهر/ القرآن» على الكتب التى حملها إلى أقوامهم الكمل السابقون.

ومن هنا أمدته ب خاصية النضارة الخالدة والحيوية المتجددة.



(١) (غرائب القرآن) وكذلك فعل العدوى عمر بن الخطاب.

رأينا فيما سلف أن كبيرين من الصحبة لم يلتزما ب الأصول المرعية والقواعد البديهية فى ضرورة التزام الحشوم وهما فى مجلس «أحمد» ف ما بالك ب عامة التبع؟

لقد بلغ بهم التبدى ووصلت عندهم الجفوة ووزتهم الحوشية إلى أنهم طفقوا ينادونه ب اسمه المجرد = يا محمد يا محمد... يا أبا القاسم .... يا أبا القاسم.

غير مدركين - وأنى لهم - أنه يبشرهم بدعوة جديدة قيمة يباهون بها اليهود والنصارى وسائر أصحاب الملل والنحل والعقائد والمذاهب، ويؤسس ل أول مرة فى جزيرتهم القرعاء دولة تقف فى وجه الروم والفرس، علاوة على شمائله الشخصية المنيفة ومناقبه الرفيعة ومحامده التى لا تعد ولا تحصى.

(أخرج أبو نعيم فى الدلائل من طريق الضحاك عن ابن عباس قال:

كانوا يقولون : يا محمد، يا أبا القاسم، فأنزل الله «لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا» فقالوا: يانبى الله، يارسول الله).[1]



من «أسباب النزول» إلى كتب التفسير العوالى:

١ - «مفاتيح الغيب» ل الفخر الرازى:

(لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) فيه وجوه منها:

لا تنادوه كما ينادى بعضكم بعضا يا محمد، ولكن قولوا يا رسول يانبى الله، عن سعيد بن جبير.[2]

٢ - (غرائب القرآن) ل القمىّ النيسابورى:

فى تفسير الآية ٦٣ «لاتجعلوا دعاء الرسول»:

(١) (لباب النقول) ل السيوطى -ص ١٣٠ - مصدر سابق.

(٢) (مفاتيح الغيب/ التفسير الكبير) ل الفخر الرازى / المجلد الحادى عشر / ص ٦٤٥ - مصدر سابق.

(وعن سعيد بن جبير لا تنادوه باسمه ولا تقولوا يا محمد، ولكن يا نبى الله ويا رسول الله مع التوقير والتعظيم والصوت الخفيض).[1]

٣ - (التسهيل ل علوم التنزيل) ل ابن جزى الكلبى:

(والقول الثانى أن المعنى لا تدعوا الرسول -ص- باسمه كما يدعوا بعضكم بعضا باسمه بل قولوا يا رسول الله أو يا نبى الله تعظيما ودعاء بأشرف أسمائه).[2]

ومن التفاسير الحديثة/ المعاصرة اخترنا:

٤ - تفسير القرآن الكريم

(«لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا.........») النور ٦٣ قال ابن عباس: كانوا يقولون: يا محمد، يا أبا القاسم فنهاهم الله - عز وجل - عن ذلك إعظاما لنبيه - ص- وأمرهم أن يقولوا: يا نبى الله، يارسول الله.

وقال قتادة: أمر الله أن يُهاب نبيه وأن يُبجّل وأن يعظم، وقال مقاتل يقول جل جلاله: لا تسموه إذا دعوتموه يا محمد ولا تقولوا يا ابن عبد الله ولكن شرفوه فقولوا: يا نبى الله، يارسول الله).[3]

وهكذا هلت الآية الثالثة والستون من سورة النور ب سبب هذه الجلافة التى أظهرها أولئك التبع وهم ينادون «المحمود فى الأرض والسماء» باسمه أو ب كنيته كما يدعو أحدهم أخاه، وهذا ما أثبتته هذه المصادر من مؤلفات الأسباب ومن التفاسير. وقد تلألأت فى ثنايا الأخبار التى حملتها: عدة من أسماء النجوم اللوامع فى سماء العلوم الإسلامية وهم:

---

(١) (غرائب القرآن) ل القمى النيسابورى/ المجلد الثامن/ ص ٣٣٤ - مصدر سابق.

(٢) (كتاب التسهيل لعلوم التنزيل) ل ابن جزى الكلبى/ الجزء الثالث ص ٧٣ - مصدر سابق.

(٣) (تفسير القرآن الكريم) ل عبد الله شحاتة الجزء الثامن عشر ص ٢٦٥٩ - مصدر سابق.

ابن عباس« حبر الأمة» وسعيد بن جبير من علماء التابعين وأبو نعيم «صاحب الحلية».

أما الذين ساقوها إلينا ف هم أيضا من الأعلام المبرزين حسب الترتيب:

السيوطى، الفخر الرازى، القمى النيسابورى، ابن جزى الكلبى.

هذا أقصى ما يمكن التوصل إليه لتوثيق سبب إشراق الآية الكريمة المذكورة.



المناداة البدائية ل «أشرف من مشى على الأرض» ب اسمه أو ب كنيته لاشك أنها أغضبته وأصابته ب المرارة ف هى ب الإضافة إلى أنها قرينة على سوء الأدب وغلظ الحس وثخانة الشعور ف إنها من رجا آخر توحى، أو ب الأصح، توهم بعدم استيعابهم الكامل ونقاهتهم التامة وفقههم الشامل ل الجانب الدينى الذى يمثله والناحية العقائدية التى يشيئها والرجا «= مفرد أرجاء» الغيبى الذى يموضعه، وكلها تبدر منه ب صورة يعز نظيرها ويندر مثيلها وينعدم نديدها، ولم نقرأ فى سير البطارقة الميامين السابقين من يساميها أو حتى يصل إلى القرب من ركبة قامتها البالغة الروعة حتى ولا كبيرهم الذى علمهم البلاغة أو البيان ونعنى به إبراهام.

بيد أن «الشفاء/ القرآن» لايلبث إلا قليلا وتتفجر كالنبع الصافى العذب آية منه تنهى التبع عن هذا المسلك الفسيد والفعل القبيح والمنحى الذميم فيكفون ويرتدعون وينزجرون ويعودون إلى مناداته ب التعظيم اللائق له والتوقير الذى يستحقه والاحترام الذى هو أهل له فيستريح خاطره ويهدأ باله.

إنها حلقة من حلقات عناية «المرفوع/ القرآن» ب «الطيب/ المطيب» وجمعية المخاطبين.



أتحفتنا مصنفات السيرة المحمدية العلية الفاخرة بصورة تنطق ب خشونة وحوشية أولئك العريان دلت على قلة الذوق وانعدام الأدب وفحاشة السلوك.

وفد بنى تميم عندما وصل إلى يثرب ف سأل عن «صاحب السلطان» ف علموا أنه يقضى فترة القيلولة وبدلا من أن ينتظروا حتى يفرغ منها رفعوا أصواتهم المنكرة أخرج إلينا يا محمد..... إلخ.

علاوة على ما أفصحت عنه الواقعة من سفولة وكشفت عنه من زعارة وأظهرت من شراسة أولئك البدو الأجلاف فإنها نمت بوضوح وشفت ب جلاء وأبانت ب عمق عن سوء تقديرهم ل مقام «صاحب المحجة البيضاء» ومنزلته السامية ومكانته الباذخة، ولاغرابة فيه لأن هذه الفعلة السمجة والبادرة المرذولة والحركة الطفسة تتناسب مع جهالتهم وتتواءم مع ضيق أفقهم وتتسق مع تخلفهم.

و(متمم مكارم الأخلاق) هو المثل الأعلى فى رهافة الإحساس ورقة الشعور ودقة الوجدان. وصفاقة بنى تميم ووقاحتهم وكلوح وجوههم تؤذى الرجل العادى فما بالكم به؟

وكما تعودنا ف إن «الموعظة/ القرآن» سرعان ما يتكرم ب رفع الضيق عن نفسه الشريفة وإذهاب الغم عن صدره الكريم ومحو الهم عن قلبه الرءوف، ف تهل آية ك الشمس التى تملأ الأرض ب الضوء والدفء والحياة....

ف ينفثئ غضبه ويتلاشى سخطه ويتبدد انقباضه، كيف لا وقد وصفت المنادين ب عدم العقل «أكثرهم لا يعقلون» ومفارقة التمدن والغربة عن التحضر.



توثيق سبب هلّ الآية المعظمة وارتباطها ب سلوك بنى تميم.

١ - (أسباب التنزول):

(حدثنا أبو مسلم البجلى قال سمعت زيد بن أرقم يقول: أتى ناس

النبى -صلى الله عليه وسلم- فجعلوا ينادونه وهو فى الحجرة: يامحمد يامحمد، فأنزل الله تعالى: إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون.

وقال محمد بن إسحق وغيره: نزلت فى جفاة بنى تميم، قدم وفد منهم على النبى -صلى الله عليه وسلم- ف دخلوا المسجد فنادوا النبى من وراء حجرته أن اخرج إلينا يا محمد).(١)

٢ - (لباب النقول):

(أخرج أحمد بسند صحيح عن الأقرع بن حابس: أنه نادى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من وراء الحجرات فلم يجبه ف فقال يا محمد، إن حمدى لزين وإن ذمى لشين فقال ذاكم الله).(٢)

الأقرع الذى ورد ذكره فى الخبر من سادات بنى تميم، وهو الذى طلب التيمى ابن أبى قحافة استعماله على قومه فعارضه العدوى ابن الخطاب ف تلاحيا وارتفعت أصواتهما فى حضرة «ذؤابة قريش».

٣ - (المقبول)

نسخ أبو عمر نادى الأزهرى الحديث الذى سطره السيوطى ب نصه ووصف إسناده ب الصحة وأضاف أن السيوطى أورده فى الدر وزاد نسبته ل أحمد والطبرانى وقال سنده صحيح.(٣)



ثانيا: التفاسير

١ - غرائب القرآن:

(روى أن وفدا من بنى تميم قدم على النبى -ص- وهو سبعون رجلا منهم الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن فدخلوا المسجد ونادوا النبى -ص- من خارج حجراته كأنهم تفرقوا على الحجرات، أو أتوها

---

(١) (أسباب النزول) ل الواحدى - ص ٢٥٩- مصدر سابق.

(٢) (لباب النقول) ل السيوطى - ص ١٥٦- مصدر سابق.

(٣) (المقبول) ل أبى عمر نادى الأزهرى - ص ٦٠٨ - مرجع سابق.

حجرة حجرة فنادوه من ورائها أو نادوه من وراء الحجرة التى كان فيها، ولكنها جمعت إجلالا له -صلى الله عليه وسلم-.......

وحكى الأصم أن الذى ناداه عيينة والأقرع قالا: اخرج إلينا يا محمد فإن مدحنا زين وذمنا شين، فتأذى رسول الله - ص - من ذلك فخرج إليهم وهو يقول: إنما ذلكم الله الذى مدحه زين وذمه شين).(1)

وفى هامش الصفحة:

ذكر المفسرون هذه القصة فى تفاسيرهم بروايات عدة متفقة فى مضمونها ومختلفة فى بعض ألفاظها.

وإزاءه فإنا نكتفى ب ما زبره القمىّ فى «الغرائب» بشأنها ونقدمه لكَ مثال لما جاء عن الواقعة فى التفاسير التراثية.

ثم نقدّم ما رقمه اثنان من المفسرين المُحدثين/ المعاصرين أولهما مغربّى والآخر مَشرقّى:

٢-(تفسير سور المفصل):

(يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ..» إلى آخر الآيات من ٢-٥ من سورة الحجرات.

السبب فى نزول هذه الآية ان وفد بنى تميم .. قَدموا على النبى - ص- وكان الوقت ظهرا والناس ينتظرونه للصلاة فلم ينتظروا مع الناس بل جعلوا ينادونه: يا محمد اخرج إلينا يرفعون أصواتهم بذلك فأعلمه الله أن أكثرهم لا يعقلون أدب السلوك ولا يعرفون علوّ مقامه لأن جفاء الأعراب غالب عليهم فلا يؤاخذون بذلك، ولهذا قال: «والله غفور رحيم»)(2)

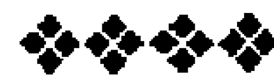
---

(١) (غرائب القرآن) ل القمىّ النسيابورى - المجلد العاشر ص ٢٤٥ - مصدر سابق.

(٢) (تفسير سور المفصّل من القرآن الكريم» ل عبد الله كَنّون ص.ص١٢ . ١٤- الطبعة الأولى١٤٠١هـ-١٩٨١م- دار الثقافة- الدار البيضاء.

٣- (تفسير القرآن الكريم):

(«إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون» الحجرات/٤، كان من عادة رسول الله-ص- أن ينام القائلة- منتصف النهار - فجاء وفد من أعراب بنى تميم فنزلوا فى المسجد وأخذوا ينادونه من خلف حجرات نسائه، ويقولون: اخرج الينا يا محمد، فإن مدحنا زَيْن وذمنا شَيْن).(١)



هكذا تضافرت هذه الآيات الكريمة على تحقيق عدة أغراض كشفنا النقاب عنها فى ما سلف. إنما الجانب أو الهدف الجوهرى فهو تقديم حُجّة ساطعة على أن السبب فى بزوغها أو إهلالها يصعد من واقع المجتمع فيلتحم به النص الأغرّ فى علاقة جدلية تصل إلى منتهى الروعة ومن ثم فهما مُلتبكان يستحيل الفصل بينهما وبه تتجسم هنا عدم معقولية إشراق الآيات مرة واحدة مثل لوْحَى توراة صاحب اليهود ونعنى به موسى وهو ضرب من إعجاز «الصراط» لم يلتفت إليه أحد من قبل.

قبل أن تناجى «العظيم» قدّم صدقة:

(يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدّموا بين يدى نجواكم صدقة)(٢)

اختلف أصحاب كتب «أسباب النزول» و«التفاسير» فى علّة شروق هذه الآية الكريمة والملابسات الواقعية التى واكبتها والأحوال المعاشية التى حايثتها والظروف التاريخية التى رافقتها:

(.. قال مقاتل بن حيان: نزلت الآية فى الأغنياء، ذلك أنهم كانوا يأتون النبى-صلى الله عليه وسلم- فيُكثرون مناجاته ويغلبون الفقراء

(١) (تفسير القرآن الكريم) لِ عبد الله شحاتة- الجزء السادس والعشرون ص ٥٢٨٦- مرجع سابق.

(٢) «١٢» من سورة المجادلة.

على المجالس حتى كره رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ذلك من طول جلوسهم ومناجاتهم، فأنزل الله تبارك وتعالى هذه الآية وأمر بالصدقة عند المناجاة، فأما أهل العُسرة فلم يجدوا شيئا، وأما أهل الميسرة فبخلوا واشتد ذلك على أصحاب النبى -صلى الله عليه وسلم- فنزلت الرخصة).[1]

دائما أهل الدثور،[2] فى كل زمان ومكان أياديهم الناعمة تنال ما يرغبون وتحصل على ما يشتهون وتصل إلى ما يريدون بعكس المحاويج فإنهم محرومون والمفاليس مقهورون.

فَ هنا نجد الأغنياء يغلبون المُعوزين وينفردون أو يكادون ب مناجاة «أجود الناس» ويطيلون مُكثهم عنده ويمدون لِباثهم لديه، الأمر الذى بعث الكراهية فى نفسه الشريفة و«الحبل/ القرآن» كما رأينا لا يتركه يعانى الضيق أو يتململ من الحَرَج أو يتألم من بغضه لهذه المواقف فَ تتهادى هذه الآية المجيدة تأمر التبع بتقديم صدقة عند المجالسة والمحادثة.

بيد أن الميسورين يَخْنِسون ويبخلون، أما المُعسرون فقد صَفُرت أياديهم القَشِفَة[3] من مؤنة «تكلفة» المناجاة.

هذا الموقف اشتد على التُبّاع وهنا لابد من حل لِ هذه المشكلة فَ تبزغ الرخصة.



يؤيد الفخر الرازى هذا السبب ويضيف «وأما الفقراء فلم يجدوا شيئا واشتاقوا إلى مجلس الرسول -صلى الله عليه وسلم- فتمنوا لو كانوا يملكون شيئا فينفقونه ويصلون إلى مجلس رسول الله -صلى

(١) (أسباب النزول) لِ الواحدى النيسابورى ص٢٧٧/ مصدر سابق.

(٢) كناية عن الأغنياء وفى الحديث «ذهب أهل الدثور ب الأجور .. إلخ»

(٣) العامة فى مصر تقول «مقشفة» وأصل القشف خشونة اليدين من «المصباح المنير» لِ المقرى الفيومى.

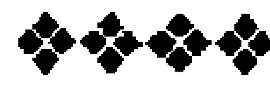
الله عليـه وسلم-.. ويحتمل ان يكون المراد منه التخفيف عليه لأن أرباب الحاجات كانوا يُلحون على الرسول ويشغلون أوقاته وهى مقسومة على الإبلاغ إلى الأمة وعلى العبادة).(١)

من هذا النص يبين أن الرازى بعد أن وافق الواحدى فى سبب هَلّ الآية وهى تغلب الموسرين على الملقين على مجالس «إمام الخير» وانفرادهم به، رفع الستر عن علة أخرى وهى رغبته فى التفرغ للدعوة إلى الديانة الجديدة التى طفق فى التبشير بها خاصة فى القرية ذات الحَرتَيْن إذ اتسع المجال وتفرسخ المضمار وتفرشح الميدان، فَ علاوة على كثافة أعداد المخاطبين فى داخلها فهناك قبائل وبطون وأفخاذ من الحتم اللازم أن تبلغهم وتصل إلى آذانهم وتنفذ إلى قلوبهم.

وإذ إن المجالس تستنزف مساحة وسيعة من وقته الثمين وأيامه الغوالى وزمنه العَصّى على التقدير. إذن المخرج من هذا الزناق هو تكليف من يبغى اللقاء أو يريد المقابلة أو يود المجالسة أن يدفع صدقة تذهب للفقراء وبذا تتحقق فائدتان:

الأولى: التوسعة على المليطين من المال من المسلمين وما أكثرهم فى ذياك الوقت.

الأخرى: وهى الأهم، الحد من تهافت الصحاب على اللصوق به فى الصغيرة والكبيرة حتى جاروا على الحصة المخصصة للبلاغ وعلى سهم العبادة.



أما السيوطى فَ يزّيدنا ب علّة اخرى لِ انبثاق الآية كما المورد العذب الصافى: (أخرج من طريق ابن أَبى طلحة عن ابن عباس قال: إن المسلمين أكثروا المسائل على رسول الله-صلى الله عليه وسلم- حتى شقوا عليه فأراد الله أن يخفف عن نبيّه فَ أنزل الله الآية).(٢)

---

(١) (مفاتيح الغيب) لِ الرازى- المجلد الخامس عشر- ص ٤٥٣- مصدر سابق.

(٢) (لباب النقول) لِ السيوطى-ص١٦٥- مصدر سابق.

سبق أن رقمنا أن التبيع درجوا على الإلحاح على «البدر/ البديع» فى سؤاله حتى عن خصوصياتهم مثل السمج الذى أراد أن يعرف هل هو مُلْصق/دَعِىّ/زَنِيم أم ابن صُلْبىّ صحيح النسب فسأله عن أبيه!!

يضاف إليه جهالتهم وضيق أفقهم وانعدام أى لون من الثقافة أو حتى التعليم العادى لديهم، أما عن المعارف الدينية ف هم عراة منها ب الكُلِّيّة ومن ثم فمن البديهى أن تتضاعف استبياناتهم وتتراكم استفساراتهم وتكثر استفهاماتهم وجماعه على حساب وقته!

فَ هل يناظر «المهيمن/ المبارك= القرآن» كل هذا ولا يبادر بِ التخفيف عنه ولا يسارع إلى رفع المعاناة التى تلم به ولا يهرع إلى إزاحة هذا الحمل الثقيل عن عاتقه؟

من المستحيل أن يأتى الردّ بِ السلب.



ويؤيده أبو عمر نادى الأزهرى السيوطى فيما اختاره وزاد أن الحديث الذى نفحنا ب هذه العلة إسناده حسن وأن ابن جرير أخرجه فى تفسيره وابن كثير فى تفسيره وان السيوطى زاد نسبته فى الدُرّ لِ ابن المنذر.



جمع القمىّ بين السببين (قال ابن عباس: كان المسلمون أكثروا المسائل على رسول الله-صلى الله عليه وسلم- حتى شقوا عليه وأراد الله أن يخفف عن نبيه فلما نزلت آية النجوى شَحّ كثير من الناس فكفوا عن المسألة.[1]

فى هذا النص تأكيد أن راوى الحديث هو عبد الله بن عباس حَبْر الأمة.

وأخرى وهى هامة أن الآية المجيدة حققت ثمرتها الطيبة، إذ إن السائلين امتنعوا عن توجيه الأسئلة، بداهة لِ عدم تقديم الصدقة.

(١) (غرائب القرآن) لِ القمىّ - المجلد العاشر-ص٤٨٨-مصدر سابق.

بخلاً من الأغنياء وعجزا من الفقراء.

ثم زَبَر السبب الآخر (وقال مقاتل بن حبان: إن الأغنياء غلبوا الفقراء فى مجلس النبى-ص- وأكثروا مناجاته، فأمر الله بالصدقة عند المناجاة، فازدادت درجة الفقراء وانحطت رتبة الأغنياء، وتميز محب الآخرة عن محب الدنيا).(١)

فيه توثيق لِ رواية مقاتل ابن حبان للخبر.

ويثبت منه ومما سبقه أن مجتمع يثرب فى تلك الحقبة المدهشة منقسم إلى طبقتين:

ذوى اليسار والجِدَة والنَشَب والمعُوزين المفاليس الذين لا يملكون شروى نقير.

وترتيبا عليها تسقط الدعوى الفطيرة التى تلوكها جوقة الطَبّالين بِ أن (مجتمع يثرب) مثالى لم ير التاريخ لا قبله ولا بعده نظيره وأن جميع المسلمين فيه سواسية كَ أسنان المشط، وهذا الادعاء الأجوف واحد من ركائزهم فى المناداة بِ عودته أو إعادته حاليا، ورغم أن أيا منهما مستحيلة واقعا وتاريخاً فإن السند فى المطالبة بهما أثبتت المصادر التراثية عالية الرتبة والتى يتعين عليهم احناء رؤوسهم لها فساده وبرهنت على بطالته وقدمت الحُجّة على عَطنه وطرحت الأدلة الدوامغ على زَيْفه.

ونأتى إلى آخر المحطات فى سفرة هذه الفاصلة ونعنى كتب المفسرين المعاصرين أو المحدثين: (أمر الله تعالى عباده المؤمنين إذا أرادوا مناجاة الرسول-ص- أن يقدموا بين يدى نجواهم صدقة للفقراء يواسونهم بها وتطهرهم فيتأهلون لمناجاته-س-...)(٢)

صاحب تفسير سور المفصل طلع علينا بسبب جديد لِ إشراق الآية الحميدة، وهى أن تقديم الصدقة الهدف منه تطهير المناجى كما

---

(١) ذات المصدر والمجلد والصفحة.

(٢) (تفسير سور المفصل من القرآن الكريم) لِ السيد عبد الله كنون- ص١٣٢- مرجع سابق.

أن الوضوء تطهير للمصلى- والحق أنه سبب يغاير السببين السابقين.

بيد أن له وجاهته إذ يُشعر من يخاطبون «قَدَم صِدْق» بأنه ليس كَ أحدهم وأن له مقاما ساميا يعلو على قاماتهم.

أما عبد الله شحاتة فيؤكد بديهية- يعرفها عامة المسلمين قبل حامتهم - هى أن الصدقة للفقراء ثم ينتهى إلى أن القصد هو تعويد الأغنياء إخراج الصدقة وتطهير أنفسهم من الشح.(١)

وهو لم يأت- كعادته- ب جديد- إذ إنه كما سطرنا فيما سلف يتعكز على التفاسير السوابق وأجدر وأحرى به أن يستبدل بِ كلمة «تأليف» ألفاظا أخرى مثل: تجميع - أو انتقاء- أو اختيار.. إلخ.



بِ خنوس مياسير الصحب عن تقديم صدقة النجوى، وعجز الفقراء عنها غدا الأمر مُشكلا، فلو أن «نعمة الله «ألغاها بِ قول مباشر منه لَ حدثت بلبلة، إذ ستقبّ تساؤلات: كيف يوجبها القرآن ثم يرفعها هو؟ وقد ذهب عُظم المفسرين أن الأمر الذى تضمنته الآية الحميدة هو للوجوب «الالزام» لا ل «الندب» (ظاهر الآية يدل على أن تقديم الصدقة كان واجباً، لأن الأمر للوجوب).(٢)

ونقشه عبد الله شحاته كَ دأبه وديدنه (وظاهر الآية يدل على أن تقديم الصدقة كان واجبا لأن الأمر للوجوب).(٣)

ولم يكلف هذا ال شحاتة نفسه أن يبدّل ألفاظ الفخر الرازى أو يحوّرها- طبعا مع الحرص على عدم خريقة المعنى- بل رصّها كما

(١) (تفسير القرآن الكريم) لِ عبد الله شحاتة- الجزء الثامن والعشرون ص ٥٧٤٣- مرجع سابق.

(٢) (مفاتيح الغيب) لِ الرازى- المجلد الخامس عشر- ص ص ٤٥٢/٤٥٣- مصدر سابق.

(٣) (تفسير القرآن الكريم) لِ عبد الله شحاتة ذات الجزء والصفحة.

هى بحروفها.

واستمرار الوضع بـِ هذه الصورة من العسير تصوره:

إذ كيف ينفصل الصحاب عنه ولا يجالسونه إما عن كَزَازَة أكف الموسرين وإما عن صُفُور أيادى المعوزين؟

فى مثل هذه الأزمة عوده «القَيِّم/ الفصل/ القرآن» أن ينفحه الحل ويزيده بـِ الفرج ويمنحه الفَكّ وكَ النور الساطع تلمع الآية المصَلّية «التالية»:

(أأشفقتم أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقات فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله والله خبير بما تعملون).(١)

أى ما دمتم لم تفعلوا فقد تاب ربكم عليكم فهو خبير بـ أعمالكم، فقط داوموا على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة (أخفتم الفقر من تقديم الصدقة أو خفتم التقديم لما يعدكم الشيطان من الفقر ..

فإذ لم تفعلوا وتاب عليكم بـ أن رخّص لكم أن لا تفعلوه وفيه إشعار بأن إشفاقهم ذنب تجاوز الله عنه لما رأى منهم مما قام مقام توبتهم .. فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلا تفرطوا فى أدائهما وأطيعوا الله ورسوله فى سائر الأوامر فإن القيام بها كالجابر للتفريط فى ذلك).(٢)

وعند سماع الآية من قبل الصحاب أشحة باخلين، أو بائسين عاجزين، انفرجت أساريرهم بعد انقباض وانبسطت وجوههم بعد ضيق وعادوا يتحلقون حول حبيبهم «المجتبى» وهو بدوره شمله السرور لِ عودتهم إليه.

وهكذا فى حلقات متوالية يأخذ آخرها بعقب أولها ويتصل لاحقها

---

(١) الآية الثالثة عشرة من سورة المجادلة.

(٢) (تفسير البيضاوى: أنوار التنزيل وأسرار التأويل) لِ البيضاوى-ص ٧٢٢- مصدر سابق.

بِ سابقها ويرتبط مُصلّيها بِ مُجلّيها تتوالى أدلة الثبوت على أن «النور/ الهدى= القرآن» مع ذياك المجتمع وعلى قُلّة (بضم القاف أى الذروة والقمة وأعلى السنام) الفاعلين فيه سيدهم وقائدهم وهاديهم لكل خير لا ينفصل عنهم بل هو دائم اللحاظ لهم، مستمر المراعاة لهم يعالج أدواءهم، ويشفيهم من أمراضهم ويبرئهم من أسقامهم.

إذا أثقلوا على «الشارع/ الشكور» تهادت منه آية مجيدة تهب بلسمال هذا الجرح فَ إذا لم يستطيعوا إنجازه- بغض النظر عن الكابح الذى لَجَم والغل الذى قَيّد والعِقال الذى ربط-فَ لا تثريب عليهم فَ هم الجند الخُلّص والصحب الأوفياء والعسكر المطيعون فقد غفر لهم ربهم فليرتفع هذا التكلف وتُشرق أية حميدة أخرى بهذا الرفع وتقول إنّ فى الصلاة والزكاة جبرا لما تم التفريط فيه وعِوَضا عما جرى التقصير بشأنه بشرط عدم التهاون فى أدائهما أو التراخى فى القيام بهما أو التساهل فى تنفيذهما.

نموذج بالغ الروع فى الالتحام بِ الواقع والارتباط بِ الممارسات الحياتية والتشابك بالسلوكيات اليومية.

إنه الارتقاع من أرض المخاطَبين إلى أفق النصوص ثم تتفضل الأخيرة بإعادة الخط إلى مساره الأول وهكذا وشيجة متينة وآصرة قوية وعلاقة شديدة الأسْر.

من الواقع إلى النص ثم منه إلى مصدره الذى انطلق منه فى حركة جدلية مدهشة معجبة.

بِ القطع واليقين لا تجد لها مثيلا فى الكتب التى قدّمها «الكُمّل» السابقون إلى أتباعهم.

ولعل هذا يتفضل علينا بِ حزمة ضوء باهرة تضىء حَفَافى ما حكاه «المبارك/ المكين» عن نفسه أنه آخرهم وخاتمهم والكتاب الذى جاء به هو المُهيّمن على ما سبقه.

وكل هذا ينزع عن دعاوى التجريد والانفصال والابتعاد الأثواب

الزُيوف التى تحاول جاهدة أن تلبسها لتضفى عليها المصداقية التى هى منها بَرَاء. ويؤكد أن الطريق الأقوم والمحجّة الأسدّ لنقه مقاصد «نصوص التأسيس» المجيدة هذه : هو التذكر دائما لِ هذه السمات البالغة الروعة التى تنطق بها وهذه الملامح البديعة الَتى تُظهر بها والقسمات الأخّاذة التى تطالعنا بها وأن نسيانها أو تناسيها هو الذى يؤدى إلى الخلط وينتهى إلى الرَبْك ويوصل بطريق الحتم واللزوم إلى الخَرْبَقَة، ومن نافل القول أن نحطّ أن جماعه ليس فى صالح المخاطَبين « ب فتح الطاء» فضلا عن أَنه يسىء إلى النصوص ويبرزها بِ غير أيأتها «هيئتها» المجيدة.

الباب الثانى
آيات الحجاج
مع أهل الكتاب

الفصل الأول
آيات الحجاج مع اليهود

أوضحنا فيما سلف كثافة اليهود فى يثرب عندما نزح إليها «الأمين المأمون». ومن بينهم عدد من الأحبار على درجة من الصلف والعنجهية إذ إنهم يعتبرون أنفسهم علماء بإسطيرهم المقدس الذى يعتبرونه الأصل والأساس.

ومن البديهى أن يتم بينهم وبينه حوار سجالى وحِجَاج شديد وجدال اتسم بالعناد «من ناحيتهم» وتدثّر بالمكابرة وتزَمّل بالمغالطة، وأحيانا يشارك فى النقاش بعض صناديدهم من ذوى المكانة السياسية أو الوجاهة الاجتماعية أو الثقل الاقتصادى.

وفى كتابات لنا سوابق سطرنا أن مما يؤسف له أن دواوين السيرة المحمدية العطرة لم ترقم من تلك المناقشات إلا النزر اليسير مع أنها رصدت أسماء أولئك المجادلين والأحبار اللجَجَة الذين أمعنوا فى المخاصمة وبالغوا فى اللدد وأفرطوا فى المناوأة.

بيد أن القرآن العظيم تلافى هذا النقص ب جدارة وسد هذه الثلمة ب مهارة وغطى هذه الثغرة ب اقتدار فائق فحملت آياته المجيدة قدرا وفيرا من المساجلات، ولسنا هنا بصدد رصدها لأنه يحتاج إلى حشد كبير وتجييش بالغ وتعبئة محبوكة كما يضخم حجم الكتاب بصورة لا يحتملها القارئ وتخل بتناسق أبوابه وفصوله.

ومثلما فعلنا منذ البدئ نطرح عددا من الأخبار المتعلقة بها فحسب لإثبات العلاقة الجدلية لـ«المهيمن. المبارك= القرآن» مع واقع المخاطبين، إذ إن الحصر أو الإحصاء أو التعداد صعيب ومتعذر.

لا يمارى أحد أن الحجاج مع أولاد الأفاعى- كما أطلق عليهم عبد الله ومملوكه وابن أمته ومملوكته عيسى ابن مريم أحد البطاركة الميامين- يقدم جانبا على درجة عالية من أهمية وشيجة الآيات الكريمة ل « التذكرة/ العجب= القرآن» مع مجتمع المخاطبين؛ لأن أولاد يعقوب أعضاء فاعلون فيه. حقيقة لهم دينهم وللمسلمين دينهم بيد أن الاختلاف فى العقيدة والمفاصلة فى المذهب والتباين فى الملة

لا عـلاقـة له ب الفـاعليـة فى المجـتـمـع ف المؤتلفـون والمخـتلفـون فى النحلة والمتفقون والمفـترقون فى الديانة جميعهم أفـراد فيه يتأثرون ب موجبـاته ويخضعون ل إكراهاته وينقادون ل التزامـاته ويؤثرون خـاصة الحامة أو الخـاصة وتحديدا من الرجا الفكرى فى حركته ويسـهمـون فى حِراك مسـاره ويضـعـون بصـمات أصـابعهم عـلى خطواته، هـذا يتم فى الأوقات العـادية. فكيف فى أحوال التبدل وأوقـات التحوّل وأزمان التطور وعهود التشكّل وساعات التنقل من مقام إلى مقام.

كـمـا أنهم يتـأثرون به وينفـعلون بأحـواله وينـقـادون لتـوجيـهـاته ويخضعون لأنساقه وبداهة يتفاوتون فيه حتى الصفوة لا يفلتون منه.

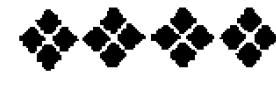
من هـذا المنطق فـَ إن هـذا القـطاع الثـرّ الغنى من حـيـاة «أبى القاسم» والبالغ الأهمية بل الخطورة إن عـلى محجة الديانة التى بشـرّ بهـا ومـا انفك يفـشـوهـا، أو عـلى جـادة الدولة الوليـد حلم الأجـداد العظام.

ليس من المنطقى ولا من المعقـول ألا يوليـه «المثـانى/ البـصـائر= القرآن» فائق عنايته وبالغ اهتمامه وموفور رعايته.

حقيقة أن «سيد العرب والعجم» له مـن القدرات والملكات ويختزن من المحـفوظات والمأثورات القدر الوفيـر الذى يسـتطيع به أن يوقف الأحبار والمحاورين الخَصِمين عند حدهم ويلزمهم غرزهم.

لكن يد «العلم/ الحق= القـرآن» لا غنى عنهـا ل المؤازرة والمعـاضدة والمعـاونة، وهـكذا نجـد أنه مـا إن يحـدث اشـتـبـاك بين علمـاء بنى إسرائيل وجحاجحهم ومرازبتهم وبين «مدينة العلم» حتى تتلألأ كمثل النجم الثاقب التى تهزم أضواؤه حجب الظلام الكثيفة، وب مـجرد أن تصك أسـمـاعـهم يخنس إخوان القـردة مـع اللواذ ب الصـمت المطبق. وفى ختـام الفـاصلة سنقيّم مـوضـوعـيـا هـذا المنحى المبـهـر من قـبل «النبـأ/ الفصل= القـرآن» ونزيح السـتر عن دواله ونكشف الحـجب عن مـرامـيه ونميط اللثام عن معـانيه ونرفع النقـاب عن إيحـاءاته ونزيح

الغطاء عن قصوده.



أخرج ابن جرير قال: حدثنا أبو كريب حدثنا يونس، حدثنا محمد بن إسحق حدثنى محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت حدثنى سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس قال: دخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بيت المدراش على جماعة من يهود فدعاهم إلى الله فقال له نعيم بن عمرو، والحرث بن زيد: على أى دين أنت يا محمد؟

فقال: على ملة إبراهيم ودينه. فقالا: فإن إبراهيم يهودى!!

فقال لهما رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فهلموا إلى التوراة فهى بيننا وبينكم، فأبوا عليه. فأنزل الله عز وجل:

«ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون».

الآية الثالثة والعشرون من سورة آل عمران(١)

ونسخ السيوطى الحديث بنفس الاسناد فى ال (لباب)(٢).

كذلك رقمه الواحدى النيسابورى فى «الأسباب» ب إسناده نفسه مع اختصار يسير (٣) ولو أنه زبر «اختلفوا فى سبب نزولها»(٤).

ثم أردف « وقال الكلبى نزلت فى قصة اللذين زنيا من خيبر وسؤال اليهود للنبى - صلى الله عليه وسلم - عن حد الزانيين.(٥)

(١) (المقبول) ل أبى عمر نادى الأزهرى ص ١٥٢/١٥٣ مرجع سابق.
وقد ذكر المصنف أن إسناده حسن وأنه ورد فى:
تفسير الطبرى ١٤٥/٣
وعزاه السيوطى فى أسباب النزول ل ابن أبى حاتم وابن المنذر.
ورواه ابن إسحق.
ورواه البغوى فى تفسيره.
(٢) «لباب النقول» ل السيوطى- ص٣٧- مصدر سابق.
(٣) «أسباب النزول» ل الواحدى- ص٦١- مصدر سابق
(٤) ذات المصدر والصفحة.
(٥) ذات المصدر والصفحة.

أصدر أبو عمر نادى الأزهرى بعد «المقبول» كتابا حمل عنوانا «نهاية السول فيما استدرك على الواحدى والسيوطى من أسباب النزول» جاء فيه أن الآية هلت فى شأن رجل وامرأة من أهل خيبر زنيا.(1) نتناول القصة وما دار حولها فيما بعد.

فى الخبر عاليه الذى نفحتنا به كتب «الأسباب» نستقطر عدة معطيات على رتبة منيفة من الثمانة:

١- ذهب «المصلح/ المصون» إلى بيت المدراس « مدرسة أو معهد العلم الدينى اليهودى».

فهل هى الأولى والأخيرة أم أنه دأب عليه «= الذهاب» أو فعل مرات قليلة؟ كتب سيرته المطهرة- التى طالعناها لم تبرزه!!

٢- لولا علمه ب التوراة نعنى ب ما فيها لما أقدم على تلك الخطوة، إذ إنه يدرك أن بالمدراش علماء يهود «أحبار».

٣- بدأ النقاش من اليهود إذ سأله عن دينه نعيم بن عمرو والحرث بن زيد.

٤- رد «خير الخلق أجمعين» أنه على دين إبراهيم وهو أبلغ برهان على صحة ما كررناه فى كتاباتنا عن «الديانات الإبراهيمية الثلاثا» وأَخَذه علينا من حصّلوا قشورا فى العلوم الإسلامية ويدعون ب كل جرأة على الحق أنهم «علماء»!

٥- اعترض نعيم بن عمرو والحرث بن زيد أن إبراهيم يهودى ف هل قصد أنه أبو بطارقتهم الأكابر يعقوب وإسحق ومن نسلوهم ؟ لأن جهل حبرين أن التوراة انبعثت بعده «=إبراهيم» مسألة فيها نظر، خاصة أن القرآن العظيم وصف أحبار يهود ب العلماء ولم يصف غيرهم به «أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بنى إسرائيل».(2)

٦- هل أمّا (قصدا) أن الذى هَلّ بصحف إبراهيم هو ذاته ما

(١) «نهاية السول» ص٨٩- مرجع سابق.

(٢) ١٩٧ من سورة الشعراء.

حملته التوراة؟

٧- لو صح الافتراض فلماذا رفضا طِلْبَة «الشهم/ الصابر»، نعنى الاحتكام إلى التوراة؟

٨- ودالته بطريق التبع أنه «=الموقن» يعلم بدوره : العقائد والمبادئ والقـواعـد التى سطرت ب صـحف إبراهيم وإلا يغـدو اللجـوء إلى التحكيم عبثا، وهو ما ننزه «الخالص/المزمّل» عنه تماما وبالكلية.

٩- إذن فقاهته بالصحف والتوراة أمر يقينى لا مرية فيه. ومن رجا آخر فطن إليه «أى هذا العلم» الأحبار وتثبتوا منه وهو علة إبائهم الرجوع إلى إسطيرهم المقدس.

١٠- اقتصر الجدال على تقرير «المدثر» أنه على دين أبيه إبراهيم «على ملة إبراهيم ودينه» وهنا نجد أنه ميّز بين الملة والدين وقدّم الملة، أم جاءت لفظة مرادفة للتأكيد؛ لأن معاجم اللغة ساوت بينهما ولو أن بعضا منها ذهب إلى أنها تعنى الشريعة.

ثم على التساؤل عن أبى البطارقة إبراهيم هل هو يهودى كما جنح إليه الحبران أم غير يهودى كما أكده القرآن الكريم ومحمد؟.

١١- سجلت الآية الثالثة والعشرون من آل عمران الموقف ببيان رائع. إنما يلفت الانتباه ويشد النظر ما ورد فيها «أوتوا نصيبا من الكتاب» أى أن ما ألموا به من التوراة أبعاضٌ وتفاريق وهو عين ما أكده العديد من البحاث الجادين.

فهل هو علة أنهم كلما دخلوا فيها معه سجالا أو فتحوا مناقشة أو بدأوا محاورة دارت الدائرة عليهم فتصيبهم الهزيمة ويلحقهم الإخفاق ويركبهم الخذلان؟.

١٢- تشرق الآية المجيدة كَشلال من نور تفضح أولاد الأفاعى وتكشف جهلهم فيوقن أتباعه الذين بطريق الحتم واللزوم شهدوا الحِجَاج عند وقوعه أو أحيطوا به خبرا بعد قليل أو كثير أن رأى «المستقيم المقتفى» هو الأصح ووجهة نظره هى الأسد، وما ذهب إليه

هو الأصدق. كيف لا؟ وقد جاءت به آية حميدة.

١٢- حققت الآية ٢٣ من سورة آل عمران ثلاثة أهداف:

أ- نصرت «المعصوم من الناس» نصرا عزيزا على إخوان القردة والخنازير.

ب- قرّت أعين الأصحاب وخاصة بنى قيلة ب الفَلَج المبين الذى صَتّ اليهود لأنهم ظلوا إمادا طويلة يتعالون عليهم ويتوعدونهم.

ج- انقمع أولاد يعقوب وازدادوا ذلة وصغارا.

لولا ارتباط الآيات الحميدة ب الواقع المعاش وبزوغها أبعاضا وتفاريق ونجوما لما تموضع واحد من هذه القصود السامية، وهى فى الوقت ذاته تتبرأ من دعاوى الانفصال والتباعد والغُربة التى تطلقها هيئات أو أفراد لهم مصالح يقدمونها على حساب النصوص.



نعرّج. على كتب التفسير.

١- تفسير مقاتل بن سليمان

«ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب» يعنى أعطوا حظا من التوراة يعنى اليهود: كعب بن الأشرف وكعب بن أسيد ومالك بن الضيف ويحيى بن عمرو ونعمان بن أوفى وأبو ياسر بن أخطب وأبو نافع بن قيس، وذلك أن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال لهم: أسلموا تهتدوا ولا تكفروا، فقالوا للنبى - صلى الله عليه وسلم - نحن أهدى وأحق بالهدى منكم ما أرسل الله نبيا بعد موسى فقال النبى - صلى الله عليه وسلم -: لم تكذبون وأنتم تعلمون أن الذى أقول حق فأخرجوا التوراة نتبع نحن وأنتم ما فيها وهى بينكم فإنى مكتوب فيها أنى نبى رسول فأبوا ذلك فأنزل الله عز وجل الآية).[1]

طلع علينا مقاتل بن سليمان ب خبر مختلف عن سابقه، مفاده أن

(١) (تفسير مقاتل بن سليمان) ٨٠ - ١٥٠هـ-تحقيق عبد الله محمود شحاتة - الأول ص ٦٢ - ٦٤٢- مصدر سابق.

سبعة من متنفذى بنى إسرائيل قابلوا (أرحم الناس بالعباد) دون ذكر المكان، إنما لا تفوت العين البصيرة أن عددهم سبعة وهو المقدس لدى الفرقتين. اليهود فيهم أحبار (علماء دين) وفيهم أهل وجاهة (الملأ).

أن (صاحب العطايا) بدأ بدعوتهم لدخول الدين الذى يبشر به.

فردوا ب صلف وخنزوانة أنهم أهدى منه بل وأحق ب الهدى منه.

ولا يحتاج تعليله لزكانة «فراسة» ولا يفتقر ل فطانة، فهم أصحاب الإسطير العتيق الذى يعد الجرثومة ويعتبر الأصل ويحسب أنه الأساس لما تهادى بعده من إسطيرات.

(العروة الوثقى) شديد الثقة فى أنه مكتوب فى التوراة أنه نبى ورسول وإلا لما أمرهم ب إخراج التوراة ليدلهم على الإصحاحات التى ورد فيها اسمه الشريف أو نعته معنويا وجسديا أى الصفات الخُلُقية والخَلْقية.

وهنا ينتصب سؤال مستساغ؟

ماهى لغة التوراة التى بين أيديهم؟

والجواب: إما العبرانية وإما العربية.

(حرز الأميين) بنص القرآن الحميد أمى لا يقرأ ولا يكتب أى لا يعرف أيا من اللسانين؟

فَ لو أخرج اليهود توراتهم فكيف يدلّهم على المواضع التى فيها نعته؟

لابد أنه سيستعين بمن يجيدها خاصة من الأثارية فى نطاق اللغة العبرية.

إنما هذا لا يكفى.

لأنه من غير المعقول قراءة التوراة من أولهما لآخرها ل العثور على الإصحاح الذى وصف «الخاتم- الخاشع» أو حتى الأبعاض التى معهم

والتى وصفها المفسر ابن سليمان «حظا من التوراة» إذ لابد من حصر وتحديد الأماكن التى تشرفت بذكره، وهذا يتطلب بطريق الحتم واللزوم حفظ التوراة ليدلّهم عليها.

وهذا شأن لافت للنظر!

من شق آخر:

رفض اليهود يعنى أن صفات «الطيب/الظفور» الخلقية والخُلقية مذكورة ب دقة شديدة وتفصيل مُحكم، إذ لو غير ذلك لأبرزها الأحبار وحاجوه بشأنها.

لماذا؟

لأنه من المعلوم أن الأساطير المقدسة الخاصة بأهل الكتاب على بكرة أبيهم مرقومة ب لغة شاعرية مليئة بالرموز والاستعارات والتشبيهات والكنايات والأمثال.

وكلها تعطى مجالا ل ما لا يحصيه إلا الله تعالى وحده من التفسيرات والتأويلات والشروحات والتوضيحات.

وبالتالى يسهل على أحبار اليهود وعلمائهم لو دلّهم «العربى/العدل» على السطور التى تنضوى على أوصافه لردوا عليه ب النفى: أنها تدل على خلافك، بدليل كذا وكذا مستغلين شاعرية اللغة وترميزها .. إلخ.

إذن لماذا تهرب أولاد الأفاعى من إظهار التوراة؟



٢- تفسير الطبرى

مُقدم الآباء المفسرين أبو جعفر بن محمد الطبرى سطّر الأثر الذى أهدته إلينا كتب «أسباب النزول» وذكر «واختلف أهل التأويل فى «الكتاب» الذى عُنى الله بقوله «يدعون إلى كتاب الله» فقال بعضهم:

هو التوراة دعاهم إلى الرضا بما فيها، إذ كانت الفرق المنتحلة

الكتب تقر بها وبما فيها: أنها كانت أحكام الله قبل أن ينسخ منها ما نسخ».(١)

ومفاد ما رقمه الطبرى أن التوراة لم يلحقها التحريف حتى زمن «البشير، بدليل أنه وزّهم على الاحتكام إليها لأنه لا يجوز فى شرعة العقل أن يطلبها منهم مع علمه ب تحريفها.

وأيضا ما جاء بِ الآية المعظمة «يدعون إلى كتاب الله» أى أنها حتى تلك اللحظة لم يلحقها التحريف لأنه من المحال وصفها ب «كتاب الله» وهى محرّفة.

٣- غرائب القرآن

كذلك فعل القمىّ النيسابورىّ، نسخ الخبر ذاته وأكد أن «كتاب الله» هو التوراة(٢)

ثم أردف «وقال الكلبى: نزلت فى اللذين زنيا من خيبر وحكم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيهما بالرجم وأنكر اليهود على النبى - صلى الله عليه وسلم -.(٣)

٤- تفسير القرطبى

أما القرطبى ف بعد أن رقم الأثر سالف الإلماع أضاف «وذكر النقّاش أنها نزلت لأن جماعة من اليهود أنكروا نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - فقال لهم النبى - صلى الله عليه وسلم - هلموا إلى التوراة ففيها صفتى فأبوا».(٤)

هذا نص بالغ الثمانة، إذ يؤكد أن صفة «أول من يفيق من الصعقة» مرقومة فى التوراة التى بين يدى اليهود المعاصرين له، كما أنه يعرف موضعها بالدقة وطلب إليهم أن يأتوه بها ليدلهم عليه

---

(١) (تفسير الطبرى) - السادس-ص٢٨٨- مصدر سابق.

(٢) (غرائب القرآن) المجلد الثالث- ص ١٠٨ - ١٠٩- مصدر سابق.

(٣) ذات الصفحة.

(٤) (تفسير القرطبى) - المجلد الثانى -ص ١٢٩٢- مصدر سابق.

تحديدا، إنما لعنادهم وتكبرهم على الحق وصلفهم وإصرارهم على الباطل وعلى عدم الاعتراف به والدخول فى الإسلام الذى يدعوهم إليه رفضوا الإتيان بها.

ومفهوم الموافقة أن التوراة التى معهم حتى ذياك الإبان لم تُحَرّف؛ لأنه من المنطق أن يبدأوا بتحريف هذا الموضوع وتغيير الصفة التى تنطبق عليه.

إن تحريف أولاد الأفاعى للتوراة ثابت من القرآن الكريم بموجب آيات مجيدة حاسمة لـ حد السيف الهيذام «القاطع»:

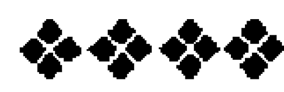
أ-من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه[1]

ب- «يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به»[2]

ج- «يحرفون الكلم من بعد مواضعه»[3]

وفى رأينا أنه لا مشكل فيه:

التحريف الذى حملته إلينا هذه الآيات الكريمة لابد أنه حدث بعد أن بدأت المساجلات بين الأحبار و«المرتضى/المشاور» وطلبه إليهم الرجوع إلى التوراة التى معهم فـ لكيلا يفتضح أمرهم أمامه وأفراد شعبهم أى عامة اليهود بل وأمام جميع من ب قرية الحرّتين خاصة حلفاءهم القدامى من فرعى بنى قَيْلَة «الأوس والخزرج» عمدوا إلى التحريف وجنحوا إلى التزييف وأرقلوا «أسرعوا» إلى التزوير.



٥- المحرر الوجيز لـ ابن عطية:

أبو محمد عبد الحق بن عطية الغرناطى:

أكد رواية النقاش التى زَبَدنا بها القرطبى بنصها وفصها

(١) ٤٦ النساء.

(٢) ١١٢ - المائدة.

(٣) ٤١ - المائدة.

وحروفها.

بذا ترسّخت حقيقة انضواء التوراة- فى ذاك الوقت- على صفه «المزمّل/ المُزكّى» لأن كلا من القرطبى وابن عطية من المفسرين الأثبات وهما أندلسيان حيث التفتح والعقلانية والاستنارة وسعة الأفق.

فالأول منسوب إلى قرطبة والآخر إلى غرناطة ولكل منهما مكانة عزيزة فى أفق الثقافة الإسلامية، ب الإضافة إلى أن تفسير الغرناطى صادر عن إحدى هيئات وزارة الأوقاف التى بدورها تشكّل الضلع الثالث فى مؤسسة شئون التقديس فى مصر «الأوقاف/الأزهر/ دار الافتاء» الأمر الذى ينفح هذا التفسير قدرا من النفاسة وشطرا من الثمانة وركنا فى القوة.

وفى تفسيره : «فى قوله «إلى كتاب الله» هو التوراة وقال قتاده وابن جريج هو القرآن، كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يدعوهم إليه فكانوا يعرضون ورجّح الطبرى القول الأول.

وقال مَكّى الكتاب الأول: «اللوح المحفوظ والكتاب الثانى التوراة».(1)

والذى يقصده مَكّى من عبارة «الكتاب الأول» هو ما ورد فى الآية «أوتوا نصيبا من الكتاب» وهو برأيه = اللوح المحفوظ ومن عبارة «الكتاب الثانى» هو ما جاء فى الآية «كتاب الله» وذهب إلى أنه التوراة.

وهكذا أطبقت عدة من التفاسير التراثية عالية المقام ان «المُؤتى جوامع الكلم» دعا اليهود إلى الاحتكام إلى التوراة التى معهم وذكرت

---

(1) (المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز) ل أبى محمد عبد الحق بن عطية الغرناطى ٤٨١ - ٥٤١هـ تحقيق أحمد صادق الملاح- الجزء الثانى - ص٣٧٢ - ١٣٩٩هـ -١٩٧٩م- لجنة القرآن والسنة - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - وزارة الأوقاف - مصر.

بعض الروايات أن فيها صفته مما يعنى أنها إلى تلك اللحظة لم تحّرف، ثم حُرّفت بعد حِجَاجِهم معه.



ونختم هذه الجولة بالمفسرين المحدثين.

٦- فى رحاب التفسير

أورد عبد الحميد كشك نفس الخبر لـ«الخاص دخول المدراس» ب حروفه، وفسّر «الكتاب» بأنه «التوراة» و«ليحكم بينهم» أى ليفصل بين اليهود والداعى لهم وهو النبى - صلى الله عليه وسلم - والتولى: الإعراض بالبدن و«الإعراض» يكون بالقلب).[1]

ونكتفى ل شعورنا بِ الإطالة

الخلاصة أن كتب «أسباب النزول» قديمة ومحدثة و «التفاسير» تراثية ومعاصرة تعاضدت فيما بينها على إثبات أن الأهداف الثلاثة الشريفة التى زيرناها فيما سبق قد تحققت بأكملها ب إشراق هذه الآية الكريمة.



(أخرج أبو داود والبيهقى وابن إسحق قال:

حدثنى محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت، عن سعيد بن جبير وعكرمة، عن ابن عباس قال : لما أصاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قريشا يوم بدر وقدم المدينة، جمع اليهود فى سوق بنى قينقاع فقال: «يا معشر يهود، أسلموا قبل أن يصيبكم مثل ما أصاب قريشا، قالوا: يا محمد لا يغرّنك من نفسك أنك قتلت نفرا من قريش كانوا أغمارا لا يعرفون القتال. إنك لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس، وأنك لم تلق مثلنا، فأنزل الله عز وجل فى ذلك: «قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد» الآية ١٢ من سورة

---

(١) (فى رحاب التفسير) الجزء الثالث – ص٥٧١ – مرجع سابق.

آل عمران).[1]

الحجاج «السجال» فى هذا الخبر دار بين إخوان القردة والخنازير وبين «صاحب السرايا» بخصوص شأن دينى سياسى ف بعد أن نصره الله نصرا عزيزا مؤزرا على أئمة الكفر من صناديد بنى سخينة، بدأ ب الحسنى معهم ف جمعهم بالسوق التى تحمل اسم أحد فروعهم «بنى قينقاع» ودعاهم إلى الإيمان بدعوته ودخول الإسلام لكيلا يصيبهم ما لحق قريشا من هزيمة ساحقة.

وبدلا من أن يردوا عليه ردا مهذبا حتى ولو جاء بالرفض أخذتهم العزة بالإثم والاغترار ب قوة موهومة والانخداع ب منعة متخيلة ورفضوا مقارنتهم ب بنى سخينة فهؤلاء أغمار = جمع غمر.(٢)

فى حين أنهم أعظم الناس ولم يسبق له أن لقى مثلهم أى شجاعة فى القتال وشدة فى البطش وبصرا ب مكائد الحرب.

وهى إجابة تشى بالغطرسة وتكشف عن الغشم وتبرهن على التهور وتميط اللثام عن انعدام البصيرة وتقطع ب الجهالة فى قراءة عواقب الأمور.

وفى الوقت نفسه دلّت على أنهم فطنوا الجانب السياسى فى الدعوة إلى الإسلام، إذ كما قلنا مرارا إن الدخول فيه واعتناقه يعنى القطع دون ذرة من سوام الوقوف تحت راية دولة قريش.

(المقبول) ل أبى عمر نادى الأزهرى ص١٥١- مرجع سابق.

وذكر أن إسناده حسن وأردف:

رواه أبو داود فى كتاب الخراج.

والبيهقى فى الدلائل.

وابن جرير فى تفسيره.

ورواه ابن إسحق فى السيرة.

ونقله ابن كثير فى تفسيره.

ونقله ابن حجر فى الفتح.

(٢) رجل غمْر بسكون الميم وضمها، أى لم يجرب الأمور- من «مختار الصحاح» ل الرازى.

هذه حقيقة تاريخية تطالعنا بوجهها الصريح من ثنايا صفحات السيرة المحمدية العظيمة.

إن الحرص الشديد على قتال القبائل والعشائر والأفخاذ والبطون .. إلخ. حتى يقولوا أو ينطقوا ب الشهادتين والذى نجده فى آيات كريمة وأحاديث محمدية شريفة صحيحة حملتها الصحاح الستة وغيرها من دواوين السُنة المطهرة، لحمته الدخول فى الإسلام واعتناق الديانة، وسداه الاعتراف ب سيادة دولة بنى سخينة التى قامت فى أثرب، إنهما وجهان لعملة واحدة من المستحيل الفصل بينهما.

إن الإسلام ك دين- ونحن نبحث فترة تاريخية محددة هى حقبة التأسيس- لابد له من حكومة تعمل على نشره وإذاعته وفُشوّه وسلطة تمكن له وترسخ أسسه وترسى لِ قواعده ودولة تساعده وتشد مئزره وتأخذ ب بعضده وهذا أمر لا ينال منه ولا يخدش كرامته ولا يخريش اعتباره.

ويجب التمعن فيه ببصيرة والتحديق فيه بأفق رحيب والتفرس فيه ب بعد نظر والتأمل فيه ب روية شديدة.

فى ذياك الزمن المعجب، العصبية غالبة والجهالة مسيطرة والأمية مكتسحة والعرقية مهيمنة ف ربط أولئك العربان الأجلاف بين الإسلام وبين من بشر به ودعاهم إليه، ف مادام هو من قريش فإن اعتناق الذى جاء ب يعتبرونه خضوعا واستسلاما ل سطوتها وانقيادا ل هيمنتها.

والذى درس أحوال العربة فى تلك الحقبة ينقه أن أهم ما تحرص عليه كل قبيلة كبيرة أو متوسطة أو صغيرة هو التميز ومنه تفرع أمران على قدر وافر من الأهمية:

أ ـ الحرص على وحدة القبيلة وتماسكها.

ب ـ محاربة أى محاولة ل ذوبانها فى قبيلة أخرى.

ومن هنا نبذت القبائل على بكرة أبيها فكرة «الدولة».

وهذا بدوره يفسر لنا عدم قيام دولة فى جزيرتهم شديدة القداسة على مدى قرون طويلة.

إن إنشاء سلطة عليا تحكم وتتحكم فى الجميع يعنى ب منتهى البساطة ذوبان القبيلة وتفككها وتفسخها وتماهيا فى غيرها وهذا يساوى الانتحار.

فإذا تحولنا من النظرية إلى التطبيق:

دعوة القبيلة إلى اعتناق الإسلام تعنى التخلى عن دينها ولايعنى هذا طرح عبادة الصنم الخاص بها ف هذه سطحية وسذاجة ولكنه (دين الآباء) وكرة أخرى ليس مدلوله نبذ الوثن الذى ألهه الآباء ، كلا بل ما سنّه الآباء من تقاليد وأعراف وقيم ومبادئ وأنساق.. ولذا نجد فى السيرة المحمدية المنيفة أن «المصباح/المصدوق» عندما طلب من عمه أبى طالب وهو فى مرض الموت أن ينطق ب الشهادتين أى يدخل الإسلام أبى وقال: بل على دين أو ملة عبدالمطلب، لم يقل بل على عبادة الصنم الذى تعبده قريش.

لماذا؟ لأن القبيلة أى قبيلة وأى فرد فيها زعيما أم غَمْرا هو على (دين الآباء) لأنه الملاط الذى يشد أحجار أساس الوحدة «القبلية» بعضها بعضا، فإذا سيبه الفرد أو سيبته القبيلة(1) انهارت وحدتها التى هى جوهر وجودها وبنيتها وكينونتها.

وهو ذاته ماورد بل ما أكده القرآن العظيم فى العديد من آياته المجيدة:

(قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا) (2)

---

(1) كلمة عربية صحيحة فى «المعجم الوجيز» سيبه: تركه وخلاّه يسيب كيف يشاء.

(2) ١٧٠/البقرة.

(قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا)[1]

(قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا)[2]

وكما قيل لـ«حزب الله/الحاشر» قيل لـ«الكُمّل» الذين سبقوه.

لم يأت جوابهم عليهم «بل نتبع ما يأمرنا به سدنة أوثاننا أو الكهان أو العرافون» مع أن هؤلاء موجودون.

إذن دين الآباء (سبق شرحه) هو الذى يحول دون اعتناق الإسلام.

فلرفضه دالة سياسية هو الحفاظ على وحدة القبيلة من كافة نواحيها وبالمقابل ف قبوله ينفح معنى سياسيا وهو الذوبان فى كيان أكبر، وهذه هى العقبة الأولى أى حتى ولو دعا إليه فرد من القبيلة ذاتها وهو ما حدث مع محمد ذاته من ناحية قبيلته فما بالك والداعى للديانة الجديدة من قبيلة أخرى؟

ونذكر ب مازَبَرناه فى المفتتح هناك عائقان:

العصبية والعض ب النواجذ على وحدة القبيلة.

العصبية لأن المبشر ب الدعوة الجديدة من قريش.

و«ذو الخلق العظيم» يعرف ذلك كله تمام المعرفة بحكم نشأته ومن ثم انتهى إلى قرار حاسم هو شهر السيف على القبائل حتى تنطق ب الشهادتين شارة الإسلام وشعاره وعلامته.

ومتى فعلت تخلت ب طريق الحتم واللزوم عن (دين الآباء) وترتيبا عليه انفكت العقدة وانحل الرباط وساب الحزام وتخلخلت الحُجزة فتصبح وحدة القبيلة أثرا بعد عين فتموص فى الدولة ويتحلل كيانها.(٣)

من أجل ذلك ف لا دواء إلا الفَوَاصل/القواطع/البواتر (=

---

(١) ١٠٤/المائدة

(٢) ٧٨/ يونس

(٣) فى حديث عائشة ـ رضى الله عنها ـ ماصوه كما يُماص الثوب ب الصابون ثم قتلوه «أساس البلاغة» ل الزمخشرى.

السيوف) وهذا يفسر لنا شراسة مقاومة القبائل للمسلمين إذ يدعونهم ل الولوج فى ديانتهم، فهم دافعوا عن هويتهم وكينونهم.

فليس الأمر ـ كما سطر كثيرون ـ أنه الدفاع عن الدين أو الذود عن الصنم المعبود فالدين فى حياة أولئك الأعاريب شأن ثانوى وأمر هامِشى.

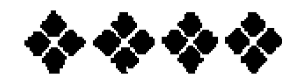
ف حتى زمن خلافة الأموى عثمان دأب الطليق أبو الطلقاء أبوسفيان على القول: لا أدرى ما جنة أو نار!!!

وشعارهم الذى عاشوا وماتوا عليه= إن هى حياتنا الدنيا وما يهلكنا إلا الدهر.

بالإضافة إلى إقبالهم على الملذات وإفراطهم فى الشهوات وعَبّهم من المسرات.

إذن جماعه يؤكده ويوثقه.

إنما حاربوا ببسالة وقاتلوا ب شجاعة وفتكوا ب شراسة من أجل بقاء وحدة القبيلة وهو ما يمكن أن نسميه العصبية القبلية.



اليهود الذين عاشوا زمن (أبى القاسم) فى منطقة يثرب لاشك أنهم تأثروا ب التقاليد والأعراف القبلية وهذا ما يوضحه لنا علم الاجتماع ولا أدل عليه من أنهم انقسموا إلى قبائل.

ف مثلما انشق بنو قيلة فرعين =الأوس والخزرج افترق أولاد الأفاعى إلى ثلاثة عثاكيل «شماريخ وزنا ومعنى»: بنى قريظة، وبنى النضير، بنى قينقاع.

لم يمنعهم الإيمان ب الإسطار المقدس الذى لديهم من التجزؤ، لأن الأعراف القبلية فى البيئة التى فيها عاشوا زمنا متطاولا أقوى أثرا وأشد فاعلية وأعمق نتيجة من المبادئ التى حملها كتابهم. نخلص من جمعيته أن الرد الجافى والجواب الفلوت الذى جابهوا به «الأكرم/الأعز» ليس مبعثه الاغترار

بالديانة أو التيه ب العقيدة أو الحرص على كتابهم المقدس فحسب، بل يدخل فى مكوناته ويشكّل بعضا من كينونته الحفاظ على الوحدة القبلية بالنسبة لِ فروعهم الثلاثة - شأنهم شأن القبائل العربية الأخرى.

ف التقاليد والأعراف والأنساق الاجتماعية القبلية تتحكم فيها كلها.

ونذّكر هنا بالزواج المختلط بين العربة واليهود ونشأة كثير من أولاد البطون العربية لدى اليهود ب الإضافة إلى الأحلاف والولاء وسائر الارتباطات الأخرى..

كل الفرق: إن القبيلة العربية تنادى ب «دين الآباء» والقبيلة اليهودية تستند إلى الإسطير المقدس وكل منهما تجعله المدماك الذى تقّوى به أساس وحدتها.

هذا الملحظ الذى نطرحه وهو أن القبائل اليهودية الثلاث التى ناجزت «المدثر/المزمل» وعادته من بين دوافعها- ب الإضافة إلى العامل الدينى- تمسكها ب وحدتها القبلية مثلها مثل أى قبيلة عربية فى تلك المنطقة وفى ذياك الزمن المعجب.

هذا الملحظ لم نر - فيما قرأناه فى هذه الخصوصية - أن أحد البحاث التفت إليه.

ونرجّح أن الانتباه إليه سوف يأتى ب حقائق أو نتائج أو حتى ب آراء جديدة لا مشاحة أنها تساعد على الفهم والإحاطة خبرا ب تعمق وشمولية ل حقبة التدشين المهمة هذه والتى هى فى مزيد من الحوجة إلى الحفر والتنقيب والتنقير.



أورد السيوطى فى ال «لباب» الحديث عينه وقرر أن أبا داود (وهو من أصحاب الستة الصحاح) رواه فى سننه والبيهقى من الدلائل عن

... عكرمة عن ابن عباس.[1]

وهذا تأكيد ل صحة الأثر.

هذا ال فنحاص هو أحد المتنفذين فى صفوف إخوان القردة والخنازير غاظه وشحن نفسه الخبيثة سخطا وعبأ صدره اللئيم ضغنا وملأ فؤاده الأثيم حنقا انتصار «صاحب السرايا» وتباعه فى غزاة بدر.

ثم أردف سبب آخر (أخرج بن المنذر عن عكرمة عن فخاص اليهودى يوم بدر، لا يغرق محمدا أن قتل قريشا وانتصر عليها، إن قريشا لا تحسن القتال/ فنزلت هذه الآية).[2]

فقد أدرك أن ل الفلج المؤزر ما بعده.

ولم تغب عنه نتائجه الخطيرة وآثاره البالغة وعواقبه العميقة ف أمّ «قَصَدَ» أن يتلقف زمام المبادرة ولكن بطريقة لحمتها الطفس «القذر» وسداها ال لَقَس «الخبث» ف هَدَرَك البعير ب تهديد أجوف ووعيد فارغ وإنذار ظاهر الحَيّدودة واضح الرَّوَغان لا يخيف أحدا ولا يرهب عدوا ولايرغب خصما.

وتصريحه الفالت مهما تعددت بواعثه وتنوعت دوافعه وكثرت تحاضيضه التى وزّته على التفوه به فإنه ومن سار على دربه أو شايعه فى كلامه يدل على أنهم لم يقدروا «الناسك» حق قدره خاصة أنه لم يمكث معهم فى يثرب حتى ذيّاك الإبّان طويلا إذ إن عركة بدر حدثت فى السنة الثانية من النزوح.

ولندع ال فنخاص جانبا.

من ألزم اللازم أن يتضايق «المنصور» من كلام الأرعن فنحاص خاصة أنه فى تلك الفترة بدأ مشروع استئلاف بنى إسرائيل ومشى

---

(١) (لباب النقول) ل السيوطى /ص٣٧/ مصدر سابق.

(٢) ذات المصدر والصفحة.

فيه خطوات ومن ثم يُسرع «الصدق/العدل= القرآن» إلى محو أى أثر ل الضيق من نفس «المُعطى/المُعقب» وإجلاء أى هم أو غم ألم به ف تطلع لكَ الفجر الصادق آية مجيدة تبدد ظلمات الكآبة التى ربما انتابته وتعيد إليه الطمأنينة.

وفى الجانب المقابل ينقمع أولاد يعقوب إذ ينقهون أن الأمور ليست بِ البساطة التى يتوهمونها.

****

ثمة مسألة لابد من طرحها وفحصها بقدر من الاهتمام- وهى: سواء فى الأثر الخاص ب جمع اليهود فى سوق بنى قينقاع وردهم القبيح على «المتين/المثبت =محمد» أو فى الخبر الخاص ب فنحاص وألفاظه الشرود.

فإن الآية العظيمة التى رقم المصنفون فى «أسباب النزول» سواء من السلف أو المحدثين أنها هلت بشأنهما أوبِ خصوص واحد منهما تخاطب الكفرة «قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون».

واليهود أهل الكتاب و «العروة/الوثقى=القرآن» دأب على خطابهم بِ «يا بنى إسرائيل» فَ لماذا - فى هذه الآية تغيرت الصيغة وناداهم ب اعتبارهم كفرة «قل للذين كفروا ...»؟

هل من باب أن «ل كل مقام مقال» ب معنى أنهم فى هاتين النازلتين أظهروا ولم يُسَرّوا وأوضحوا ولم يُخْفُوا وصرحوا ولم يجمجموا عداءهم ل «أحمد» ودعوته ودولته ف رِدْفُ له تغدو صفة الكفر أليق بهم، أم هى نقطة البدء فى طريق تغيير الموقف من أولاد يعقوب ومقابلتهم ب ما يستحقون ومعاملتهم ب ما هم به جديرون؟

كتب التفسير

١- تفسير الطبرى

أورد ابن جرير الطبرى خبر فنحاص بنصه عن عكرمة ثم «قال أبوجعفر» يعنى الطبرى»: فكل هذه الأخبار تنبئ عن أن المخاطبين

بقوله:

«سنقلب،م وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد» هم اليهود المقول لهم: «قد كان لكم آية فى فئتين» الآية ويدل على أن قراءة ذلك بالتاء أولى من قراءته بالياء».[1]

٢ـ «غرائب القرآن»:

أما القمىّ النيسابورى فيذكر سببين:

أ ـ أحدهما رد اليهود على «الأحسن/الأحشم» عندما جمعهم فى سوق بنى قينقاع وقد زبرناه فيما سبق.

ب ـ الآخر «عن ابن عباس فى رواية أبى صالح عنه قال: لما هزم الله المشركين يوم بدر قالت يهود المدينة: هذا والله النبى الأمى الذى بشرنا به موسى ونجد فى كتابنا نعته وصفته وأنه لا ترد له آية، وأرادوا تصديقه واتباعه ثم قال بعضهم لبعض: لا تعجلوا حتى تنظر إلى وقعة أخرى.

فلما كان يوم أحد ونكب أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- شكوا، فقالوا: لا والله ما هو به، وغلب عليهم الشقاء فلم يسلموا.

وكان بينهم وبين رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عهد إلى مدة فنقضوا ذلك العهد وانطلق كعب بن الأشرف فى ستين راكبا إلى أهل مكة أبى سفيان وأصحابه فوافقوهم وأجمعوا أمرهم وقالوا لتكونن كلمتنا واحدة ثم رجعوا إلى المدينة، فأنزل الله فيهم هذه الآية).[2]

بيد أن القمىّ يرى أن «الآية فى بدر».[3]

أى عقب غزاة بدر الكبرى ومقالات أولاد الأفاعى الطائشة ثم عدّد أسبابا تؤيده فى ما ذهب إليه.

---

(١) (تفسير الطبرى) -الجزء السادس /ص٢٢٩/ مصدر سابق أما خبر فنحاص اليهودى فَ قد حملته ص ٢٢٨.

(٢) (غرائب القرآن) المجلد الثالث ص ٨٨ ـ سابق.

(٣) ذات المصدر ص ٨٩.

ونحن نرجحه لأن رواية عزم اليهود الإيمان بدعوة «الشاهد/الحليم» وتصديقه واتباعه فيها نظر لأن موقفهم منه أصيل ومرده التمسك بإسطارهم المقدس وفزعهم مثل أى قبيلة عربية من فقدان وحدتهم القبلية إذا ما آمنوا به ومن ثم ينضمون ل دولة قريش.

كما أن الادعاء بأنها نزلت بعد وقعة أحد مستبعد لأن آيات مستقلة هلت بشأنها.

٣ـ الكشاف:

ذكر الزمخشرى رواية عزم اليهود دخول الإسلام بعد النصر فى غزوة بدر ورواية تراجعهم عن ذلك بعد عركة أحد ورواية جمعهم فى سوق «بنى قينقاع» ولم يرجّح واحدا منها[1].

٤- تفسير القرآن العظيم:

نسخ ابن كثير روايتين لخبر جمع اليهود فى سوق بنى قينقاع عن محمد بن إسحق الأولى عن عاصم بن عمر والأخرى عن سعيد أو عكرمة عن ابن عباس ثم أضاف «فأنزل الله فى ذلك من قولهم «قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون ... إلى قوله لعبرة لأولى الأبصار».

(تفسير القرآن العظيم) ل ابن كثير-المجلد الثانى- ص١٢ مصدر سابق.

هنا نجد أن الحافظ ابن كثير يذهب إلى أن الآيتين الثانية عشرة والثالثة عشرة أيضا خوطب بهما اليهود لم يتردد ولا خالجته ذرة من شك.

٥ - تفسير القرطبى:

أبو عبد الله محمد الأنصارى القرطبى ذكر صراحة أن الآية

---

(١) (الكشاف» ل الزمخشرى - الأول - ص٤١٤ - مصدر سابق.

(٢) (الجامع ل الأحكام القرآن) - تفسير القرطبى -المجلد الثانى- ص ١٢٦٦ - مصدر سابق.

الثانية عشرة «آل عمران» موضوع هذا التنقير خوطب بها اليهود («قل للذين كفروا ... إلى آخر الآية -١٢-) يعنى اليهود.

ثم نسخ خبر جمع «المسبّح المستغفر» ل اليهود وتحذيره إياهم من الله أن ينزل بهم مثل ما نزل من قريش وردهم السافل عليه «فأنزل الله تعالى « قل للذين كفروا ستغلبون» يعنى اليهود أى تهزمون وتحشرون إلى جهنم فى الآخرة فهذه رواية عكرمة وسعيد بن جبير عن ابن عباس).(١)

إذن فى مذهب القرطبى أن الخطاب الذى حملته الآية «يا أيها الذين كفروا» موجه إلى اليهود.

ثم رقم رواية أبى صالح عن ابن عباس «أن اليهود لما فرحوا بما أصاب المسلمين يوم أحد نزلت).(٢)

بيد أن سياق الرد يشى بأن القرطبى يهزل (=أنها هزيلة) الرواية الأخيرة ويطرحها جانبا ويأخذ ب الأولى.

٦.المحرر الوجيز:

الغرناطى أبو محمد عبد الحق بن عطية نسخ خبر سوق بنى قينقاع.

ثم ألحق به قول اليهود بعد ماحدث فى وقعة أحد وفى المرة الأولى: «فأنزل الله فى قولهم هذه الآية» وفى الأخرى: «فنزلت الآية فى ذلك أى قل لهؤلاء اليهود سيغلبون يعنى قريشا ويحشرون» ثم استطرد «ورجّح أبو علىّ قراءة التاء على المواجهة وأن الذين كفروا يعم الفريقين: المشركين واليهود).(٣)

نخلص من جماعه أنها سواء هلت عقب انتصار بدر أو انكسار

---

(١) ذات المصدر والصفحة.

(٢) ذات المصدر والصفحة

(٣) (المحرر الوجيز) ل الغرناطى ابن عطية- الثانى ص ٢٤٨- مصدر سابق.

أحد وسواء بقراءة «ستغلبون» ب التاء أو «سيغلبون» ب الياء فإن اليهود خوطبوا بها، حتى لو وُجّه خطابها للفرقتين أو ب تعبير الغرناطى «يعم الفريقين» ف إن اليهود يدخلون فى الخطاب.

٧ـ روح المعانى:

أبو الفضل شهاب الدين الألوسى فى ال «روح» لملم خبر سوق «بنى قينقاع» وشروع يهود فى تصديق واتباع «الماء المعين/المأمون» بعد فوزه المبين يوم بدر ثم خُنُوسهم عنه بعد نكبة أحد وانطلاق الخليع الماجن كعب بن الأشرف وستون من تُبّاعه إلى قرية القداسة ل تحريش بنى سخينة على قتال «القمر/ القطب».

ثم يخلص إلى: فأنزل الله تعالى «قل للذين كفروا» إلى قوله «سبحانه «لأولى الأبصار» فالمراد من الآية اليهود، والسين لقرب الوقوع أى: تغلبون عن قريب وأريد منه الدنيا.

وقد صدق الله تعالى وعده رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقتل كما قيل من بنى قريظة فى يوم واحد ستمائة جميعهم فى سوق بنى قينقاع أمر السيّاف بضرب أعناقهم وأمر بحفرة حفيرة ورميهم فيها......)[١]

إذن الألوسى انضم ل سائر المفسرين الأكابر الذين اكدوا أن الآية المذكورة «آل عمران/١٢» هى خطاب موجه ل اليهود وحتى لو شركهم فيه غيرهم فهم أيضا معنيون به.

إن من مفارقات التاريخ أن سوق بنى «قينقاع».[٢] الذى شهد معارضة بنى إسرائيل ل محمد ورفضهم دعوته اياهم إلى اعتناق ديانة الإسلام هو «=سوق بنى قينقاع» الذى تم فيه نحر ستمائة من ذكران بنى قريظة.

---

(١) (تفسير الألوسى) -الجزء الثانى ص١٧١- مصدر سابق.

(٢) السوق يذكر ويؤنث من «المعجم المبتكر» ل التقوى/مرجع سابق.

وقـد رأى فى هـذا الذبح الجـمـاعى تحـقـيـقـا لما جـاء فى الآية الحميدة «ستغلبون» بل هو أجلى صورة من صور الغلب.



بقيت التفاسير المعاصرة.

٨ـ فى رحاب التفسير:

زبر عبد الحميد كشك رواية تجميع اليهود فى سوق بنى قينقاع وما حدث فيه.

وعزمهم بعد الفوز الساحق يوم بدر اعتناق الإسلام ثم تراجعهم وكنوسهم عنه غب نازلة أحد. وسفر المخنث المنحل كعب بن الأشرف إلى مكة ل إثارتهم ضد «البحر الباهى» وانتهى المصنف «فى هذه الآية الكريمة وعيد شديد وتهديد وويل وثبور، جاء هذا التهديد للكافرين ومنهم اليهود».[1]

أى أن الآية المجيدة خوطب بها الكافرون واليهود.

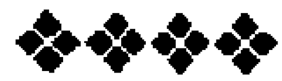
بداهة يعنينا فى هذه الخصوصية أن «عبارة للذين كفروا» شملت اليهود.

٩ـ تفسير القرآن الكريم:

جاء مصنفه عبد الله شحاتة ب خبر جمع اليهود فى سوق بنى قينقاع وما قالوه (فأنزل الله «قل للذين كفروا» الآية١٢، إلى قوله «لأولى الابصار» الآية ١٣ وحكم الآية يعم جميع الكافرين وإن نزلت بسبب اليهود)[2]

ثم يعدد المصنف شواهد الغلب الذى قوع على يهود «ستغلبون»:

(وقد صدق الله وعده بقتل يهود بنى قريظة، وإجلاء بنى النضير وفتح خيبر).[3]



---

(١) (فى رحاب التفسير) الجزء الثالث/ ص ٥٥٩-سابق.

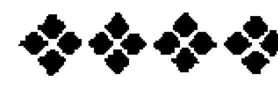
(٢) (تفسير القرآن الكريم) ل عبد الله شحاتة الجزء الثالث ٥٢١- مرجع سابق.

(٣) ذات المرجع والصفحة.

هكذا أطبقت التفاسير تراثية ومحدثة على أن اليهود خوطبوا أو إذا شئنا الدقة الشديدة أمر «المجيد/الزبور =القرآن» ب أن يخاطبهم باعتبارهم كافرين «قل للذين كفروا» فى حين أنهم أهل كتاب.

ف هل هذا رد مكافئ أم جزاء وفاقا على عنادهم واستكبارهم دخول أو اعتناق الإسلام أم هو - وفى هذا الموضع ب الذات آى حصرا وتحديدا - كفر دون كفر كما يقول الفقهاء فى مواضع أخرى، أم هو من نوع كفران الزوجة ل العشير أى البعل أو الزوج؟

قلت «فى هذا الموضع ب الذات» لأن اليهود بعد هذه الآيات الكريمة وحتى الآن مازالوا أهل كتاب: تُنكح نساؤهم وتُؤكل ذبائحهم، بخلاف الكفرة أو الكافرين ف لا يحل ل المسلم شىء منه.



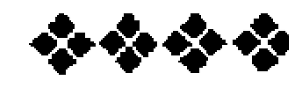
بعد أن بزغت الآية الكريمة ك القمر الوضاء ارتدع أولاد الأفاعى وركبهم الخوف واستولى عليهم الذعر وشملهم الرعب مما حمل الراحة والطمأنينة لنفسه الشريفة.

وفرح التبّاع ل فرح قائدهم وانتصاره المعنوى على أعدائهم.

وأثبت «الصحف المكرمة/ القرآن» معايشته لِ أحوالهم ودورانه مع تقلبات ظروف سيدهم سواء مع أصحابه أم عدوه، وأنه دائما ينفحه ب ما يناصره ويؤازره.

ودائما يؤكد النص الأساس الحكمة العميقة الكامنة وراء انبثاقه نجوما وأبعاضا وتفاريق.

وهو ب هذه المثابة برىء من ادعاءات الابتعاد والافتراق والانفصام التى يرفعها البعض غير المدرك ل مدى خطورتها على المخاطبين.



(قوله تعالى: ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكى من يشاء ولا تظلمون فتيلا)(١)

---

(١) الآية التاسعة والأربعون من سورة النساء.

قال الكلبى: (نزلت فى رجال من اليهود أتوا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بأطفالهم، وقالوا: يا محمد هل على أولادنا من ذنب؟ قال: لا ، فقالوا والذى نحلف به ما نحن إلا كهيأتهم، ما من ذنب نعمله بالنهار إلا كفر عنا بالليل وما من ذلك نعمله بالليل إلا كفرعنا بالنهار، فهذا الذى زكوا به أنفسهم).(١)

الجدال مستمر بين «نعمة الله» واليهود. واضح من الخبر أن الحِجَاج لم يقتصر على الأحبار والغطاريف بل تعداه إلى عامتهم «رجال من يهود».

هم الذين بدأوا الحوار فسألوا «المخصوص ب الشرف» سؤالا إجابته معروفة ب بدائه العقول لأن الأطفال لم يعقلوا والعقل مناط المسئولية.

ثم أجروا قياسا خاطئا وهو أنهم مثلهم ثم قفزوا إلى نتيجة فاسدة ف هم مادامو « هيأتهم» أى مثلهم ف إن ذنوبهم الليلية تغفر لهم بالنهار وذنوبهم النهارية تسدل عليها حجب الظلال ف تمحوها، مع أن الأطفال لا خطايا لهم لا ب الليل ولا ب النهار إذ لا مسئولية عليهم لعدم احتلامهم أى وصولهم إلى سن البلوغ.

مثل هذه المجادلة العقيمة المحشوة ب الأغلاط والتى يواجهون بها «نور الأمم» يتفضل «العلى/الحكيم=القرآن» ب آية مجيدة تفرج عنه ما سببته «المجادلة» من ضيق وتبين لأتباعه لجاجة بنى يعقوب.

(أخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس قال: كانت اليهود يقدمون صبيانهم يصلون بهم ويقربون قرباتهم ويزعمون أنهم لا خطايا لهم ولا ذنوب فأنزل الله «ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم»(٢)

وأضاف المصنف «وأخرج ابن جرير نحوه عن عكرمة ومجاهد وأبى مالك وغيرهم».

---

(١) (أسباب النزول) ل الواحدى ص ١٠٢ سابق.

(٢) (لباب النقول) ل السيوطى ص ٥٤- مصدر سابق.

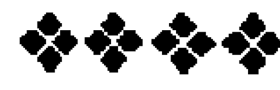
إذن هذا الأثر له أكثر من مصدر ب حسب ما رقمه السيوطى.

منه يتضح أن اليهود دأبوا -عند أدائهم الصلاة- على تقديم أولادهم لأنهم خلو من الخطايا واذا ما عزموا تقريب قرابين فعلوا مثله إذ إنه ادعى لقبولها لأن الصبيان لم يقارفوا ذنوبا بعد.

صورة تعبدية على الرغم من صفورها من المعقولية وفراغها من المنطق وخوائها من الفكر السليم فإنها لا تخلو من مخاتلة وتنضوى على خداع وتلتبس ب الفتنة.

إذن احتمال المطالبة بِ مثلها وارد ومن ثمة فَ النهج القويم ل قطع الطريق على أى تفكير فى ذلك هو إماطة القناع عن بهرجتها «الصورة التعبدية» والكشف عن زيفها ورفع الستار عن سرابها ولا يتحقق إلا بأن تهل آية حميدة ك النجم الثاقب الذى يقضى ضوؤه على جماع تلك البروق الخلوبة.

وغب أن تشرق يتبين لكل ذى عينين، ولمن يملك ذرة من بصيرة أو مسكة من تعقل أنها مجرد وهم لا يستحق حتى مروره ب الخاطر.



ذكر صاحب « المقبول» الخبر ذاته بالراوية عينها ووصفه ب أنه صحيح وأن ابن كثير أورده فى تفسيره وأن ابن جرير أخرجه عن أبى مالك مرسلا وأن الشيخ شاكر فى عمدة التفسير أكد صحة إسناده ولكن المصنف الأزهرى أو الأزهرى المصنف أضاف إليه ما يلى:

(.. وكذبوا قال الله: انى لا أطهر ذا ذنب بآخر لا ذنب له وأنزل الله... الآية).(1)

إن كلمة «وكذبوا» من المرجح أنه تعقيب من «المكى/ الملاحمى» على ما يفعله اليهود من تقديم صبيانهم فى الصلاة وتقديم القرابين.

أما: قال الله إنى لا أطهر ... ف هو أشبه ب الحديث القدسى.

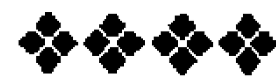
(1) (المقبول) ل أبى عمر نادى الأزهرى -ص٢١٩ مرجع سابق.

والاثنان «=التعقيب والحديث القدسى» يقطعان ب صلابة الموقف ورد الفعل الحاسم على النسق اليهودى فى التعبد.

ولكى لا يخطر ب بال أحد من التبيع أن يطلب نسخها أو تقليدها غدا من الحتم اللازم حسم المسألة ب آية مجيدة تضع الأمور فى نصابها وليلزم كل واحد منهم غرزه ولا يتعدى حده خاصة أن التعقيب المحمدى الشريف «كذبوا» وما أطلقنا عليه «أنه أشبه ب الحديث القدسى» لم يطرحا الثمرة المرجوة ب السرعة المطلوبة واللازمة فى مثل هذه الحالة خاصة وهى تتعلق ب مسألتين عباديتين أو تعبديتين أولاهما الصلاة: عماد الدين ومنسك تقريب الأضاحى.

إذن بزوغ آية عظيمة فى هذا الموضوع تحديدا أمر من الضرورات الملحة، وهكذا يثبت «العربى / المبين =القرآن» أنه فى الشأن الخطير والأمر اليسير يظاهر «المتبتل/ المتضرع» ويأخذ ب عضده.

كما أنه «العلى الحكيم= القرآن» لا تغفل عينه الكريمة عما يعترض محجتهم من عوائق مهما صغرت حتى تسير الدعوة المعظمة فى طريقها المرسوم وبجوارها توأمها الحبيب الدولة التى حلم بها الجدود فى يقظتهم وغفوتهم.



نعرج على كتب التفسير:

١- تفسير القرآن العظيم

نسخ ابن كثير الحديث السابق بحذافيره لم يخرم منه شيئا.(١)

ولو أنه ذكر سببا آخر ل اشراق الآية «٤٩ النساء».

(قال الحسن وقتادة: نزلت هذه الآية ..... فى اليهود والنصارى حين قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه.

وقال: ابن زيد: نزلت فى قولهم «نحن أبناء الله وأحباؤه» منه

(١) (تفسير القرآن العظيم) ل بن كثير- المجلد الثانى- ص٢٦٢- مصدر سابق.

قولهم: «لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى».(١)

ونحن نرى أنه سبب فى غاية الوجاهة وعلى قُلة «بضم القاف» درجات الإقناع: لأن اليهود ويرتدف بهم النصارى عندما يرددون ويشيعون ويذيعون ولا يملون تكرار ادعائهم أنهم وحدهم دون غيرهم من أصحاب العقائد والملل والنحل أبناء الله وأحبابه وأنه آثرهم دون غيرهم واختصهم وحدهم ب الجنة فإن هذا «= الترديد أو التكرير» سوف يشيع بين الأتباع الريك ويفشى فى صفوفهم المرج ويزرع فى مجتمعهم الخلط خاصة أن هولاء التبيع حديثو عهد ب الإسلام من جانب ومن آخر حصيلتهم من البداوة وفيرة ومخزونهم من ضيق الأفق غزير وجعابهم «= جمع جعبة» مليئة ب السذاجة وطيبة القلب.

ف حتم لازم وقف هذه الشعارات الزيوف التى يروجها إخوان القردة والخنازير وينتقلون بها من مجلس ل آخر وفى كل قعدة وفى نهاية كل جلسة ويجب ألا ننسى أن أصرتهم ب بنى قيلة وثيقة ورابطتهم حميمة وصلتهم متينة.

إذن ل استئصال هذه البلبلة ول بتر هذه الشائعة ول محو هذا الإرجاف يُتحف «الذى لا يمسه إلا المطهرون» «المؤتى جوامع الكلم» ب هذه الآية التى تكذب اليهود فى لا هم أحبابه ولا أبناؤه لأنه لم يلد ولم يولد وأن هذا من جانبهم تزكية جوفاء لأنفسهم اللقِسَة، وب مفهوم المخالفة ف إن الذين يحبهم الله ويحبونه ويرضى عنهم ويرضون عنه هم أصحاب (قائد الخير) دون سواهم من أتباع الملل والنحل والعقائد والأديان.

ف تعود الطمأنينة إلى نفوسهم ويهدأ بالهم ويسر خاطرهم وبالتالى تقر عين «صاحب المدينة» بعد انقشعت السحابة الداكنة التى تجمعت نتيجة أكاذيب اليهود والنصارى.

ويثبت «الصحف المكرمة= القرآن» أنه يواكب أحوالهم عن قرب

---

(١) المصدر السابق والمجلد ذاته/. ٢٦١

شديد وأنه لولا إشراقه نجوما متفرقة لما حقق هذه الغايات السامية.

ولعل الذين يزعمون دعاوى الانفصام والانفصال والاغتراب بين النص المَؤّسِس وواقع من خاطبهم قد ثابوا إلى رشدهم واقتنعوا.



٢- التسهيل:

محمد بن أحمد بن جزىّ الكلبى ذكر فى « ال تسهيل»:

(الذين يزكون أنفسهم هم اليهود لعنهم الله وتزكيتهم قولهم: نحن أبناء الله وأحباؤه وقيل مدحهم لأنفسهم). (١)

٣- أنوار التنزيل:

مصنفه البيضاوى جمع بين الخبرين: خبر قولهم «=أهل الكتاب» نحن أبناء الله وأحباؤه وخبر إحضار بعض يهود أطفالهم ل «دعوة إبراهيم» وقولهم نحن ك هيأتهم.(٢)

ولو أنه لم يرجح أحدهما بيد أن تقديمه لخبر مدحهم أنفسهم يشى ب اقتناعه به دون الآخر.

٤- تفسير الجلالين:

(«ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم» وهم اليهود، حيث قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه، أى ليس الأمر بتزكيتهم أنفسهم «بل الله يزكى» «يطهر «من يشاء» ب الإيمان.....)(٣)

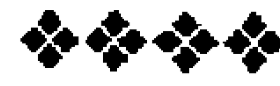
ف هذا التفسير رغم وجازته البالغة أوضح جوهر القضية وهو إنه لا تلقوا بالالم لمزاعم اليهود الجوفاء ف الله وحده هو الذى يزكىّ ب الإيمان ويطهر ب الإسلام.

---

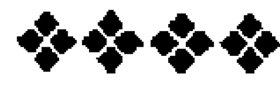
(١) (التسهيل ل علوم التنزيل) ل ابن جزىّ الكلبى – الجزء الأول ص ١٤٥– مصدر سابق.

(٢) (أنوار التنزيل وأسرار التأويل أى تفسير البيضاوى) ص ١١٤ ـ سابق.

(٣) (تفسير الجلالين) جلال الدين المحلى وجلال الدين السيوطى ـ ص٧١ ـ مصدر سابق.



ومهما تعددت أسباب بزوغ الآية ٤٩ النساء - المجيدة فإنها حققت الهدف التى أمّته والقصد الذى رمت إليه بل فى الحقيقة أنها قصود عديدة سبق أن رقمناها فـ ليرجع إليها القارئ.



٤ - (قوله تعالى: «ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت» النساء/٥١.... عن عكرمة قال: جاء حيى بن أخطب وكعب بن الأشرف إلى أهل مكة فقالوا لهما: أنتم أهل الكتاب والعلم القديم فأخبرونا عنا وعن محمد؟ فـ قالوا: ما أنتم وما محمد؟ قالوا: نحن ننحر الكوماء الناقة المكتنزة» ونسقى اللبن على الماء ونفك العانى ونصل الأرحام ونسقى الحجيج، وديننا القديم ودين محمد الحديث، قالا: بل أنتم خير منه وأهدى سبيلا فأنزل الله تعالى الآية).[1]

الآية الكريمة نصت على أنهم «أوتوا نصيبا من الكتاب» أى حظا أو جزءا أو بعضا منه مع أن آيات حميدة أخرى نصت على «الكتاب» دون تبعيض:

(فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم) ٧٩/البقرة و (نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب) ١٠١/ البقرة و (الذين أتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم) ١٤٦/ البقرة و (وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم) ١٤٤/ البقرة...

ومعلوم أن سورة البقرة تلاها «الرحمة المهداة» على أصحابه قبل أن يقرأ عليهم سورة النساء إذ إن البقرة بإجماع هى أول سورة من القرآن العظيم هلت فى أثرب.

إذن ما هو السبب فى ذكر «الكتاب» بـ الكامل فى آيات من البقرة وفى ورود «نصيبا» من الكتاب فى آية النساء هذه وهى مصلّية أو

(١) (أسباب النزول) لـ الواحدى -ص١٠٢- مصدر سابق.

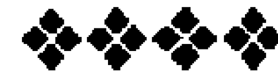
تالية أو لاحقة لها؟

من الأجوبة التى يمكن تقديمها أن من أجاب قريشا على سؤالها اثنان: حيى بن أخطب وكعب بن الأشرف وهما ليسا من الأحبار أى علماء الدين ومن ثم فإن محصولهما من «الكتاب» هو مجرد «نصيب» أى جزء أو بعض.

ومما هو جدير بالذكر أن حيى بن أخطب غدا فيما بعد والد إحدى زوجات «الراضى- الأرجح» وهى صفية وقتل فى خيبر.

أما كعب بن الأشرف فقد زبرنا فيما سبق قصة قتله على يد إحدى جماعات التصفية الجسدية لأعداء الديانة الإسلامية والدولة القرشية.

فهل المصير الذى لقيه كل منهما هو الجزاء الأوفق لموقفهما هنا وما تلاه من أفعال ذميمة صدرت من كل منهما؟



صناديد بنو سخينة بدأوا سؤالهم لليهوديين بقولهم: «أنتم أهل الكتاب والعلم القديم» أى قرنوا بين الاثنين أو جمعوا بينهما ف لماذا؟.

قبل أن نسطر الإجابة نوجز وجهة نظرنا عن معنى ما قصدوه من عبارة «العلم القديم» الذى نراه أنهم يؤمون «دين الآباء» الذى كما رقمنا أنه ال أسٌ المتين والعمود المكين لوحدة القبيلة العربية الذى يمنعها من الذوبان فى غيرها وفى مقدمها القبول حتى ب مجرد أداء التحية لعلم أى دولة لأن موجبه أو مقتضاه التماهى فيها، وكما زبرنا فيما سلف أن هذا النسق انتقل إلى قبائل يهود الجزيرة العربية أو منطقة الحجاز وأنه فى مذهبنا من أوضح =تحاضيض معارضتهم الشرسة لاعتناق الإسلام وليس الإسطير المقدس الذى معهم وحده.

إذن انضواء خطاب المرازية الجحاجح ل بنى يعقوب على العلم القديم لم يأت اعتباطا.

وقد ألححنا ومازلنا على أن قراءة ما سُطّر عن «فترة التأسيس» الباهرة فى كتب التراث يجب أن تتم ب عين يقظة وبصيرة نفاذة وعقل متفتح.

وتتمة للتنقيب فى هذه النقطة نلفى أن قالة ملأ قريش تضمنت: «ديننا القديم ودين محمد الحديث» ولسنا فى حوجة آن نكتب أن المعادل الموضوعى لكلمتى «ديننا القديم» هو «دين الآباء» الذى تتمسك به القبيلة العربية، وانتقل ب دوره إلى القبيلة اليهودية وتعض عليه ب النواجذ وتعتبره مدماك وحدتها والعنصر الصلب الذى يمنعها من «الموص» فى غيرها.

كما أن عبارة «ودين محمد الحديث» أى المقابل ل «القديم » وهو «=الحديث» الذى يودى ب طريق التبع إلى الضياع وفقدان الهوية القبلية.

إن الباحثين الذين حللوا أسباب الحرب الضروس التى شنتها قريش على «المعصوم» لم يلتفتوا إلى هذا الملمح البالغ الخطورة:

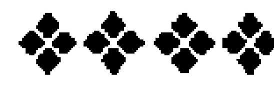
ف منهم من نقّر عن الدوافع الاقتصادية، ومن بينهم من بحث عن البواعث السياسة، ونجد من ذهب إلى أن العلة كامنة وراء العداوة الشديدة بين الرهطين: بنى هاشم وبنى أمية، وهناك من اتجه صوب المحافظة على ما يعبدونه من أصنام أو أوثان «مع أن هذا تعوزه الدقة وينقصه التحديد ويفتقر إلى التعيين ا هـ».

هذه التحاضيض تمنعنا أمانة القلم وقواعد المنهج العلمى الصارمة التى نلزم أنفسنا بها، أن ندعى أنها غير صحيحة «اد في كل واحد منها قدر من الصحة أ.هـ»

إن النقص يعتورها والخداج يلم بها والهَتّم يشينها والثرم يعيبها.... إذ إنها لم تلتفت إلى الجرثومة ولم تتنبه إلي الباعث الحثيث وهو الحفاظ على «الدين القديم» أى (دين الآباء) وهو كما خططنا مباين لعبادة الأوثان ومفارق لتقديس الأصنام ، هو شأن قائم

بذاته، مستقل بنفسه، مرتفع برأسه يتمثل فى التقاليد والأعراف والعادات والوصايا والنصائح والتوجيهات التى خلّفها لهم الآباء وقد عبر عنها «الذكر المبين» بأنصع بيان وأوجزه «هذا ما وجدنا عليه آبانا».

وليست زلة لسان أو لفظا عابرا أو رمية من غير رام أو خبط عشواء أو هو سهم غرب «طائش لا يعرف من رماه ا.هـ» أن يصف سادة بنى سخينة «الإسلام» أو «دين محمد حسب قولهم» ب الحديث أى الجديد المقطوع الآصرة ب الدين القديم «دين الآباء» وهو «من وجهة نظرهم» الذى سيؤدى بالقطع وعلى عجل لا ريث فيه إلى ذوبان قريش فى محيط الدولة التى هى أبرز معالم الدين الحديث أو المحدث الجديد.



وعندما نتفرس فيما حدث غب انتصار «الدين الحديث» وتأسيس الدولة، نجد أن ما توجس منه ملأ قريش قد وقع ب حذافيره، حذوك النعل بالنعل أو القذة ب القذة، نعم قامت «دولة» ل قريش ولكن على حساب «قبيلة» قريش حتى ب صورة لم تكن فى الحسبان:

حارب الأمويون بنى هاشم ب شراسة وتقاتل المروانيون مع الزبيريين وثأرالعباسيون «وهم فرع من بنى هاشم» من الأمويين بوحشية ثم انقلبوا على بنى عمومتهم العلويين وأذاقوهم من النكال أضعاف ما لحق بهم على أيدى الأمويين، وغدا كل فرع من هؤلاء قبيلة مستقلة، وغدا الانتساب ل قريش مجرد رمز وهمى أو تصورى مثل انتساب العرب المستعربة إلى إسماعيل.

فى حين أنه فى ظل (دين الآباء) لم تتحارب بطون قريش لا ب ضراوة ولابدونها.

وفى حالة نشوب أى خلاف بين رهطين أو فرعين سرعان ما يتم حسمه ب الطرق السلمية، ونذكّر ب ما حدث بين أصحاب «حلف

لعقة الدم» وأعضاء «حلف المطيبين».

حتى المخاصمات الفردية يسرعون بفضها ب أى طريق -ك التحكيم- إلا امتشاق السيوف أو حمل الأسلحة ف هو محظور.

إن تاريخ قريش فى زمن «دين الآباء» أو «الدين القديم» مرقوم فى كتب السير والتواريخ والأدب ودواوين الشعر ف ل يدلنا أحد وله الشكر والامتنان على حرب شبت بين بطنين منها أو قتال حدث بين فخذين أو صدام دموى بين فرعين أو حتى نزاع مسلح بين فردين.

إنما استعرت المعارك الضارية التى تشيب لها الولدان والتى سقط فيها عشرات الألوف، والثارات التى راح ضحيتها المئات بين أولاد العم من القرشيين الذين يعتنقون عقيدة واحدة ويتعبدون ل إله واحد ويتجهون فى صلاتهم ل قبلة واحدة ويقرأون كتابا واحدا وضربت الكعبة المشرفة ب المنجنيق حتى كادت تحترق، فى حين أنه تحت سماء (دين الآباء) دأب القرشيون جيلا بعد جيل على تعظيمها بل وتقديسها واعتبارها وما حولها حرما آمنا وحرصوا على حمايتها.

كل هذه النوازل الفظيعة والوقائع الشنيعة والأحداث المريعة التى لم ير التاريخ لها ضروبا تمت فى عهد «الدين الحديث» وهى مفارقة صارخة فى عوز بالغ إلى دراسة مكثفة وفى حوجة شديدة إلى بحث عميق ومفتقرة بِ الكلية إلى حفر غائر فى طبقات التاريخ ل معرفة أسبابها ونقه عللها وفقاهة ماهيتها.



ثم نؤوب إلى سياقة البحث:

استعرض أئمة الكفر من بنى سخينة أمام اليهوديين مناقبهم وقدموا لهما محامدهم وأطلعوهما على شمائلهم فذكروا نحر النوق اللحيمة وسقى اللبن على الماء كناية عن إكرام الضيف والعمل على الإفراج عن الأسير ورفد ذوى القرابة وبرهم وتقديم الماء ل الحجاج والمعتمرين وهى أخلاق حميدة.

ولم يتكلمـوا عن أصنام أو أوثان أو مـلائكة أوجن، فـَ هذا فى نظرهم ليس من المفاخر التى يتغنى المرء أو القبيلة بها، بل هى علاقة حميمـة الخصـوصيـة بين الرب والمربوب والعبد والمعبود وهى نظرة حكيمة.

وفى مـعـرض الدين قـارنوا بين دينهم ودين «الصـفـى/مـحـمـد» ووصفوا الأول ب القدم وهى تعنى العراقة والأصالة وغور الجذور فى أعماق الأرض.

ف أجـاب اليـهـوديان اللعينان على تسـاؤلاتهم ب أنهم خيـر منه وأهدى سـبيـلا ولقـد كذب عدوا الله فليس ثمـة وجه ل المقـارنة بين زعمـاء الكفـرة من بين سـخـينة وبين «سـيـد الوجـود» فى أى رجـا من الأرجاء.

الذى لا مشاحة فيه أنه رد سياسى لأن المطرودين من رحمة الله توجها إلى قرية التقديس ل تحريش غطاريفها وعقد حلف معهم ضد «المتين/ المصبـاح» وتبيعـه، ف من بدائه العقـول أن يتـفـوها ب هذا الإفك المبين.

وسـرعـان مـا تصل هذ القـالة الخبيـثـة إلى أسـمـاع المسلمين ف تشوش عليهم وتشيع الوهن فى كتلتهم وتؤدى إلى فَسْخ عَضَل جسم جمعيتهم، وتؤذى أحاسيس قائدهم وتخريش مشـاعره، إذ كيف يفضل اليهوديان عليه رؤسـاء بنى سخينة الذين لا يتورعون عن القوادة ولا يأنفـون من الديوثة ولا يتـعـفـفـون عن العـيـهـرة ويتـعـاملون بالـربا ويستحلون عرق سواعد العبدان وأفخاذ الإماء....

وقبل أن تطرح تلك الكلمات النتنة حصادها المر تقبل متلألئة الآية ٥١/ النسـاء- فـيـتنفس الأتبـاع المخلصـون الصـعـداء ويطمـئن «ذؤابة قريش» بالا ويزداد يقينه رسوخا بأنه الأهدى سبيلا والأشمخ مكانة.



أورد السـيـوطى خـبـرا مماثلا لما نسـخـه الواحـدى ولا يخـرج عن

مضمونه، وأثرا آخر يدور فى ذات الفلك.[1]

وكذلك فعل صاحب (المقبول) ولو أنه أورد ثلاثة أخبار تنسج على ذات النّوّل وتجرى فى المضمار نفسه وتنهل من النبع عينه.

ووصف الأول والثانى بالصحة والثالث بأنه حسن ل غيره.

وذكر من ضمن من خرجوها: النسائى فى تفسيره، وابن كثير فى تفسيره وعزاه ل أحمد بن حنبل، والطبرانى فى الكبير والبيهقى فى الدلائل..[2] وبهذا أصبحت الأخبار التى تعلقت ب الآية العزيزة على درجة طيبة من التوثيق.



بعدها ننعطف إلى:

التفاسير:

١ـ التسهيل ل علوم ال تنزيل:

(الآية سببها أن حيى بن أخطب وكعب بن الأشرف أو غيرهما من اليهود قالوا لكفار قريش أنتم أهدى سبيلا من محمد وأصحابه)[3]

٢ـ تفسير البيضاوى:

(... نزلت فى يهود كانوا يقولون إن عبادة الأصنام أرضى عند الله مما يدعو إليه محمد، وقيل فى حيى بن أخطب وكعب بن الأشرف وجمع من اليهود خرجوا إلى مكة يحالفون قريشا على محاربة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقالوا: أنتم أهل كتاب وأنتم أقرب إلى محمد منكم إلينا فلا نأمن مكركم فاسجدوا ل آلهتنا حتى نطمئن إليكم ففعلوا ....).[4]

---

(١) (لباب النقول) ل السيوطى -ص٥٤- مصدر سابق.

(٢) (المقبول) ل أبى عمر نادى الأزهرى -ص٢١٩ ص٢٢٢- مرجع سابق.

(٣) (كتاب التسهيل ل علوم التنزيل) ل ابن جزى الكلبى الأول -ص١٤٥- مصدر سابق.

(٤) (أنوار التنزيل) ل البيضاوى -ص١١٤- مصدر سابق.

بدأنا ب «التنزيل ثم ثنّينا ب «الأنوار» ل صفورهما من معلومات جديدة ذات أهمية ما خلا ما طرحه القاضى البيضاوى عن سجود الجمع اليهودى «الذى توجه إلى قرية التقديس ل التحريش والتهييج ضد المسلمين ل أصنام بنى سخينة رغم نهى إسطيرهم المقدس عنه، وقد فعلوه من باب السياسة إذعانا ل مطلب ال مكاكوة وإذا شئنا الدقة ل شرطهم بعد أن أخبروه أنهم لا يأمنونهم لأنهم أقرب إلى «المقرى/ المقسط=محمد» منهم فهم معه فى قرية واحدة «يثرب» وأن بيده «كتابا» وهم بالمثل لديهم «كتاب» ولا يغير من الأمر شيئا سبق كتابهم فى التاريخ لا فى الرتبة؛ لأن «الفرقان/العلم =القرآن» هيمن على الكتب التى أعلنها (الكمل) السابقون دون استثناء حتى «الصحف» التى بشر بها إبراهيم كبير البطاركة وأُسهم وأصلهم أ.هـ.»

فلو لم يسجد إخوان القردة والخنازير للأصنام لما صدّقهم ملأ قريش ولما وضعوا أيديهم الدنسة فى أكفهم الدرنة ولما ارتبطوا معهم ب الحلف الذى سعوا ل عقده.

٣ـ الكشاف:

فسر لنا الزمخشرى ما جاء ب الآية الحميدة «يؤمنون ب الجبت» (أنهم سجدوا ل الأصنام وأطاعوا إبليس فيما فعلوه).(١)

بيد أن المصنف «= الزمخشرى» أتى ب المعلومة الجديرة ب الالتفات:

(قال كعب بن الأشرف ل صناديد بنى سخينة: وما دينكم؟ قالوا: نحن ولاة البيت ونسقى الحاج ونقرى الضيف ونفك العانى وذكروا أفعالهم).(٢)

---

(١) (الكشاف) ل الزمخشرى - الأول-ص٥٢٣- مصدر سابق.

(٢) ذات المصدر والجزء والصفحة.

السؤال من جانب الماجن المتهتك حصرا وتحديدا عن الدين «وما دينكم؟».

ف لم يجبه السادة النجب من قريش: نعبد اللات والعزى ومناه ل تقربنا إلى الله زلفى وأن الملائكة بنات الله... إلخ ف لوا عتقدوا ولو ل لحظة خاطفة أن عبادتها والإيمان بها والاعتقاد فيها هو الدين الذى يعتنقونه ل صرحوا به إنما هم ذكروا «الأفعال» الأعراف والتقاليد ومنها سدانة الكعبة المشرفة وعمارة البيت الحرام وصيانتهما على الوجه الأمثل ل يلفاهما الحجج والعمار فى أحسن صورة وأجمل أيأة (سبق شرحها: الأيأة هى الهيأة وزنا ومعنى) وتهاون الزمخشرى سامحه الله فى رقمها وهى التى ورثهم إياها آباؤهم.

إن جماعها هو «دين الآباء» الذى تناولناه فيما تقدم ولا نرى موجبا ل طجنه «نضجه» أكثر كيما لا يشيط.[1]

٤ - تفسير القرآن العظيم:

نفحنا ابن كثير عدة أسباب ل هلّ الآية الكريمة إنما تميز ب النص على أسماء الوفد الذين ذهبوا إلى مكة ب شىء من التفضيل.

ونضرب صفحا عن البذاءة التي تفوه بها المكاكوة فى حق «يد ولد آدم» إنما نسلط حزمة من الضوء علي ما أضافوه إلى أنفسهم «نحن أهل الحجج وأهل السدانة وأهل السقاية).[2]

هذا القول يذكرنا ب ما جاء فى الآية التاسعة عشرة من سورة التوبة:

(أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله....)

السقاية والعمارة من أبرز مفردات أو عناصر «دين الآباء» لدى

---

(١) شاط الطعام قارب الاحتراق من «المصباح المنير» و«المعجم الوسيط».

(٢) (تفسير القرآن العظيم) ل ابن كثير/المجلد الثانى ص٢٩٥- مصدر سابق.

بنى سخينة وقد وضعتهما الآية العظيمة فى مقابل الإيمان بالله.

وقررت بحسم وحزم انتفاء المساواة بينهما.

ولعل رقم سبب إشراق هذه الآية يساعد على توضيح جوانب هامة:

(عن ابن عباس قال: قال العباس حين أسر يوم بدر: إن كنتم سبقتمونا بالإسلام والهجرة والجهاد، لقد كنا نعمر المسجد الحرام ونسقى الحاج ونفك العانى فأنزل الله الآية)[1].

ردد العباس هنا كلمات زعماء قريش التى قالوها سابقا لليهود بنصها وفصها.

وهى ليست مصادقة لا لأنه أحد السادة ولكن لأن هذه الأفعال هى «دين الآباء» ومن ثم وضعها فى مقابل إيمان المسلمين ب الله أو الإسلام والهجرة والجهاد.

إذن معالم أو مكونات أو أبعاض الدين القديم فى كفة ومثيلاتها فى الدين الحديث فى كفة أخرى.

وهنا يرتفع سؤال ينضوى على قدر من الخطر:

لماذا لم يصرح العباس: كنا نعبد كذا وكذا من الأصنام ونذبح لها ونقرب القرابين؟.

لعل الإجابة غدت معروفة:

لأن هذه ليست هى الدين القديم ومن ثم ف لم تجر على لسانه إنما عدد مقوماته أو بعضها.

إن نفى الآية «١٩/التوبة» المساواة أو المقارنة بينهما أو حتى مجرد التفكير فيها يؤكد أن العم العباس أو العباس العم قصد المقارنة بين الدينين أو ربما أم المساواة بينهما وهو ما شجبته الآية وأدانته تماما لأنه قياس فاسد و لا وجه له.

---

(١) (لباب النقول) ل «السيوطى» ص٩٢- مصدر سابق.

وإذا رجعنا إلى ابن كثير فى تفسيره نجد أنه ذهب إلى أن الآية ٥١ من سورة النساء هى لعن لليهود وإخبار بأنه لا ناصر لهم فى الدنيا أو الآخرة وأن ردهم على استيضاحات جبابرة قريش صدر بقصد استمالتهم للانضمام إلى الأحزاب ضد «الخاشع»(١).

وب المثل فإن سجودهم للأصنام فعلوه لذات الدافع، لأن الغاية فى مذهبهم تبرر الوسيلة.

٥- غرائب القرآن:

أهدانا القمى النيسابورى- فى نطاق هذه الآية الحميدة «٥١ النساء» - خبرا مفصلا س نرقمه ب كامله لأنه ثرٌّب المعطيات غنى ب المعلومات، متضلع ب الإيحاءات:

(قال المفسرون: خرج كعب بن الأشرف وحيى بن الأخطب فى سبعين راكبا إلى مكة بعد وقعة أحد، ليحالفوا قريشا على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ونقضوا العهد الذى كان بينهم وبين رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فنزل كعب على أبى سفيان، والآخرون فى دور قريش، فقال لهم أهل مكة: إنكم أهل كتاب ومحمد -صلى الله عليه وسلم- صاحب كتاب، ولا نأمن من أن يكون هذا مكرا منكم، فإن أردتم أن نخرج معكم فاسجدوا لهذين الصنمين وآمنوا بهما، فذلك قوله «يؤمنون بالجبت والطاغوت» ثم قال كعب لأهل مكة ليجىء منكم ثلاثون ومنا ثلاثون، فنلزق أكبادنا بالكعبة فنعاهد رب هذا البيت لنجهدن على قتال محمد -صلى الله عليه وسلم- ففعلوا ذلك فلما فرغوا قال أبو سفيان لكعب: إنك امرؤ تقرأ الكتب ونحن أميون لا نعلم، فأينا أهدى طريقا وأقرب إلى الحق؟

نحن أم محمد -صلى الله عليه وسلم- ؟ فقال كعب: أعرضوا على دينكم، فقال أبوسفيان:

نحن ننحر الكوماء «=الناقة العظيمة السنام» للحجيج ونسقيهم

---

(١) (تفسير القرآن العظيم) ل ابن كثير -الثانى/ص٢٩٥/ سابق.

الماء، ونقـرى الضـيـف ونفك العـانى، ونصـل الرحم ونعـمـر بيت ربنا، ونطوف بـه ونحن أهل الحـرم، ومـحـمـد فـارق دين آبائه وقطـع الرحم وفـارق الحـرم، ودينـنـا القـديم ودين مـحـمـد -صلى الله عليـه وسلم- الحـديث، فقـال كعـب: أنتم والله أهدى سـبـيـلا مما هـو عليـه.. فـأنزل الله تعالى الآية).(١)

إذا قرأناه «=الخبر» ب روية نخرج منه ب الكثير:

١ ـ عـدة الوفـد اليـهـودى سـبـعـون: عـشـرة أضـعـاف السـبـعـة العـدد المقدس لدى الديانات الإبراهيمية الثلاث.

٢ ـ ذهاب أولاد الأفـاعى ل قـرية التـقـديس حـدث غب وقـعـة أحـد التي انكسـر فيـهـا المسلمون أى أن قـريشـا فى قُلّة ارتفـاع الروح المعنوية مما يسـهل إقنـاعـهم بعـقـد الحلف ل يتـخلص الفـريقـان من عـدوهم المشترك (الأخشى لله).

٣ ـ كعب بن الأشـرف أعلى رتبـة من حيى بن الأخطب، فقـد أنزله زعيم بنى سـخـينة فـى ذياك الوقت فى داره ثم بعـد قليل توجـه إليـه دون غيـره من رؤوس أو أعضـاء الوفـد ب الاسـتفـسـار عن المفاضلة بين دينهم ودين «بشـرى عـيـسـى» وهـو «= كـعـب» الذى اقـتـرح دون سـواه اختيار ثلاثين من كل ل يلصقوا أكبادهم ب الكعبة.

إذن هذا الكَعب شخصية ذات مكانة لدى يهود، فهل من ضمن عناصر عَدّه كذلك أنه شاعر وهو تقليد عـربى فى اعتبـار الشاعر لدي قبيلته من أصـحـاب المقـام المحـمـود فيـهـا؟ أم لأنه «=هـذا الكعب» يحـوز صـفـات ذاتيـة أهلته، لذلك أم لأنه « انتخب كبيرا لليهود بدلا من مالك بن الصيف»؟(٢)

---

(١) (غـرائب القـرآن) ل القـمـىّ النيـسـابورى -المجلد الثـالث- ص ص٦١٢ـ ٦١٤- مـصـدر سابق.

(٢) (مـحـمـد واليـهـود/ نظرة جـديدة) تأليف بركات أحـمد/ تـرجـمـة محـمـود على مـراد- ص ص١١٤/١١٥- الطبـعـة الأولى -مكـتـبـة الأسـرة/ مـهـرجـان القـراءة ل الجـمـيع ١٩٩٨/الهيئة المصرية العـامة ل الكتاب- نقـلا عن «إنسان العيون/ السيـرة الحلبيـة» ل على بن برهان الدين الحلبى- الجزء الثانى- ص. ١١٦

٤ ـ خشى مرازية قريش مكر اليهود ف طلبوا منهم السجود ل صنيمين أشاروا إليهما وأن يؤمنوا بهما بيد أن الخبر صفر من سجودهم كما جاء فى الأخبار السوابق.

٥ ـ اقترح كعب بن الأشرف اختيار ثلاثين من قريش ومثلهم من يهود يلصقون أكبادهم ب الكعبة وهم يعاهدون «رب هذا البيت» على بذل أقصى جهد فى قتال «المدثر».

ف هل هذا يعنى أن اليهود يعظمون الكعبة باعتبار أنها إرث إبراهيم جدهم الأعلى؟!.

الذى قرأناه فى كتب السير أن القبائل على اختلاف مللها ونحلها دأبت على تعظيم كعبة مكة قبل الإسلام (فى ذياك الزمان وجد أكثر من عشرين كعبة ا هـ) والحج والطواف حولها سبعة أشواط (كل مرة).

ومما هو جدير ب التنويه أن لزق الجسم ب الكعبة المشرفة والدعاء إبانه مازالا مستمرين فالحجيج والمعتمرون يمارسونه حتى الآن إذا تيسر لأحدهم. فهل هما نسيرة (قطعة) أى حتة (= كلمة عربية صحيحة ا هـ) بقيت من الدين القديم؟

الذى يجيب على السؤال علماء الأنثروبولوجيا الدينية.

قال أبوسفيان ل الخليع الماجن كعب بن الأشرف: نحن أميون لا نعلم ويوجد حديث محمدى شريف «نحن أمة أمية» والقول الفصل دائما هو ما يرد فى «الذكر الحكيم»:

«هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم».(١)

من الألغاز التى عجز أكابر المؤرخين عن حلها أن هذه الأمة الأمية التى لا تقرأ ولا تكتب ولا تحسب هزمت دول الجوار ذوات الحضارات الباذخة وعلى رأسها مصر بل وفرضت عليها لغتها

(١) سورة الجمعة/الآية الثانية.

«الجميلة» وثقافتها!!!

٧ ـ مما نطق به اليهودى ابن الأشرف: فنعاهد «رب هذا البيت» وهي عبارة لابد أن لها مدلولا عميق الايحاء، غائر الترميز فى تلك الحقبة، ففى الآية الثالثة من سورة قريش «فليعبدوا رب هذا البيت» وهي من أوائل السور المكية، بيد أنه لم تتضمن أية سورة من سور «الحكيم المهيمن /المبارك =القرآن» فيما عداها جملة «رب البيت» وبعبارة أخرى لم يوصف الرب بعدها فى « العلم/الحق= القرآن» ب «رب البيت». وهو أمر يستنفر التدبر ويستدعى التفكير ويتطلب التدقيق ويحتم التفرس فى خوافيه ويستلزم التحديق فى بواطنه.

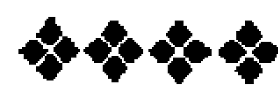
٨ – عندما تكلم الطليق أبو الطلقاء «فيما بعد» أبو سفيان فى حق سيده وسيد العرب والعجم، ذكر أنه «فارق دين آبائه» ثم أردف ب ما يعنيه أنه قطع الرحم وفارق الحرم.

هذا تأكيد لما ذكرناه أن (دين الآباء) ليس هو عبادة الأصنام والسجود ل الأوثان والذبح لها وتقديم القرابين إليها وسفح الدم تحت أقدامها والطواف حولها والتمسح بها،ف هذه عبادتهم التى اعتنقوها وآمنوا بها، وهى شيء مغاير وأمر مباين وشأن مفاصل ل (دين الآباء) الدين القديم الذى أوضحنا كنهه فيما سلف.

المهم فى هذا النص أنه ذكر (دين الآباء) صراحة.

وبعد قليل سرد مقومات الدين القديم أى (دين الآباء).

لعل من بقيت لديه ذرة من شك أو جزئ من ريب أو فتات من ظن فى مصداقية ما زبرناه عن «دين الآباء» قد اقتنع.



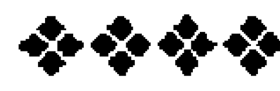
فى ختام الفاصلة عسانا وقد وفقنا فى تحليل أسباب إشراق الآية الواحدة والخمسين من سورة النساء وإثبات أنها حققت القصود التى تغيتها وسطرناها فيما تقدم.

بقى تأكيد حكمة التقييم ف لولاه لما أمكن لجم أولاد الأفاعى وصتّهم ورفع المعاناة عن الصحب من جراء أفاعيلهم الذميمة وأقوالهم الخبيثة خاصة أن التبيع ما كادوا يستردون أنفاسهم مما ألم بهم فى غزاة أحد.

ولولاها لم انزاح ما اعتور نفس «أجود خلق الله» من ضيق على أثر لوكها «=الأقاويل» والإتيان بها.

إذ لو أن «دليل الخير /الحسن الخلق» قرأ «مأدبة الله/القرآن» دفعة واحدة على تبعه كما فعل أخو بنى إسرائيل إذ نزل من الجبل وبين يديه اللوحان المباركان اللذان احتضنا التوراة ثم أردف أن ربه قد نقشهما بأصبعه فكيف إذن يتسنى مقابلة النوازل ب ما يذهب عواقبها الوبيلة؟

اما أصحاب دعاوى الانفصال -انفصال النص عن واقع المخاطبين- أفى مكنتهم أن يدلونا ولهم الشكر عن حقيقة هذا الانفصال وماهية هذا الافتراق والنصوص تعالج ندوبا تحدث تباعا وتداوى جروجا تتواتر وتصلح شروخا تتلاحق وترأب صدوعا تتوالى وتلأم تشققات تتوافر؟.



٥ ـ (أخرج البغوى عن الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس قال:

إن رجلا وامرأة من أهل خيبر زنيا وكان فى كتابها الرجم فكرهوا رجمهما لشرفهما فيهم فرفعوا أمرهما إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ورجوا أن يكون عنده رخصة، فحكم عليهما بالرجم، فقال له النعمان بن أوفى وبحرى بن عمرو: جرت عليهما يا محمد! ليس عليهما الرجم! فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بينى وبينكم التوراة قالوا: قد أنصفتنا.

قال: فمن أعلمكم بالتوراة؟ قالوا: رجل أعور يسكن فدك يقال له: ابن صوريا، فأرسلوا إليه فقدم المدينة وكان جبريل قد وصفه لرسول

الله -صلى الله عليه وسلم- فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنت ابن صوريا؟ قال: نعم. قال: أنت أعلم اليهود؟ قال: كذلك يزعمون، قال فدعا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بشىء من التوراة فيها الرجم مكتوب، فقال له: اقرأ، فلما أتى على آية الرجم وضع كفه عليها وقرأ ما بعدها على رسول الله - صلى الله عليه وسلم!!

فقال عبد الله بن سلام: يا رسول الله قد جاوزها فقام فرفع كفه عنها. ثم قرأ على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وعلى اليهود بأن المحصن والمحصنة إذا زنيا وقامت عليهما البينة رجما، فغضب اليهود لذلك وانصرفوا فأنزل الله عز وجل:

«ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون. ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودات وغرهم فى دينهم ما كانوا يفترون» الآية ٢٣ آل عمران.(١)

وأيد الواحدى النيسابورى أن سبب إشراق هذه الآية العزيزة واقعة زنا يهوديين من خيبر «وقال الكلبى نزلت فى قصة اللذين زنيا من خيبر وسؤال اليهود للنبى -صلى الله عليه وسلم- عن حد الزانيين.(٢) ورقم القميه النيسابورى هذه العبارة بنصها وفصها فى «الغرائب.(٣)

وأيد الجلالان المحلىّ والسيوطى أن سببها هو زنا اليهوديين ولم ينسباها إلى خيبر، وفى رأينا أنه لا يغير من الأمر شيئا «نزل فى اليهود زنى منهم اثنان فتحاكموا إلى النبى - صلى الله عليه وسلم-

(١) (غرائب القرآن) ل القمى النيسابورى -المجلد الثالث - ص١٠٨- مصدر سابق.

(٢) (نهاية السول) ل أبى عمر نادى الأزهرى - ص٨٩ - مرجع سابق.

(٣) (أسباب النزول) ل الواحدى ص ٦١ مصدر سبق ذكره.

ورقم القمىّ النيسابورى هذه العبارة بنصها وفصها فى «الغرائب»

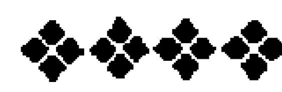
فحكم عليهما بالرجم فجيء ب التوراة فوجد فيها فرجما فغضبوا».[1]

وفى تنوير المقباس تأكيد أن سببها هو إعراض يهود بنى قريظة والنضير من أهل خيبر عن الرجم.[2]



وذكر الشيخ محمود محمد شاكر محقق «تفسير الطبرى» والمعلق على حواشيه: «فى رواية الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس أنها نزلت فى أمر اليهودى واليهودية من أهل خيبر فزنيا فكرهت اليهود رجمهما لشرفهما، فرفعا إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فحكم برجمهما، فقالت الأحبار ليس عليهما الرجم! فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بينى وبينكم التوراة، فلما جاءوا بالتوراة وانتهوا إلى آية الرجم وضع ابن صورية يده عليها وقرأ ما بعدها والخبر مشهور».[3]

أما الألوسى فقد نسخ الخبر باختصار وقرر أنه نقله عن البحر.[4]



من كتب التفسير الحديثة اخترنا:

تفسير القرآن الكريم

يوجد للشيخ محمود شلتوت، وهو شيخ سابق للمعهد العتيق المعروف ب الأزهر، تفسير يحمل ذات الاسم ظهر منذ أكثر من ربع قرن وددنا لو أن عبد الله شحاتة اختار اسما أو عنوانا مغايرا ل

---

(١) (تفسير الجلالين) ص٤٥ مصدر سبق ذكره.

(٢) (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) ل الفيروز آبادى -ص٣٦ مصدر سابق.

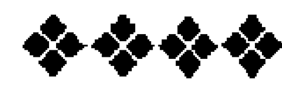
(٣) هامش صفحة ٢٩٠ من تفسير الطبرى- الجزء السادس- سابق

(٤) (روح المعانى) ل الألوسى -الجزء الثانى- ص ١٧٧- مصدر سابق.

لتفسيره، إنما يبدو أن إدمانه على النقش من تفاسير من ظهروا قبله أدى به إلى اقتباس حتى العنوان، فى حين أن سيد قطب وعبدالحميد كشك اختار كل منهما ل مصنفه عنوانا مبتكرا.

(أخرج البخارى فى كتاب التفسير باب «قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين» عن عبد الله بن عمر -رضى الله عنه- أن اليهود جاءوا إلى النبى -صلى الله عليه وسلم- برجل منهم وامرأة قد زنيا فقال لهم: كيف تفعلون بمن زنا منكم؟ قالوا نحممهما ونضربهما، فقال لهم: ألا تجدون فى التوراة الرجم؟ فقالوا لا نجد فيها شيئا، فقال لهم عبدالله بن سلام كذبتم «فأتوا ب التوراة فاتلوها إن كنتم صادقين» فوضع مدراسها الذى يدرسها منهم كفه على آية الرجم فطفق يقرأ ما دون يده وما وراءها ولا يقرأ آية الرجم، فنزع يده عن آية الرجم. فقال: ما هذه الآية؟ فلما رأوا ذلك قالوا هى آية الرجم فأمر بهما فرجما قريبا من موضع الجنائز عند المسجد».[1]

هذا الحديث مختلف عن نديده الذى رقمناه فى جبين هذه الفاصلة ولو أن المضمون واحد، كما ندرك أننا قدمنا سببا آخر ل بزوغ الآية ٢٣/ آل عمران مباينا ل الحالى إنما نذكّر القارئ ب قالة علماء «التفسير» و« أسباب النزول» أنه لا مانع من تعدد الأسباب.



وثقت كوكبة عالية المقام من تلك الكتب أن الآية ٢٣ من سورة آل عمران لمعت كالنجم الثاقب بشأن قصة زنا اليهوديين وأن روايتها ترجع فى الأس ل ابن عباس.

فى الخبر الذى استفتحنا به نجد أن يهوديين «رجلا ومرة» زنيا ولأنهما من علية القوم فلم يقيموا عليهما الحد المنصوص عليه فى

---

(١) (تفسير القرآن الكريم) ل عبدالله محمود شحاتة -الجزء الثالث -ص ٥٤٦ - مرجع سابق.

إسطارهم المقدس وتخيلوا أن «دعوة إبراهيم =محمد» لا علم له بتوراتهم فرفعوا الأمر إليه إذ ربما يقضى فى شأنهما ب عقاب آخر، فلما حكم عليهما ب الرجم عقبوا عليه ب كل سفولة أنه ظلمهما فى حين يعلمون أنه مثال العدل ومن المحال أن يجور.

ونظرا لأنه على خلق عظيم وواسع الصدر وحليم ف لم يغضب وب كل أناة طلب الاحتكام إلى التوراة فأسقط فى أيديهم النجسة إنما تظاهروا بالموافقة وأحضروا أعمقهم علما ب كتابهم «فدعا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بشىء من التوراة فيها الرجم» وهذه العبارة تشى بأنه يعلم الجزء المنصوص فيه على آية رجم الزناة ولو أن ظهور اسم عبدالله بن سلام فى الخبر ل أول مرة يعطى الفرصة ل الاستدراك بأنه هو الذى حدد البعض أو الجزء المنضوى على عقوبة الزنا.

ف عبد الله بن سلام يهودى أسلم فى السنة الثامنة «عن عاصم عن الشعبى أسلم عبدالله بن سلام قبل وفاة النبى -صلى الله عليه وسلم- بعامين» والأصح الرواية التى تقول إنه أسلم بعد وصول«أحمد» إلى قرية الحرتين ب قليل. وهو من ذرية يوسف بن يعقوب حليف القواقل من الخزرج الإسرائيلى ثم الأنصارى وهو من سادة بنى إسرائيل وأعلمهم وبشره «الحبيب/ المجتبى» ب دخول الجنة «فى الصحيح عن سعد بن أبى وقاص قال: ما سمعت النبى -صلى الله عليه وسلم- يقول لأحد يمشى على الأرض إنه من أهل الجنة».(١)

وقد شهد له القرآن المجيد ب العلم.

(أخرج ابن مردويه من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه عن عبدالله بن سلام: أنه لقى الذين أرادوا قتل عثمان -رضى

(١) باختصار من «الإصابة» ل ابن حجر العسقلانى المجلد الرابع ص ص ١٦٣/١٦٤ مرجع سابق.

الله عنه- فناشدهم بالله فيمن تعلمون نزل: «قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب» قالوا: فيك.

وأورده شيخ الإسلام قاضى القضاة ابن حجر العسقلانى بشىء من الطول:

(روى الزبيدى من طريق ابن أخى عبد الله بن سلام قال: لما أُريد قتل عثمان جاء عبد الله بن سلام فقال: جئت لأنصرك، فخرج عبد الله فقال: إنه كان اسمى فى الجاهلية فلانا «ملحوظة= كان اسمه الحُصين» فسمانى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عبد الله ونزلت فىّ آيات من كتاب الله ونزل فىّ «وشهد شاهد من بنى إسرائيل على مثله» ١٠ من سورة الأحقاف- ونزل فىّ «قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب» ٤٣ من سورة الرعد».(١)

أما صاحب «المقبول» فقد أتى ب رواية أخرى:

(أخرج ابن مردويه عن طريق عبدالله بن عمير عن جندب قال: جاء عبدالله بن سلام حتى أخذ بعضادتى المسجد ثم قال: أنشدكم الله أتعلمون أنى الذى أنزلت فى «ومن عنده علم الكتاب قالوا: اللهم نعم».(٢)

ووصفه الأزهرى المصنف بأنه حديث حسن وأردف: أورده السيوطى فى الدر ورواه الطبرى «يعنى فى تفسيره» والترمذى فى كتاب التفسير.



ثم عود إلى السياق:

إذن احتمال أن عبدالله بن سلام هو الذى حدد مكان آية الرجم كبير بدليل أن ابن صوريا عندما قفز عليها ولم يقرأها أخبر

(١) (الإصابة) -المجلد الرابع- ص ١٦٥-مصدر سابق

(٢) (المقبول) ل أبى عمر نادى الأزهرى ص ص ٤١٤/٤١٥ -مرجع سابق.

«المطيع/ المظفر» «فقام فرفع كفه عنها» فاضطر ل قراءتها وفيها النص على رجم الزانى المحصن والزانية المحصنة بعد انتصاب أدلة الثبوت. ومن الجدير ب لفت النظر أن ذات العقوبة موجودة فى الإسلام مع أن عرب ما قبله لم يعرفوها فى حين أن حد السرقة وهو قطع اليد دأبوا على تطبيقه وجاء به «البشرى = القرآن» إنما لم ينص فيه على رجم الزانى المحصن، ولذا فإن بعض الفرق كالخوارج والظاهرية لا تعترف به مع أن «المنصور/ المنيب» طبقه وأشهر قصة فى هذا المجال هى «رجم ماعز والغامدية».

ونلاحظ أن الذين استقر غضبهم أكثر من بين اليهود هم الأحبار أى رجال الدين لأنهم يعيشون على استثمار «النصوص» وجعلها مأكلة ومطعمة أى مأدبة دسمة.

فإذا ارتكب الجريمة غنى وذو مال وجاه حرفوها عن موضعها واصطنعوا له مخرجا، أما الجانى الفقير المُمْلق فإنهم يسارعون إلى الفتوى بتطبيق الجزاء الصارم عليه.

ولقد سجل «الخالص/ الخاشع» هذه الخصلة فى حديث رائع، وكل أحاديثه كذلك، عندما قال «إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد».

وجاء ب الآية العظيمة: «يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم» والذى تم تحكيمه فى الخبر هو التوراة وسبق أن تناولنا التنقيب فى هذه النقطة عند دراسة السبب الأول لإهلالها ومن ثم فلا موجب للإعادة.



فإذا وصلنا إلى الخبر الخاتم الذى ساقه عبدالله شحاتة فإنه لا يخرج فى مضمونه عن السابق سوى أنهم أحضروا الزانيين فعلا إلى «حامل لواء الحمد» وفى الأول أنهم اكتفوا بالترافع إليه ثم حاولوا

تضليله ـ لعنهم الله لعنا وجيعا ـ لما سألهم عن عقوبة الزناة عندهم إذ أجابوه: التحميم والضرب وأنكروا حد الرجم.

وهنا انبرى عبدالله بن سلام إليهم وفضح كذبهم.

ولم يظهر ابن صوريا بين أبطال هذه القصة وقام بدوره المدراس «المدرس». ولكنه فعل مثله فى التمويه فأخفى آية الرجم «ف نزع يده» عنها ولم يبين راوى الخبر من الذى نزع أهو «الغالب/ الغياث = محمد» أم من «عنده علم الكتاب» نعنى عبدالله بن سلام، ثم سألهم «ما هذه الآية؟» مما يرجح أنه «صاحب البيان» هو النازع فلما أجابوا أنها هى «فأمر بهما فرجما».

وفى رأينا أن الخبر بهذه المثابة مُخدج.(١)

إذ من المستحيل أن يقضى «الطيب/ الطبيب» ب الرجم دون أن يحقق فى القضية ويمحص شواهدها ويسمع بينتها ونستبعد تماما أن يصدر حكمه العادل مستندا إلى أقوال إخوان الخنازير المرسلة وهو أدرى الناس بهم.

كالنبع الصافى روت الآية ٢٣ من سورة آل عمران الظمآن إلى المزيد من العرفان ل صفات اليهود التى ربما انخدع فيها وأعتقد عكسها فيما انقضى من عمره.

وسجلت نصرا مبينا وفوزا ساحقا وفلجا رائعا ل «الشارع/ الشكور» على أكبر فئة فى أثرب أدمنت المناوأة وأصرت على الشكاسة وداومت على ال لجج.

وعندما ينقمع اليهود وينكسون رؤوسهم خجلا لهزيمتهم المعنوية ووكسهم الأدبى وخسرانهم الاعتبارى يزداد سرور الصحب ويتضاعف حبورهم ويتراكم انبساطهم.

وجماعه يضاعف ثقتهم فى قيادتهم ف يقدمون مزيدا من الطاعة

---

(١) أخدج صلاته: نقص بعض أركانها.

من: (أساس البلاغة) ل الزمخشرى/ الأول/ سابق.

والانقياد وينعكس أثره في توسيع رقعة انتشار الديانة وترسيخ عواميد الدولة.

إذ من المعروف ب بدائه العقول أن العسكر أطوع ل القائد المنتصر من القائد الفليل.(١)

وأشد تفانيا في تنفيذ أوامره. ولولا التنجيم في الإشراق لما تحققت قطرة مفردة من مقاصدها السامية.

٦ ـ العلاقة بين «المرتفع الدرجات» واليهود اتسمت ب الرجرجة واتصفت ب التموّج وتميّزت بالتلوّن، لأنهم استهولوا أن يدعو ل ديانة جديدة عربي من الأميين أو الأمميين، إذ يعتقدون أنها حكر عليهم وحدهم وإن «الكمل» لابد أن يخرجوا من بين ظهرانيهم، حتى عبدالله ومملوكه وابن امته ومملوكته عيسى ابن مريم أصله منهم وإن انفرد فيما بعد بديانة باينت ديانتهم.

ويوجد خبر ضعيف ينص على أنهم طلبوا منه أن يلحق ب الشام لأن جميع البطارقة ظهروا فيها غبّ آن يئسوا من القضاء عليه وأيقنوا نجاحه وتثبتوا من فلاحه وتأكدوا من فلجه بعد أن آخفقت معه كل مؤامراتهم، ولا أدلّ عليه من أن الطلب تراخى أى تأخر حسبما يدل عليه الأثر الضعيف لأنه سبق غزوة تبوك وهي كما هو معلوم من أهم نوازل السنة التاسعة من النزوح «= الهجرة» وأنها آخر غزاة له.

روى البيهقي من طريق شهر بن حوشب عن عبدالرحمن ابن غنم: أن اليهود أتوا النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوما فقالوا:

يا أبا القاسم: إن كنت صادقا أنك نبي، فالحق بالشام، فإن الشام أرض المحشر وأرض الأنبياء. فصدق ما قالوا: فغزا غزوة تبوك لا يريد إلا الشام، فلما بلغ تبوك، أنزل الله عليه آيات من سورة بني إسرائيل بعدها ختمت السورة: «وإن كادوا ليستفزونك من الأرض

(١) في معاجم اللغة: فل منه شيء أي انكسر.

ليخرجوك منها» إلى قوله: «تحويلا» فأمره الله بالرجوع إلى المدينة وقال: فيها محياك ومماتك ومنها تبعث.(١)

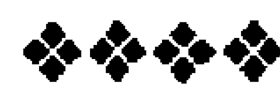
ورغم أن السيوطى وصفه بأنه مرسل ضعيف الإسناد إلا أنه أضاف أن له شاهدا من مرسلات سعيد بن جبير عند أبى حاتم وله طرق أخرى عند ابن جرير «يعنى الطبرى»: أن بعض اليهود قاله له.

ومع أن الحديث الضعيف بخلاف الموضوع، وأن الضعيف إذ روى من طرق أخرى تقوّى فإننا لا نعول عليه ولا نعتمده لأننا فى كل كتاباتنا لا نسطّر حديثا ضعيفا ولا نلتفت إليه.

إنما رقمناه كقرينة مهما بلغ وهنها لإثبات أن اليهود استفظعوا أن يطلع واحد من غيرهم بديانة لا تمت إليهم بصلة ف هم قدّروا حتى إذا غدا الداعى الجديد من خارج أرومتهم فلا بأس عندما ينتقل من أثرب إلى الشام أن تقوم آصرة بينه وبينهم ولو مكانية.

وليعذرنا القارئ إذا كررنا مسألة ضعف الحديث كيما نقطع الطريق على أى لجوج يدّعى على خلاف الحق أننا نستند إلى الأحاديث الضعيفة.

إذ إن الهدف الذى نرمى إليه هو فضح موقف بنى إسرائيل من «المبرأ/ صاحب الخاتم» ومحاولاتهم المستميتة للتضبيب على الدعوة التى طفق يبشر بها أو الادعاء بأنها نسخة مكررة أو هى تفريع لديانتهم بعد أن سقطت كل جهودهم المتنوعة للقضاء عليه وعلى دينه.



من أبرز المساعى التى بذلها أولاد الأفاعى للإجهاز على استقلالية الإسلام وجعله تبيعا لديانتهم أو على الأقل رافدا من نهرها هو تهويده من الداخل، بمعنى الاحتفاظ ب مظهره كما هو دون مساس عن طريق إدخال بعض أو عدد من المبادئ أو القواعد

(١) (لباب النقول) ل السيوطى - ص١١٢ - مصدر سابق

اليهودية.. حتى إذا تم ابتلاع الطُعم يجرى دمج أخرى وثالثة وهكذا حتى يغدو «= الإسلام» فصيلا لليهودية، ومعلوم أن الفصيل هو ولد الناقة الذى انفصل أو فصل عنها إنما فى نهاية الأمر هى أمه وهو منسوب إليها بيد أن «أشجع الناس» وهو العبقرى الذى لا يشق له غبار والألمعى الفطن تنبه إليه وقضى على المحاولة الأولى فى مهدها.

دخل بعض (ولا نقول كل أو جل) يهود ديانة الإسلام لتحقيق هذا الغرض الخبيث وتنفيذ الهدف الماكر.

(أخرج ابن جرير عن عكرمة فى قوله: «يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة» قال: نزلت فى ثعلبة وعبدالله بن سلام وابن يامين، وأسد وأسيد ابنى كعب وسعيد بن عمرو، وقيس بن زيد، كلهم من يهود، قالوا: يا رسول الله. يوم السبت يوم كنا نعظمه فدعنا فلنسبت فيه، وأن التوراة كتاب الله، فدعنا فلنقم بها بالليل، فنزلت الآية). وهى الثامنة بعد المائتين من سورة البقرة.(١)

ويوضح لنا أبو محمد عبدالحق بن عطية الغرناطى بشىء من التفصيل الخطة التى أراد بعض اليهود الذين اعتنقوا الإسلام تطبيقها ل تهويده.

وذلك أنهم ذهبوا إلى تعظيم يوم السبت وكرهوا لحم الجمل وأرادوا استعمال شىء من أحكام التوراة وخلط ذلك ب الإسلام فنزلت هذه الآية فيهم).(٢)

وفى هامش الصفحة أورد محقق الكتاب أحمد صادق الملاح أسماء «الدفعة الأولى» من أولئك اليهود الذى كلفوا بالعمل على خلط أحكام توراتهم بالإسلام حسب تعبير الغرناطى وهم - بالإضافة إلى عبدالله بن سلام الذى ورد اسمه فى المتن - ثعلبة وابن يامين وأسد وأسيد بن كعب وشعبة بن عمرو وقيس بن

---

(١) (لباب النقول) ل السيوطى/ ص٢٨ - مصدر سابق.

(٢) (المحرر الوجيز) - الجزء الثانى - ص ٢٥ - مصدر سابق.

زيد.

من كتب التفسير الحديث اخترنا:

تفسير القرآن الكريم:

كعادته نقش مصنفه عبدالله شحاتة ما دونه مقاتل بن سليمان فى تفسيره:

(جاء فى تفسير مقاتل بن سليمان أن عبدالله بن سلام وسلام بن قيس وأسيد وأسد ابنى كعب ويامين وهم مؤمنو التوراة، استأذنوا النبى - صلى الله عليه وسلم - فى قراءة التوراة فى الصلاة وفى أمر السبت وأن يصلوا ببعض ما فى التوراة، فقال الله عز وجل خذوا سنة محمد - صلى الله عليه وسلم - وشرائعه فإن قرآن محمد نسخ كل كتاب قبله فقال: ادخلوا فى السلم كافة يعنى فى شرائع الإسلام كلها..)(1).

وأهم ما يلفت الانتباه معلومة انفرد بها مقاتل الذى قلنا عن تفسيره إنه من أقدم التفاسير، عبارة «قراءة التوراة فى الصلاة» ومعلوم أنها الركن الأول من أركان الإسلام فى العبادات «بعد الشهادتين الركنين الأول والثانى» وأنها عمود الدين من أقامها فقد أقامه ومن هدمها فقد هدمه - وهؤلاء - النفر - باستثناء عبدالله بن سلام - اختاروها «= الصلاة» عمدا وعن تصميم بإدخال قراءة التوراة فيها ليفسدوها وليلبسوا على المسلمين دينهم، إذ بعد ذلك يتناولون باقى الأركان مثل الصوم والزكاة والحج بحجة تطبيق أحكام التوراة عليها.

بيد أن «الماء العين/ المبتهل = محمدا» يقظ متنبه لهم فرد كيدهم فى نحورهم وأيدت الآية المجيدة موقفه.

ونلفت الانتباه إلى ما زبرناه وهو أن بعضا من اليهود هو الساعى

---

(1) (تفسير القرآن الكريم) ل عبدالله محمود شحاتة - الجزء الثانى ص ٢١٧ - وفى الهامش - ص ٤٢٧ أضاف أن الخبر ورد فى تفسير الألوسى وفى تفسير المنار.

إلى المَرْج والَخْريقة والتميـيع لاكلهم لأن من بينهم من لا يرقى إليـه اتهام فى دينه أى إسلامه مثل عبدالله بن سلام، حتى لا ينبرى شكس يختلق أخطاء موهومة ويصطنعها وينسبها إلينا دون وازع من ضمير أو كابح من خُلق كما حدث وينعق صائحا أو يصيح ناعقا: الحقوا إنه ينسب إلى مؤمن طيب ومسلم صالح حسن الإسلام جاء بحقه فى «الزبور ـ المجيد = القرآن» أنه من أهل العلم وشهد له «المخصوص ب المجد = محمد» أنه من أهل الجنة ويدعى أنه دخل فى دين الإسلام ليفسده.

نؤوب بعد هذه ال ملحوظة المهمة إلى سياق التنقير:

بعـد اعـتناق هؤلاء النفـر الإسـلام وتقـديم طلبـهم هذا ألفى «المجيب/ المجاب = محمد» نفسه فى موقف واعر الحروجة، فلو زجرهم ونهاهم ل أثّر فيهم ووزّ بعضهم إلى المروق من الإسلام، وهذا أمر له ما بعده فمن ناحية سيخسرهم كمسلمين وأتباع له. كما سيعقب صدى وسيعا ورد فعل عميقا وأثرا غائرا، إذ سوف يتشدق الخصوم الألداء ويتفاصح الأعداء اللجج بأنهم لولا أن وجدوا فيه عوارا لما فارقوه ولولا أنهم ألفوا فيه عيبا لما فاصلوه ولولا أنهم تثبتوا من وهنه لما باينوه ولولا أنهم تأكدوا من تهافته لما مرقوا منه.. إلخ.



ودما حدث فى المرائر السوابق ف إن «الشفاء/ الموعظة = القرآن» من المحال أن يطلع على حيرة «قائد الغر المحجلين» ومعاناته منها دون أن يمد له طوق النجاة فتبزغ كالقمر فى ليلة الرابع عشر الآية ٢٠٨ من سورة البقرة، وما إن ترسل أضواءها الرائعة حتى تهرب الحيرة وتقبل الطمأنينة.

«يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة».

ما المقصود من «السلم»؟ وما معنى هذه اللفظة فى هذا الموضع؟

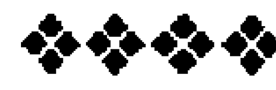
يورد ابن جرير الطبرى آراء عدد من كبار المفسرين من السلف

الصالح الذين ذهبوا إلى أنها تعنى الإسلام منهم:

قتادة والسدى ومجاهد والضحاك ووكيع.

ومسك الختام أن حبر الأمة ابن عباس قال به قبلهم.(١)

وإذ إن الخطاب موجه إلى اليهود الذين اعتنقوا الإسلام فقد أمرهم ب الدخول فى الإسلام كافة أى خذوا ب جميع أحكامه وشرائعه ولا تخلطوها ب غيرها أو تخلطو سواها بها. وبذا قضت الآية العظيمة على الرسم الذى خططه ب ليل بنو إسرائيل ب تزريب نفر منهم إلى الإسلام ليعجنوه بالتوراة فإما أن يفسد حاله وإما أن يتهود.



من خُلُق أولاد الأفاعى التشبث بالعناد واللد فى الخصام وعدم اليأس فى تنفيذ المخطط والاستمرار فى تحقيق الرسم ولا توقفهم العقبات ولا تؤثر فيهم المعوقات ولا يثنيهم عن عزمهم الحيق.(٢)

فقد عاودت ذات الفرقة محاولتها دمج الإسلام ب التوراة حتى إنهم طلبوا أن يؤمنوا ب عزير، فى حين أن «الصحف المكرمة المرفوعة المطهرة = القرآن» أكد أنهم يقولون عن هذا العزير أنه «ابن الله» تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا، حسبما ورد فى الآية الثلاثين من سورة براءة/ التوبة «وقالت اليهود عزير ابن الله».

والذى يبعث على الحيرة ويستنفر الدهش ويدعو إلى الاستغراب: كيف تخيل أولئك أن «المأمون/ المانح» سيوافقهم على الإيمان ب عزير وهو وفق اعتقادهم الزنخ أنه ابن لله فى حين أن الإسلام هو دين التوحيد الخالص الذى لا تشوبه ذرة واحدة ب شهادة حتى من يبغضونه من أعماق قلوبهم.

أخرج الثعلبى والبغوى من طريق الكلبى عن أبى صالح عن ابن

---

(١) (تفسير الطبرى) ـ الجزء الرابع ـ ص ٢٥٢/ مرجع سابق.

(٢) الحيق: ما يصيب الإنسان من مكروه فعله.. الذى يحيط به.

عباس قال: نزلت هذه الآية «يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله» الآية ١٣٦ من سورة النساء في عبدالله بن سلام، وأسد وأسيد ابني كعب وثعلبة بن قيس وسلام ابن أخت عبدالله بن سلام، وسلمة ابن أخيه ويامين بن يامين وهؤلاء مؤمنو أهل الكتاب.

أتوا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وقالوا: يا رسول الله، إنا نؤمن بك وبكتابك، وموسى والتوراة وعزير، ونكفر بما سواه من الكتب والرسل، فقال عليه السلام: بل آمنوا بالله ورسوله محمد وكتابه القرآن، وبكل كتاب كان قبله، فقالوا لا نفعل، فنزلت الآية. فآمنوا كلهم».(١)

وأورده الحافظ في الإصابة وعزاه ابن الأثير في أسد الغابة لابن منده وأبي نعيم من طريق الكلبي.

ملحوظة على رتبة مرتفعة من الخطر: وهي أن الآية الكريمة التي نحّوم حول حفافيها الشريفة هي ١٣٦ من سورة النساء.

بينما الآية السابقة التي تناولناها هي ٢٠٨ من سورة البقرة، ومعلوم أن السورتين مدنيتان، بيد أن المتفق عليه بين جهابذة علوم القرآن أن سورة البقرة هي المجليّة أي أنها هي المتقدمة من صوب التاريخ بل هي أول سورة تلاها «أبو الأرامل = محمد» على تبيعه في أثرب.

فماذا نقصد من هذا التأريخ للآيتين أو السورتين؟

نؤم أن بني إسرائيل لم يكفوا عن تصميمهم على إفساد الإسلام وتهويده ف بعد أن فضحت آية سورة البقرة موقفهم انتظروا مليا ثم استأنفوا سعيهم الحثيث فنزلت آية سورة النساء، الأمر الذي يقطع بأن في أدمغتهم العفنة عشّش قصد إفساد الإسلام وعدن (أقام) هدف تهويده.

---

(١) «أسباب النزول» ل الواحدي. ص١٢٤ مصدر سابق و«نهاية السول»ل أبي عمر نادي الأزهري ص ١٠٨ ـ مرجع سابق.

بيد أنهم فى كل يعودون بالخيبة الثقيلة ويرجعون بالإخفاق الموجع ويؤوبون بالخسران المبين.

وملاحظة أخرى: وهى أن أولئك النفر عندما سمعوا رد «الصفوح عن الزلات» الحاسم عليهم لجأوا للمناورة ف رفضوا «فقالوا لا نفعل» ف لما هلت الآية الحميدة وعرفوا أن الأمر جد لا هزل فيه ولا سوم (مساومة) تراجعوا وخنسوا ربما من أجل أن تسنح لهم فرصة أخرى إذ اليأس لا يعرف طريقه ل أفئدتهم الدرنة.



من التفاسير

١ - «روى أن جماعة من أحبار اليهود جاءوا إلى النبى -صلى الله عليه وسلم- وقالوا: يا رسول الله إنا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سواه من الكتب والرسل، فقال - صلى الله عليه وسلم- بل آمنوا بالله وبرسله وبمحمد وبكتابه القرآن وبكل كتاب كان قبله، فقالوا: لا نفعل: فنزلت هذه الآية فكلهم آمنوا».(١)

٢ - نزلت هذه الآية فى عبدالله بن سلام وأسد وأسيد ابنى كعب وثعلبة بن قيس وسلام ابن أخت عبدالله بن سلام وسلمة ابن أخيه ويامين بن يامين فهؤلاء مؤمنو أهل التوراة نزل فيهم يا أيها الذين آمنوا بموسى والتوراة آمنوا بالله ورسوله محمد و«الكتاب الذى نزل على رسوله...» محمد يعنى القرآن.(٢)

٣ - الزمخشرى فى كشافه نسخ الخبر الذى رقمه الواحدى فى الأسباب بحروفه.(٣)

(١) «مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير» لفخر الدين الرازى - المجلد الخامس ص ٤٨٦ مصدر سابق.

(٢) «تنوير المقبياس من تفسير ابن عباس ل الفيروز آبادى-ص٦٦ مصدر سابق.

(٣) «الكشاف» ل الزمخشرى/ المجلد الأول - ص ٥٧١ - مصدر سابق.

٤ - «روى أن ابن سلام وأصحابه قالوا: يا سرول الله إنا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سواه فنزلت..».[١]

٥ - «قال الكلبى إن عبدالله بن سلام وأسدا وأسيدا ابنى كعب وثعلبة بن قيس وجماعة من مؤمنى أهل الكتاب قالوا يا رسول الله نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سواه من الكتب والرسل فأنزل الله الآية.. فآمنوا بكل ذلك».[٢]

خمسة من القلل العوالى من كتب التفسير (٣)، أوردت الأخبار السوابق.

صحيح أن واحدا أو اثنين نص على أنه أحد أسباب إشراق الآية وليس السبب اليتيم إنما ضمها لبعض يرفع القول إنه السبب الوحيد أو الرئيسى إلى درجة الصحة وينفحه المصداقية ويمنحه رتبة اليقين.

جاءت عبارة «مؤمنى أهل الكتاب» وصفا ل النفر الذين رقمت أساميهم الأخبار السالفة فكيف يتفق هذا مع قولنا إنهم دخلوا الإسلام إما ليخربقوه أو يهودوه.

بداية نحن استثينا عبدالله بن سلام وأوضحنا أسانديا.

أما جملة «مؤمنو أهل الكتاب» فهذه من إنشاء المفسرين أى لا تلحقها القداسة.

وقد رجعت إلى ما تحت يدى من موسوعات تراجم الصحابة لمعرفة شأن بعض أولئك اليهود الذين أسلموا وشكل طلبهم الفطير سبب إشراق الآية فلم أجد لهم مكانة مكينة بين الصحاب بل إن صورتهم مهزوزة وآياتهم غامضة وسحنتهم باهتة مما يؤكد أنهم

«أنوار التنزيل» ل البيضاوى - ص ١١٦ - مصدر سابق.

(٢) «غرائب القرآن ل القمى النيسابورى - المجلد الرابع ص ١٣٥ سابق.

(٣) ولو أننا نعلم أن تنوير المقباس يوجد من يشك فى نسبة ما جاء فيه إلى الحبر ابن عباس بيد أن مصنفه هو الفيروز آبادى صاحب القاموس ومن علماء القرن التاسع الهجرى

دخلوا الإسلام بهدف محدد.

ف على سبيل المثال

(أسد بن كعب القرظى: روى ابن جرير من طريق ابن جريج قال فى قوله تعالى «من أهل الكتاب أمة قائمة» قال هم عبدالله بن سلام وأخوه ثعلبة وسعية وأسد وأسيد بن كعب).[١]

وبداهة أن القول إن هذه الآية التى وردت فى المتن هى فى حق عبدالله بن سلام والآخرين معه منسوب ل ابن جريج رواه عنه مقدم الآباء المفسرين ابن جرير الطبرى أى مجرد رأى ليس له سند من حديث محمدى شريف.

وهذا هو كل ما ترجمه ابن حجر ل أسد أما أسيد فلم يترجم له شيئا.

ابن عبدالبر يتحفنا ب أثر بالغ الثمانة «أسد بن عبيد القرظى نزل هو وثعلبة بن سعية وأسيد بن سعية يوم قريظة ف أسلموا ومنعوا دماءهم وأموالهم».[٢]

ولو أنه أضاف مناقضة ابن اسحق أنهم من بنى قريظة ولا النضير إنما هم من بنى هذيل بيد أن الأهم أنهم «أسلموا فى تلك الليلة التى نزلت فى غدها قريظة على حكم سعد بن معاذ».[٣]

أى أنهم دخلوا الإسلام ليلة صدور حكم سعد بن معاذ فى بنى قريظة وقلنا إن هذا القضاء معروف أمره مسبقا وإن أبا لبابة أفشاه لهم.

إذن هؤلاء اعتنقوا الإسلام لا حبا فيه أو إيمانا به إنما ب قصد النجاة من القتل وسبى النسون والذرية واستصفاء الأموال.

---

(١) (الإصابة) ل ابن حجر العسقلانى الأول/ ص ١١٧ - مصدر سابق.

(٢) (الاستيعاب) - ل ابن عبدالبر - الأول - ص ٢٤٨ - مصدر سابق.

(٣) ذات المصدر والجزء ص ٢٤٩

ومن أجدر منهم ل الكيد للإسلام ومحاولة تهويده وب المثل لم يترجم ابن عبدالبر ل أسيد. زير ابن الأثير الجزرى ما حكاه ابن إسحق عن أولئك النفر وأنهم من بنى هدل «وهو أصح مما جاء فى الاستيعاب أنهم من بنى هذيل ا. هـ» إنما الأهم أنه أكد «أنهم بنو عم بنى قريظة وأنهم أسلموا تلك الليلة التى نزلت فى غدها بنو قريظة على حكم سعد بن معاذ رضى الله عنه فمنعوا دماءهم وأموالهم».(١)

وأيضا لم يترجم ل أسيد. هذه مجرد عينة من الذين أسلموا من بنى إسرائيل آنذاك - وبلا جدال لا تنطبق عليها عبارة «مؤمنو أهل الكتاب» إذ لم يدخلوا الإسلام عن إيمان وعقيدة إنما اتقاء للقتل والعقوبات التبعية التالية له، ومن ثم يغدو الفرض -الذى طرحناه أنهم - نكرر باستثناء عبدالله بن سلام - إنما تظاهروا بالإسلام ليفسدوه ويهودوه- صحيح تؤيده الوقائع وهنا نطرح سؤالا:

هل هؤلاء هم السلف غير الصالح ل عبدالله بن سبأ أو ابن السوداء رأس فرقة السبئية المتوفى نحو ٤٠ هجرية ومن على شاكلته الذين أكملوا المسيرة فى محاولة تشويه الإسلام ولكن - هذه المرة- بإدخال عقائد فاسدة «بتأويلاتهم فى علىّ وأولاده».(٢)

ونؤوب إلى السياق:

جاءت الآية ١٣٦/ البناء ك السيف الصقيل البتار ف أجهزت على المسعى الخبيث الذى خطط له أولئك «باستثناء عبدالله بن سلام» وعضدت «المبلغ المتين» فى رده عليهم ف استراح قلبه وعلم الصحب أنه دائما على حق.

ومن جانب آخر ب كرم بالغ أهدتنا برهانا على حكمة إشراق

(١) (أسد الغابة) ل ابن الأثير الجزرى - الأول - ص ٨٥ مصدر سابق.

(٢) (الفرق بين الفرق) ل البغدادى عند كلامه عن فرقة السبئية - مع ملاحظة أن هناك من البُحاث من يذهب إلى أن عبدالله بن سبأ أو ابن السوداء شخصية أسطورية تفتقر هناك إلى الوجود التاريخى أ - هـ.

«المجيد/ العزيز = القرآن» نجوما وتفاريق وأبعاضا وأبسطها معالجة الوقائع الحياتية ومن ثم تثبت أن الادعاء بالتباعد ومفاصلة المجتمع وأفراده الفاعلين فيه ادعاء فطير.



٧ ـ ظهور «الكتاب العزيز = القرآن» نجوما غاظ أولاد الأفاعى وسعر حريق الحقد فى صدورهم إذ أدركوا الحكمة البالغة فيه، إذ كلما قبت «بدت ك القبة» معضلة أو هوت نازلة أو انفجرت مشكلة بزغت آية كريمة أو أكثر قضت عليها فى مهدها أو حلتها من أسّها أو فككت أوصالها فصارت أثرا بعد عين فآبت السكينة إلى قلب «مُصحح الحسنات» وانشرح صدره الشريف واطمأن الصحاب وعمّهم الحبور وشملهم السرور وبذا تزداد الأمة المسلمة تماسكا وغدا من العسير بل ومن المستحيل خلخلتها، أو النفاذ إلى حناياها أو اختراق وحدتها.

ولعل فى الأمثال التى طرحناها والصور التى قدمناها والنماذج التى نفحنا القارئ بها ما يوثقه، هذا من رجا،

ومن صوب آخر أدرك بنو يعقوب -وهم لا ينقصهم الدهى ولا تعوزهم الخباثة ولا يفتقرون إلى المكر أن إشراق «الهدى والرحمة = القرآن» تفاريق وسطوعه أبعاضا(١) أفسد عليهم خطتهم وخربق رسمهم ودهده.(٢) تدبيرهم وأجهز على محاولاتهم فى خريشة.(٣)

«الهدى البشرى = القرآن» أو تهويده أو إعطاب «من العطب» عمود

(١) بعض مقابل كل، وبعض الشيء: طائفة منه ـ من «المعجم الكبير» الجزء الثانى ـ الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢م مجمع اللغة العربية ـ الناشر: ال هيئة المصرية العامة ل الكتاب.

(٢) فى (المعجم الوجيز) دهده الحجر: دحرجه.

(٣) خريش الشيء: أفسده من «المعجم الوسيط»

الدين نعنى الصلاة ب تلاوة التوراة فى ركعاتها واتخاذ هذا تكأة أو محطة أولى نقطة انطلاق ل الوثوب ل باقى الأركان ل إماعتها وإضاعة مقوماتها وتشويه أيأتها «هيأتها» وتغيير سحنتها وتبديل قسماتها.

ومن شق ثالث فطنوا إلى أن هل «البلاغ/ الإيمان = القرآن» نجوما نفحه سموا على إسطارهم المقدس وامتيازا على كتابهم ومقاما محمودا بزّ توراتهم.[1] مكانتها وهم يعتبرونها الأصل ويعدونها الجرثومة.[2]

وينظرون إليها ب اعتبارها إمام الكتب التى جاء بها البطاركة جميعهم فيما بعد. ومن ثم ولجوا محجّة مغايرة وسلكوا طريقا مباينا وساروا فى درب مفاصل:

(أخرج ابن جرير عن محمد بن كعب القرظى قال: جاء ناس من اليهود إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقالوا: إن موسى جاءنا بالألواح من عند الله، فاتنا بالألواح حتى نصدقك، فأنزل الله «يسألك أهل الكتاب» إلى قوله «بهتانا عظيما» فجثا رجل من اليهود، فقال: ما أنزل الله عليك ولا على موسى ولا عيسى ولا على أحد شيئا، فأنزل الله «وما قدروا الله حق قدره، إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شىء» «قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس، تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا، وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم، قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون»).[3]

اليهود أظهروا خبيئتهم وكشفوا عن طويتهم وأعلنوا سرارهم فهم

---

(١) بزّ أى غلب وسلب وفى المثل «من عزيّز» - من «المعجم الكبير» الثانى/ حرف الباء/ سابق.

(٢) الجرثومة = الأصل وفى «أساس البلاغة» ل الزمخشرى - فلان من جرثومة العرب.

(٣) (لباب النقول) ل السيوطى - ص ٦٦، ٦٧ - مصدر سابق.

يريدون ألواحـا ك تلك التى نزل بهـا أخـوهـم مـوسى من على جـبل سينين ب الجانب الغربى حصرا وتحديدا.

وأنهى إليهم أن ربه وربهم تفضل مشكورا ونقشها تواضعا ب أصابعه القدسانية كأنما لا يوجد لديه من يكلفه ب أداء هذه المهمة أو أنه لا يستطيع أن يقول لها: كونى مكتوبة وجاهزة على سنجة عشرة.(١)

تعالى الله عما قالوا علوا كبيرا - والحق أنه لا توجد بين الديانات السامية الإبراهيمية الثلاث واحدة وحدت الله جل جلاله ونزهته تقدست أسماؤه مثل الإسلام.

فإذا جاء ب الألواح مثلما فعل أخوهم «موسى» آمنوا وصدقوا به.

ولا مشاحة أنها طِلْبة فى قِلّة السَفْسَفة وفى قمة السخافة وفى غاية الركْركة.

ولكنها توضح أن إخوان القردة والخنازير أسقط فى يدهم وبلغوا نهاية الحبوط ووصلوا إلى آخر الشوط فى اليأس وارتقوا ذروة القنوط ووصلوا إلى عين اليقين أنه لا فائدة فى استمالة «عصمة الله تعالى» إلى جانبهم وضمه إلى صف بطاركتهم وأن المحجة قطعت أمامهم فلا أمل فى توهين الكتاب العظيم الذى يتلو على صحابته سوره المجيدة وآياته الكريمة فسولت لهم أنفسهم المريضة وخيالهم المئوف وفكرهم الآسن أن يتحدوا «اللسان/ اللبيب = محمدا» ويحرجوه أمام تباعه ب أن يطالبوه بألواح من عند الله مثل ما فعل أخوهم موسى، وحتى لا يستغرب أحد من المتحذلقين إطلاق هذا اللفظ على موسى، نذكره ب الآيات الحميدة الآتية:

أ - (وإلى عاد أخاهم هودا).(٢)

---

(١) فى (المعجم الوسيط) سنجة الميزان ما يوزن به كالرطل والأوقية والجمع سنج ا. هـ. و«على سنجة عشرة» تعبير يجرى على ألسنة العامة فى مصر وهو يعنى أن الأمر فى غاية الإحكام ورأينا لا بأس من استعارته أ. هـ.

(٢) سورة الأعراف/ ٦٥.

ب - (ولقد أرسلنا إلى ثمو أخاهم صالحا). [1]

ج - (وإلى مدين أخاهم شعيبا)[2]

ولعل فيها غُنية لأننا تعودنا من أحبابنا - غفر الله لى ولهم - لعجزهم عن الرد الموضوعى الرصين/ الموثق - أن يتوقفوا عند هذه الرفائع فيصيح أحدهم بأعلى صوته: إنه يقول عن موسى وهو من أولى العزم أخا اليهود وهو ما لم يسبقه إليه أحد فترد عليه ب أننا سرنا فى هذه الخصوصية على نهج «الفرقان»:

ف مادام هود أخا عاد وصالح أخا ثمود وشعيب أخا مدين.... إلخ ف أى بأس إذا أطلقنا على موسى أخا اليهود؟

ثم نؤوب إلى سياقة التنقيب:

وهنا - وبعد هذه المحادّة الخائبة تطلع ك الشمس فى رابعة النهار الآية ١٥٣ من سورة النساء (يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة.. إلى آخر الآية).

كما تعنت أسلافهم مع موسى وطلبوا منه رؤية البارى، جهرة ف إن خلفاءهم هؤلاء مثلهم فى اللجاجة واللدد يريدون ألواحا أو كتابا ينزل من السماء.

نفس الموقف الذى يتسم ب النطاعة[3]

ويأتزر ب المماحكة ويتدثر ب العوج.

وما إن صكت الآية الحكيمة أذانهم وصتت أسماعهم وذكرتهم بماضيهم الذى يتسم بالالتواء حتى خنسوا وتراجعوا إلا واحدا منهم فقد رشده وأفلتت منه أعصابه فأنكر على جميع «الكمل» ما طلعوا

(١) سورة العنكبوت/ ٣٦.

(٢) سورة هود/ ٨٤.

(٣) فى (المعجم الوسيط) تنطع فى الشىء: غالى وتكلف فيه.

به من كتب على أتباعهم وهنا ارتدفت الآية المصلية تفند هذا الزعم الفسيد ووصفته أنه مجرد لعب وطلبت منه «قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون».

هذا أكمل توصيف ل ذياك اللجاج أو العبث.



اتباعا ل المنهج الذى اتبعناه نلتفت ناحية:

القمم الشوامخ من التفاسير:

١ ـ تفسير مقاتل بن سليمان

(«يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء» نزلت فى اليهود وذلك أن كعب بن الأشرف وفنحاص اليهودى قالا للنبى -صلى الله عليه وسلم- إن كنت صادقا بأنك رسول الله فائتنا بكتاب غير هذا، مكتوب فى السماء جملة واحدة كما جاء به موسى).[(١)]

يعود كعب بن الأشرف وفنحاص اليهوديان إلى الشكاسة ويرجعان إلى المعاسرة ويؤوبان إلى المخالفة ف يعلقان صدق «قائد الخير» على إتيان كتاب غير «الصحف المرفوعة المطهرة = القرآن» وبشرط كتابته فى السماء جملة واحدة.

وضربوا له مثلا ب أخيهما موسى وهنا نشم ريح كراهية التنجيم وبغضهم إياه وعدواتهم له.

٢ ـ الكشاف:

(روى أن كعب بن الأشرف وفنحاص بن عازوراء وغيرهما قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن كنت نبيا صادقا فآتنا بكتاب من السماء جملة كما أتى به موسى فنزلت).[(٢)]

---

(١) (تفسير مقاتل بن سليمان) الجزء الأول ـ ص ٢٧٩ ـ مصدر سابق.

(٢) (الكشاف) ل الزمخشرى ـ المجلد الأول ـ ص ٥٧٦/ مصدر سابق

أيد الزمخشرى خبر مجىء كعب بن الأشرف وفنحاص ولو أنه نسب الأخير بأنه ابن عازوراء وأضاف إليهما آخرين.

٣ـ تفسير الطبرى

(... عن كعب بن محمد القرظى قال: جاء أناس من اليهود إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقالوا: إن موسى جاء بالألواح من عند الله فآتنا بالألواح من عند الله حتى نصدقك، فأنزل الله تعالى: يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء).[١]

عمدة آباء علم التفسير وذروة سنامهم أبو جعفر بن جرير لم يهتم بأسامى الذين وفدوا على «الصين/ الصفوح = محمد» إنما نفحنا معلومة قيمة هى أنهم طلبوا ألواحا لأن أخاهم موسى جاء بها من عند الله مما يشى ب أن هؤلاء يتمسكون بحروف النصوص لا معانيها أو قيمها أو أهدافها.

٤ـ تفسير البيضاوى

(.... نزلت فى أحبار اليهود قالوا: إن كنت صادقا فائتنا بكتاب من السماء جملة كما أتى به موسى ـ س ـ وقيل كتابا محررا بخط سماوى على ألواح كما كانت التوراة).[٢]

زبر القاضى البيضاوى الرواية الأخرى التى لخصت الطلب العنيد بأنه:

ـ كتاب محرر ب خط سماوى.

ـ على ألواح.

ـ مماثل ل التوراة.

ولا ندرى كيف يستطيع إخوان القردة والخنازير التفرقة بين الخط السماوى الذى يتوجب أن ينسخ به الكتاب والخط الأرضى المتداول

---

(١)(تفسير الطبرى) ـ التاسع ـ ص٣٥٩ ـ مصدر سابق.

٢) (تفسير البيضاوى) ـ ص ١٢٤ ـ مصدر سابق.

آنذاك وب أى لغة تتم كتابته هل هى العبرية أم العربية أم هى المصرية القديمة «الهيروغليفية» التى يرى البعض أن اللوحين كتبا بها لأن موسى لم يتكلم ويقرأ إلا بها ومعرفته ب العبرية مهزولة وهذا فى نظرهم تفسير الحبسة التى أصابت لسانه والتى أشار إليها «البصائر/ القيم = القرآن»: «واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى».[١]

أى علمنى اللسان العبرانى كيما يفهموا ما أقول.

ولماذا جمع الأحبار الألواح مع أنهما لوحان فقط كما تنص عليه توراتهم هو من قبيل التهويش[٢] الذى اشتهر به اليهود منذ قديم.

وهل حتى ذياك الوقت يحتفظون بهما كى يجروا مضاهاة بينهما وبين الكتاب الذى طلبوه ليعرفوا أنه من السماء؟ فإذا أجابوا نعم، قلنا لهم كذبتم لأن موسى عندما نزل من الجبل ووجد أسلافهم يعبدون العجل «ف حمى غضب موسى وطرح اللوحين من يديه وكسرهما فى أسفل الجبل».[٣]

وطبعا ذلك حسب إسطيرهم المقدس وحتى إذا عنوا اللوحين البديلين فكيف يمكن الاحتفاظ بهما عبر القرون المتطاولة؟

أما (الكتاب المبين = القرآن) فقد نص على الإلقاء فحسب دون التكسير «وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه».[٤]

بل إنه نفاها: (ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح).[٥]

---

(١) الآيتان ٢٧ - ٢٨ - من سورة طه.

(٢) كلمة فصيحة/ هوشتهم إذا ألقيت بينهم الفتنة والاختلاف ومنه قيل هذا يهوش القواعد أى يخلطها ا. هـ . من «المصباح المنير» ل المقرى الفيومى.

(٣) خروج . ٣٢ - ١٩.

(٤) (الأعراف) الآية ١٥٠.

(٥) (الأعراف) الآية ١٥٤.

وب مفهوم الموافقة أنها سليمة إذ لا يعقل أن أخا اليهود يلملم فتيتها!!! ولماذا اشترط اليهود أن يجيء الكتاب الذى طلبوه منسوخا على ألواح؟ أن يهوه رقم اللوحين بأصابعه المقدسة لأنه قابل أخاهم موسى على جبل فليس أمامه سوى الأحجار أما لو التقاه فى وسط الدلتا ب مصر ف من الضرورى أن ينسخهما على أوراق البردى لأن الطبيعة فى تلك الحقب المدهشة تتحكم فى أدوات الكتابة.

كيف غابت هذه الحقيقة على أحبار اليهود «العلماء»؟

لو أنهم يتملكون ذرة من العلم أو لديهم مسكة (بقية) من التفكير أو ندفة[١] من التدبر ل طلبوا أن ينزل الكتاب مزبورا على الأدوات التى تعارف الناس على الكتابة عليها آنذاك.

أما شرط المماثلة ل إسطيرهم المقدس ف هذا إمعان فى الجهل وإفراط فى سوء الفهم وغلو فى ضيق الأفق ومبالغة فى قلة الإدراك.

لماذا؟

لمضى زمن سحيق (شديد البعد) بين نزول موسى من الجانب الغربى من جبل سيناء متأبطا اللوحين المقدسين وبين تقدمهم ل «الحبيب/ المصطفى» بهذا الطلب يجعل المماثلة ضربا من العبث، والمشاكلة نوعا من الهذر، والمشابهة نحوا (قصدا) إلى السخف لتغير جميع المفاهيم والقيم والأنساق والأعراف والتقاليد والأفكار.. إلخ.

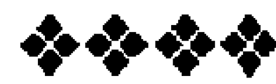
إنما يبدو أن رجال الدين فى كل الملل والنحل والعقائد والمذاهب فى سائر بقاع الأرض وفى التاريخ القديم والوسيط الحديث لا يعترفون ب مضى المدة وكرور الليل والنهار ودوران الأرض حول الشمس الذى لم يتوقف منذ بدء الخلق وما يحتمه ذلك من تبديل فى جميع الصُعد، ويعتقدون أن النصوص التى بأيديهم المبروكة صالحة ل كل زمان ومكان ولا ينصلح حال الخلف إلا ب ما طبقه السلف.

---

(١) الندفة: القليل من الشىء من «المعجم الوجيز».

(قال محمد بن كعب القرظى والسدى وابن قتادة: سأل اليهود رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن ينزل عليهم كتابا من السماء كما نزلت التوراة على موسى مكتوبة).[1]

لم يأت ابن كثير على ما يسره صاحب خلاصة تفسيره ب جديد يستحق التحليل إنما أثبتناه ل زيادة وثاقة الخبر الذى هو على درجة من الأهمية.



من التفاسير الحديثة/ المعاصرة اخترنا:

٥ - التفسير الوسيط:

(قال محمد بن كعب القرظى والسدى وقتادة: سأل اليهود رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن ينزل عليهم كتابا من السماء كما نزلت التوراة على موسى مكتوبة فنزلت الآية).[2]

أكد هذ التفسير الخبر الذى يضم بين جناحيه السبب فى هَلّ الآية المحكمة. أهميته أنه صادر من مجمع البحوث الإسلامية من الهيئات التوابع ل المعهد العتيق - مد الله فى عمره - المشهور ب الأزهر وهو الضلع الرئيس والأقدم فى مؤسسة شئون التقدسم فى مصر.

ومن الصعب أو المستحيل أن يحمل «= ال تفسير» خبرا شاذا أو منكرا أو موضوعا أو متروكا.[3] أو معتلا بأى علة قادحة.

إذن من بين صفحات هذه التفاسير الشوامخ الخمسة من التراث والسادس الذى أصدره حراس العقيدة وحلاس الديانة فى مصر غدا

---

(١) (التيسير خلاصة تفسير ابن كثير) ص ٢٤٢ - سابق.

(٢) (التفسير الوسيط للقرآن الكريم) لجنة من العلماء - مجمع البحوث الإسلامية الأول - ص ٩٥٨ - مرجع سابق.

(٣) لتعرف الفروق بينها فضلا ارجع إلى كتاب «نخبة الفكر فى مصطلح أهل الأثر» ل ابن حجر العسقلانى ٧٧٣/ ٨٥٢ هـ تحقيق محمود حمودة - الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ/ ٢٠٠١م - مكتبة الآداب ب مصر.

سبب إشراق الآية من سورة النساء راسخ الأساس، متين البنيان، مكين الشرفات وبزوغها ك القمر المنير الذى تبدد أضواؤه المتلألئة حجب الظلام الكثيفة المتراكمة.

وما إن سمعها أولاد يعقوب حتى هبط إلى ذاكرتهم الجمعية تاريخهم المخزى مع البطاركة الكبار بديًا ب موسى حتى عبدالله ومملوكه وابن أمته ومملوكته عيسى ابن مريم فغرقوا فى بحور خجلهم وانصرفوا مدحورين تعلوهم الذلة ويشملهم الصغار وتحوطهم الوكسة، وحققت الآية المحكمة نصرا ل (المزكى/ المرتضى) وبالتالى عزة ل أتباعه المخلصين وجنوده الأوفياء وهى (= الآية العظيمة) بذاتها ومن داخلها أكدت حكمة التنجيم وتفوقه، ووثقت ارتباطها الحميم ب (القاسم/ القانت) وأصحابه، وأهابت برافعى شعار

الفصل الثانى
آيات الحجاج مع النصارى

الانفصال والتغريب والابتعاد أن يكفوا ويذعنوا ل الحق.

عمل اليهود مع «المختص ب القرآن = محمد» ما لا يعمل، حسب التعبير الجارى على ألسنة الناس حامة وعامة.

تآمروا عليه وغدروا به ونقضوا عهودهم معه وشرعوا فى اغتياله شخصيا وهو فى عقر دارهم ضاربين بكل التقاليد عرض الحائط وحرّشوا على حربه وحضّوا على قتاله وسعوا ب كل قوة ل تخريب القبائل الكبيرة ذات الوزن الثقيل التى تملك العدد والعدة بقصد القضاء على دعوته ودولته.

وفى زناق الحصار وشدة الكرب وعنفوان المحنة عقدوا الخناصر على الإجهاز عليه وعلى إتيانه من حيث لم يحتسب اطمئنانا للعقد وارتكانا ل العهد واستنادا للشرط الذى يربطه معهم، ورفضوا محاولات التقرب أو الاستئلاف التى بدأ بها «الشكار الكريم» ومقابلتها ب كل صلف وخنزوانة، وبذلوا أقصى ما فى الطاقة والوسع ل تذكير فرعى بنى قيلة -عنى الأوس والخزرج- ب العداء القديم وبعث الثارات البايتة ونبش الأحقاد الدفينة ل يؤوبوا ك سابق العهد أعداء يتقاتلون بعد أن غدوا إخوة يربطهم الحب وتضمهم الألفة ويشملهم الود، وناصروا المنافقين - فى أثرب - الذين وصفناهم ب المعارضين السياسيين وعملوا على شد أزرهم والأخذ ب حُجُزاتهم وتقويتهم على المضى فى طريقهم الوبىء.

ب الإضافة وك عمل رديف وفعل مُصَل وممارسة ملحقة:

تعرضوا للنسون المسلمات ب تحرشات قبيحة مثل كشف العورة الغليظة ل مسلمة غب انصرافها من محل صائغ «يهودى» فى سوق بنى قينقاع.

وتشبيب الداعر الخليع العاهر كعب بن الأشرف بهن وعلى رأسهن الفاضلة العفيفة أم الفضل بعل العباس بن عبدالمطلب.

هذا غيض من فيض من الملف الأسود ل بنى إسرائيل.

الأمور - المرقومة ب عاليه - تلتبك ب الجانب السياسى فحسب.

أما فى الرجا العقائدى فإنهم - مثل المسلمين - موحدون ولا يعتقد أى يهودى أن يَهْوه إله واحد فى ثلاثة أقانيم، ومن الصعب أو العسير أو -إذا شئت قلت وأنت مطمئن القلب- من المستحيل أن التوراة تحتوى على فكرة التثليث أو أن يهوه يتبعض إلى ثلاثة أجزاء أو أن وحدانيته قابلة للتقسيم.

ول ذلك جماعه نص «الهدى/ العزيز = القرآن» على: «لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا».[1]

معيار سياسى بحت مقطوع الصلة بالعقيدة ومفصوم الآصرة ب الملة ومبتور الوشيجة ب الديانة.

والبرهان عليه أنه قرن بين أولاد الأفاعى والمشركين الذين حاربوا الإسلام ب شراسة وقاوموه ب قوة وقاتلوه ب عناد حفاظا على دين الآباء ورفضا باتا ل ذوبان القبيلة فى بحر الدولة الخضم ومحيطها الواسع ومياهها العميقة.

اليهود والمشركون العنصران اللذان ربطتهما ببعض الآية الكريمة يشتركان فى سمة واحدة هى العداء السياسى البحت مع أن الأولين موحدون والآخرين مشركون.

لا تهم العقيدة ولا وزن ل الديانة ولا اعتبار ل المللة.

المهم الحركة السياسية التى تحدد الاتجاه وترسم خط السير وتعّين معالم الطريق.



وفى المقابل أو على الضفة الأخرى من النهر:

(ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى).[2] مع أن النصارى يؤلهون عبدالله ومملوكه وابن أمته ومملوكته عيسى ابن

---

(١) سورة المائدة/ ٨٢.

(٢) سورة المائدة/ ٨٢

مريم ويعبدونه من دون الله «لقد كفر الذين قالوا إنه الله هو المسيح ابن مريم».(١)

ويؤمنون بعقيدة التثليث ب أن أشركوا مع الله الواحد الأحد اثنين آخرين تعالى عما يقولون علوا كبيرا «لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة».(٢)

ولكنهم من رجا آخر: لم يحاربوا «البدر/ البر» ولم يتآمروا عليه ولم يؤلبوا أحدا ضده ولم يحرشوا قبيلة عليه أو يتحالفوا معها ولم يقتربوا من بنى قبيلة كيما يوقظوا العداوات الكامنة بينهم ولم تصلهم ب المعارضين السياسيين -نعنى المنافقين- أى علاقة ولم يتعرضوا لنساء المسلمين بأى طريق ف لاهم تحرشوا بهن جنسيا ولا تغزلوا فيهن.

من أهم الأسباب:

أ ـ بُعد مقر الدين والدولة الإسلاميين أى قرية الحرتين عن موطن النصارى فى نجران مئات الأميال.

ب ـ التعاليم التى حملها إنجيلهم أو أناجيلهم المنسوبة إلى عبدالله ومملوكه وابن أمته ومملوكته عيسى ابن مريم تحض على المسالمة وتؤز على الألفة وتدفع إلى المهادنة.

(طوبى ل صانعى السلام.. من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر.. وأما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم.. باركوا لاعنيكم.. أحسنوا إلى مبغضيكم».(٣)

فعندما فرضت عليهم الجزية لم يعارضوا ربما لمع فى ذهنهم ما جاء فى ذات الإصحاح (ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضا).

---

(١) سورة المائدة الآية ١٧ ثم الآية ٧٢ من نفس السورة.

(٢) سورة المائدة الآية ٧٣.

(٣) (إنجيل متى) الإصحاح الخامس

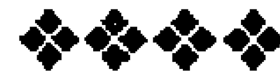
إذن لم يحدث خلاف سياسى بين النصارى والمسلمين ومن ثم فازوا ب لقب «الأقرب مودة».

وإذ إن القرآن العظيم امتاز بالدقة البالغة فى اختيار كلماته ووضعها فى أماكنها الصحيحة فإننا نلفى الآية المحكمة الحكيمة تنص على «أقربهم مودة للذين آمنوا» أى أن النصارى أقرب إلى المؤمنين/ المسلمين.

لم تقل إن ديانة النصارى أقرب إلى ديانة المسلمين أو العكس.

إنما جماعة أو أمة أقرب إلى جماعة أو أمة أخرى. ولا محل للعقيدة فى هذا المقام. ولا مكان للديانة فى هذا الموضع. ولا مجال للملة فى هذا الشأن.. وما دامت أمة مقابل أخرى ف النطاق أو المضمار اختر ما تشاء مقصور على الشئون الدنيوية. ومن البديهى أن تجىء على قُلتها الأمور السياسية.

إذن القرب الذى أمته «قصدته» الآية المجيدة دنيوى لا عقدى.



إنما لوجود شق غائر لا حيلة فى لأمه، وصدع وسيع لا طريق ل رأبه، وهوة عميقة لا سبيل إلى اجتيازها بين التوحيد والتثليث، فقد هدرت شلالات من الحجاجات المستعرة وانفجرت براكين من المساجلات الملتهبة وانبجست عيون حامية من الحوارات الساخنة بين «الفجر/ الفخم = محمد» وبين رجال الدين النصارى.

جاء القرآن حاسما ك الفرند ذى الشفرة الحادة القاطعة أن المسيح هو عبدالله ومملوك من مماليكه «لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله».(١)

و«إن مثل عيسى كمثل آدم خلقه من تراب».(٢)

---

(١) سورة النساء/ ١٧٢.

(٢) سورة البقرة/ ٥٩.

وإنه واحد من البطاركة الكُمل الأماثل الذين سبقوه تاريخا ورتبة ومقاما (وما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل).(١)

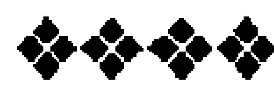
هذه الحقائق عفرتت القسس وجننت الرهبان وأفقدت رجال الدين النصرانى صوابهم، إذ كيف يتحول الإله أو ابن الإله أو الضلع الثالث فى مثلث الألوهية إلى مجرد رسول بل إلى عبد لله ومملوك له خلقه من تراب مثل آدم وذريته من بعده؟

كيف؟

إنهم لم يفكروا أو حتى لم يتخيلوا أو يدر ب خَلَدهم أن هناك من يجرؤ على التفوه بها. من ينزل المسيح من عرش الألوهية إلى رسول ك غيره، لا بل عبد مملوك من التراب خلق، ويوم القيامة يقف بين يدى رب العزة فيحاسبه ويسأله: (أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله) (٢).

فيسارع عبدالله ومملوكه ورسوله إلى النفى القاطع «قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق».(٣)

من هذا المنطلق بدأت الحوارات وفى فلكه دارت وفى مرجه رتعت وفى مضماره جرت.



نظرا لأن الخلاف عقدى، فقد تربع على مساحة مفرسخة وشغل حيزا وسيعا واحتل مكانا فضفاضا من الكتاب الحكيم.

ففى قصة وفد نجران أنه بعد الآيتين الأولى والثانية من سورة آل عمران الزهراء (يذكر المفسرون أنه قد نزل أكثر من ثمانين آية من أول السورة فى وفد نجران وهو وفد من النصارى أتى إليه فى أمر

---

(١) سورة النساء/ ٧٥.

(٢) سورة المائدة/ ١١٦

(٣) نفس الآية والسورة.

عيسى ـ س ـ وقد دارت بين الوفد ورسوله -صلى الله عليه وسلم- مناقشات شديدة ولكنها لم تسفر عن نتيجة فطلبهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم- إلى المباهلة، فتشاوروا فيما بينهم ثم امتنعوا).[1]

سورة واحدة قدمت أكثر من ثمانين آية كريمة.

ب الإضافة لسور أخرى قدمت آيات حميدة كثيرة فى هذه الدائرة منها : الزهراء الأولى نعنى البقرة وسورة النساء وسورة المائدة واسمها يشير إلى المائدة التى طلب عبدالله ومملوكه وابن أمته ومملوكته عيسى ابن مريم من ربه أن ينزلها من السماء ب مثابة علامة على صدق ما يدعو إليه، فاستجاب له (قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين)[2] و(تسمى عند النصارى «مائدة الرب» أو «عشاء الرب» أو «العشاء الربانى» وهو «الاجتماع ل كسر الخبز فى أول كل أسبوع وهو مقدمة وتمهيد لكل اجتماع طيلة أيام الأسبوع حيث يجتمع المؤمنون ك أعضاء الجسد الواحد حول الرأس الواحد).[3]

ونبادر ف نذكر ب ما جاء ب الآية «المائدة/ ١١٥»: (لتكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا) والعيد أساسا فى معاجم اللغة «كل يوم يحتفل فيه بذكرى حبيبة أو كريمة».[4]

---

(١) (تفسير سورة آل عمران) للشيخ عبدالحليم محمود ص ٢٧ ـ الطبعة الأولى ١٩٧٨م ـ الدار المصرية للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة ـ والمصنف تربع على دست المعهد العتيق المشهور إعلاميا ب الأزهر.

(٢) سورة المائدة/ الآية ١١٥.

(٣) (القاموس الموجز ل الكتاب المقدس) ـ ص ٤٥٨ ـ طبعة ثانية ١٩٩٢ ـ الناشر: مكتبة كنيسة الإخوة ـ شبرا – مصر.

(٤) (المعجم الوجيز).

إذن المشاكلة بين النصين قائمة والمماثلة متعينة والمشابهة متحققة.

ثم عود إلى السياق:

وثمة سورة كاملة من ثمان وتسعين آية تحمل اسم «مريم» فيها قص ل حكاية عبدالله ومملوكهً وابن أمته ومملوكته عيسى ابن مريم منذ حمله بطريقة معجبة وولادته أو ولادتها العذراوية إياه ثم خارقة كلامه فى المهد حتى موته ثم بعثه حيا وأخيرا اختلاف الأحزاب بشأنه.

والنفى الجازم لاتخاذ الله ولدا وهى الفرية العظمى التى نسبها جميع فرق النصارى ـ ما عدا القليل الذى لا يؤبه له ـ إلى الله سبحانه وتعالى عما يدعون علوا كبيرا.

ولسنا ب البداهة ب صدد عمل إحصائية عما جاء ب «الحكمة البالغة/ القرآن» ب شأن المساجلات أو المحاجات مع النصارى أو حول عقيدتهم فى تأليه عبدالله ومملوكه وابن أمته ومملوكته عيسى ابن مريم أو جعله شريكا ل الله أو ابنا له تنزه جل جلاله عنهما. أو عن عقيدة التثليث ف هذا أمر يطول وينِد عن صلب الكتاب، إنما المطلوب تقديم مثل أو اثنين أو ثلاثة.

لماذا؟

لأن حجاج النصارى مع «الشاهد/ الشديد = محمد» جزء من وقائع حقبة التدشين المدهشة وضفيرة فى نسيج ثوبها المعجب وقطاع من تاريخها الرائع أولاه «أحسن القصص/ القرآن» قدرا من عنايته وسجله ببيانه البديع ودونه ببلاغته المعجزة ونسخه فى سطوره المبينة.

ونحن إذ نرصد عن كثب العلاقة الجدلية الحميمة التى تصل «الفرقان/ البشرى = القرآن» ب المجتمع الذى انبثق فى حناياه من جميع مناحيه وشتى أقطاره وجمعية جوانبه، يصير من الحتم اللازم تناول هذه المفردة الفاذة، خاصة أنها تتناول الديانة المصلية (التالية)

فى سلسلة الديانات الإبراهيمية السامية وتماس ديانة المسلمين بها من خلال الجدال الثر والحوار الغنى والحجاج البالغ الثمانة الذى دار بين «سيد ولد آدم» وبين جهابذة عقيدة النصارى وحملة علمها.

١ ـ أخرج ابن إسحق وابن جرير والبيهقى عن محمد بن أبى محمد سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال:

قال أبو رافع القرظى حين اجتمعت الأحبار من اليهود والنصارى من أهل نجران عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ودعاهم إلى الإسلام: أتريد يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى ابن مريم؟ فقال رجل من أهل نجران نصرانى يقال له الرئيس: أوذاك تريد منا يا محمد، وإليه تدعونا؟ أو كما قال. فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم: معاذ الله أن نعبد غير الله، أو أن نأمر بعبادة غيره، وما بذلك بعثنى، ولا بذلك أمرنى. أو كما قال -صلى الله عليه وسلم- فأنزل الله عز وجل فى ذلك من قولهما: «ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة» إلى قوله: «بعد إذ أنتم مسلمون».(١)

وصف المؤلف إسناده ب أنه حسن وأضاف أن ابن كثير أورده فى تفسيره وكذا فعل الطبرى، أما البيهقى فقد أخرجه فى الدلائل.

٢ ـ («قوله ما كان لبشر أن يؤتيه الله» الآية، قال الضحاك ومقاتل: نزلت فى نصارى نجران حين عبدوا عيسى، وقوله لبشر يعنى عيسى، يؤتيه الله الكتاب: يعنى الإنجيل وقال ابن عباس فى رواية الكلبى وعطاء إن أبا رافع اليهودى والرئيس من نصارى نجران قالا: يا محمد أتريد أن نعبدك ونتخذك ربا؟ فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- معاذ الله أن نعبد غير الله أو أن نأمر بعبادة غير الله، ما بذلك بعثنى ولا بذلك أمرنى، فأنزل الله تعالى الآية).(٢)

٣ ـ (أخرج ابن إسحق والبيهقى عن ابن عباس قال: قال أبو رافع

---

(١) (المقبول) ل الشيخ أبى عمر نادى الأزهرى ص ١٦٠ - ١٦١ مصدر سابق.

(٢) (أسباب النزول) ل الواحدى النيسابورى ـ ص ٧٤ ـ مصدر سابق.

القرظى حين اجتمعت الأحبار من اليهود والنصارى من أهل نجران عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ودعاهم إلى الإسلام: أتريد يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى؟ قال: معاذ الله. فأنزل الله فى ذلك «ما كان لبشر» إلى قوله «بعد إذ أنتم مسلمون»).[1]



بدأنا ب كتب «الأسباب» أولهما معاصر والآخران من التراث.

أبو رافع الذى ورد اسمه فى الخبرين الأول والثالث يهودى لأن لقبه «القرظى» يشى أنه من بنى قريظة.

فى الثانى أن الرئيس من نصارى نجران انضم إليه فى القالة الخبيثة التى طرحت فى وجود أحبار الديانتين مما يبرهن على موافقتهم عليها.

وصفناها بالخبيث لأنه ليس ثمة فى (الهدى/ الفرقان = القرآن) آية واحدة ولا صدر من (فئة المسلمين = محمد) حديث فرد يشير - ولو من على بعد ألف ميل- إلى أنه دعا إلى عبادته، بل العكس هو الصحيح فقد حمل إلى الناس دعوة التوحيد الخالص الذى لا تشوبه شائبة ولا يحض على عبادة أحد خلا الله تقدست آلاؤه.

وفى الخبر أنه أكده فإنه لم يأمر أحدا ب عبادة غير الله ولا ربه أمر به.

إـ ‌ا (قال بعض العلماء = أرادت الأحبار أن تلزم هذا القول محمدا -صلى الله عليه وسلم- لما تلا عليهم «قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله»، وإنما معنى الآية فاتبعونى فيما أدعوكم إليه من طاعة الله فحرفوها بتأولهم وهذا من نوع ليّهم الكتاب بألسنتهم).[2]

ونضيف إلى رد الغرناطى الآتى:

أولئك الأخبار خليط من النصارى واليهود والأخيرون خصهم

---

(١) (لباب النقول) ل السيوطى - ص ٤٠ - مصدر سابق.

(٢) (المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز) ل الغرناطى أبى محمد بن عطية - الجزء الثانى - ص ٤٨٣ - مصدر سابق.

«مأدبة الله/ القرآن» ب لقب علماء، والطائفتان من المستحيل عقلا أن تجهلا الفرق بين الاتباع والعبادة ف الآية ذكرت «فاتبعونى» لا على اعبدونى.

نرقم هذا التعقيب ل نثبت الخباثة التى نعتنا بها قالتهم.

ومن اليسير أن نعتبر أن هذا الخبر بداية المحاجات.

بعد ذلك ننبش فى:

كتب التفسير:

١- تفسير الطبرى:

أورد شيخ المفسرين الخبر ذاته مرويا عن ابن عباس نقله عن عكرمة أو سعيد بن جبير ونسب المقولة إلى أبى رافع القرظى وتأييد الرئيس النصرانى له فيها ثم رد «رفيع الرتب والدرجات» عليهما وأن هذا سبب إشراق الآية.(١)

ذكر المحقق محمود محمد شاكر فى هامش الصفحة أن أبا رافع القرظى، هو سلام بن أبى الحقيق اليهودى ونحن توصلنا إلى يهوديته من لقبه «القرظى».

ومن تعريف شاكر: يثبت أنه من رؤساء اليهود.

وفيما بعد توجهت إليه إحدى فرق التصفية الجسدية لأعداء الديانة الإسلامية ودولة بنى سخينة فاغتالته.

(قال ابن إسحق: ولما انقضى شأن الخندق، وأمر بنى قريظة وكان سلام بنى أبى الحقيق وهو أبو رافع فيمن حزّب الأحزاب على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وكانت الأوس من قبل أحد قتلت كعب بن الأشرف فى عداوته لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- وتحريضه عليه، استأذنت الخزرج رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فى قتل سلام بن أبى الحقيق وهو بخيبر فأذن لهم.. فخرج إليه من الخزرج

(١) (تفسير الطبرى) السادس ص ٥٣٩/ مصدر سابق.

من بنى سلمة خمسة نفر.. فقدمنا على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فأخبرناه بقتل عدو الله).(1)

كبير الآباء المؤسسين ل علم التفسير ونعنى به الطبرى افتتح الخبر بأن من رواه عن ابن عباس إما عكرمة وإما سعيد بن جبير.

إنما هذا لا يؤثر فى صحة الخبر لأن أولهما مولى ابن عباس فهو عكرمة بن عبدالله البربرى المدنى ويعد من علماء التابعين وروى عنه ثلاثمئة رجل منهم أكثر من سبعين تابعيا ومن أعلم أهل زمانه فى التفسير والمغازى.

(عن جابر بن زيد قال: هذا عكرمة مولى ابن عباس هذا أعلم الناس وقال الشعبى: ما بقى أحد أعلم بكتاب الله من عكرمة وقال قتادة أعلم ب التفسير عكرمة).(2)

أما سعيد بن جبير فهو (من بنى أسد ولاء، الكوفى أبو عبدالله تابعى كان من أعلمهم.. أخذ العلم عن ابن عباس - رضى الله عنه - قتله الحجاج بواسط).(3)

إذن سواء حمله عنه هذا أو ذاك فـ الخبر صحيح لأنهما من الثقات.

فضلا عن أن من هو فى مكانة الإمام الطبرى من المحال أن يسمح ل تفسيره أن يضم خبرا معلولا.

ولولا أنه يتحرى الدقة التامة لما حظى كتابه منذ أكثر من عشرة قرون بالثقة البالغة.

---

(1) (السيرة النبوية) ل ابن إسحق/ «فصل مقتل سلام بن أبى الحقيق» - المجلد الثانى/ ص ٩٦/ ٩٨ - طبعة أخبار اليوم - مصدر سابق.

(2) (صفة الصفوة) ل ابن الجوزى - تحقيق طه عبدالرءوف سعد وآخر - المجلد الأول - ص ٤٥١ - الطبعة الأولى - ١٤٢١ هـ ٢٠٠١م - دار الغد العربى/ ب مصر.

(3) (صفة الصفوة) المجلد الثانى/ ص ٣٩/ مصدر سابق.

٢ـ غرائب القرآن:

رقم القمى النيسابورى سببين لإشراق الآية:

أولهما:

زعم النصارى أن عبدالله ومملوكه وابن أمته ومملوكته عيسى ابن مريم ادعى الألوهية وأمرهم ب عبادته من دون الله تعالى (من جملة ما حرفه أهل الكتاب أن زعموا أنه كان يدعى الألوهية ويأمر قومه بعبادته، فلهذا قال عز من قائل «ما كان لبشر» الآية).

الآخر: قالة أبى رافع القرظى من اليهود والسيد من النصارى.. إلخ[(١)]

٣ـ المحرر الوجيز:

نهج الغرناطى ابن عطية ذات المنحى.

أ ـ (... فقال النقاش وغيره إلى عيسى ـ س ـ «أى أن الإشارة موجهة إلى «أخى النصارى»، الآية رادة على النصارى الذين قالوا: عيسى إله وادعوا أن عبادته هى شرعة ومستندة إلى أوامره).[(٢)]

ب ـ (وقال ابن عباس والربيع وابن جريج وجماعة من المفسرين: بل الإشارة إلى محمد –صلى الله عليه وسلم– وسبب نزول الآية: أن أبا رافع القرظى.. إلى آخر الخبر).[(٣)]

ونلاحظ توثيق الغرناطى للخبر ب نسبته إلى ابن عباس والربيع وابن جريج وغيرهم من أعلام المفسرين.

٤ـ تفسير القرطبى:

(وهذه الآية قيل إنها نزلت فى نصارى نجران.

كذلك روى أن السورة كلها إلى قوله «وإذ غدوت من أهلك» كان سبب نزولها نصارى نجران ولكن مزج معهم اليهود، لأنهم فعلوا من

---

(١) (غرائب القرآن) ل القمى النيسابورى ـ المجلد الثالث ـ ص ٢١٢ مصدر سابق.

(٢) (المحرر الوجيز) ل ابن عطية الغرناطى – الجزء الثانى – مصدر سابق.

(٣) ذات المصدر والجزء والصفحة.

الجحد والعناد فعلهم».[1]

النصف الأول من النص يؤيد ما زبرناه أن شطرا وسيعا من السورة جاء لمناسبة قدوم وفد نصارى نجران وما أجروه من حجاج.

أما عجزه الباقى فيدل على أن شمولها أولاد الأفاعى علته الجحد والعناد الذى دأبوا على إظهارهما.

من التفاسير الحديثة/ المعاصرة:

٥ـ تفسير سورة آل عمران:

(بيد أن من أسباب نزولها ما روى أن بعض أهل الكتاب قالوا: يا محمد أتريد أن نتخذك ربا؟ قال معاذ الله ما بذلك بعثنى.. فنزلت هذه الآية.. قاله ابن عباس».

(تفسير سورة آل عمران) ل الشيخ عبدالحليم محمود/ الجزء الأول/ ص ١٦٥ ـ مرجع سابق.

المصنف اختزل الخبر اختزالا شديدا، إذ أرجع المقولة «إلى بعض أهل الكتاب» بينما فى أمهات المصادر أن من تفوه بها القرظى وشايعه فيها رئيس النصارى، ونسب الخبر إلى ابن عباس دون غيره.

٦ ـ التفسير الوسيط:

جاء به «أن السورة كلها إلى قوله «وإذ غدوت من أهلك» نزلت بسببهم.. ذكره القرطبى».[2]

وهذا نقل مباشر من القرطبى، ومن رجا آخر يؤكد ما زبرناه أن شطرا مفرسخا من السورة جاء بشأن قصة وفد نصارى نجران.

ثم نسخ خبر قالة القرظى والرئيس النصرانى النجرانى وأنه من رواية ابن إسحق وغيره عن ابن عباس.[3]

---

(١) (تفسير القرطبى) ـ المجلد الثانى ـ ص ١٣٦٤ ـ مصدر سابق.

(٢) (التفسير الوسيط) الحزب السادس/ ص٦٥ ـ مرجع سابق.

(٣) ذات الصفحة.

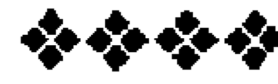
وأضاف سببا جديدا (وأخرج ابن أبى حاتم قال: كان ناس من يهود يتعبدون الناس من دون ربهم بتحريفهم كتاب الله عن موضعه فقال: (ما كان لبشر) الآية.[1]

وهو اجتهاد من قبل أبى حاتم يتسم ب الرّك ويتسربل بالعمومية ويأتزر ب عدم التعميق.

ف من هم هؤلاء ال يهود؟ وما هى مواضع التحريف التى أدت إلى تعبيد الناس؟.

فضلا عن أن هذا المسلك أدنى إلى نهج النصارى.

ودِدنا لو أن المؤلفين ـ وقد نعتوا أنفسهم ب «العلماء!» ألا يضمنوه كتابهم، وإذ فعلوا أليس من الأحرى أن يعلقوا عليه ويوضحوا ل القراء قيمته.



جولة ليست ب القصيرة فى كتب أسباب النزول والتفاسير، تراثية وحديثة.

جميعها أوردت أن الآية التاسعة والسبعين من سورة آل عمران أشرقت عقب محاجّة بين «الخبير/ الخاتم = محمد» وعدد من أحبار يهود والمتحدثين باسم وفد نجران من النصارى، ولو أن بعضا منها أضاف سببا أو اثنين عليهما سيماء الضعف.

من البديهى أن يدعوهم إلى دخول الإسلام.

فَ بدلا من أن يناقشوه مناقشة موضوعية سلكوا محجة العناد وساروا فى درب العوج ومشوا فى طريق اللدد فَ نسبوا إليه فرية ظاهرة وكذبة بَينة وبهتانا واضحا وهو أنه يحضهم على عبادته ويحثهم على تأليهه ويوزّهم على الانقياد لربوبيته، مع أن ما تلاه من قرآن مجيد ـ حتى ذياك الوقت ـ سواء فى قرية القداسة أو فى قرية النزوح ذات الحرتين وما قاله من أحاديث شريفة لا يوجد فى أى

(١) ذات الصفحة

منهما حرف واحد يساند هذه القالة المتضلعة من البطلان، المليئة بالفساد، المتورمة من الفسولة «= الرداءة والرذالة».

لم تصدر هذه العبارة اعتباطا أو ألقيت عن بلاهة أو طرحت بغير تدبير أو دون تمعن أو ب لا روية.

بل أمّ من فاه بها وقصد من عاضده فيها هما الاثنان أن يلخما[1] (العظيم/ العافى = محمد) وهما ومن حضر معهما لاشك غرهم علمهم وأبطرهم ما حصّلوه من إسطيرهم المقدس وأضلهم ما توهموه فى أنفسهم، هذا من رجا، ومن شطر آخر أثبتت هذه الجملة الفطيرة أنهم يجهلون مكانته السامية وغُمّى عليهم مقامه المحمود وخفيت عليهم درجته الرفيعة.

كما أنهم تعمدوا إيقاع البلبلة لدى صحبه وإشاعة الشك فى صفوف تبعه وإذاعة التخليط بين جماعته. كيف لا وهم أصحاب العلم الأصيل والمدراس العريق والكتاب الجرثومة «الأساس»؟

هنا يتحتم رد الأمر إلى نصابه الصحيح ووضع النقط فوق الحروف كيما يرتفع اللغط وينقطع التشويش ويتهاوى اللبس ف تطلع فى الأفق الآية ٧٩ من سورة آل عمران كما القمر المنير تبدد الظلمات «ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون». أيدت «المبرأ/ المتين محمدا» فى رده الفورى عليهم ونفحته مزيدا من القوة وفيضا من الوثاقة وعددا من الإحكام والمتانة.

وُألقم المشاكسون حجرا ف تصاغروا ولو أنهم لم يكفوا عن اللدد ولم يتوقفوا عن اللجاجة ولم يقلعوا عن العوج ولم يتركوا الالتواء.

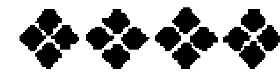
وسعد التبيع بنصر «الفرقان» له وتأييده إياه.

وبذا أنزاحت الغُمّة عن الصدور وتربعت مكانها الطمأنينة وحل

---

(١) فى «المعجم الوجيز» لخمه شغله ب ما يثقل عليه.

مطرحها الهدوء وملأت فراغها السكينة. وأثبت «البشرى/ المجيد = القرآن» صلته الحميمة بهم بدياً ب القائد الكريم حتى الأجناد الأوفياء. وتفح حجة أخرى على زيف ادعاءات البعد عن الواقع وعن سر الهَلّ نجوما.



٢ـ وفد نصارى نجران ومثل من حجاجهم:

بدأنا ب الآية ٧٩ آل عمران والأخبار المتعددة التى حملت سبب شروقها ك الشمس.

واعتبرنا ما دار بشأنها قَيْداما «= مقدمة» ل محاجات وفد نصارى نجران الذى أكد نفر من المفسرين أن شطرا وسيعا من سورة آل عمران تناوله وما جرى بينه وبين «أبى القاسم» من حوارات.

ومن الأفضل تعريف القارئ ب الوفد كيما يغدو على بصيرة به وببواعثه فى المجادلة.

(.. كتب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى أهل نجران فخرج إليه وفدهم أربعة عشر رجلا من أشرافهم نصارى.. وفيهم ثلاثة نفر يتولون أمورهم: العاقب هو أميرهم وصاحب مشورتهم.. وأبو الحارث أسقفهم وحبرهم وصاحب مدراسهم والسيد وهو صاحب رحلتهم.. ثم غدوا بزىّ الرهبان، فسلموا عليه فرد عليهم ودعاهم إلى الإسلام فأبوا وكثر الكلام والحجاج بينهم وتلا عليهم القرآن وقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إن أنكرتم ما أقول فهلم أباهلكم فانصرفوا على ذلك...).(١)

وبقية الخبر أنهم رفضوا المباهلة وصالحوه على دفع الجزية.

ولعل القارئ لاحظ أن عدده: أربعة عشر رجلا وهو ضعف العدد سبعة الذى كررنا مرارا أنه مقدس لدى الديانات الإبراهيمة السامية

---

(١) (الطبقات الكبرى) ل ابن سعد الجزء الثانى- ص ١١٩ - ١٢٠ ـ طبعة ١٣٥٨ هـ ـ لجنة نشر الثقافة الإسلامية ب مصر ـ ب اختصار.

الثلاث والذى اقتبسته من الديانات السامية القديمة وليس هو المقتبس اليتيم.

وعسى هذه العدة أكدت ما ذهبنا إليه. على خلاف العرف المستقر أن يترأس أى وفد أو جماعة واحد، فقد تربع على قلة وفد النصارى النجرانيين ثلاثة والذى لا مشاحة فيه أنهم تأثروا ب الثالوث الإلهى الذى يؤمنون به.

والمباهلة هى استنزال اللعنة على الكاذبين.(1)

أما رفضهم المباهلة ف علته «أن أسقف نجران لما رأى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مقبلا ومعه على وفاطمة والحسن والحسين - رضى الله عنهم - قال: يا معشر النصارى: إنى لأرى وجوها لو سألوا الله تعالى أن يزيل جبلا من مكانه لأزاله فلا تباهلوا فتهلكوا).(2)

وإذ إن المباهلة فى الأساس تتمترس على أمر غيبى ف عندما ردفتها نصيحة الأسقف نهلت من ذات المعين أى أنها ب المثل لم تنتصب على سبب محسوس ولم تتمحور على منطق ولم تتسربل برداء عقلانى.

من العسير بل من المستحيل أن تزن فتوى أو مشورة الأسقف النجرانى أو النجرانى الأسقف بميزان العقل والمنطق أو الفكر السليم.. إلخ لأننا لو فعلنا ل أسقطنا من حسابنا الأمور الآتية:

أ - الزمن الذى وقعت فيه الأحداث.

ب - المنطقة التى شهدتها وهى محور أثرب/ نجران.

ج - الدرجة الحضارية ل نصارى نجران وأسقفهم المبجل.



(1) بأهل القوم بعضهم بعضا: اجتمعوا فى أمر اختلفوا فيه ليقولوا: بهلة الله على الظالم منا أى لعنته.. وباهلت فلانا: لاعنته.

من (المعجم الكبير) الجزء الثانى - حرف الباء - مرجع سابق.

(2) (تفسير الألوسى) الجزء الثالث/ ص ٢٨٩/ مصدر سابق.

نبدأ ـ فى توثيق الخبر ـ ب «كتب أسباب النزول»:

أولا- أسباب النزول:

١ ـ (... عن الحسن قال: جاء راهبا نجران إلى النبى -صلى الله عليه وسلم- فقال لهما: أسلما تسلما، فقالا: قد أسلمنا قبلك، فقال: كذبتما يمنعكما من الإسلام سجودكما للصليب وقولكما اتخذ الله ولدا وشربكما الخمر، فقالا: ما تقول فى عيسى؟ قال: فسكت النبى -صلى الله عليه وسلم- ونزل القرآن = «ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم» إلى قوله = «فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم» الآية.

فدعاهما رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى الملاعنة وقال: وجاء بالحسن والحسين وفاطمة وأهله وولده عليهم السلام، قال فلما خرجا من عنده، قال أحدهما لصاحبه: أقرر بالجزية ولا تلاعنه فأقرا بالجزية قال: فخرجا وقالا نقر بالجزية ولا نلاعنك).(١)

من النص يبين أن الراهبين من نجران عندما سألا «المنصور ب الرعب مسيرة شهر» عن عبدالله ومملوكه وابن أمته ومملوكته عيسى ابن مريم لم يجبهما على الفور أى فى التو واللحظة بل تريث حتى بزغت الآية كأنها النجم الثاقب ثم قرأها عليهما.

وهى حجة لنا دامغة على أن «القرآن ذى الذكر» لا يفارق «من لا تحل له ولا ل آله الصدقة = محمد» طرفة عين ولا يباينه ولا يفارقه أقل منها، ف عندما استوضحه الراهبان قالته فى ابن مريم أسعفه ب آية مجيدة ك البلسم الشافى وافته ب الجواب المبين والرد القاطع. راوى الخبر هو الحسن، ونرجح أنه الحسن البصرى «وكان من أهل بيسان فسبى، ولد فى خلافة عمرو حنكه عمر بيده وكانت أمه تخدم أم سلمة زوج النبى -صلى الله عليه وسلم- فربما غابت فتعطيه أم سلمة ثديها».(٢)

---

(١) (أسباب النزول) ل الواحدى ص ٦٧ ـ مصدر سابق.

(٢) «صفة الصفوة» الثانى/ ص ١٢٥ مصدر سابق

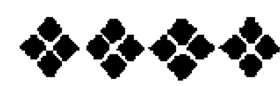
ف الذى حنكه، من بنى عدى والتى ألقمته ثديها من بنى مخزوم وهما فرعان منافسان لبنى هاشم ولذا أغفل الإمام عليا - كرم الله وجهه - فيمن جاء بهم «ذؤابة بنى هاشم» ليباهل «ل يلاعن» بهم الراهبين مع أن عُظم دواوين السيرة المحمدية العطرة ذكرته!! وأضاف أنه جاء ب «أهله» وهذا إيهام ب أنه أتى بآخرين مع أمير المؤمنين على وسيدة نساء العالمين فاطمة وسيدىّ الشباب الحسن والحسين عليهم جميعا أزكى السلام، وكتب السيرة تَصفُر منه.

وأردف «وولده» وساعتها ليس له ولد ف إبراهيم ابن مارية القبطية توفى، وحتى لو أنه حى يرزق ف ليس من المعقول ولا جرت العادة حمل طفل رضيع مازال فى «اللفة» إبان المباهلة أو الملاعنة ولو فعل لما توانى مؤرخو السيرة المعطاءة عن زبره، وولده هما الحسن والحسين رضى الله عنهما وقد ذكرهما من قبل.

ومعذرة عن الإطالة فى هذه الفرعية وقد قصدناها كيما نثبت أن هوى الراوى أو منحاه أو اتجاهه أو أيديولوجيته تؤثر على روايته ف إن لم يحرفها -وهو محتمل ووارد- ف على الأقل يلونها كيما تتفق مع مشربه وتتلاءم مع منهله وتتناغم مع عزفه.

ثم نؤوب إلى سياقة التنقير ومجرى التنقيب:

ما الذى دفع الراهبين إلى تفضيل دفع الجزية على المباهلة: أهو وجود ولو نسبة معقولة من الإيمان ب صدق «بشرى عيسى» فيما دعاهما إليه؟ أم هو إيثار الطريق اللين والمحجة السلسلة والسكة السلمية اتباعا لتعاليم أخيهما عبدالله ومملوكه وابن أمته ومملوكته عيسى ابن مريم الذى اشتهر بالموادعة وعرف ب الملاينة واختص بالاستئلاف؟



٢- لباب النقول:

(أخرج ابن سعد فى الطبقات عن الأزرق بن قيس قال: قدم على النبى

-صلى الله عليه وسلم- أسقف نجران والعاقب فعرض عليهما الإسلام، فقالا: إنا كنا مسلمين قبلك، قال: كذبتما، إنما منعكما من الإسلام قولكما اتخذ الله ولدا وأكلكما لحم الخنزير وسجودكما للصنم، قالا: فمن أبو عيسى؟ فما درى رسول الله ما يرد عليهما حتى أنزل الله «إن مثل عيسى عند الله» إلى قوله «وإن الله لهو العزيز الحكيم».

فدعاهما إلى الملاعنة فأبيا وقررا ب الجزية ورجعا).(١)

الخبر أورده السيوطى فى ال «لباب» وقبلا رفعنا الستار عن مكانته العلمية. نقله عن «الطبقات الكبرى» ل ابن سعد كاتب الواقدى وهو من أقدم من أرخ ل السيرة المحمدية الرائعة وتحظى موسوعته ب فائق التقدير وعميق الاحترام.

نخط جمعيته لكى نلقم به حجرا بعض مدعى العلم الذين عجزوا عن تفنيد كتاباتنا السوابق ف زعموا ب كل جرأة على الحق أننا نلجأ ل أحاديث ضعيفة.

طيب: ما هو سندك فى ادعائك الفطير الذى ألقيته دون وازع من ضمير علمى؟

ومادمت تّدعى أن مصادرنا وهى فى الأحاديث المحمدية الشريفة: الصحاح الستة، ومسند أحمد والمستدرك.. إلخ. وفى السيرة المحمدية المعطِّير: ابن إسحق، ابن هشام، الحلبية، الشامية، الوفا، الاكتفاء.. إلخ. واهنة/ واهية وتنضوى على أحاديث معلولة وأخبار مدسوسة!!. فما هى فى نظرك المصادر الصحيحة الموقرة المحترمة؟.

ألا تعنى عباراتهم الفلوت الحكم ب الإعدام - والعياذ ب الله تعالى - على كتب التراث التى تضعها أمة لا إله إلا الله على رؤوسها وعيونها منذ قرون؟.

ومن أسف أن هذه المزاعم تصدر ممن يصفون ذواتهم المبجلة ب أنهم «علماء»!!.

---

(١) (لباب النقول) ل السيوطى/ ص ٣٨ ص ٣٩/ مصدر سابق.

إنه الإفــلاس المطلق عن الرد والعى الكامل عن التــفنيــد والقصور الكلى عن التعقيب هذا من رجا. وإما أن الأخبار والآثار والوقائع (وكلها موثقة ب الإفصاح عن المصدر والجزء والصفحة وسنة ودار النشر) التى حملتها مؤلفاتنا لم تصل حتى الساعة إلى علمهم الغزير فأثارت دهشتهم وبعثت حيرتهم ووزّت ربكتهم، إذ لم يتصوروا قبلها بثانية واحدة وقوعهافى أيدينا ف لم يلفوا فى أيديهم المباركة حلا إلا رميها ب التهزيل وقذفها بالتهوين ووسمها ب التجريح. ومن شق ثالث: يعلمونها ويكتمونها[1].

بيد أنهم لا يريدون بل يعملون جاهدين على إخفائها وإبقائها فى بطون الكتب التى يوقنون أن المثقف أو غير المتخصص - دعك من القارئ العادى - لا طاقة له ب قراءتها واستيعابها وهضم ما فيها، فلما تجرأ واحد من خارج «جماعتهم» على الإقدام عليه ونشر ما فيها على الناس، قامت قيامتهم وثارت ثائرتهم، إذ إنهم يسيرون على درب إمامهم الغزالى الذى نادى ب ضرورة «إلجام العوام» عن بعض العلوم.[2]

فعمدوا إلى التشهير وجنحوا إلى الاتهام وقصدوا التشويه.

بداهة أنه كله على حساب أمانة القلم ومسئولية العلم إنما «لا شىء يهم» لأن الغاية فى نظرهم القدسانى تبرر الوسيلة!!!.

ثم عود إلى السياق:

ورد فى الخبر = «وسجودكما للصنم» وإذ إن النصارى كما هو معلوم لا يفعلونه و«الصادق المصدوق» لا ينطق عن الهوى ولا يخرج من شفتيه الشريفتين إلا الحق ف لعله قصد تقديسهم الأيقونات.(١)

---

(١) العامة فى مصر تقول: يكتم عليها.

(٢) ألجم الدابة = ألبسها اللجام من «المعجم الوسيط»، ولاحظ أن حجة الإسلام - غفر الله لى وله- شبه عامة المسلمين ب «الدواب»!!.

نستمر فى تحليل الخبر (.. قالا: فمن أبو عيسى؟ فما درى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ما يرد عليهما، حتى أنزل الله «إن مثل عيسى»).

نستطيع أن نؤكد أن عبارة « .. فما درى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ما يرد عليهما ..» تعوزها الدقة وينقصها الضبط وتفتقر إلى الإحكام فـ ثقافة «دعوة إبراهم = محمد» الدينية خاصة فى القطاع النصرانى وثبت جماعه فى عدة مواضع منها نقاشه مع عدى بن حاتم الطائى فى أول لقاء لهما - ثرة وغزيرة.

إلا أنه تريث وتأنى وتمهل.. وهذا معلم بارز فى شخصيته التى لم تتكرر فـ لا يتسرع فى الرد ولا يتعجل الإجابة ولا يندفع فى التوضيح ولا يهرع إلا الإبانة ولا يرقل إلى التفهيم أما ال جملة الرديفة «حتى أنزل الله» فـ هى برهان ساطع ودليل قاطع على صدق ما نسخناه منذ أول سطر: أن «المثانى/ الروح = القرآن» أقرب إليه من حبل

---

(١) الأيقونة صورة المسيح أو مارى «مريم» أو قديس تُبَجّل «تقَدّس» طبقا ل تعاليم الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية - حسب تعريف (قاموس وبستر -ل العالم الجديد) الطبعة الثانية الموجزة بـ اللهجة الأمريكية من اللغة الإنجليزية.

(القاموس الجديد ل التيولوجيا) - ص ٣٢٦ - طبعة ١٩٩١م - إنجلترا/ الولايات المتحدة ونحن نرى أن نفى واضعى القاموس لتأثير تحريم الإسلام ل الصور على الإمبراطور ليو عند حظره عبادة الأيقونات لا يؤخذ به على علاته إنما الذى لا مشاحة فيه أنه حتى عام ٧٢٥م ظلت تلك العبادة منتشرة أى، أنه وقت مجادلة أسقف نجران والعاقب مع «خير خلق الله = محمد» بقيت معمولا بها ومن ثم يضحى تأويلنا لقوله «أو سجودكما للصنم» هو عبادتهما أو تقديسهما للأيقونات منطقيا ومقبولا.

وفى سنة ٧٢٦م أصدر الامبراطور ليو فى بيزنطا بعد نزاعات حول عبادة الأيقونات - ديكريتو بتدمير الصور فى الكنائس - ودوافعه دينية جزئيا ولا يوجد دليل على أنه تأثر ب تحريم الإسلام ل الصور.

ومن شق آخر فإن السجود لا يعنى العبادة ب المعنى الاصطلاحى إنما يفيد الخضوع والتطامن/ سجد سجودا = خضع وتطامن (المعجم الوجيز) ويؤيده نص الآية الرابعة والثلاثين من سورة البقرة (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) إذ لا يعقل أن ربهم يأمرهم بعبادة آدم ا. هـ.

الوريد فسرعان ما أمده ب آية حميدة حملت إجابة شافية وضعت في فمي السائلين حَكَمَة (بفتح الحاء والكاف والميم) حبست لسانيهما عن لوك أي اعتراض أو التفوه بأي طعن أو المشافهة ب أدنى مخالفة، أو الإثابة بأي معاكسة أو الإدلاء ب أي معاندة.

٣ـ المقبول:

(... عن الشعبي عن جابر قال: قدم على النبي -صلى الله عليه وسلم- العاقب والطيب، فدعاهما إلى الملاعنة فواعداه على أن يلاعناه الغداة. قال فغدا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أخذ بيد علي وفاطمة والحسن والحسين، ثم توجه إليهما فأبيا أن يجيئا وأقرا له بالخراج، قال: فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- والذي بعثني بالحق لو قبلا لأمطر عليهم نارا، قال جابر فيهم نزلت: «ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم»).(١)

وصفه المصنف الأزهري بأنه حديث حسن.

الملاعنة أو المباهلة في الخبر طقس موروث من العقائد السامية القديمة انتقل إلى جزيرة العرب المبروكة واستقر فيها.

وإذ توافق مع الدرجة الحضارية والحالة العقلية ل قبائلها فقد تبنته وعضّت عليه ب النواجذ، وأصل البهلة اللعنة أما أصل البهل (ب دون تاء مربوطة) ف هو كون الشيء غير مراعي.(٢)

ف توجد رابطة معنوية بين اللفظين فإذا تباهل شخصان أصبحا خارج عناية السماء والذي يكذب أو يحنث منهما يصبح مستحقا ل لعنتها.

بيد أنني وقفت طويلا إزاء رفض النصارى من نجران خاصة المقدمين فيهم من القسس والرهبان كيف أبوا المباهلة التي عرضها

---

(١) (المقبول) ل أبي عمر نادي الأزهري ص ١٥٥ مرجع سابق.

(٢)المفردات في غريب القرآن» ل الراغب الأصفهاني. ص ٦٣ ـ تحقيق محمد سيد كيلاني ـ طبعة ١٣٨١/ ١٩٦١م نشر البابي الحلبي ب مصر.

عليهم «العامل/ العائل = محمد»؟.

ف عقيدتهم وهى مستقاة من العهد القديم «الإسطار المقدس ل بنى إسرائيل» تنص ب صراحة وبلا مواربة على أن ربهم أعطى عهده مع نوح ونسله وكل الخليقة أنه لن ينزل على أحد (بل على أى مخلوق أى ليس البشر فحسب) اللعنة مرة أخرى وأعطى علامة أو إشارة أو آية وهى قوس قزح.

(فمتى كانت القوس فى السحاب أبصرها لأذكر ميثاقا أبديا بين الله وبين كل نفس حية فى كل جسد على الأرض، وقال الله لنوح هذه علامة الميثاق الذى أنا أقمته بينى وبين كل ذى جسد على الأرض).[1]

فى عقائد «بلاد ما بين النهرين» حدث طوفان فى عهد شمس بيتشين فأوحى إليه ربه أن يصنع فلكا ضخما من الخشب ويضع فيه كل ما يحتاجه لحياته ويأخذ معه حبة من كل شىء حى، واستمر الطوفان ستة أيام وفى السابع أرسل غرابا ثم عصفورا ثم يمامة فعادت وفى منقارها ورقة من غصن الزيتون.[2]

وثمة حكاية عن طوفان كبير بابلى وتعد قصته البابلية أو السومرية أقدم حكايا الطوفان المعروفة فى الأدب حدث فى عهد الملك اكسيو نزوس/ العاشر الذى حكم بابل.. إلخ.[3]

ومن المعلوم أن منطقة ما بين النهرين هى التى عاش فيها بنو إسرائيل فيما عرف بعد ذلك ب (السبى البابلى).

هل نسى رجال الدين من نصارى نجران هذين النصين وغيرهما من النصوص المتعلقة بالموضوع أم لأن الجزيرة العربية خاصة منطقة

---

(١) «تكوين» الإصحاح التاسع/ ١٨١٧.

(٢) «موسوعة الأديان فى العالم» - مجلد «الديانات القديمة» الطبعة الأصلية – ٢٠٠٠م إصدار إيدتوكريس- بيروت – لبنان.

(٣) (الفلكلور فى العهد القديم/ التوراة) تأليف جيمس فريزر ترجمة د. نبيلة إبراهيم الجزء الأول ص ٩٤.

الحجاز وتضم قرية النزوح ذات الحرتين التى حدث فيها الحجاج شحيحة المطر وبالتالى يندر ظهور السحاب فيها الذى يتعلق به قوس قزح الذى يمثل خاتم الرب على العهد أو الوعد المقدس بعدم نزول لعنة بعد طوفان نوح العجيب ومن ثم فإن بلاد العرب تغدو مستثناة من الميثاق الإلهى؟ وعليه فإذا قبلوا المباهلة حلت عليهم اللعنة خاصة أن أسقفهم عندما رأى «جد الحسنين/ محمدا» مقبلا ومعه أهل البيت عليهم السلام جزم بأنهم لو سألوا الله تعالى إزالة جبل من مكانه لفعل والأمر سيان فإن المباهلة التى ندبت إليها الآية العظيمة وضعت حدا ل حجاج نصارى نجران فعادوا إلى تحكيم عقولهم ورضخوا ل تقديم الجزية.

ومن جماعه يثبت أن الآيات نصرت «رافع لواء الحمد - محمدا» نصرا معنويا عزيزا ب أن آزرته فى قطع جدالهم والتغلب على مماحكاتهم وظفرا ماديا مبينا قويا تمثل فى إلزامهم دفع الجزية التى شكلت شطرا لا بأس به من مالية دولة بنى سخينة آن ذاك.

ثانيا: التفاسير

١ ـ تنوير المقباس من تفسير ابن عباس:

(ثم ذكر خصومة وفد بنى نجران مع النبى -صلى الله عليه وسلم- بعدما بين لهم أن مثله عند الله كمثل آدم، فقالوا ليس كما تقول، إن عيسى لم يكن الله ولا ولده ولا شريكه، فقال الله «فمن حاجك فيه» فمن خاصمك فيه -فى عيسى- «من بعد ما جاءك من العلم «البيان» بأن عيسى لم يكن الله ولا ولده ولا شريكه «فقل تعالوا ندع أبناءنا» نخرج أبناءنا «وأبناءكم» أخرجوا أنتم أبناءكم «ونساءنا» نخرج نساءنا و«نساءكم» أخرجوا أنتم نساءكم «أنفسنا» نخرج بأنفسنا «وأنفسكم» أخرجوا أنتم أنفسكم «ثم نبتهل» نتضرع ونجتهد فى الدعاء «فنجعل» فنقل «لعنة الله» فيما بيننا «على الكاذبين» على الله فى عيسى...).(١)

---

(١) (تنوير المقباس) ص٣٩/ مصدر سابق.

فى هذا النص يعترف النصارى بأن عيسى ابن مريم هو الله وولده وشريكه.

وفسر المباهلة ب التضرع والاجتهاد فى الدعاء.

بيد أن الآية الكريمة أوردت إخراج الأبناء والنسون، فى حين أن وفد بنى نجران لم يضممهم، ومع ذلك ف إن «الفاتح/ الفاضل = محمد» طبق الأمر ب حذافيره، إذ خرج ومعه ابنته السيدة فاطمة «نساءنا» والحسن والحسين «حفيداه» ب الإضافة إلى ابن عمه وصهره على. ولم يذكر «التنوير» تراجع وفد نصارى نجران لأنه يفسر الآية ولا شأن له ب الواقعة كتاريخ.

٢ـ تفسير القرآن العظيم:

(فلما كلمه الحبران قال لهما رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أسلما، قالا: قد أسلمنا، قال إنكما لم تسلما فأسلما قالا: بلى أسلمنا قبلك، قال: كذبتما: يمنعكما من الإسلام دعاؤكما لله ولدا وعبادتكما الصليب وأكلكما الخنزير، قالا: فمن أبوه يا محمد؟ فصمت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عنهما فلم يجبهما، فأنزل الله فى ذلك من قولهم واختلاف أمرهم، صدّر سوّرة آل عمران إلى بضع وثمانين آية.

(وأمر بما أمر بهم من ملاعنتهم أن ردوا ذلك عليه، دعاهم إلى ذلك فقالوا: يا أبا القاسم دعنا ننظر فى أمرنا ثم نأتيك بما تريد أن نفعل فى ما دعوتنا إليه فانصرفوا عنه.. فأتوا النبى -صلى الله عليه وسلم- فقالوا يا أبا القاسم رأينا ألا نلاعنك»..[1]

مما يحمد ل ابن كثير ويدفعنا ل أن نثنى عليه خيرا أنه فى هذا المربع نسخ سطورا كثيرة عن حجاج نصارى نجران ألقت أضواء كواشف على العقائد النصرانية القديمة التى تعتبر ب مثابة الجذور

(١) (تفسير القرآن العظيم) ل. ابن كثير ـ المجلد الثانى/ ص ٤٠ وما بعدها/ مصدر سابق.

التاريخية لعقائد خلائفهم المعاصرين تبيع الكنيسة الشرقية.

أكل النصارى لحم الخنزير مخالفة صارخة ل أحكام التوراة مع أن عبدالله ومملوكه وابن أمته ومملوكته كثيرا ما فتئ يصرح جئت ل أكمل الناموس لا أنقصه.

وليس هو الحكم الوحيد فهناك الأمر الصريح ب الختان الذى نصت عليه التوراة بصرامة وباشره البطاركة الأكابر إبراهيم ويعقوب وإسحق.. إلخ. وأبناؤهم وأصهارهم وعبدانهم، بل إن عيسى نفسه أزيلت قلفته لأنه نشأ يهوديا.

أما تحريم أكل الخنزير فقد نقشه بنو إسرائيل من المصريين القدامى أساتذة وسادة العالم آن ذاك إذ إنهم كرهوه واعتبروه حيوانا نجسا لأنه ساعد الشرير «ست» على قتل «أوزوريس» وقطع أوصاله ولكن زوجته «إيزيس» تمكنت من جمعها وبعثته حيا بفضل تعاويذها السحرية وأنجبت منه «حورس» ولقيامها ب تلك الأعمال المجيدة أصبحت الإلهة العظيمة والوحيدة وانتشرت عبادتها فى مناطق شاسعة وأقيمت لها مئات المعابد وظلت تؤله حتى خارج مصر، فمثلا عند اليونان والرومان حتى أواسط القرن الثانى الميلادى، ثم اندثرت كغيرها من مئات الديانات والعقائد والملل والنحل التى مرت على البشر طوال تاريخهم الطويل والتى ظن معتنقوها أنها أبدية سرمدية خالدة لأنها تبشر ب الحقيقة المطلقة التى لا يقربها الباطل من أى جانب!!!

وعود إلى السياق:

إذ إن «سيد ولد آدم» حاور النصارى النجرانيين فى أمور أولها نسبة ولد إلى الله جل جلاله وتنزه وعلا علوا كبيرا، وعبادة الصليب وهى فيما نرجح عبادة الأيقونات التى تحمل صورة عبدالله المسيح عيسى أو صورة أمة الله مريم/ أمه أو صورة أحد الرسل «أى رسل

المسيح الذين أطلقهم ل هداية الناس، (١)

وأضاف ابن كثير واقعة دعوتهم إلى المباهلة ورفضهم إياها.

والمباهلة هى طقس أو فعل شعائرى (هناك ثلاثة استخدامات لمصطلح الفعل الشعائرى، اثنان منها يؤكدان الطابع الرمزى له والثالث يحدده فى ضوء العلاقة بين وسائل الفعل وغاياته، وعلى ذلك فإن لفظ الشعائرى قد ينطبق أساسا على الأفعال الدينية).(٢)

ويرى راد كليف براون عالم الأنثروبولوجيا المعروف أن «القاعدة الأساسية ل الطقوس هى تطبيق القيم الطقوسية على الأشياء

---

(١) الرسل الاثنا عشر هؤلاء قيل عنهم إنه أقامهم «عينهم» ليكونوا معه وأرسلوا ليكرّزوا وأعطاهم سلطانا لشفاء الأمراض..

(القاموس الموجز ل الكتاب المقدس) ص ٢٠١ - مرجع سابق.

ولكن قد يكلف الرسل أو أحدهم ب مهمة غير دينية/ براجماتية أى ذرائعية تتصل ب الحاجات الآتية:

(وفى الباب الحادى والعشرين «لعل المؤلف يقصد ب «الباب» «الإصحاح» كتب متّى «وهو أحد التلاميذ أو الرسل وينسب إليه الإنجيل المعروف ب اسمه ا. هـ.» عن عيسى أنه أرسل تلميذين إلى القرية ليأتيا ب الأتان والجحش وركب عليهما.

وكتب مرقص ولوقا ويوحنا «وهم أيضا من أصحاب الأناجيل ا. هـ.

«ليأتيا ب الجحش فأتيا به وركب عليه».

(الموسوعة النقدية ل الفلسفة اليهودية) تأليف د. عبدالمنعم حفنى ص ٢٠٣/ الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م - دار المسيرة/بيروت.

وبديهى أن إحضار أتان أو جحش ليس مهمة دينية ومن اليسير تكليف أى تابع عادى، وليس رسولا ل ينجزها، ولا مشاحة أن قبول التلميذين «الرسولين حسب وصف النصارى» القيام بها دليل لا يمارى على شدة طاعتهما وولائهما ل عبدالله ومملوكه وابن أمته عيسى ابن مريم، فى حين أن (الحبل/المبارك = القرآن) سماهم الحواريين ا. هـ.)، أو أحد القديسين وما أكثرهم لديهم إذ إن لكل فرقة أو شيعة قديسا.

(فهم قديسون - أى مقدسون أمام الله - طبقة من الناس منفصلة لله لأجل خدمة كهنوتية

(القاموس الموجز ل الكتاب المقدس) - ص ٣٨٧ - مرجع سابق.

(٢) (قاموس علم الاجتماع » د. عاطف محمد غيث -ص ٣٨٩ - طبعة دار المعرفة الاجتماعية/ الإسكندرية.

والحوادث والمناسبات التى يمكن اعتبارها بمثابة الأهداف..).(١)

وبدأ يمكن أن نقول إن المباهلة فعل شعائرى أو طقوسى له قيمة تتمثل فى وسيلة أدائها التى شرحتها النصوص السوابق وغاية مبتغاها نزول اللعنة على الكاذب أو الكاذبين والتى تنتهى ب طريق الحتم واللزوم إلى الإبادة أو الاستئصال أو الإهلاك.... إلخ.

كما يمكن وصفها ب أنها «حفل مراسمى» ولو أن التفرقة بينها وبين الفعل الشعائرى أو الطقوسى دقيقة ل أن «الحفل المراسمى» هو (أداء أسلوبى يتخذ شكلا محددا وغالبا ما يكون عاما (يعنى ليس فرديا أ. هـ) ويتضمن أكثر من مشارك أو مراقب وهو يميز تراثا ثقافيا معينا).(٢)

وتهمنا الجملة الأخيرة التى وردت فى عجز المتن (وهو «= يعنى الحفل المراسمى» يميز تراثا ثقافيا معينا) لأن المباهلة وقد شرع فى أدائها (الموعظة/ الموقر = محمد) تعد سنة عملية بلا أدنى معارضة بيد أنه فى عصر الحضارة العربية/ الإسلامية فى زمن بنى العباس دارت مساجلات وحوارات ومحاجات عديدة بين الفقهاء وحصرا وتحديدا علماء الكلام المسلمين وعلى الأخص المعتزلة وسائر الأدباء والمثقفين وبين رجال الدين النصارى ولم يفكر الأولون فى دعوة الأخيرين إلى الملاعنة أو المباهلة مع علمهم اليقينى بأن آية مجيدة حملت قصتها وأنها سنة محمدية عملية نصت عليها أحاديث صحيحة لماذا؟

الجواب لا يحتاج إلى فطانة ولا يستلزم لقانة ولا يستنفر زكانة ولا يتطلب فراسة.

---

(١) (معجم علم الاجتماع) تحرير البروفيسور دينكن ميتشيل ترجمة ومراجعة د. إحسان محمد الحسن - ص - الطبعة الثانية - ١٩٨٦ - دار الطليعة - بيروت.

(٢) (موسوعة علم الإنسان) ل شارلوت سيمور سميث/ ترجمة مجموعة من أساتذة علم الاجتماع/ بإشراف محمد الجوهرى - ص ٣٤٧ - الطبعة الأولى/١٩٩٨ - العدد ٦١ من المشروع القومى للترجمة - المجلس الأعلى ل الثقافة - القاهرة.

ومن ثم نكله إلى ذكاء القارئ ولوذعيته وقوة فهمه وعمق إدراكه.



٣ـ تفسير الجلالين:

(.... دعا رسول الله ـ ص ـ وفد نجران لما حاجّوه فقالوا حتى ننظر فى أمرنا ثم نأتيك فقال ذو رأيهم لقد عرفتم نبوته وإنه ما باهل قوم نبيا إلا هلكوا فوادعوا الرجل وانصرفوا فأتوه وقد خرج معه الحسن والحسين وفاطمة وعلى وقال لهم إذا دعوت فأمّنوا فأبوا أن يلاعنوا فصالحوه على الجزية. رواه أبو نعيم.

عن ابن عباس قال: لو خرج الذين يباهلون لرجعوا لا يجدون مالا ولا أهلا وروى لو خرجوا ل احترقوا).(١)

(بإمعان النظر فى الخبر نجد أن صاحب رأى وفد نصارى نجران ألقى كلامه على عواهنه: ماباهل قوم نبيا إلا هلكوا) إذ لم يقدم مثلا واحدا يدعم به ادعاءه أن البطريرك الفلانى عندما لاعنه قومه، هلكوا.

والتوراة مبسوطة صفحاتها لكافة القارئين، وليس فيها أحدوثة واحدة عن واحد من الكمّل بأهل الجاحدين ل دعوته فدمرتهم السماء.

إلا إذا قلنا إن التوراة التى بيد ذلك الصاحب مختلفة عن التوراة الحالية.

كذلك ليس ثمة أعجوبة ملاعنة فى (الشفاء/ البلاغ = القرآن).

صحيح أنه توجد أقاصيص هلاك المكذبين لإخوانهم الذين يدعونهم إلى اتباعهم ودخول الديانة أو الديانات التى يبشرون بها ب مختلف أنواع الهلاك أو الإهلاك. بيد أن الثابت أن أى واحد منها «العذابات أو التدميرات» لم تسبقه مباهلة.

نخلص من جماعه إلى أن «ذا رأيهم» عندما فاه ب تلك العبارة

---

(١) (تفسير الجلالين) عند تفسير سورة آل عمران - ص ٤٩ ـ مصدر سابق.

صـفـرت يـداه من قـرينة تسـانـدها ومن ثم فـ هـو قـد قـصـد أن يهوشهم.[1]

ولا عجب أن يفعل وكما يقول المثل «شنشنة أعرفها من أخزم» أو «الشىء من معدنه لا يستغرب».

إنما قد يشفع له هو رغبته العارمة فى تجنيب جماعته أو رهطه ما توهمه من نزول بلاء إذا اشتركوا فى الحفل المراسمى لـ المباهلة.

وأورد الجلالان قالة نسباها إلى «أبى الأرامل = محمد»:

«لو خرج الذين يباهلون لرجعوا لا يجدون مالا ولا أهلا» ودلالتها أن المتباهلين من النصارى أى الذين حضروها يخرجون منها سالمين «لرجعوا» لأنهم لا يعودون إذا هلكوا أو حلت بهم النقمة ـ فى الوقت الذى يصيب المَحْق والمحْو أهلهم الذين لم يساهموا فيها بل ربما لم يسمعوا بها ولم يأذنوا أو يوكلوا المتباهلين ليؤدوا طقسها أو يقوموا بـ شعيرتها أو يحضروا حفلها.

والحق أن هذه الجملة أشكل على فهمها وعسر على نَقْهِها وصعب على إدراكها.

٤ـ تفسير الألوسى:

رقم الألوسى خبر وفد نصارى نجران المكون من أربعة عشر رجلا والسابق ذكره رواه من طريق الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس[2] قمنا بـ تحليله فى ما تقدم

٥ـ التسهيل لـ علوم التنزيل:

لم يخرج ابن جزّى الكلبى فى ما أورده عند تفسير الآية عما ذكر ولم يأت بـ جديد.[3]

---

(١) يقال هوّشه أى خلط عليه الأمر/ من «المعجم الوجيز» سابق.

(٢) (تفسير الألوسى) الجزء الثالث – ص ص ٢٨٨/٢٨٩ ـ مصدر سابق.

(٣) (التسهيل) لـ ابن جزى الكلبى ـ الجزء الأول ـ ص١٠٩.

ثانيا: من التفاسير الحديثة

٦ـ تفسير القرآن الكريم

(وقد حدث أن النبى ـ ص ـ نما نزلت هذه الآية ـ أخبر وفد نجران ودعاهم إلى اجتماع حاشد ومعهم نساؤهم وأبناؤهم، ليبتهل الجميع إلى الله تعالى أن ينزل لعنته على الكاذب من الفريقين، وحضر الرسول فى الموعد ومعه الحسن والحسين وفاطمة وعلى فلم يجدهم) [١]

ثم أردف نصيحة صاحب رأيهم ب عدم المباهلة «لقد علمتم أنه مالاعن قوم نبيا قط فبقى كبيرهم ولا نبتت صغيرهم.....).

ذات المرجع والصفحة.

وانتهى الأمر ب قبولهم دفع الجزية.

ثم نقل عن أبى نعيم فى الدلائل مقدار الجزية وهى «ألف حلة فى صَفَر ومثلها فى رَجَب ودراهم». [٢]

الخبر الذى نقله شحاتة على قدر لا بأس به من الأهمية ويلفت النظر فيه عدد من المعلومات.

١ ـ أن (سعد الله وسعد الخلائق = محمدا) دعاهم إلى اجتماع حاشد ومعهم نساؤهم وأبناؤهم) والمصادر التى سقناها تصفر من وجود الأبناء والنسوان معهم هذا من رجا «النقل».

أما من جهة «العقل» فما الذى يدعو وفد نجران وهم قادمون ل المحاجة فى مسائل تيولوجية أو عقائدية أن يصطحبوا معهم النسوة والأطفال ولم يسبق لقبيلة أن ضم وفدها نساء وأولادا[٣] وهى التى تأتى لإعلان إسلامها وولائها ل دولة بنى سخينة فَ من باب أولى ألا يفعله وفد قدم خصيصا للدخول فى جدل دينى.

---

(١) (تفسير القرآن الكريم) ل عبدالله شحاتة ـ الجزء الثالث ص ٥٧٩ ـ سابق.

(٢) ذات المرجع والصفحة

(٣) فضلا ارجع إلى كتابنا «بصائر فى عام الوفود وفى أخباره.

ولو أن المصنف عبدالله شحاتة ذكر مصادره فيه ومن بينها ابن كثير وقد رجعنا إليه فألفينا أنه خلا تماما من أى إشارة لنسون أو صبيان ونسخ أنهم أربعة عشر رجلا من أشرافهم ثم ذكر أساميهم.(١)

(وبعده القرطبى وأيضا رجعنا إليه فإذا به خلو تماما حتى من مجرد تلميح - دعك من التصريح - عن وجودهم.(٢)

ومن ثم نرجح أن شحاتة نقش حكاية وجود الأبناء والنسون من مصدر آخر من بين التى أثبتها إذ نربأ به أن تجىء الإضافة من عنده.

٢ - أورد مقولة ذى مشورتهم: إنه مالاعن قوم نبيا إلا ... وسبق أن فندناها.

٣ - أهمية ما حمله إلينا من أن «الصادع بما أُمر = - محمد» دعاهم إلى اجتماع حاشد ومعهم نساؤهم وأبناؤهم يرجح وصف المباهلة ب (احتفالية مراسمية).

٤ - لائحة الجزية التى التزم نصارى نجران بدفعها والتى يبين منها أنها جزيلة ينفح عدة دوال:

أ - أن أهل نجران على درجة ملحوظة من الغنى ويسر الحال.

ب - الهيبة التى بلغتها دولة قريش فى نفوس الأعاريب على اختلاف عقائدهم.

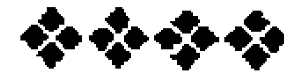
ج - طواعية نصارى نجران وتفضيلهم الطريق السلمى حتى ولو فيه كلفة عليهم اتباعا لِ تعاليم أخيهم أو صاحبهم عبدالله ومملوكه

---

(١) (تفسير القرآن العظيم) ل ابن كثير - المجلد الثانى ص ٤٠ طبعة الشعب - مصدر سابق.

(٢) (تفسير القرطبى) - المجلد الثانى - ص ١٣٤٦ - طبعة دار الريان/القاهرة - مصدر سابق.

وابن أمته ومملوكته عيسى ابن مريم الذى لا يمارى أحد فى تأكيده - وهو يفشو دعوته - المحبة والسلام والموادعة وخفض الجناح، ونذهب إلى أنه ليس ثمة واحد من البطاركة الذين سبقوه فى بنى إسرائيل، وهم يعدون ب العشرات، من يساميه أو حتى يدانيه فى هذا المنحى البالغ الروعة.



أضاف المصنف عبدالله شحاتة «قد يقول قائل إن الجزية فرضت بعد فتح مكة ووفد نجران قبلها ف كيف يقال إن الرسول - ص - صالحهم على الجزية؟

الجواب أن ذلك من باب المصالحة على ترك المباهلة وجاء فرض الجزية بعده على وفق ما صنعه الرسول.[1]

الجواب الذى رقمه عبدالله شحاتة على السؤال شفّ عن عدم معرفة بوقائع السيرة المحمدية المعطير، ولو أنه فتح أى كتاب من التى تشرفت ب تناولها لعلم أن العكس هو الصحيح أى أن قدوم وفد نصارى نجران جاء بعد فرض الجزية التى زبر هو أنها فرضت غبّ فتح الفتوح، فـ بعد هذا الفتح الأكبر - الذى تم فى السنة الثامنة من النزوح «= الهجرة» - جاءت الوفود فى التاسع تهنئ وتقدم فروض الطاعة والولاء وفيه أيضا كتب «الزاهز/الزاهد= محمد» إلى الملوك ورؤساء الدول ومن بين من أرسل إليهم نصارى نجران وبعد مشاورات قرروا إرسال أربعة عشر رجلا منهم..... إلخ.

فكيف يقال إن وفد النصارى النجرانيين قدم قبل فتح قرية القداسة؟

وب التالى إن ما ألزموا بدفعه مصالحة لا جزية.

وكثيرا ما نصحنا - ونحن نعرف أنها (= النصيحة) من أثقل الأمور على النفس- الإخوة المحدثين أو المعاصرين الذين يكتبون فى

(١) (تفسير القرآن الكريم) ل عبدالله شحاتة - الجزء الثالث - مرجع سابق.

الإسـلاميـات أن يتـحـروا الدقـة وأن تظل أدوات البـحث حـاضـرة بين أيديهم وهم يرقمـون، وتطبيقا ل هـذه النصيحة لو أن المصنف شحاتة أو شحاتة المصنف قام به لما انزلق إلى هذه الغلطة التى لا تليق به ك أستاذ جامعى.

وأردف «وقـد أجيب بأجوبة أخرى فارجع أن شئت إلى تفسير ابن كثير».(١)

وقـد فعلت فلم أجد شيئـا أليس من الأدق والأوفق له -وهو باحث أكاديمى- أن يحدد الموضع الذى أثبت فيه ابن كثير، أى أورد أن وفد نجران أتى قبل الفتح، ب أن يحدد الجزء والصحفة والطبعة وسنة النشر والدار.... إلخ.

بعد هذه السكة الجانبية التى جرنا إليها عبدالله شحاتة. نؤوب إلى محجة السياق.

****

إذن وقفت الآيات ٦٠/٦٢ من سورة آل عمران ب جانب «صاحب العطايا = محمد» أمدته فى البدئ ب الإجابة عن السؤال الذى فجأه به رؤساء الجوق النصرانى النجرانى عن عبدالله ومملوكه وابن أمته ومملوكته عيسى ابن مريم ومن أبوه؟ بأنه مثل آدم الذى ليس له أب وخلق من تراب كذا خلق المسيح.

ثم أبدت الآيات الكريمات «الرفيع الذكر والرتب: محمدا» ب الحل الذى أخرس ألسنتهم وقطع حجتهم وأزاح الستار عن أباطيلهم ورفع الحجاب عن ادعاءاتهم الزيوف وكشف الغطاء عن مزاعمهم الفسيدة ونعنى الأمر ب إقامة احتفالية مراسمية = المباهلة.

وإذ إنهم فى قرارة نفوسهم يوقنون ب صدق دعوته فقد خنسوا وفضلوا دفع الجزية.

فى هذا الموقف الحوارى الساخن الذى أثاره أساتذة متخصصون

(١) ذات المرجع والصفحة.

وعلى مستوى عال فى اللاهوت آزره «الهادى/ العجب = القرآن» ونصره على خصمائه الألداء فاطمأن قلبه وهدأ باله وازداد إعجاب تباعه له وإيمانهم ب ما يدعوهم إليه.

ف لولا أنه صادق أمين لما تراجع رؤساء وفد النصارى وهم من القمم العوالى والقلل الشوامخ والذُرى المنيفة من علماء أهل الكتاب.

كما أنه ليس من المنطقى ولا من المقبول أن يعرّض ذاته الشريفة وخاصة أهل بيته الكرام وأحّب الناس إلى قلبه إلى الهلاك والدمار لولا أنه شديد اليقين ب صدق دعوته.

ومن ثم ازدادوا إيمانا ب ما يفشوه بينهم وتضاعف حبهم إيّاه وتراكم إخلاصهم للدولة التى يرسّخ أسسها.

ووضع (الجبل/المهيمن = القرآن) بين أيدينا برهانا جديدا على متانة الوشيجة التى تصله ب واقع من يتوجه إليهم ب خطابه المبين وعلى العلاقة الجدلية بينهما.

وأن النصوص فى مثل هذه الحالة ونديداتها التى عرضناها تَهلّ استجابة لدواعٍ استجدت ول وقائع استحدثت، فهذه تنبت على أرضِ الواقع وتتضلّع عروقها من مياهه، وتلك تبزغ ردا عليها وريّا لا عطشها وشفاء ل غليلها.

الأولى «= التحاضيض المستحدثة» تتجه من أسفل إلى أعلى.

والأخرى تسير فى الاتجاه المقابل لا المعاكس لأنها لو عاكست أو عاسرت أو شاكست لَ فقدت هويتها وأضاعت كينونتها وهدمت بنيتها.

تمشى فى المحجّة الموازية كيما تحقق الغاية المستهدفة فيها.

وهنا تبرز حكمة التنجيم والتبعيض والتفريق..

وسيظل أصحاب شعار المفاصلة والمباعدة والمباينة حيارى لأن الشك بدأ يراودهم فى جدواه وأخذوا يقتنعون رويدا ب مقولة

تاريخية النصوص والتصاقها بحياة من جاءت تهدى ضلالتهم وتفك عقدهم وتحل مشكلاتهم.



٣ ـ أخرج الطبرى وابن أبى حاتم من طريق العوفى عن ابن عباس قال:

قال أهل الكتاب: زعم محمد أنه أوتى ما أوتى فى تواضع وله تسع نسوة، وليس همه إلا النكاح، فأى ملك أفضل من هذا؟ فأنزل الله:

«أم يحسدون الناس على ما أتاهم الله من فضله».

وهى الآية الرابعة والخمسون من سورة النساء

نحن نرجح أن هذه القالة الفلوت تفوه به أحد أو بعض نصارى نجران على الرغم من أن عددا من المصادر عزاها إلى بنى إسرائيل.

سندنا فى هذا الترجيح ما يلى:

أ ـ بعد أن أفحموا فى الحِجاج بِ شأن عبدالله عيسى ابن مريم أرادوا أن يغمزوا «الأرجح/ الأزهر = محمدا» ل وجود تسع زوجات على ذمته.

ب ـ أن أخاهم أو صاحبهم «حسب تعبيرهم» المسيح عيسى لم يسبق له الزواج وليس فى سيرته الطيبة الزكية ما يشير ولو من بعيد إلى اتخاذه سرية أو جارية «ل المتعة» فقد عاش حياته متبتلا ومن ثم ففى نظرهم «= نصارى نجران» أن هذه هى الصورة المثلى لأصحاب الدعوات الكُمّل.

ج ـ من المستبعد ـ رغم ما قلنا إن عددا من المصادر فعله ـ نسبة هذا القول إلى اليهود لأن «علماءهم» يعلمون أن بطاركتهم الأكابر عددوا زوجاتهم بل إن بعضهم تزوج المئات وتسرى المئات.

د ـ الذهنية النصرانية «المسيحية» يعشش فى تلافيفها مبدأ ربط التبتل «عن ملامسة النسون» بالاشتغال ب الخدمة الدينية وليس مصادفة أن نظام الرهبنة نشأ فيها دون غيرها، ولو أن هذا لا يحول

دون وجود عوامل أخرى ساعدت على ظهوره فيها منها التأثر ب كهان مصر القديمة.

هـ - النصرانية تذهب إلى أنه فى حالة الزواج يتعين الاقتصار على بعلة واحدة وهو ضرب من التبتل الجزئى، أو يمكن القول إنه دحرجة إلى التبتل الكلى.

و - من المعلوم أن عبدالله ومملوكه عيسى هو آخر حلقة من سلسلة بطاركة بنى إسرائيل ولو أنه استقل ب ديانة خاصة تفارق ديانتهم وتفاصلها وتباينها، ومن هذا المنطلق اعتبره حواريوه «تلامذته» وتباعه من بعدهم نسقا جديدا ومصححا لنموذج الداعية الكامل أو البطريرك، خاصة بل وحصرا وتحديدا فى منحى الابتعاد عن ملامسة النسون والذى لا مشاحة فيه أن هناك من بطاركة أولاد يعقوب من أسرف فيها بصورة صارخة ول مفاصلته «=عيسى» للحكم والملك.

ن - الذهنية النصرانية لا تفارقها صورة الأم الأولى حواء وغوايتها ل آدم كيما يأكل من الشجرة المحرمة التى انتهت بهما إلى الخروج أو ب الأدق الطرد من الجنة وهى الخطيئة الأولى، ف البطريك أو الداعية يتعين ألا تغدو ب جواره «حواء» أخرى «ثانية» توقعه فى الخطيئة عن طريق الإغواء أو الإغراء، ويكفى الإنسانية التعسة - طبعا من منظورهم أو مذهبهم .ا. هـ- ما لقيته على يد حواء الأولى.

ح - لم يؤسس عبدالله ومملوكه وابن أمته ومملوكته عيسى ابن مريم مملكة بل تجرد تماما عن أى ملك أو تملك أو ملكية وهذا هو المثل الأعلى للبطريك ومؤسس الديانة والصادع ب دعوة جديدة من منظور النصارى.

هو الوجه الآخر من العملة، أو الجناح الآخر ل الطائر أو الساق الأخرى التى بدونها لا يستطيع الإنسان أن يسير سيرا طبيعيا.

تبتل عن النساء وعزوف عن الحكم مع مفاصلة للملكية أو التملك،

فإذا لم تتوافر هاتان الخاصيتان أو الصيغتان فى الداعية فلا يستحق لقب البطريرك ولا يغدو مؤسس ديانة.

وسوف نرى فيما بعد أنه مجرد هراء ومحض هرف وهذيان خالص.

وأن الذى يفند هذه المزاعم الفطيرة والادعاءات الفسيدة والدعاوى الباطلة هو إسطيرهم المقدس ذاته - التوراة التى ذيل النصارى بها أناجيلهم وألحقوها بها ثم قدسوهما معا. ف هى التى قصت حكايا البطاركة الذين حازوا ملكا كبيرا وجمعوا نسوة ب العشرات بل المئات.

فهم والحال كذلك فى زناق فإما أن الشرطين اللازمين للبطريك الداعى مؤسس الديانة صحيحا فيلزم القول إن يوسف وداود وسليمان ليسوا بطاركة أو حتى أشباه بطاركة.

وإما أنها =(الشرطان) باطلان فينهار من أساسه ما حاولوا أن يأخذوه على «أجود الناس وأكرم الخلق = محمد».

إذن تبتل عبدالله ومملوكه وابن أمته ومملوكته عيسى ابن مريم وعزوفه عن الملك شيا على أرض الواقع صورة البطريرك المثال أو النموذج وهذا مبعث فخرهم وتعاليهم على اليهود.

ف إذا جاء «من جعلت قرة عينه فى الصلاة = محمد» وفارق هذه الصورة «النموذج» من وجهة نظرهم وصرح عملا وقولا بأن من سنته الزواج بل وتبرأ من تباعه الذين يرغبون عنها وتأسيسه دولة فى هاتين النقطتين إلى حد محدود للغاية بدا أقرب إلى «الكُمّل» الذين ظهروا فى بنى إسرائيل.

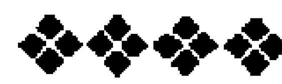
نستأنف ونقول إذ فعله فقد صَتّ النصارى وحطم «المثال» الذى تخيلوه عن البطاركة أو الكمل أو مؤسسى الديانات، ومن هنا بادروا إلى غمزة ولمزه لاتخاذه العديد من البعلات ول إقامته دولة.

هذه هى أسانيدنا فى أن هَلّ الآية الرابعة والخمسين من سورة

النساء قصد به الرد على ما فاه به واحد أو أكثر من متنفذى وفد نصارى نجران فى هذا المجال.

ولو أنه لا يمنع من انضمام «علماء» بنى إسرائيل إليهم فى هذه القالة الخسيسة ومعاضدتهم لهم فيها.

فقد رأينا فى ما أسلفناه تعاونهم أو مشاركتهم فى توجيه مثل هذه الأقوال الخائبة إليه.



أولا: من كتب أسباب النزول:

لباب النقول:

(أخرج ابن أبى حاتم من طريق العوفى عن ابن عباس قال: قال أهل الكتاب: زعم محمد أنه أوتى ما أوتى فى تواضع، وله تسع نسوة وليس همه إلا النكاح فأى ملك أفضل من هذا؟ فأنزل الله الآية..... وأخرج ابن سعد عن عمر مولى غفرة نحوه أبسط منه).[1]

جاء فى الخبر أن «أهل الكتاب» هم الذين قالوا: زعم محمد.. إلخ.

لم يقل اليهود، وكثيرا ما عبر «مأدبة الله/ القرآن» عن النصارى ب عبارة «أهل الكتاب»: (يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله).[2]

(وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا).[3]

وما ورد فيها «ليؤمنن به قبل موته» أى عبدالله عيسى ابن مريم كما هو مبين فى الآيات التى سبقتها.

---

(١) (لباب النقول) ل السيوطى/ ص ٥٤/ مصدر سابق.

(٢) سورة النساء الآية ١٧١.

(٣) سورة النساء الآية ١٥٩.

(ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون. قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا والله هو السميع العليم. قل يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق.... إلى آخر الآية.

سورة المائدة الآيات ٧٥ - ٧٦ - ٧٧.

إذن عبارة «قال أهل الكتاب» التى وردت فى ال «لباب» تنصرف إلى النصارى، وهذا يضاف إلى الأسانيد التى طرحناها.

ثانيا: التفاسير:

١ ـ تنوير المقباس:

(«أم يحسدون» بل يحسدون، «الناس» يعنى محمدا «على ما آتاهم الله من فضله» على ما أعطاه الله من الكتاب والنبوة وكثرة النساء وأعطينا «آل إبراهيم» وداود وسليمان «الكتاب والحكمة» العلم والفهم والنبوة «وآتيناهم ملكا عظيما» أكرمناهم بالنبوة والإسلام وأعطيناهم ملك بنى إسرائيل فكان ل داود مائة امرأة مهرية ولسليمان سبعمائة سرية وثلثمائة مهرية».

فى (العهد القديم) الشطر المجلى من «الكتاب المقدس» نجد أن الأمر على النقيض أى أن سليمان بن داود نكح سبعمائة مرة حرة وتسرى ب ثلثمائة جارية للمتعة وأنه اختارهن «بعلات وإماء» من سائر الجنسيات والملل والعقائد التى وجدت فى عهده الميمون إما على الرقعة المحدودة التى حكمها وإما بجوارها مثل:

العموريين والكنعانيين والحيثيين واليبوسيين والعززين والحويين... إلخ النصارى كما زبرنا يؤمنون بما جاء فى التوراة وضموا أناجيلهم

---

(١) (تنوير المقباس) ـ ص ٥٨ ـ مصدر سابق.

(١) العامة فى مصر تقول عمن يعمل مثل الباطريرك سليمان: ما عتقش أو ما خلاش!!

إليها وأطلقوا على المجموع «الكتاب المقدس».

وسير البطاركة الأكابر المزبورة فيها «التوراة» حجة عليهم، إذ بها يصدقون ويؤمنون. فـ مادام ل داود ول سليمان هذه المئات من النسوان، وهى أضعاف أضعاف ما تزوجه «المانح المبتهل = محمد» فلم تجيزونه لهم وتعتبرونه فى حقه عيبا أو نقيصة؟

٢ـ تفسير الجلالين:

(أم) بل «يحسدون الناس» أى النبى ـ ص ـ «على ما آتاهم الله من فضله» من النبوة وكثرة النساء أى يتمنون زواله عنه ويقولون لو كان نبيا لانشغل عن النساء «فقد آتينا آل ابراهيم» جده كموسى وداود وسليمان «الكتاب والحكمة» والكتاب والنبوة «وآتيناهم ملكا عظيما» فكان لداود تسع وتسعون امرأة ولسليمان ألف ما بين حرة وسرية».(١)

٣ـ تفسير مقاتل بن سليمان:

(يقول الله عز وجل «فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة» يعنى النبوة «وآتيناهم ملكا عظيما» وكان يوسف منهم على مصر وسليمان منهم وكان لداود تسعة وتسعون امرأة وكان لسليمان ثلاثمائة امرأة حرة وسبعمائة سرية، فكيف تذكرون محمدا فى تسع نسوة ولا تذكرون داود وسليمان ـ س– فكان هؤلاء أكثر نساء وملكا من محمد ـ ص ـ ومحمد أيضا من آل إبراهيم)(٢).

٤ـ الكشاف

(وعن ابن عباس: الملك فى آل إبراهيم ملك يوسف وداود وسليمان وقيل استكثروا نساءه فقيل لهم كيف استكثرتم له التسع وقد كان لداود مائة ولسليمان ثلاثمائة مهيرة وسبعمائة سرية).(١)

---

(١) (تفسير الجلالين) ص ٧٢/مصدر سابق

(٢) (تفسير مقاتل) ص ٢٤٤/مصدر سابق.

٥ـ «مفاتيح الغيب- التفسير الكبير»

(قيل إنهم لما استكثروا نساءه قيل لهم كيف استكثرتم له التسع وقد كان لداود مائة ولسليمان ثلثمائة بالمهر وسبعمائة سرية).(٢)

من كتب المحدثين فى التفسير.

٦ـ التفسير الوسيط

(أم يحسدون الناس على ما آتاهم من فضله..) الآية:

أى أنهم ليس لديهم دليل يستندون إليه وسبب يتمسكون به فى تكذيبهم، بل هم يحسدون الناس ـ وهم النبى ـ ص ـ ومن معه من المؤمنين على ما آتاهم الله من فضله وأنعم به عليهم، حيث أعطاهم النبوة والكتاب والحكمة.

ولا غرابة فى هذا، ففضل الله واسع وقد آتى الله آل إبراهيم أى إبراهيم ومن معه الكتاب والحكمة والنبوة وآتاهم الله مع ذلك ملكا عظيما واسعا.

ومن ذلك أعطى الله تعالى ليوسف ـ س ـ من السلطان فى مصر.

وما أعطاه الله تعالى لداود وسليمان ـ س ـ من النبوة والملك العظيم فلا غرابة بعد هذا أن يؤتى الله محمدا ـ ص ـ وهو من أولاد إبراهيم مثلما أعطى إخوانه من الأنبياء).(٣)

تعمدنا أن ننقل الفقرة كاملة ونذكر القارئ بأن هذا التفسير:

أ ـ من تأليف لجنة من العلماء.

ب ـ بإشراف مجمع البحوث الإسلامية.

ج ـ التابع ب دوره ل الأزهر.

لأننا سوف نطرح ملاحظات عليها نوجزها فى الآتى:

---

(١) (الكشاف) ـ الأول – ص ٥٢٤ ـ مصدر سابق.

(٢) (التفسير الكبير) ل الرازى – الخامس – ص ٤٥٣ – مصدر سابق.

(٣) (التفسير الوسيط) الحزب التاسع ـ ص ٨٣٠ ـ ٨٣١ ـ مرجع سابق.

١ ـ أن المشايخ العلماء أو العلماء المشايخ أسقطوا من تفسيرهم مسألة عيب النصارى أو اليهود أو هما معا على «حامل لواء الحمد/ محمد» اتخاذه تسع نسون، مع أن المفسرين الأكابر الذين ذكرناهم وغيرهم ممن ضاق المجال عنهم رقموها تفصيلا ومعها الرد المفحم وهو اتخاذ داود وسليمان مئات البعلات والسريات.

المشايخ يظنون أنهم لو ضمنوها تفسيرهم لشكل قدحا فى «أول من يفيق من الصعقة»، وهذا غير صحيح، ف فضلا عن أن أمانة العلم توجب عليهم إثباتها وعدم التغاضى عنها فإنهم لو فعلوا وقارنوا بين الزوجات التسع ل « من جعلت له الأرض مسجدا » وزوجات وسرارى داود وسليمان لاستبان لكل ذى عينين الفرق الصادع ولقدموا دليلا قاطعا على فسولة الطعن الذى طرحه النصارى أو اليهود أو الاثنان معا.

فضلا عن أن العلماء مؤلفى التفسير لا نعتقد أنهم أتقى وأخشى لله من سلفهم الصالح الذى أثبت الطعن والحجج الدامغة على عطنه ولو أن فى إحدهما أو كليهما أدنى خريشة لمقام (المشذب/المشير = محمد) لما فعلوا.

٢ ـ فسروا «الناس» فى «أم يحسدون الناس» ب (المجتبى/ الحبيب= محمد) ومن معه من المؤمنين على ما آتاهم..... إلخ.

وهو تفسير لم يسبقهم إليه أحد بل إن التفاسير مطبقة على أن المقصود ب «الناس» هو «ذؤابة قريش/ محمد» وحده وليرجعوا إليها ليتأكدوا.

ولا ندرى كيف يجوز شرعا وعقلا أن الله تبارك وتعالى أعطى الصحابة النبوة والكتاب والحكمة!.

لو أن هذا التفسير زبره مفسر آخر ل طالب المجمع بمصادرة كتابه.

٣ ـ أوضحوا أن المقصود ب آل ابراهيم أى (إبراهيم ومن معه)!!.

ف هل يصح القول إن «من مع إبراهيم» تعنى آله الذين آتاهم الله الكتاب والحكمة والملك العظيم؟ إن «من معه» تشمل نسوانه وجواريه وعبدانه وأصهاره وخدمه ومعاونيه.. إلخ، فهل نفح الله جل شأنه هؤلاء الكتاب والحكمة والملك العظيم؟

أليس من الأحرى مراعاة الدقة البالغة فى تفسير (مأدبة الله = القرآن)؟

٤ ـ واضح أن العالم الشيخ أو الشيخ العالم الذى أنيط به تفسير الآيات فى حاجة ماسة إلى إغناء معجمه اللغوى، إذ إنه فى الفقرة القصيرة كرر كلمات:

آتى ـ الملك العظيم ـ لا غرابة ـ أعطى ـ وهذه كررها عدة مرات.

ألا توجد مرادفات لها تحل محلها وبذلك تزيدها طلاوة وتمنحها غنى وترفدها رونقا مع المحافظة البالغة على المعنى إذ لا تضارب بين الأمرين.



ثم عودة إلى سياقة التنقير والتنقيب:

اول المتنفذون فى وفد نصارى نجران ـ بعد أن خسروا جولة الحجاج ب شأن ألوهية عبدالله عيسى – أن يلمزوا «الحجازى/ المكى = محمدا» ب أن له ملكا وحكومة وسلطانا وتحته تسع زوجات، والبطاركة ليسوا كذلك وفى ذهنهم أيأة (=هيأة وزنا ومعنى ا. هـ).

صاحبهم أو أخيهم ابن أمة الله ومملوكته مريم.

ظن المأفونون أنهم يضعونه فى زناق ويرمونه ب مالا يجد ردا عليه، وأنهم يخرجونه أمام تبيعه الذين من الحتم اللازم أنهم ما طفقوا يشهدون اللجاج العنيف.

بيد أن فألهم خاب وأملهم تبدد وقصدهم تبخر وحلمهم تحول إلى ضغث أو كابوس.

إن المثانى/العربى= القرآن» من الحتم اللازم أن يسعف «الصفوح = محمدا» بالرد الذى يصفعهم والحجة التى تَصُتّهم والدليل الذى يصكهم والبرهان الذى يفحمهم.

أنتم تؤمنون ب التوراة وما حوته وتعتبرونها مع أنجيلكم أو أناجيلكم «الكتاب المقدس».

وفيها أن يوسف فى فترة من تاريخ مصر غدا صاحب سلطان.

وداود وسليمان من الملوك أصحاب الحكم والهيمنة.

والأخيران تزوجا من الحرائر العشرات بل المئات «=سليمان» بخلاف ملك اليمين.

وجماعهم حسب اعتقادكم من البطاركة الكمّل.

ف لماذا تتكرونه على «العامل/ العلامة = محمد» مع أن ما حازه من الملك والحكومة والسلطان لا يقارن بذياك الذى تمتّع به يوسف وداود وسليمان؟

أما بعلاته فلا تبلغ عدتهن عشر اللائى نكحهن داود بخلاف سرياته ودعكم من موطوءات سليمان من المهريات والإماء فقد أكملن الألف.

ف لماذا لم تنتقدوا بطاركتكم وتقولوا من الأمثل والأوفق والأحكم لو تجردوا من السلطة ول فارقوا نكاح النسون ول تعففوا عن المتعة الجنسية وتعالوا على اللذة الجسدية وتفرغوا ل مهام الدعوة وانصرفوا ل مشاغل الديانة ونشرها وإفشائها وإعلانها وإذاعتها؟

لماذا تكيلون بكيلين وتقيسون ب مقياسين وتعيّرون ب معيارين؟ خاصة أن صاحبكم أو أخاكم عبدالله ومملوكه وابن أمته ومملوكته عيسى لم يصنع صنيعكم الطفس ولم ينهج منهجكم اللّقس ولم يسلك هذا الدرب الوبىء ولم يسر فى هذه المحجة المعوجة ولم يمش فى هذا الطريق المنحرف، إذ لم ينبس ب بنت شفة فى حق الكمّل الذين

سبقوه ولم يعب عليهم الملك والسلطان ولم يندد بانصرافهم إلى مفاخذة الزوجات وإسرافهم فى مباطنة الجوارى وانكبابهم على ركوب السرارى ومغالاتهم فى امتطاء ملك اليمين؟



أقبلت مثل النجم الثاقب صاحب النور الباهر والضوء اللامع آية «أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد أتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة والنبوة».(١)

فألقمت صناديد نصارى نجران حجرا ف عجزوا عن التعقيب وحاروا عن التعليق وارتبكوا عن التفنيد ف أصابهم البكم وركبهم العى وانتابتهم اللخْمة وشملتهم الحبُسة وسيطرت عليهم العُجمة وهيمنت عليهم الحُكْلة.

ف انتصر عليهم (فاتح الكنوز = محمد) نصرا قويا وفلج فلجا مبينا وظفر ظفرا عزيزا ف انقلبوا مدحورين وآبوا أذلاء وعادوا خائبين ورجعوا منهزمين.

وهلل الصحاب لارتفاع راية قائدهم وتنكيس بيرق مناوئيه وسقوطه إلى التراب مهينا ونفحت واحدا من البراهين على أن «القصص/المرفوع = القرآن» معه ومعهم وفى سائر الظروف لا يفارقهم أو ينأى عنهم وعلى العلاقة التبادلية الحميمة بين الواقع والنص:

تنبت مشكلة أو تقب معضلة أو ترتفع أزمة على الأرض وفى صميم مجتمع المخاطبين «ب فتح الطاء» تتطلب حلا أو ردا أو جوابا.. إلخ ف يهرع النص ل ملاقاتها مستجيبا ل ندائها وملبيا ل طلبتها ومحققا لرغبتها.

إذن الأزمة وحلها أو الاستبيان والرد عليه، ب الإضافة إلى الوشيجة الوثقى التى تلبكهما يشكّلان معا واقعة تاريخية يتعين ل

---

(١) النساء/٥٤.

فهم النص أو تفسيره أو توضيحه وضعها فى الحسبان، إن تجاهل الكينونة التاريخية ل النص يقطع الطريق على الاستيعاب الأمثل والنقاهة الصحيحة والإدراك السديد.

وب المقابل فالقول بالتجريد والنداء ب التعميم والادعاء ب اللاتعيين يؤدى إلى التضبيب ويوصل إلى الغبش وينتهى ب التعتيم وربما جماعه هو ما يهدف إليه أصحاب الشعار ولولا حكمة التنْجيم لما أتيح ل هذه الفوائد الجليلة الجمة أن تؤتى ثمارها الناضجة.

ونكتفى ب هذه الأمثلة الثلاثة من حجاج أصحاب الثالوث وعساها تضحى ذات غُنية.

خِتام

[١]

تاريخية النص المؤسِّس لا تجد قبولا من الدوجماطيقين، بل إنها تثير حفيظتهم ويعتبرونها بدعة ضالة مضلة.

يرفعون أمامها مقولة «العبرة ب عموم اللفظ لاب خصوص السبب» وهذه ليست آية كريمة ولا حديثا محمديا شريفا ولم يفه بها واحد من الصحاب.

على أحسن الفروض أطلقها تابعىّ.

أبو حنيفة النعمان شيخ مذاهب الأحناف - أكبر المذاهب لدى أهل السنة والجماعة - حدد الموقف من آرائهم بقوله:

(فإذا جئنا إلى التابعين ف هم رجال ونحن رجال).

أى لا قداسة ل طروحاتهم لأنها اجتهاد بشرى فلنا أن نقبلها إن اقتنعنا بها أو نرفضها إذا افتقرت إلى الحجة وأعوزها البرهان واحتاجت إلى الدليل.

تقديس تركة السلف أحد روافد جمود الفكر الإسلامى بل بدون مغالاة أهمها على الإطلاق ولو أنه يوسع المحجة لغيره من التحاضيض.

«العبرة ب عموم اللفظ لا ب خصوص السبب» عبارة فضفاضة ب الإضافة إلى اتسامها ب اللامنطقية.

ف اللفظ الذى غطاها أو عبّر عنها ليس فيه عمومية ب المعنى الذى تُوهم به القاعدة.

كما أن إلغاء السبب مصادرة على المطلوب إذ إنه وحده السبيل الفرد ل فهم اللفظ الذى وصفته المقولة - دون وجه حق ب العمومية.

ف مثلا تحلة الأيمان فى «قد فرض الله تحلة أيمانكم» من العسير استيعابها دون معرفة الواقعة التى سبقتها وبمعنى أدق التى تسببت فى هَلّها أو إشراقها وهى حكاية مسّ «سعد الخلائق = محمد» ل جاريته القبطية على فراش العدوية بنت العدوى نعنى حفصة بنت عمر وعودتها الفجائية أو غير المتوقعة ورؤيتها فثورتها الغضوب ثم حلفه لها ب عدم الاقتراب من الأمة المصرية الجميلة البيضاء.. فقدوم الآية بِ فكّ الأزمة ب تحويلها العهد الذى

صدر منه إلى مجرد يمين من اليسير التكفير عنها ك أى يمين غيرها .

إذن بدون معرفة هذه الخلفية من المستحيل نقاهة التَحّلة التى تضمنتها الآية ف هى «= الآية» لا تنضوى على لفظ عام أو ب معنى أدق حكم عام، ولكن أرقل الفقه بعد حين قصير أو طويل وَسَحَبها على الأيمان الأخريات وسوّى بينها فى الحكم أى التحلل من القسم.

نخلص إلى أن تعميم اللفظ ليس له وجود وقت أن تلا «المترحم = محمد» الآية على تُبّاعه وقبل أن يكفّر عن قسمه أو يمينه أو عهده كيما يعود إلى ملامسة مارية القبطية الحسينة. إنما جاءت العمومية والتعميم أو بمعنى أدق القول بهما بعدها بزمان.

ونحن نؤيد هذا المنحى الذى سار فيه الفقهاء سواء من علماء الصحابة أو من الفقهاء قبل نشوء المذاهب أو من أئمتها ومؤسسى مدارسها.

لماذا؟

لأن هذا العمل يتسق مع ما نادينا به منذ نحو عشرين عاما ومازلنا: استخلاص المعنى أو القيمة أو المغزى من النص دون التقيد ب حروفه.

أى لم يشترط الفقهاء حدوث واقعة مماثلة ل قصة مارية القبطية

بل أخذوا الدلالة منها وطبقوها على النوازل التى استجدت فى عصرهم.

إنما الاعتراض على المقولة أو القاعدة التى وضعت خصيصا ل نفى قاعدة التاريخية التى يبغضها السدنة والمرازية والدهاقون.

لماذا؟

لأنهم يعيشون بل يتعيشون على تجريد النص المؤَسِّس وتحويله إلى نماذج متعالية وأمثلة مفارقة وترميزات مباينة لا علاقة لها بِ واقع الناس ولا وشيجة لها بِ هموم حياتهم ولا صلة لها ب مشاغل معاشهم.

[٢]

بيد أن سلوك الفقهاء يؤيد من جانب آخر تاريخية النص المؤسس التى رفعنا شعارها منذ سنوات طوال.

لعل العبارة فى حاجة إلى مزيد من الإضاءة.

إصرار الفقهاء على استخلاص المغزى أو المعنى أو القيمة هو اعتراف ضمنى بل صريح ب أن الآية التى استخرجوا منها الحكم ارتبطت ب نازلة معينة تشيأت على أرض الواقع فى زمن محدد وأبطالها هم «دعوة إبراهيم» وسريته القبطية وبعلته العدوية وفى مكان معلوم هو حجرة الزوجة المهرية وعلى فراشها ف هو -أى المكان- إذن لعب دورا بارزا لا يقل أهمية عن بقية العناصر التى تتشكل فيها الحكاية، فلولا أنه خاص ب ابنة الخطاب وأن باب الحجرة غير محكم ومساحتها محدودة لما تسنى ل حفصة اكتشاف وطء «المعظم المعطى = محمد» ل أمته المصرية الحسناء الفاتنة على فراشها وسريرها، ب الإضافة إلى البلد الذى حدثت فيه وهو (أثرب) بخلاف إبّان وقوعها، إذن تاريخية الآية أمر ملموس ب الحداس قبل أن يدركه العقل أوحتى يمكن التوصل إليه ب الحدس أو الانتهاء إليه ب التخمين أو التعرف عليه ب الفراسة.

ولكن ما هى الحكمة فى التأكيد على التاريخية؟

هناك عدة حكم «جمع حكمة» لا حكمة مفردة.

أولاها أن نفيها من جانب الدجماطيقيين إنكار لما هو معلوم بعدة طرق من وسائل الإدراك وهذا ب لا مشاحة أمر ينافى الموضوعية.

وثانيتهما: أنه ب مثابة هدم ل العماد الذى ترسخ عليه النص المؤسس.

وثالثتهما: يؤدى إنكارها بطريق الحتم واللزوم إلى سوء فهم النصوص المؤسسية، مما يوصل إلى تفسيرات شاحبة وتأويلات ضامرة وتوضيحات هزيلة.

ورابعتها: أن بترها من سياقها التاريخى سوف يسلم فى نهاية الشوط إلى التعتيم وفى آخر المطاف إلى التضبيب، وفى ختام المضمار إلى الغبشة (= ظلمة آخر الليل) وبدوره سيجر إلى:

الخامسة والأخيرة: تضارب التفسيرات وتناقض التأويلات واختلاط الشروحات ومرج الإيضاحات واضطراب الاستخلاصات.

لماذا؟

لأن تاريخية النص المؤسس ب مثابة البوصلة التى تحدد ل السفينة - فى وسط المحيط -خط سيرها الصحيح.

[٢]

التمسك ب تاريخية النص المؤسس يعيد إلى الأذهان حقيقة غدت ملقاة فى مربع النسيان ل أسباب عديدة وهى أن القرآن المجيد بدأ شفاهيا وحفظ فى الصدور مدة طويلة إبّانها اتسم ب الطزاجة والعطاء والبكورة والتفتح حتى زمل (= أسرع) الأموى عثمان بن عفان وسيّجه وأغلق عليه بين دفتين.[١] وتحول من القرآن إلى مصحف وهو لفظ لم يرد فى (المرفوع/ المطهر = القرآن) وإن وردت به كلمة صحف، والمتفق عليه أن كلمة مصحف حبشية والأشد غرابة أنه أصبح يدعى «مصحف عثمان» رغم أنه «المصحف الإمام» ونمتنع عن الخوض فى المعركة التى خاضها الأموى عثمان مع عدد من الصحابة الذين تملكوا مصاحف خاصة بهم ولا ب الاختلافات فى هذا الشأن ف من أراد الاطلاع عليها ف عليه ب كتاب المصاحف ل السجستانى وغيره.[٢]

إنما الذى يهمنا أن تسمية القرآن العظيم ب «مصحف عثمان» تكرّست فى عهد الأسرة المالكة الأموية بديا ب معاوية بن أبى سفيان وذلك لأهداف سياسية أقلها تثبيت مكانتها لدى «الرعية!!!» وفى مواجهة بنى هاشم أصحاب الحق فى منصب الإمامة العظمى الذى اغتصبوه منهم ب طرق نعفّ عن تسطيرها.

---

(١) الدفة من كل شئ جنبه أو صفحته - من «المعجم الوجيز»

(٢) (كتاب المصاحف) تأليف أبى بكر عبدالله بن أبى داود سليمان بن الأشعث السجستانى - «باب المصاحف العثمانية» وكذلك كتاب «فضائل القرآن» ل ابن كثير - ٧٠٠ - ٧٧٤هـ -

طبعة ١٩٧٩ - الناشر على رحمى - مصر - من ص ٤١ حتى ص ٥٩ - الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥م.

ولعلها سخرية من القدر أن ينُسب القرآن الكريم إلى فرد من البطن أو الفخذ الذى وقف ب المرصاد ل «عين العز/ محمد» وهو ينشر دعوته ويؤسس دولة جده قصى فيقال «مصحف عثمان» لا «مصحف الحبيب المجتبى/ محمد» حتى إن أحد الباحثين المخضرمين لم ير غضاضة فى أن يزبر «وبذلك تمت موافقة الأمة كلها على مصحف عثمان»[(١)]

بعد أن سَكّ شيخ بنى أمية القرآن بين اللوحين تحول من نص شفاهى طازج منفتح إلى كتاب تعلوه القداسة وتحف به المهابة وتحوط به الجلالة، وبِ مضى الوقت وكرور الأيام تحلقت حوله كوكبة من السدنة وطائفة من المرازبة ومجموعة من الحجّاب يمنعون الاقتراب منه إلا بإذنهم ويحظرون تفسيره إلا إذا مُهر بخاتمهم ويحجرون تأويله إلا على من حاز صفات أو مؤهلات أو مُكْنات ينفردون هم ب تحديدها.

ومن الطريف، وكم فى مجال الإسلاميات وإن شئت قلت فى الدينيات عموما من طرائف وعجائب ومدهشات يحار الفطن ذو اللب والحجى والنهى فى تعليلها أو عقلنتها أو منطقتها «جعلها منطقية» ف يعجز ف يقال له: لا تتعب نفسك ف هى كذلك.[(٢)]

ف إما أن تتقبلها على علاتها وإما حد الرّدة وما أدراك ما حد الردة!!! - نعود ف نقول إن تلك المواصفات المستحيلة غير متوافرة فيهم هم «= السدنة - المرازبة - الحجاب».

إن حياطة النص المقدس بسور يقف عليه الحراس ولا يفارقه الحُلاس ولا يغادره المتحرزون ليست خاصة ب ديانة الإسلام بل سبقته فيها اليهودية فالنصرانية «المسيحية».

هؤلاء الذين يتولّونها أو يباشرونها من الطبيعى أن يعادوا «تاريخية النصوص المؤسسة» لأن مصلحتهم المادية والأدبية تتركز فى إفهام عامة المؤمنين أنها «= النصوص» مُفارقة ومُفاصلة ولا صلة لها ب واقع الناس بل لها

---

(١) (تاريخ القرآن) ل د. عبدالصبور شاهين ص ١٨٩ - طبعة ثانية.

(٢) العامة فى مصر تقول: هى كده.

آفاقها العالية المرموقة ومجالاتها المثالية السامية وفضاءاتها النموذجية الباذخة.

وكنتيجة مباشرة يمكنهم تطويعها وفى استطاعتهم تشكيلها وب مقدرتهم تلوينها ب الصورة التى يريدونها.

وفريق آخر يشن حربا لا هوادة فيها على التاريخية وأصحابها، نعنى بهم أولئك الذين يستخدمون «النصوص» ل مآربهم السياسية ك أيديولوچية تفتح أمامهم طريق السلطة.

فى هذه الحالة ف إن بقاء «نص التأسيس» فى برج عاجى يتيح لهم اتخاذه «= النص» أداة فعالة ل تبييض وجه شعاراتهم وبرقشة لافتاتهم وتجميل ادعاءاتهم.

ف كلما بقى «= النص» مجردا ومفاصلا وبعيد المنال صار أصلح ل الاستخدام وأسهل ل الاستعمال وأيسر ل التوظيف خاصة أن كل ما يمت إلى الدين ب صلة ليس ثم ما يدانيه فى التأثير على القاعدة الشعبية العريضة[(١)]

وسيظل الأمر على منواله إلى أن تتغير أحوالها المادية أولا ثم الثقافية والمعرفية.

إذن ربط «النص المؤسس» بتاريخ هلّه أو إشراقه أو انبثاقه سيقطع الطريق أمام مساعى أصحاب هذا الفريق لأنه سوف يعرى شعاراتهم الزُيوف حتى من ورقة التوت التى حاول أبوهم آدم وأمهم حواء أن يستترا بها من عينى الرب كما حكته القصة التوراتية المعجبة، وآخرون غير هاتين الجوقتين ينظرون إلى التاريخية شزرا ل أسباب تيولوجية، بيد أن حلاس النص المكتوب الذى أغلق بين اللوحين أو الدفتين، والمهجيين والديماجوجيين الساعين ل السلطة بارتداء الإزار الدينى هم الفرقتان الأشد عداوة والألد خصومه والأحمى نزاعا لها.

---

(١) الأدبيات الإسلامية تسميها الرعية وهى ذات اللفظة التى تطلقها على الماشية.

[٤]

القرآن الكريم الذى حفظه الصحاب فى صدورهم يسميه باحث «الصورة الصوتية».(١)

ويرسم لوحة فنية رائعة لها «أما الصورة الصوتية فتتجلى فى تلقى القرآن بالمشافهة من صاحب الوحى، إذ كان النبى يقرأ ما ينزل عليه والصحابة حوله يسمعون بآذانهم ما يقرؤه النبى فيعرفون عن طريق السماع حقيقة النظم القرآنى ويقفون على أسلوب أدائه، وينبغى أن نذكر أن هذا الضرب من التلقى لم يقع مرة واحدة بل تكررت القراءة وتكرر التلقى عن النبى، فالرسول الكريم كان يحفظ القرآن والصحابة الآخذون عنه كانوا يحفظونه كذلك، ثم يعود هذا المحفوظ خلال الصلوات، فكان الرسول يقرأ وهو يؤم الصحابة والمصلون من ورائه يسمعون وهكذا حفظ القرآن فى صدر النبى وصدور الصحابة».(٢)

ويؤكد الزركشى فى «برهانه» أنه (فى زمن النبى - صلى الله عليه وسلم - تُرك جمعه فى مصحف واحد).(٣)

ويفرّق السيوطى بين الكتابة والجمع فيؤكد أن «القرآن كتب كله فى عهد رسول الله - ص - ولكنه لم يجمع فى موضع واحد ولم ترتب سوره». (٤)

بيد أن الأمر الثابت أن الاعتماد كليا على الحفظ فى الذاكرة والجمع فى الصدور استمرا دون غيرهما حتى منتصف خلافة التيمىّ: أبى بكر

---

(١) (المصحف الشريف - دراسة تاريخية وفنية) د. محمد عبدالعزيز مرزوق ص١٢ من سلسلة «قضايا إسلامية» طبعة ١٩٨٥م - الهيئة المصرية العامة ل الكتاب.

(٢) ذات المرجع والصفحة.

(٣) (البرهان فى علوم القرآن) - بدر الدين الزركشى - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - الجزء الأول ص ٢٣٥ - الطبعة الثانية - ١٣٩١هـ-١٩٧٢م - عيسى البابى الحلبى وشركاه- ب مصر.

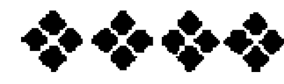
(٤) (الإتقان) ص ٥٧ نقلا عن «مصحف عثمان» ل سحر سالم ص٦ سابق.

أى منذ واقعة غار حرى حتى سنة ١٢ هـ أى ما يقرب من ٢٥ عاما.

والحُجّة على ذلك أنه عندما شرع زيد بن ثابت فى جمعه تمهيدا ل كتابته توكأ على محفوظات الرجال، بل إن عددا من الآيات لم يجدها مكتوبة على اللِّخاف والرقاع والعُسب والأكتاف. بل عثر عليها عند بعض الصحاب مثل حزيمة بن ثابت وأبىّ بن كعب.

وإبّان ذاك طفق العدوى ابن الخطاب -صاحب فكرة الجمع- ينادى بصوته الجهورى فى الناس (من كان تلقى عن رسول الله - ص - شيئا من القرآن فليأتنا به).[1]

ول نلاحظ أنه لم يقل «من كتب شيئا من القرآن فليأتنا به».



مع صعوبة تصور كتابة القرآن العظيم كله على الأدوات الكتابية البدائية إياها.. إلخ، فضلا عن أن ذيّاك المجتمع المعجب شبه المتبدىّ وثقافته الشفاهية فهو يعتمد فى تجميع وتراكم معارفه على الأذن قبل العين ومن ثم فإن وعاءها «= المعارف» الذاكرة والصدر لا المجرة والقلم والورقة.

والدليل عليه أنه على الرغم من آلاف القصائد والمقطّعات الشعرية التى قيلت أو أنشدت قبل الإسلام فَ لم يكتب إلا المعلّقات والقليل غيرها وجماعها نقل من جيل ل الذى يخلفه ب طريق الشفه.

ومن ثم فليس من باب المصادفة أن القرآن المجيد ضم المئات من لفظة «سمع» ومشتقاتها.

وقدّم السمع على البصر (وهو الذى أنشأ لكم السمع والأبصار....)[2]

و(جعل لكم السمع والأبصار)[1]

---

(١) (كتاب المصاحف) ل السجستانى- ص ص ١٤ - ١٥ - ١٦ - ١٧ - مصدر سابق.

(٢) الآية ٧٨ من سورة «المؤمنون».

بل خطا خطوة أوسع وفى ذات الوقت أعمق دلالة وأبين حجّة وأبلغ برهانا إذ قدّمه على العقل «وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل».(٢)

وتعليله فيما نرى أنه «= الأحسن/العظيم = القرآن» خاطب أفراد المجتمع، وبالتالى ف من البديهى أن يأتى متوافقا مع حالتهم، ملائما ل ظروفهم، موائما ل أعرافهم وهذا أحد أدلة إعجازه الذى لم يُلتفت إليه من قبل، إذ إنه لو قدم البصر أو النظر على السمع ل جاء مفارقا ل إلفهم، مباينا ل عادتهم مفاصلا لأحوالهم ول استغربوا منحاه ولتعجبوا من منهجه ول استنكروا طريقته.

إن ما نذهب إليه يستند إلى حُجّة بالغة وردت فى الآية الكريمة «وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم».(٣)

وسبق أن زيرنا أن اللسان لا يعنى لغة الخطاب فحسب، بل يشمل المحصول المعرفى ل «القوم» ودرجتهم الحضارية ومخزونهم الثقافى وما تعارفوا عليه فى سوق الكلام ونقاهته وإدراك ما يضمه من شفرات وما يحتويه عليه من رموز وما يحمله من مضامين، ف لو خاطبهم الكُمّل أو البطاركة بخلاف ما درجوا عليه وعلى نقيض ما استقروا عليه وبعكس ماربوا عليه لما استمعوا ل قولهم ولما قبلوا ما يطلبونه منهم ولما آمنوا بما يدعونهم إليه.

فإذا عدنا إلى سياقه التنقير:

ل استبان لنا أن «الصورة الصوتية» للقرآن الحميد حسب تعبير الباحث المذكور هى الأصل أو الأُسّ أو العماد، ومن رجا آخر هى المتسقة تماما مع أحوالهم وظروفهم وما شبوا عليه وشابوا.



إن هذه الصورة الصوتية أو القرآن المحفوظ فى الصدور والمنقوش

(١) الآية ٧٨ من سورة النحل

(٢) الآية ١٠ من سورة الملك.

(٣) الآية السابعة من سورة إبراهيم.

فى الذاكرة والذى استمر أكثر من ربع قرن بل إنه امتد حتى سنة ٣٠ هجرية وهى التى يرجح باحث رصين أنها سنة كتابة المصحف.[١]

أى هو المعّول عليه لما يقرب من خمسة وأربعين عاما وهى ليست سنوات عادية بل هى التى شهدت الانبثاق وعاينت التكوين وحايثت التأسيس.

نستأنف فَ نقول إنه هو الذى أفسح المجال لكافة الصور التى ذكرنا أمثلة منها فحسب والتى تضمّخت النصوص التى هلت بشأنها وبزغت بسببها وأشرقت متصلة بها بروائحها وهى التى شكلت العلاقة الجدلية البالغة الروعة بينها وبين الواقع المعاش بكل تجلياته وفى سائر مناحيه ويمعية تعرجاته.

ونزيد الأمر إيضاحا:

لو أن «مأدبة الله= القرآن» أشرق دفعة واحدة كَ نص «مجموعة» أو «مدونة» أو كما يقول المشتغلون مثلى بالقانون «كود» كَ توراة موسى التى زَبَرَها «رقمها» ربه بأصبعيه القدسانيين[٢] لما أتيح للمشاكل والأزمات والنوائب.. إلخ أن تجد لها حلا أو فكاكا أو فرجا... إلخ ولك أن تتخيل حال ذَيّاك المجتمع المعجب والفاعلين فيه إذا لم تسعف الآيات الكريمة ب الحلول النواجع والأدوية الشافية والتوجيهات السامية والإرشادات الفعالة.

[٥]

إن (الكتاب المبين = القرآن) ضم شطرا كبيرا منه تناول قصص الخلق والتكوين وآدم وحواء والشيطان وهابيل وقابيل ونوح وطوفانه المدمر ثم حكايا بقية البطاركة وهذه كلها وردت نظائرها فى الكتاب

(١) (القرآن وعلومه فى مصر: ٢٠ هـ/٣٥٨هـ) ل د.عبدالله خورشيد البرى ص ٤٥ الطبعة الأولى ١٩٧٠م ـ دار المعارف ب مصر.

(٢) من الطريف أن ذلك الإله المدهش الذى يسميه بنو إسرائيل «يهوه» لم يعرف عُمالة «بضم العين» السكرتير التى اهتدى إليه مخلوقاته فيما بعد. ا. هـ.

المقدس خاصة العهد القديم.

كما قَصَّ حكايا عاد وأخيهم هود وثمود وأخيهم صالح والناقة المدهشة التى خُصص لها يوم تشرب فيه ب مفردها والقرية ب أكملها بشرا وحيوانات لهم يوم وذلك امتحان «فتنة» لهم هل يصبرون أم يكفرون.

هذه الحكايا عُرفت منذ قرون فى جزيرة العرب وتناقلتها أجيال وراء أجيال.

والنوعان كلاهما =قصص العهد القديم وحكايا الجزيرة المباركة لا حاجة لهما بالتنجيم أو التبعيض أو التجزىء.

وذهب بعض المفسرين أنها أشرقت للعظة والعبرة، وفريق آخر زبر=أى كتب أن القصد منها التسرية عن «البدر/ البرهان = محمد» وتسليته وتخفيف بعض ما يعانيه، أما الفريق الثالث فيؤكد أن غرض شطر منها هو مقارنة حالته ب أحوال الكمّل السابقين مثل نوح، إبراهيم، موسى، وهود، وصالح.... إلخ.(1)

ومن ثم فقد هلت السور الخاصة ب هذه القصص والحكايا دفعة واحدة تقريبا فى نصوص متكاملة، بخلاف السور والآيات التى جعلناها موضوع كتابنا هذا فقد بزغت كالبدور الطوالع مجزأة مفرقة أى نجوما وأبعاضا حسب الحاجة ووفق الحالة كما أوضحنا تفصيلا.

وهذا ملحظ شديد الأهمية بالغ الثمانة كبير القيمة ولسنا نغالى إذا قلنا إن أحدا من الباحثين لم يلتفت إليه من قبل:

لقد قسموا الفرقان العظيم إلى:

مكى ومدنى، نهارى وليلى، حضرى وسفرى، فراشى ونومى، صيفى وشتائى، أرضى وسمائى..

---

(1) لمزيد من التفصيلات ارجع فى هذه الخصوصية إلى كتاب «القصص الفنى فى القرآن الكريم» للدكتور محمد أحمد خلف الله مع شرح وتعليق ل خليل عبدالكريم - الطبعة الرابعة ١٩٩٩ م - سينا للنشر ب مصر والانتشار العربى - ب بيروت.

إلخ

لكن قط لم تتم التـفـرقـة بين القـصـصى والمعـاشى أو الحكائى والواقـعى أو الروائى والحـيـاتى وإذا وجدت ثمة مـشابهـة (ولا نقـول مماثلة أو مطابقـة ونأمل أن يغدو هذا واضحـا وضوحـا تاما منعـا لأى لبس.. ا. هـ). بين النوع الأول «القـصـصى/ الحكائى/ الروائى» وبين مـا جـاء فى الكتـاب المقـدس خاصـة العهـد القـديم وبين الشـائع على ألسنة العرب فيما يتعلق ب بطاركة الجزيرة المبروكة.

فهناك مفـاصلة تامـة ومـبـاينة كاملة واختـلاف شـديد بين (الذكـر الحكيم/ القـرآن) وبين الكتب السـوابق عليـه فى التـاريخ لا فى الرتبـة أو المقام فيما يتصل بالنوع الآخر، وهذا من أهم السمات التى نفحته التفوق عليها وخلدت فيه النضارة والبكارة والفتاء.

تحريرا فى: ٢٢ جمادى الآخرة ١٤٢٢هـ

١١سبتمبر ٢٠٠١م

خليل عبدالكريم

المصادر والمراجع

أ- فوق المصادر والمراجع:

القرآن العظيم

ب- المصادر والمراجع والهوامش حسب ورودها في المتن (صلب الكتب):

١- (تفسير ابن جريج) جمع وتحقيق على حسن عبد الغنى - الطبعة الأولى - ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م - مكتبة التراث الإسلامى - القاهرة .

٢- (لطائف الإشارات لِ فنون القراءات) لِ شهاب الدين القسطلانى ٨٥١- ٩٢٣- تحقيق وتعليق عامر السيد عثمان وعبد الصبور شاهين - الطبعة الأولى ٢٣٩٢هـ - ١٩٧٢م ولجنة إحياء التراث الإسلامى - المجلس الأعلى لِ الشئون الإسلامية - القاهرة.

٣- (الاتقان فى علوم القرآن) لِ السيوطى - الطبعة الرابعة ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨- مكتبة مصطفى الباب الحلبى - بِ مصر.

٤- (أسباب النزول) لِ الواحدى - طبعة ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م - مؤسسة الحلبى - مصر.

٥- (المواهب اللدنية بِ المنح المحمدية) لِ القسطلانى - ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م - دار الغد العربى - مصر.

٦- (بنو إسرائيل فى القرآن والسنة) لِ محمد سيد طنطاوى - نوفمبر ١٩٩٧م - دار الشروق - مدينة نصر - القاهرة.

٧- (المقبول من أسباب النزول) لِ أبى عمر نادى بن محمود الأزهرى.

٨- (لباب النقول فى أسباب النزول) لِ السيوطى - كتاب التحرير - دار الشعب بِ مصر.

٩- (الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل) لِ أبى قاسم جار الله الزمخشرى ٤٦٧- ٥٣٨هـ - طبعة دار المعرفة - بيروت.

١٠- (كتاب التسهيل لِ علوم التنزيل) لِ محمد بن جزىّ الكلبى - دار الكتاب العربى - بيروت.

١١- (تفسير القرآن الكريم) لِ عبد الله محمود شحاته - الطبعة الأولى ٢٠٠٠م - دار غريب - مصر.

١٢- (الإصابة فى تمييز الصحابة) لِ ابن حجر العسقلانى ٧٧٢-٨٥٨هـ - تحقيق طه عبد الرؤوف سعد - د.ت.ن- دار الغد العربى - بِ مصر.

١٣- (السيرة النبوية) ل ابن إسحق تحقيق طه عبد الرؤوف سعد وبدوى طه بدوى - الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م - القطاع الثقافى ب دار أخبار اليوم - القاهرة.
١٤- (ال مُحَبّر) ل أبى جعفر بن حبيب- تحقيق سيد كسروى ص ١٠٨- ط ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م - دار الغد العربى - مصر.
١٥- (صحيح البخارى) نشرة دار الشعب ب مصر.
١٦- (تاريخ الطبرى) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم- الطبعة السادسة- ١٩٩٠م- دار المعارف ب مصر.
١٧- (أنوار التنزيل وأسرار التأويل- المسمى - تفسير البيضاوى) ل ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر الشيرازى البيضاوى- د.ت.ن- دار الفكر - دون ذكر المدينة.
١٨- (مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير) ل فخر الدين محمد بن عمر الرازى ٥٥٤-٦٠٦هـ - الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ١٩٩٢م - دار الغد العربى - ب مصر.
١٩-(الجامع ل أحكام القرآن - المعروف ب تفسير القرطبى) ل أبى عبد الله بن أحمد الأنصارى القرطبى- د.ت.ن- كتاب الشعب ب مصر.
٢٠- (التفسير والمفسرون) ل محمد حسين الذهبى- الطبعة الثالثة- ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م مكتبة وهبة- ب مصر.
٢١- (حياة محمد) ل محمد حسين هيكل - الطبعة الحادية عشرة- دار المعارف - مصر.
٢٢- (نساء النبى) ل بنت الشاطئ عائشة عبد الرحمن - د.ت.ن- دار الهلال - ب مصر.
٢٣- (المغازى) ل محمد بن عمر واقد المعروف ب الواقدى - ت ٢٠٧هـ - تحقيق ما رسدن جونز- د.ت.ن- مؤسسة الأعلمى - بيروت.
٢٤- (الخصائص الكبرى) ل السيوطى- تحقيق حمزة النشرتى وآخرين- الطبعة الأولى ١٩٩٦م- الناشر: حمزة النشرتى - ب مصر.
٢٥- (التيسير خلاصة تفسير ابن كثير) ت ٧٧٤هـ - بقلم محمود محمد سالم- طبعة دار الشعب ب مصر.
٢٦- (دلائل إعجاز القرآن) ل عبد القاهر الجرجانى - قراءة وتعليق أبى فهر محمود شاكر - طبعة ٢٠٠٠م- الأعمال الدينية- مكتبة الأسرة - الهيئة المصرية العامة - ل الكتاب.
٢٧- (السيرة النبوية) ل ابن هشام- تحقيق محمد فهمى السرجانى - ط ١٩٧٨م - المكتبة التوفيقية - ب مصر.

٢٨- (إمتاع الأسماع) لِ المقريزى ت ٨٤٥هـ - تحقيق محمد النميسى - مراجعة محمد جميل غازى - الطبعة الأولى ١٤٠١هـ -دار الأنصار- القاهرة.
٢٩- (سيرة المصطفى - نظرة جديدة) تأليف هاشم معروف الحسينى - الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ١٩٩٦م دار التعارف لِ المطبوعات - بيروت.
٣٠- (السمط الثمين فى مناقب أمهات المؤمنين) تأليف محب الدين الطبرى ت ٦٩٤هـ - تحقيق حمزة النشرتى وآخرين- الطبعة الأولى ٢٣٨٢هـ ١٩٩٦م - الناشر: حمزة النشرتى - بِ مصر.
٣١- (المختصر فى تفسير القرآن - مختصر من تفسير الطبرى) لِ ابن صمادح التُجيبى تنقيح وتحقيق عدنان زوزور- الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م - مؤسسة الرسالة- بيروت.

٣٢- (سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد) المعروف بِ (السيرة الشامية) لِ محمد بن يوسف الصالحى ت ٩٤٢هـ تحقيق مصطفى عبد الواحد- الطبعة الأولى ٢٣٩٢هـ - ٢٩٧٢م - لجنة إحياء التراث الإسلامى- المجلس الأعلى لِ الشئون الإسلامية- بِ مصر.
٣٤- (تفسير غرائب القرآن) لِ أبى محمد بن مسلم بن قُتيبة - تحقيق - السيد أحمد صقر- الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨- دار المكتب العلمية - بيروت.
٣٥- (مصحف الأزهر وبِ هامشه التفسير المُيسّر) لِ محمد سيد طنطاوى- شيخ الأزهر- الطبعة الثانية - ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م- مجمع البحوث الإسلامية- مطبعة المصحف الشريف- الأزهر.
٣٦- (محمد واليهود - نظرة جديدة) تأليف بركات أحمد - ترجمة محمود على مراد- الأعمال الدينية الطبعة الأولى ١٩٩٨م - مهرجان القراءة لِ الجميع- مكتبة الأسرة الهيئة المصرية العامة لِ الكتاب.
٣٧- (إنسان العيون فى سيرة الأمين المأمون - المعروف بِ السيرة الحلبية) لِ على بن برهان الدين الحلبى.
٣٨- (تفسير النسفى) لِ أبى البركات عبد الله النسفى - د.ت.ن- دار إحياء الكتب العربية: عيسى البابى الحلبى - بِ مصر.
٣٩- (تفسير سورة الحشر) لِ حسن فريد الكلبايكانى - الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ طهران.
٤٠- (أم سلمة أم المؤمنين) إعداد أمينة أمزيان الحسنى - الطبعة الأولى - ١٤١٩هـ ١٩٩٨م - وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المملكة المغربية.

٤١- (صحيح مسلم) طبعة دار الشعب - مصر.
٤٢- (المسند) لِ أحمد بن حنبل.
٤٣- (مرويات غزوة بدر) جمع ودراسة وتحقيق- أحمد محمد العليمى باوزير- الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م- مكتبة طيبة- المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية.
٤٤- (روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى - المعروف بِ - تفسير الألوسى) لِ أبى الفضل شهاب الدين محمد الألوسى - تحقيق محمود الشرقاوى - طبعة ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م - كتاب الشعب الدينى - دار الشعب - بِ مصر.
٤٥- (التفسير الوسيط لِ القرآن الكريم) تأليف لجنة من العلماء - تحت اشراف مجمع البحوث الإسلامية - الأزهر - الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م من إصدارات المجمع الأزهر- مصر.
٤٦- (المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز) لِ أبى محمد عبد الحق بن عطية الغرناتى ٤٨١- ٥٤١هـ تحقيق وتعليق أحمد صادق الملاح- الطبعة الأولى ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م - لجنة القرآن والسنة بِ المجلس الأعلى لِ الشئون الإسلامية - بِ مصر.
٤٧- (أحكام القرآن) لِ أبى بكر محمد عبد الله المعروف بِ ابن العربى - ٤٦٨- ٥٤٣هـ - تحقيق على محمد البجاوى - الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ١٩٨٧- دار المعرفة ودار الجيل - بيروت - لبنان.
٤٨- (نظام الغريب فى اللغة) تأليف عيسى الربعى الوحاظى الحميرى - تحقيق محمد بن على الأكوع- الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م - دار المأمون لِ التراث - دمشق- بيروت.
٤٩- (أحكام القرآن) لِ عماد الدين محمد الطبرى المعروف بِ الكيا هراسى ت ٥٠٤هـ الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م - دار الكتب العلمية - بيروت لبنان.
٥٠- (أحكام القرآن) تأليف أبى بكر أحمد الرازى الجصّاص الحنفى - ت ٣٧٠هـ -د.ت.ت - دار الفكر للطباعة والنشر- دون تحديد المدينة.
٥١- (المفردات فى غريب القرآن) لِ الراغب الأصفهانى - ت ٥٠٢هـ - تحقيق محمد سيد كيلانى - طبعة ١٣٨١هـ ١٩٨١م - مكتبة البابى الحلبى - بِ مصر.
٥٢- (تصحيح الفصيح وشرحه) لِ ابن درستويه - تحقيق محمد بدوى - مراجعة رمضان عبد التوب- الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م- المجلس الأعلى لِ الشئون الإسلامية بِ مصر.
٥٣- (تنوير المقياس من تفسير ابن عباس) لِ الفيروز آبارى - ت ٨١٧هـ الطبعة الثانية ١٣٧٠هـ - ١٩٥١م - مكتبة مصطفى البابى الحلبى بِ مصر.

٥٤- (تفسير الجلالين) وهما جلال الدين المحلى وجلال الدين السيوطى - د.ت.ن مكتبة الجمهورية العربية المتحدة - مصر.
٥٥- (المعجم الوجيز) مجمع اللغة العربية - مصر.
٥٦- (الجذور التاريخية للشريعة الإسلامية) لِ خليل عبدالكريم دار سينا بِ مصر ومؤسسة الانتشار العربى - بيروت وقد طبع مرتين.
٥٧- (نهاية السول فيما استدرك على الواحدى والسيوطى من أسباب النزول) لِ أبى عمر نادى الأزهرى - الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م - دار الصحابة - بِ طنطا - مصر.
٥٨- (غرائب القرآن ورغائب الفرقان) تأليف نظام الدين الحسن بن محمد القمىّ النيسابورى - ت ٧٣٨هـ - تحقيق وتعليق حمزة النشرتى وآخرين - الطبعة الأولى - د.ت.ن - القاهرة.
٥٩- (تفسير غريب القرآن) لِ أبى محمد عبد الله مسلم بن قُتيبة - ٢١٣-٢٧٦هـ - تحقيق - السيد أحمد صقر- ط ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م - دار الكتب العلمية - بيروت- لبنان.
٦٠- (سيرة ابن إسحق المسماة بِ كتاب السيّر والمغازى) - تأليف محمد بن إسحق ابن يسار - ٨٥- ١٥١هـ - تحقيق سهيل زكار- الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م - دار الفكر «غالبا» بيروت - لبنان.
٦١- (درة التنزيل وغرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز) لِ الخطيب الاسكافى - بِ رواية ابن أبى فرج الأردستانى - الطبعة الثانية ١٩٧٧م - دار الآفاق الجديدة - بيروت.
٦٢- (ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب) لِ أبى منصور عبد الملك الثعالبى - ٣٥٠- ٤٢٩هـ - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - سلسلة ذخائر العرب رقم ٥٧ - طبعة ١٩٥٨م - دار المعارف بِ مصر.
٦٣- (الفكر المصرى فى العصر المسيحى) لِ رأفت عبد الحميد - مكتبة الأسرة مهرجان القرآن ٢٠٠٠م الهيئة المصرية العامة لِ الكتاب - القاهرة.
٦٤- (الاستيعاب فى معرفة الأصحاب) لِ أبى عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمرى ٣٦٨- ٤٦٣هـ - توثيق وتحقيق طه عبد الرؤوف سعد - د.ت.ن - دار الغد العربى - العباسية - مصر.
٦٥- (أسد الغابة فى معرفة الصحابة) لِ عز الدين بن الأثير الجزرى - ٥٥٥- -٦٣٠هـ - تحقيق محمد إبراهيم البناء وآخر - د.ت.ن - دار الشعب بِ مصر.

٦٦- (المعجم الموضوعي لِ القرآن الكريم) تحقيق حمزة النشرتي وآخرين - الطبعة الأولى ١٩٩٩م - الناشر هو المحقق الأول - القاهرة.

٦٧- (مجتمع يثرب- العلاقة بين الرجل والمرأة في العهدين المحمدي والخليفي) لِ خليل عبد الكريم - طُبع مرتين - دار سينا بِ مصر ومؤسسة الانتشار العربي - بيروت - لبنان.

٦٨- (القاموس المحيط) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ٧٢٩- ٨١٧هـ - الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٦٩- (التحبير في علوم التفسير) لِ السيوطي ت ٩١١هـ - تحقيق وتقديم فتحي عبد القادر فريد- الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م دار المنار - القاهرة.

٧٠- (البرهان في علوم القرآن) لِ بدر الدين محمد الزركشي - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم- الطبعة الثانية ١٣٩١هـ - ١٩٧٢م - الناشر - عيسى البابي الحلبي - بِ مصر.

٧١- (الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم- ل أبي بكر بن العربي - تحقيق عبد الكبير العلوي - الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م - وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - المملكة المغربية.

٧٢- (نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام) لِ علي سامي النشار - الطبعة الثامنة - ١٩٧٧م دار المعارف بِ مصر.

٧٣- (شجر الدُّر) صنعة أبي الطيب عبد الواحد اللغوي - ت ٣٥١هـ - تحقيق حجر عبد الجواد- الطبعة الثالثة ١٩٨٥م- دار المعارف بِ مصر.

٧٤- (المصباح المنير في غريب الشرح الكبير لِ الرافعي) تأليف أحمد المقُري الفيومي ت ٧٧٠هـ - تحقيق عبد العظيم الشناوي - الطبعة الثانية ١٩٩٤م - دار المعارف بِ مصر.

٧٥- (جامع البيان عن تأويل القرآن المعروف بِ تفسير الطبري) لِ أبي جعفر محمد-بن جرير الطبري - ٢٢٤- ٣١٠هـ - تحقيق محمود محمد شاكر- مراجعة أحمد محمد شاكر- الطبعة الثانية ١٩٧١- دار المعارف بِ مصر.

٧٦- (أساس اللغة) تأليف جارالله الزمخشري - الطبعة الثالثة ١٩٨٥م - مركز تحقيق التراث - الهيئة المصرية العامة لِ الكتاب - القاهرة.

٧٧- (المختار من صحاح اللغة) تأليف محمد محي الدين عبد الحميد ومحمد عبد اللطيف السبكي - الطبعة الثانية ١٣٥٣هـ ١٩٣٤م- المكتبة التجارية الكبرى - مصطفى محمد - القاهرة.

٧٨- (محاضرة الأبراد ومسامرة الأخيار) لِ الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي - ٥٦٠- ١٣٨هـ الجزء الأول - ص ٦٤ - تحقيق محمد مرس الخولي - الطبعة الأولى ١٩٧٢م- دار الكتاب

الجديد - القاهرة.
٧٩- (صفة الصفوة) لِ ابن الجوزى ٥٠٨- ٥٩٧هـ - ص ١٦٤- تحقيق طه عبد الرؤوف سعد - لاطبعة الأول ٢٠٠١م- دار الغد العربى - القاهرة.
٨٠- (أحكام القرآن) لِ أبى بكر أحمد الرازى الجصّاص- ت ٣٧٠هـ - المجلد الثالث - ص ٤٧ - دار الفكر.
٨١- (كتاب المغازى) لِ الواقدى - تحقيق - مارسدن جونز - ص ٧٦٤- طبعة أولى ١٩٦٥م - منشورات مؤسسة الأعلمى - بيروت- لبنان.
٨٢- (المعجم المبتكر فى بيان ما يتعلق بِ المؤنث والمذكر) صنفه أبو الحسن ذو الفقار أحمد التقوى - ص ٨٤- الطبعة الأولى - ١٩٩٨م- مؤسسة الانتشار العربى - بيروت.
٨٣- (فى ظلال القرآن) سيد قطب- المجلد الأول - الجزء الرابع ص ٤٩٧- الطبعة الشرعية الحادية عشرة - ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م- دار الشروق بِ مصر.
٨٤- (الطبقات الكبرى) ل ابن سعد- الجزء الثانى - ص ٢٠٠ - سلسلة التاريخ الإسلامى - لجنة نشر الثقافة الإسلامية - مصر.
٨٥- (فقه السيرة) لِ محمد الغزالى ٠ ص ٤٠٩٠ الطبعة الثامنة - ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م دار الكتب الإسلامية - بِ مصر.
٨٦- (البيان فى تفسير القرآن) لِ الإمام أبى القاسم الموسوى الخُوئى - طبعة ١٩٧٤م - مؤسسة الأعلمى للمطبوعات - بيروت- نقلا عن:
٨٧- (جدل التنزيل) لِ د. رشيد الخيون- الطبعة الأولى ٢٠٠٠م - منشورات الجمل - كولونيا- المانيا.
٨٨- (سير أعلام النبلاء) لِ شمس الدين الذهبى - الخامس ١٩٨٢م - مؤسسة الرسالة - بيروت.
٨٩- (طبقات النحويين) لِ محمد بن الحسن الزبيدى - تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم - الطبعة الثانية - ١٩٨٤م -دار المعارف بِ مصر.
٩٠- (المختصر فى تفسير القرآن - مختصر من الإمام الطبرى) لِ ابن صمادح التُجيبى - تحقيق عدنان دروزة - الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م مؤسسة الرسالة - بيروت.
٩١- (فترة التكوين فى حياة الصادق الأمين) لِ خليل عبد الكريم) الطبعة الأولى ٢٠٠١م - دار مريت القاهرة- وقد طبع مرتين خلال ستة أشهر.

٩٢- (شدو الربابة فى أحوال مجتمع الصحابة) لِ خليل عبد الكريم - ٣ أسفار - الطبعة الأولى ١٩٩٧م - دار سينا - القاهرة ومؤسسة الانتشار العربى - بيروت.
٩٣- (المعجم الوجيز) مجمع اللغة العربية - مصر.
٩٤- (المعجم الوسيط)
٩٥- (جوامع الكلم من أحاديث سيد العرب والعجم) تجميع صلاح الدين التجانى - مهرجان القراءة ٢٠٠٠م للهيئة المصرية العامة للكتاب.
٩٦- (روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى المعروف ب تفسير الألوسى) لِ العلامة أبى الفضل شهاب الدين محمود الألوسى - ١٢١٧- ١٢٧٠هـ - تحقيق محمود الشرقاوى - طبعة ١٤١٥هـ كتاب الشعب الدينى - القاهرة.
٩٧- (دفاع السنة) لِ محمد محمد أبو شهبة - الكتاب الثانى من سلسلة البحوث الإسلامية - ١٤١٢٠هـ - ١٩٩٩م - السنة الثلاثون - مجمع البحوث الإسلامية - الأزهر - القاهرة.
٩٨- (جلال الدين السيوطى - سيرته العلمية ومباحثه اللغوية) لِ مصطفى الشكعة- الطبعة الأولى -١٤١٥هـ ١٩٩٥م - الدار المصرية اللبنانية - القاهرة.
٩٩- (بحار الأنوار الجامعة بِ درر أخبار الأئمة الأطهار) لِ محمد باقر المجلس - طبعة ١٩٨٣م دار إحياء التراث العربى - بيروت - مصدر غير مباشر.
١٠٠- (التبيان فى إعراب القرآن) لِ أبى البقاء عبد الله العكبرى ٥٣٨-٦١٦هـ الجزء الأول - الطبعة الأولى ١٩٨٨م - المكتبة التوفيقية - مصر.
١٠١- (تفسير القرآن الكريم) لِ الشيخ محمود شلتوت - الأجزاء العشرة الأولى - دار القلم بِ مصر.
١٠٢- (المختار من صحاح اللغة) لِ محمد محى الدين عبد الحميد ومحمد عبد اللطيف السبكى - الطبعة الثانية ١٣٥٣هـ ١٩٣٤م المكتبة التجارية بِ مصر.
١٠٣- (الكتاب المقدس) يشوع.
١٠٤- (الاكتفاء فى مغازى رسول الله والثلاثة الخلفاء) لِ الكلاعى ٥٦٥-٦٣٤هـ - تحقيق د. مصطفى عبد الواحد - الطبعة الأولى ١٣٨٩هـ ١٩٧٠م - مكتبة الخان جى - مصر.
١٠٥- (سنن ابن ماجة) لِ الحافظ أبى عبد الله محمد بن يزيد القزوينى - ابن ماجة ٢٠٧- ٢٧٥هـ- تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى - طبعة ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م - دار إحياء التراث العربى - دون ذكر المدينة.

١٠٦- (اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان= البخارى ومسلم) تجميع محمد فؤاد عبد الباقى - مراجعة عبد الستار أبو غدة - ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م - نشرته الجمعية الإسلامية الصينية- بكين - الصين.

١٠٧- (إنسان العيون فى سيرة الأمين المأمون - الشـهير بِ السيرة الحلبية) تأليف على بن برهان الدين الحلبى - ٩٧٥- ١٠٤٤هـ - الطبـعة الأولى ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م - شـركة مكتـبة ومطبـعة مصطفى البابى الحلبى بِ مصر.

١٠٨- (السمط الثمين فـى مناقب أمهات المؤمنين) لِ محب الدين الطبـرى - ت ٦٩٤هـ تحقيق حمزة النشرتى وآخر- الطبعة الأولى ١٩٩٦م - الناشر حمزة النشرتى - مصر.

١٠٩- (الاجابـة لِ إيراد ما اسـتدركـته عـائشة على الصـحابة) لِ بدر الدين الزركـشى ٧٤٥-٧٩٤هـ - تحقيق رفعت فوزى عبد المطلب- الطبعة الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠١م - مكتبة الخان جى - بِ مصر.

١١٠- (الدرر الكامنة فى أعـيان المائة الثامنة) لِ ابن حـجر العـسقلانى - ت ٨٥٢هـ - تحـقيق محمد سيد جاد الحق - د.ت.ن - دار الكتب الحديثة - مصر.

١١١- (تفسير مقاتل بن سليمان) ٨٠-١٥٠هـ- تحقـيق عبد الله شحاته- ساعد المجمع العلمى العراقى فى نشرة -دار الشروق بِ مصر.

١١٢- (تاريخ السنة النبوية - ثلاثون عامـا بعد الرسول) لِ صائب عبد الحمـيد- الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م - الغديد لِ الطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان.

١١٣- (تفسير سور المفصل من القرآن الكريم) لِ عبد الله كنون - ص ١٣-١٤- الطبعة الأولى - ١٤٠١هـ ١٩٨١م - دار الثقافة - الدار البيضاء.

١١٤- نخبـة الفكر فى مصطلح أهل الأثر) لِ ابن حـجر العـسقلانى - ٧٧٣-٨٥٢هـ- تحـقيق محمود حمودة - الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م - مكتبة الأداب بِ مصر.

١١٥- (تفسـير سورة آل عـمران) لِ عبـد الحليم محمـود- (تربع على كرسى رئاسة - شـئون التقديس المهابة) الطبعة الأولى ١٩٧٨- الدار المصرية لِ الطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة.

١١٦- (القاموس الموجز لِ الكتاب المقدس) طبعة ثانية ١٩٩٢م- الناشر - مكتبة كنيسة الإخوة - شبرا - مصر.

١١٧- (قاموس ويسترل العالم الجديد) الطبعة الثانية.

١١٨- (القاموس الجديد لِ التيولوجيا) طبعة المملكة المتحدة «انجلترا» والولايات المتحدة .
١١٩- (موسوعة الأديان فى العالم) «مجلد الديانات القديمة» الطبعة الأصلية ١٠٠٠ - إصدار ادبتوكريس- بيروت- لبنان.
١٢٠- (الفلكلور فى العهد القديم) لِ جيمس فرمرز) ترجمة د. نبيلة إبراهيم.
١٢١- (الموسوعة النقدية لِ الفلسفة اليهودية) لِ عبد المنعم حنفى - الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م -دار المسيرة - بيروت.
١٢٢- (قاموس علم الاجتماع) لِ عاطف محمد غيث - الطبعة الأولى - دار المعرفة الاجتماعية - الاسكندرية.
١٢٣- (معجم علم الاجتماع) - تحرير دنكن ميتشيل- ترجمة ومراجعة احسان محمد الحسن - الطبعة الثانية ١٩٨٦م - دار الطليعة - بيروت.
١٢٤- (موسوعة علم الإنسان) لِ شارلون سمور سمث- ترجمة مجموعة من اساتذة علم الاجتماع باشراف محمد الجوهرى - الطبعة الأولى ١٩٩٨م - العدد ٦١ من المشروع القومى لِ الترجمة - المجلس الأعلى للثقافة - القاهرة.
١٢٥- (دولة يثرب لِ بصائر فى عام الوفود وفى أخباره) لِ خليل عبد الكريم- الطبعة الأولى ١٩٩٩م - دار سينا لِ النشر - مصر - ومؤسسة الانتشار - العربى.
١٢٦- (كتاب المصاحف) لِى أبى بكر عبد الله بن أبى داود سليمان بن الأشعث السجستانى - الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م دار الكتب العلمية - بيروت.
١٢٧- (فضائل القرآن) لِ ابن كثير- ٧٠٠ - ٧٧٤هـ - الطبعة الأولى ١٩٧٩م - الناشر على رحمى - بِ مصر.
١٢٨- (تاريخ القرآن) لِ عبد الصبور شاهين- الطبعة الثانية - الناشر هو المؤلف.
١٢٩- (المصحف الشريف - دراسة تاريخية وفنية) محمد عبد العزيز مرزوق- طبعة ١٩٨٥م - سلسلة «قضايا إسلامية» الهيئة المصرية العامة لِ الكتاب - القاهرة.
١٣٠- (البرهان فى علوم القرآن) لِ بدر الدين الزركشى - تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم - الطبعة الثانية ١٣٩١هـ - ١٩٧٢م - عيسى البابى الحلبى وشركاه بِ مصر.
١٣١- (الاتقان فى علوم القرآن) لِ السيوطى ت ٩١١هـ الطبعة الرابعة ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بِ مصر.
١٣٢- (أضواء على مصحف عثمان بن عفان ورحلته شرقا وغربا) لِ سَحر السيد عبد العزيز

سالم - الطبعة الأولى - ١٩٩١م- الناشر: مؤسسة شباب الجامعة - الاسكندرية.
١٣٣- (القرآن وعلومـه فى مصر) لِ عبد اللـه خورشيد البرى - الطـبعة الأولى ١٩٧٠م - دار المعارف بِ مصر.
١٣٤- (القصص الفنى فى القرآن الكريم) تأليف د. محمد أحمد خلف مع شرح وتعليق خليل عبد الكريم- الطبـعة الرابعة ١٩٩٩م - دار سينا لِ النشر بِ مـصر ومؤسسة الانتـشار العربى - بيروت- لبنان.

المحتويات

السفر الأول

السفر الثانى

